

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب

(أوضاع العصر الرأسمالي)

تأليف

دكتور نعيم زكي فهمي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

رفع

مكتبة تاريخ واثار دولة المماليك

طرق التجارة الدولية ومحطاتها
بين الشرق والغرب
(أواخر العصر الوسطى)

جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة

المكتبة العربية

- ١٣٢ -

(٨٨)

(١٧)

تأليف

ترجمة

الطبعة

١٩٦٣ - ١٩٦٣ م

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصر الوسطى)

تأليف
دكتور نعيم زكي فهمي



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

المقدمة

تعتبر الدراسات التاريخية الاقتصادية من أكثر الموضوعات صعوبة وتعقيدا ، لذا يعزف كثير من الدارسين والباحثين عن طرق هذا النوع من الدراسات التي تحتاج الى دراية واسعة باللغات الأوروبية الحديثة والوسيلة ، والى صبر ودأب على استقراء الوثائق والنصوص والمعاهدات ، بالإضافة الى أن معظمها ليس في متناول أيدينا ، رغم أنها الأساس لهذا النوع من الدراسات ، ثم ان المراجع التي تبحث في هذا النوع من الدراسة شحيحة، وبعضها قاصر عن إيفاء الموضوعات الاقتصادية حقها المطلوب .

وتكاد تخلو مكتبتنا العربية من هذا النوع من الدراسة في المصور الوسطى التي يعتبرها الاقتصاديون حجر الأساس في تطوير النظم الاقتصادية في المصور الحديثة . لذا هدفت الدراسات والبحوث الحديثة الى التوسع في هذه الموضوعات . وقد استهوتني الدراسة الاقتصادية منذ فترة غير قصيرة فكملت على تتبع تطورها ونظمتها ، ووجدت أن أكثرها أهمية هي الفترة الأخيرة من القرن الخامس عشر الذي يعتبر من أكثر فترات المصور الوسطى أهمية بالنسبة للأحداث الجسام التي حدثت فيه وأدت الى تغييرات جوهرية في العالم .

ولعل أهم هذه الأحداث وأولها هو سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ في أيدي القوات المشائية ، واندفاع هذه القوات غربا الى شرق ووسط أوروبا ، ثم مد حدودها بعد ذلك الى البحر الأسود وإيران شرقا . وقد عمدت في تحركاتها العسكرية الى سد الطرق التجارية

للدواعي الأمن ، مما أثر فعلا في التجارة وطرقها ومراكزها بين آسيا وأوروبا . ومع أن التجارة تحولت تماما بعد هذا الحدث الى موانئ مصر والشام والبحر الأحمر ، الا أن الغرب الأوربي كان قد مل التعامل مع الممالك بسبب كثرة الضرائب وارتفاع رسوم الجمارك ، وقوة الاحتكارات ، مما دفع الأوربيين الى البحث عن طريق آخر أكثر أمنا ، ووقع هذا العبء على عاتق البرتغال ، فاندفع بحارتها ، يحدوهم التحمس الديني ، يدورون حول افريقية ويندفعون الى الهند حيث تمكنوا خلال عدة معارك حربية من القضاء على تفوذ الممالك والسيطرة على تجارة الشرق . وكان هذا ثاني الأحداث الهامة في هذه الفترة من العصور الوسطى .

أما ثالث هذه الأحداث وأخطرها فهو الذي ختم العصور الوسطى وتم على عهد السلطان سليم الأول العثماني الذي قضى على دولة الممالك الجراكسة بالشام ومصر ، وأنهى دور هذه البلاد الرائع في مجال الحضارة والحرب والتجارة .

وقد اتجهت في هذا الموضوع اتجاها اقتصاديا صرفا ، فلاحظت بشتى نواحيه شارحا العلاقات الخارجية بين دول شرق البحر المتوسط وغربه ، دافعا هذه العلاقات بالعديد من الوثائق والمعاهدات المنشورة والمخطوطة التي استندت منها في استخلاص حقائق ونظم اقتصادية لم يصل اليها جهد الباحثين من قبل ، وكان لابد - والحال كذلك - من البحث في الطرق والمراكز وأهميتها وما بقي منها وما اندثر حتى وصول البرتغاليين للهند ، والعثمانيين للشرق العربي ، والذي أدى الى انهيار اقتصاديات المنطقة بعد قرون عديدة زاهرة .

وقد ألحقت بالكتاب عدیدا من الوثائق المخطوطة والمطبوعة ، وملحقا خاصا بالفرائط التوضيحية للطرق والمراكز ، وثبتا وأفيا بالمراجع العربية والافرنجية التي رجعت اليها .

وانى أد أقدم هذا المؤلف للمكتبة العربية ، أرجو أن أكون قد
أضفت اليها لونا جديدا من الدراسات التاريخية الاقتصادية ، كما
أرجو أن أكون قد فتحت بابا للدارسين في التاريخ الاقتصادى للمريد
من العهد الوطنى النافع .

والله ولى التوفيق .

القاهرة ١٩٧٠

الدكتور نعيم زكى فهمى

الفصل الأول

نظرة سياسية عامة في أمم دول البحر المتوسط
من سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ إلى
دخول العثمانيين مصر ١٥١٧

أهم أحداث أواخر العصور الوسطى

يجمع المؤرخون على أن استيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، هو أول حادثة في سلسلة الحوادث العظمى التي غيرت أحوال البلاد الواقعة حول البحر المتوسط ، ثم أحوال العالم كله أواخر القرن الخامس عشر الميلادي .

أما الحادث الثاني فهو وصول البرتغاليين بحرا من الهند بعد أن داروا حول افريقية عام ١٤٩٨ ، وتبع عن هذا الحادث الثاني نتائج سياسية واقتصادية كبيرة في شرق البحر المتوسط ، وخاصة في دولة سلاطين المماليك . وإذا قيل أن سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين مهد فعلا للحروب المماليكية العثمانية أوائل القرن السادس عشر فإن وصول البرتغاليين بحرا إلى الهند حدد كيان دولة سلاطين المماليك بالذات ، إذ أخذت تجارة الشرق الأقصى وأرباحها الهائلة تنحول عن مصر والشام وموانئهما إلى أوروبا بالطريق البحري الجديد ، وبكميات متزايدة وأسعار معتدلة . على أنه ينبغي أن يضاف إلى هذين الحادثين الكبيرين حوادث أخرى داخلية ساعدت على تهديد كيان دولة سلاطين المماليك منذ عام ١٤٥٣ ، إذ دبت الشيخوخة في أوصالها واعتري الفساد نظمها ، فمحزت عن الاحتفاظ بكيانها بسبب اشتداد الخلاف بين السلطان وطوائف المماليك ، فكثيرا ما تمرد المماليك كلما دعوا للحرب لمحز السلطان عن توفير المال اللازم لتوزيع ما هو معروف بالنفقة قبل الخروج إلى القتال (١) .

(١) ابن أبيس . عالم الزهور في وثائق العصور ج ٢ ص ٣٦ (طبعة بولاق) .

ولا أقل من أن تلقى نظرة عامة سريعة على دولة المماليك وجيرانها في القرن الخامس عشر لتدرك الظروف التي عاشت فيها هذه الدولة من ناحية والتي أثرت في مصائر حوض البحر المتوسط من ناحية أخرى . فقد شملت دولة سلاطين المماليك عام ١٤٥٣ البلاد الواقعة من الشلال الأول جنوباً ، وأعلى الفرات شمالاً بما في ذلك بلاد الشام وأجزاء من آسيا الصغرى حتى طرسوس وملطية ، كما خضعت لها جزيرة قبرص . وامتدت الأطراف المماليكية الجنوبية من عيذاب على البحر الأحمر إلى بلدة القصير على مسافة حصة أميال جنوبى أسوان ، ومنها امتدت عبر الصحراء مشتملة على بلاد الواح (الواحات) حتى بركة وعلى الأطراف الشمالية الشرقية امتدت الإمارات التركمانية عام ١٤٥٣ ومنها إمارة دنغادر وإمارة رمضان ومناطق تركمانية أخرى ذات إمارات مماثلة ، وانتشرت بالمنطقة حتى ديار بكر ، ودانت كلها للسلاطين المماليك بالتبعية والجزية والرأى في تعيين أمرائها .

وتبدو أهمية هذه الإمارات في موقعها الجغرافى بين الدولتين المماليكية والعثمانية ، فضلاً عن مرور الطرق التجارية بها من وسط آسيا إلى آسيا الصغرى وشرق البحر المتوسط ، لذا كانت على علاقات سياسية واقتصادية بدولة سلاطين المماليك (٢) .

وأسس إمارة دنغادر (زين الدين قراخا) في منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان الأمير عليها عام ١٤٥٣ (سليمان بك قراخا) الذى تزوج السلطان محمد الثانى العثمانى أخته . (٣) والى

(٢) العالدى : المقصد الرابع الفصا : ص ٨٢ ، ١ ، ٢ (مختلطة) .

الظاهرى : زبدة كلف المالك ص ٥٢ ، ٥٤ .

الفرىزى : الخط ج ١ ص ١١٣ .

— Ency. D'Islam, T. II Article, «Karaman Oghlans»

— Ziada, Foreign Relations, pp. 83-85 and pp. 101-103.

— Lane-poole, A History of Egypt in the Middle Ages, p. 309.

— Ency. D'Islam, Op. Cit., Art., «Dol'Kaders» pp. 985-987.

(٣)

— Hammer, Histoire De L'Empire Ottoman. T. II pp. 425, 426, & p. 435.

— Ziada, Op. Cit., pp. 252, 253.

العرب من اماره دلتا در امتدت اماره « قرمان أوغلو » وتنسب الى زعيمها « قرمان » الذي حصل قديما من السلاجقة على حق النزول بالمناطق الجبلية حول قونية . وشملت أملاك هذه الامارة ساحل قيليقية وأنطاكية ، وكانت عاصمتها « لارندة أو قرمان الجديدة » . واحتسب بنو قرمان بمسلاطين الماليك حوفا من العثمانيين ، وكان « ابراهيم » حفيد علاء الدين قرمان هو الأمير عام ١٤٥٣ (٤) .

وعلى الأطراف الغربية لامارة قرمان كانت الدولة العثمانية التي أحدثت تعمل على اخضاع ما تبقى خارجا عن طاعتها من امارات آسيا الصغرى ، فاكتملت اماره قرمان عام ١٤٦٣ . ومن الامارات الخارجة وقتذاك عن الدائرة العثمانية « اماره اسفنديار » التي امتدت من حدود قرمان أوغلو الشمالية حتى شواطئ البحر الأسود وعرفت باسم « قسطنطيني » أو « قزبل أحمدلي » ، وتنسب لمؤسسها « مير الدين اسفنديار » والأمير عليها عام ١٤٥٣ « ابراهيم بن اسماعيل » ، ثم انتزع الامارة منه أخوه قزبل أحمدلي بمعاونة السلطان محمد الثاني العثماني (٥) .

والى الشرق من اسفنديار امتدت امبراطورية « طرابزون » البيزنطية على الساحل الجنوبي للبحر الأسود حتى أملاك التركمان شرقا . وكان الامبراطور هناك « حنا الرابع كومنين » ، وقد اكتمل

١ - ابن اياس - المرجع السابق ص ٨١ - ٩٦ - ١٠٩ - ١٣٦ - ٢١٩ - ٢٣٢ - ٢٤٦ - ٢٥٩ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٢٠ .

٢ - ابن الجعفي - المعجم الزاهر ج ٧ ص ٧٢٨ - ٨٠٧ - ٨٢٢ - ٨٢٢ (طبعة بوز - كاليفورنيا) .

(٤) القرمانى : ابن الجعفي - أخبار الدول وآثار الأول دولة ١٩٧ (مطبوعة) ولسعة مطبوعة في برلن ١٢٩٠ ص ٢٩٢ - ٢٩٥ .

٣ - Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «Karawan Oghlun».

Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «Isfandiyar Oghlun» T. II, p. 565. (٥)

٤ - Zinda, Op. Cit., p. 103.

القرمانى : أخبار الدول - المصدر السابق مطبوع في ٢٩٢ - ٢٩٥ .

السلطان محمد الثاني العثماني هذه الامبراطورية عام ١٤٦١ . (٦)

والى الشرق من طرايرون امتدت مملكة جورجيا حوالى ستين ميلا حتى تفليس ، وهى على الطريق التجارى البرى من وسط آسيا الى شرق البحر المتوسط ، لذلك تعرضت لأخطار المناوشات بين القبائل التركمانية والعثمانيين . (٧) وامتدت مملكة شروان « شرقى مملكة جورجيا حتى بحر قزوين ، والملك عليها عام ١٤٥٣ ، « خليل الله » ١٤٢٧ - ١٤٦٢ . واتخذ هذا الملك موقف الحياد فى معظم التيارات والحوادث الجارية حوله . (٨)

وعاصرت الدولة المماليكية كذلك قبيلتى « الشاه البيضاء - الاق قيونلو » و « الشاه السوداء - القره قيونلو » التركمانيتين بأعلى العراق وفارس ، ونزلت قبيلة الشاه البيضاء ديار بكر واتخذها أفرادها عاصمة لهم ، ومما امتدت أملاكهم حتى تبريز ، وكانه الأمير عليها عام ١٤٥٣ « جهانكير » ابن الأمير على بك ونازعه فى الامارة أخوه « أوزون حسن » الذى اغتصب الحكم وانفرد به ، ولم يلبث أن مد فتوحاته فشملت أرمينيا وحسن كيا وديار بكر وماردين . (٩)

(٦) كان آخر حكم أسرة كومانين الكثرة فى طرايرون : جون الرابع الذى تزوج

أولاد حسن من ابنته ثم أخوه دمرد .

— Heyd, Histoire Du Commerce, T. II pp. 362, 365 & p. 390.

— Camb. Med. Hist. Vol. I pp. 76, 77.

— Hammer, Op. Cit., T. III pp. 36-37, 79, 153.

— Deppang, Histoire Du Commerce T. II p. 221.

(٧) العائلى : المصدر السابق : (مخطوطة) ورقة ٢٨١ ب - ٢٨٢ ب .

— Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «Georgie».

— Ziaee, Op. Cit., pp. 104-105.

(٨) الخالدي : المصدر السابق (مخطوطة) ورقة ٢٨٢ ب .

— Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «Derband Shirwan Shah».

(٩) قرمانى : المصدر السابق (مطبوع) ص ٢٢٦ .

— Hammer, Op. Cit., III pp. 61, 151-464-466.

— Hammer, Op. Cit., IV pp. 69-80, 81.

الظاهرى : المصدر السابق ص ١١٩ - ١٢٠ .

ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٦ (برلاق) .

— Ency. D'Islam, Op. Cit. Art. «Ak. Kouynha» p. 228. — Otto Hussen — Hem Kaifa.

أما قبيلة الشاه السوداء فامتدت أملاكها جنوب بحيرة « وان » والأمير عليها عام ١٤٥٣ « جهان شاه » وقد آلت أملاكها إلى أوروغ حسن عام ١٤٦٩ - (١٠)

أما بلاد الحجاز فظلت مرتبطة بالسلطنة للمالكية والسultan المالكي يحطب له من منابر مكة بالقاب « سلطان البحرين وحامي الحرمين » وحصل سلاطين الماليك على أموال كثيرة من رسوم تجارة الهند في ميناء جدة وينبع (١١) . وفي اليمن تنازع بنو رسول وبنو طاهر الحكم بين عامي ١٤٤٦ - ١٤٥٤ م حتى خلعت لبني طاهر عام ١٤٥٤ وظلوا تابعين للماليك حتى عام ١٥١٧ (١٢) .

وعلى الأطراف الجنوبية لدولة سلاطين الماليك انتشرت قبائل البجاء بين أثيل والبحر الأحمر وامتدت مساكنهم على طول الطريق التجاري بين قوس وعيذاب . (١٣) .

ومن البلاد التي جاورت الأطراف المالكية الجنوبية ، النوبة المسيحية - وامتدت أراضيها امتدادا صحراويا من جنوبي أسوان إلى

(١٠) ابن الخاس : المصدر السابق ج ٦ ص ٦٤٤ - ٦٥٠ و ٦٨٥ و ٢٦٦ ر ٧١
وج ٧ ص ٢٦٦ و ٢٤٠ (كاليغوليا) .
القاسري : المصدر السابق ص ٥٩ .
(١١) التالي : المصدر السابق (مخطوطة) ورقة ٨٢ أ و ب - ١٥٣ ب ر ١٥٥
القاسري : المصدر السابق (ص ١٦ - ٤٢ - ٥٢) .
(انظر بهم الفصل الثالث)

Lane Poole, Op. Cit., p. 309.
— Lane Poole, Cairo p. 237.
— Zia, Op. Cit., pp. 93, 94-98.
— Ency. D'Islam. Op. Cit. Art. «Arabia-Mediana».
(١٢) التالي : المصدر السابق (مخطوطة) ٢٧٢ ب - ١٢٧١ - ١٢٧٢ .
القليوبي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٧ - ٢٥ .
— Lane Poole, Mohammedan Dynasties, pp. 99, 100.
(١٣) التالي : المصدر السابق ج ٥ ص ١٧٢ - ١٧٦ .
— Ency D'Islam, Op. Cit., Art. «Bega, Bisharia, T. Is. pp. 608, 609-687.

دارفور الحالية وقاعدتها مدينة « دنقلة » (١٤) ومنها أيضا مملكة
الحبشة المسيحية التي امتدت شرقى النيل من أطراف سلطنة مالى حتى
البحر الأحمر . وفى عام ١٤٥٣ كان على الحبشة الملك « يعقوب » الذى
لقب فى العصور الوسطى المتأخرة « بالخطى » ، وحصلت الحبشة
على مطراها منذ القدم من القاهرة . ولكن يتم ذلك يرسل ملك
الحبشة الى السلطان يطلب تعيين مطرانا جديدا . (١٥) أما بلاد الأحباش
المسلمين فكانت الاراضى الساحلية المطلة على البحر الأحمر ويعبر عنها
« بالطراز الاسلامى » وتعرف فى بلاد الممالك باسم بلاد الزيلع
وتخضع للخطى ملك الحبشة . (١٦)

وفى شمال افريقية عاصرت دولة سلاطين الممالك دول بنى حفص
فى تونس وبنى زيان فى تلمسان فى الجزائر وبنى مرين فى مراكش
وامتدت الدولة الحفصية من أطراف مصر الغربية عند برقة وكانت
العاصمة مدينة تونس . (١٧) وعقد الحفصيون معاهدات تجارية مع
جمهوريات بيزا وجنوة وفلورنسا والبندقية . أما الجزائر فقد تقاسمها
الحفصيون وبنى زيان ، وأخذ هؤلاء يستولون عليها شيئا فشيئا حتى

(١٤) الخالى : المصدر السابق - (مخطوطة) ورقة ٢٧٤ ب ١ .

الخلاصة : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٧٥ .

— Ency D'Islam, Art. «Bakis», pp. 609-1072, 2073.

— Lane Poole, A Hist. of Egypt in the Middle Ages, pp. 12-15-27-212.

— Zieda, Op. Cit., p. 113.

(١٥) الخلاصة : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٠٦ - ٣٠٦ - ٣٠٦ - ٣٢٢ .

(١٦) الخالى : المصدر السابق (مخطوطة) ورقة ٢٨٨ .

— Ency. of Islam, p. 119, Vol. I.

(١٧) الخلاصة : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٢٢ و ٢٢٢

ج ٨ ص ١٢٩ - ١٥١ .

الخالى : المصدر السابق (مخطوطة) ورقة ٢٧٥ ا و ٢٧٦ ب - ٢٨٨ ب .

أبو الحسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٨٩ (كاليغوريا) .

— Ency. of Islam, Vol. I pp. 985, 986.

(١٧) الخالى : المصدر السابق (مخطوطة) ورقة ٢٧٦ ب .

أبو الحسن : المصدر السابق ج ٦ ص ٨٢٤ (كاليغوريا) .

الخلاصة : المصدر السابق ج ٥ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

امتلكوها كلها . (١٨) وامتدت مراكش غربا حتى مدينة آسفى على المحيط الأطلنطى وعاصمتها فارس وبقيت فى حكم المرينيين حتى عام ١٤٦٥ ، ثم فى حكم بنى وطان بعد عام ١٤٦٥ ، واقتزع منهم البرتغاليون والاسبان آسفى ومليلا عام ١٤٧٠ (١٩) .

ومن الدول المعاصرة الاسلامية لدولة سلاطين الماليك ، الهند الاسلامية وأكثرها صلة بمصر مملكة الدكن البهمنية ١٣٤٧ - ١٥٢٦م والمملكة الحبيجية ١٤٣٦ - ١٥٣١م ومملكة جوجيرلات ١٤٠١ - ١٥٧٣ ومملكة دلهى حيث حكمت أسرة لودى ١٤٥٠ - ١٥٢٦ م . وكان ملوك الهند الاسلامية يرسلون للخليفة المباسى بالقاهرة يطلبون التقليد الخلقى لتثبيت سلطانهم على بلادهم ، كما كان لمصر صلات تجارية وثيقة بالهند ، اذ اجتذبت تجارة التوابل والأحجار ، الكريمة أفواحا مستمرة من التجار المسلمين الى سواحل الهند الغربية واشتركت سفهم مع سفن الماليك فى مهاجمة الأسطول البرتغالى فى مياه الهند عامى ١٥٠٨ - ١٥٠٩ (٢٠) .

أما الممالك المسيحية الداخلة فى نطاق شرق وغرب البحر المتوسط والتي ارتبطت بمصر بروابط سياسية واقتصادية ، فهى مملكة قبرص والجمهوريات الايطالية ومملكة قشتالة باسبانيا وفرنسا ودات

(١٨) القلقشنقى : المصدر السابق ج ٥ ص ١٤٩ - ١٥١ .

(١٩) القلقشنقى : المصدر السابق ج ٥ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

الخالى : المصدر السابق (مقطوعة) ورقة ٧٩ ا - ٢٧٦ ا .

أبو المعاس : المصدر السابق ج ٦ ص ٨٢١ (كالمفردية) .

— Ency. of Islam, Op. Cit., Art. «Hafsid», Vol. II pp. 229, 230.

— Lane Poole, Op. Cit., Mohammedan Dynasties, pp. 49, 50.

— Ency. D'Islam, Op. Cit., II pp. 509-533. Art. «Benghal-Delhi» (٢٠)
Malwa-Kandish-Gujarat - Kashmir - Diampur - Gujarat»

— Lane Poole, Moham. Dynast., pp. 305-308, 189-193, 283-298, 300-312-314.

— Lane Poole, Egypt In The Middle Ages, pp. 350-352.

— Lane Poole, India, pp. 168-170, 171, 172-175, 176.

— Zia, Op. Cit., pp. 253, 254.

مملكة قبرص لسلطين المالك بالتبعية والجزية ، وكان ملكها عام ١٤٥٣ « حنا الثاني لوزجنان » (٢١) .

ومن جمهوريات ايطاليا ذات الصلة الوثيقة بشرق البحر المتوسط جمهورية البندقية . ومنذ سقوط القسطنطينية والبنادقة يتجهون بتجارهم الى بلاد السلطات المالكية وصارت البندقية أكبر عميل في تجارة شرق البحر المتوسط ، وأشأت لها جالية كبيرة بالاسكندرية وغيرها من موانئ الممالك . وكانت فلورنسا كذلك من أكثر الجمهوريات الايطالية اتصالا بشرق البحر المتوسط . ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر وأسرة ديبديتشي الحاكمة في فلورنسا تعمل على توثيق صلاتها التجارية بالسلطات المالكية ، وذلك رغم التحريمات التي أصدرتها البابوية لمنع التجار الفلورنسين والبنادقة وغيرهم من المتاجرة في المواد الحربية مع الممالك . (٢٢)

وفي أسبانيا ظلت دولة المسلمين بالاندلس تغالب المسيحيين حتى لم يبق في يدها عام ١٤٥٣ الا مملكة غرناطة وكان الأمير عليها اذ ذاك « اسماعيل بن يوسف الناصري » الذي أعلن خضوعه لهنري الرابع ملك قشتالة ، وأدى له جزية سنوية قدرها ١٢٠٠٠ دينار ، واستمر

(٢١) إير اللطس : العصر السابق ج ٧ ص ٤ (طبعة كاليفورنيا) .

— Heyd, Op. Cit. T. II pp. 429, 426-428, 429-475.

— Lane Poole, Egypt In The Middle Ages, p. 339.

— Muir, The Mameluks or Slave Dynasty, p. 142.

— Mas Latrie, Chypre, T. III p. 73 & p. 765.

— Ziaee, Op. Cit., p. 87.

(٢٢) فكرت البابوية بعد هزيمة عكا ١٢٩١ في إخماد الممالك عن طريق حرمانهم من المورد الأساسي لنظام وقوتهم وهو التجارة . لذلك أصدرت البابوية مراسيم التحريم البابوية منصفة عدم التعامل مع المسلمين عامة والممالك خاصة في أسلاف مسببة عن السلع أهمها المواد التي تدخل في صناعة الأسلحة والسفن كالنحاس والذهب والكبريت والفار . وكذلك على المواد الغذائية كالحبوب والزيت فضلا عن الرقيق الأبيض الذي اعتمد عليه النظام المالكي .

سعيد عابدور : العصر المالكي في مصر والشام ص ٢٩٤ و ٢٩٥ .

— Fernand, Les Villes Marchandes, p. 30.

هذا العهد حتى قيام الأمير « أبو الحسن على » بعد وفاة أبيه اسماعيل عام ١٤٦٦ ، وكان على ماله الأمير « محمد » المعروف « بالزعل » ، وهذان الأميران هما اللذان قاوما قوات أسبانيا المسيحية حتى انتهاء حكم المسلمين في غرناطة ١٤٩٢ م . (٣٣) وحتى وصول البرتغاليين للهند كاد الأسبان يحصلون على حاجتهم من التوابل الشرقية من أسواق شرق البحر المتوسط . وفي فرنسا استطاع الملك « شارل السابع » طرد الجيوش الانجليزية عام ١٤٥٣ من فرنسا . (٣٤)

وفي عام ١٤٥٣ كان السلطان المماليكي في القاهرة السلطان الأشرف إينال (١٤٥٣ - ١٤٦٠) وكان طاعنا في السن متقادا للمالكة الجليان الذين كثيرا ما رفضوا الخروج للخدمة وحماية الأطراف المالكية لمعجز السلطان عن توزيع النعمة اللازمة للحرب . (٣٥) وأصدر السلطان إينال عددا من القوانين الاقتصادية الهامة مثل قانون العملة وضرب على أيدي الزغلية مزيهي النقود بأن شق عشرة منهم على باب زويلة . (٣٦)

(٣٣) محمد عبد الله خان : تراجم إسلامية ، ص ٢٢٧ - ٢٢٧ .

انظر الفصل التالي بهذا .

(٣٤) Lodge, Richard, A. Hist. of Mod. Europe. p. 22 .

(٣٥) الغامدي : المصدر السابق ورقة ٨٥ ب و ١١٢ ا و ١٢٥ ا .

الظاهر : المصدر السابق ص ٣٥ .

أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٤٠ و ٢٣٦ (كالمجورية) .

ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٤١ و ٤٢ و ٤٣ - ٦٤ .

— Lane, Poole, Egypt in The Middle Ages pp. 325, 326.

تسكن بعض القبائل على حدود مصر في الصيد والوجه البحري وخاصة في صحراء البحيرة والشرقية وولايات مصر العليا والوسطى وعاشروا بين الأمال الاصليين وإن كانوا يغيرون عليهم في بعض الأحيان . وكانوا يدفعون الجزية للسلطان . وفي حالات الحرب ترسل هذه القبائل بعض رجالها وجيولها للانتماء في الحارك . وعلى أية حال فقد كانوا مصدر إزعاج دائم للسلطات الحاكمة . بل كانوا أحيانا يغيرون على قوات السلطان نفسه ويقاتلون بعضهم البعض ويغيرون على الطرق القبطية .

(٣٦) ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦ و ٥٧ - ٦٦ . انظر الفصل الخامس

بهذا .

واتبع اينال سياسة ودية مع جيرانه من الدول الاسلامية وخاصة السلطنة العثمانية ، وأرسل للسلطان محمد الثاني العثماني سفارة لتنهته بفتح القسطنطينية . وأعلن الأمير « سليمان دلقادر » الولاء للسلطنة المماليكية وسلك ابنه « أصلان دلقادر » هذا المسلك حتى عام ١٤٦٥ . (٢٧) وظلت العلاقات طيبة بين السلطان اينال وأوزون حسن زعيم قبيلة الشاة البيضاء التركمانية على حين أعلن جهان شاه « زعيم قبيلة الشاة السوداء » عداوه للسلطنة المماليكية وتعداها بإيوائه أحد الأمراء الفارين من القاهرة ، فنهض أوزون حسن لمحاربة جهان شاه وهرمه ونال بذلك رضا السلطان اينال . (٢٨) ولم يحدث أن قام السلطان اينال خلال حكمه الذي امتد الى عام ١٤٦١ بحملة ضد أية دولة اسلامية سوى حملة تأديب ضد « ابراهيم » أمير قرمان الذي استولى على أطنة وطرشوس بعد أن تجاهل السلطان اينال صرخاته عندما اشتد عليه ضغط السلطان محمد الثاني العثماني . (٢٩) وقاد هذه الحملة الأمير المماليكي « خشقدم » فصد هجمات ابراهيم قرمان وما زال به حتى طلب الصلح وظل مغلفا للمالك حتى اكسح السلطان محمد الثاني العثماني هذه الامارة نهائيا عام ١٤٦٣ . (٣٠)

ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، تعرضت جزيرة قبرص لتهديد السلطان محمد الثاني العثماني بعد فتح القسطنطينية ، فطلب ملكها « حنا الثاني لوزحنان » ممونة السلطان اينال لابعاد الخطر

(٢٧) إير المصنف : المصدر السابق ج ٧ ص ٥٧٦ .

ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ .

(٢٨) إير المصنف : المصدر السابق ج ٧ ص ٤٨٤ .

ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦ - ٥٩ .

(٢٩) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٧ و ٤٨ .

— Ency. D'Islam, Art. «Karaman Oghlan».

(٣٠) إير المصنف : المصدر السابق ج ٧ ص ٤٨٧ - ٤٩٠ و ٥٠٠ و ٥٠٦ - ٥٠٨ .

— ٦٥٧ .

ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ - ٦٤ .

العثماني على الجزيرة وكتب اينال للسلطان العثماني يذكره بأن ملك قبرص تابع له ، فكف السلطان العثماني عن تهديد الجزيرة . (٣١) ومات هنا اثنا عشر عام ١٤٥٨ وأيد السلطان اينال لحكم الجزيرة الأمير « جيمس » الابن غير الشرعي ، ضد أخته « شارلوت » الورثة الشرعية وزوجة الأمير لويس حاكم مقاطعة صافوي الإيطالية (٣٢) ، على حين أيد فرسان القديس يوحنا في رودس الأميرة شارلوت . وأخيرا سافر من القاهرة واعتلى عرش قبرص باسم جيمس الثاني عام ١٤٦٠ . ورافقه اليها أسطول ماليكي . (٣٣) وانسحب شارلوت من الجزيرة في يناير ١٤٦١ ورحلت الى رودس وتمتعبها الماليك وهاجموا سواحل جزيرة كالوس التابعة للفرسان . (٣٤)

وحلف اينال في السلطنة سنة ١٤٦٠ ابنه أحمد الذي لم يلبث أن خلفه الماليك على طريقته المعهودة وولوا « خشقدم » عام ١٤٦١ - ١٤٦٨ ، وهو أول السلاطين الماليك من اليونانيين . (٣٥) واتبع خشقدم مدة سلطته سياسة التفرقة بين الماليك . وفي السياسة الخارجية حدث تغير جديد في علاقة الماليك بجيرانهم ، لذا يعتبر عهد خشقدم بداية الصراع الطويل بين الماليك والعثمانيين ، وذلك منذ أن

(٣١) — Mas Latrie, Documents, T. II p. 73-75 & N. 7 p. 74.

أرسل جون الثاني خطاب تهنة لاينال بمناسبة توليه العرش . وفي هذا الجزء من الكتاب رد اينال على التهنة . وبالكتاب لشيرة يرمي جون الثاني للقاهرة ١٤٥٢ كمشور استغلات قول اينال السلطنة . ولو أن المراجع العربية المعاصرة لا تذكر هذا الخبر .

(٣٢) — Mas Latrie, Ibid, T. II p. 89 N.1.

أبو الطاهر : المصدر السابق ج ٧ ص ٥٤٤ - ٥٤٩ .

أبو ايمن : المصدر السابق ج ٢ ص ٩٢ .

(٣٣) أبو الطاهر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٥١ .

(٣٤) — Mas Latrie, Ibid, T. II p. 96-98 & pp. 104-106.

(٣٥) أبو الطاهر : المصدر السابق ج ٧ ص ٦٥١ .

(٣٦) — Mas Latrie, Ibid T. II pp. 104-106.

(٣٧) السلطان اليوناني الثاني جو « توماس » .

(٣٨) — Ziehn, Op. Cit., p. 30.

تدخل السلطان محمد الثاني العثماني عام ١٤٦٣ ليؤيد أحمد الأمراء على ولاية دلمادر التركمانية غير من أيده السلطة المالكية . ومع هذا لم تنشب الحرب على عهد خشقدم .^(٣٦) وعلى عهد مساعت العلاقات بين الماليك وأوزون حسن الذي آوى بعض الأمراء الفارين من السلطان ، ثم تحسنت هذه العلاقات عندما أخضع أوزون حسن قبيلة الشام السوداء التركمانية وذبح زعيمها جهان شاه وأرسل رأسه الى القاهرة .^(٣٧) غير أن أوزون حسن لم يلبث أن أعلن عن حقيقة نواياه حين هاجم حصن كيفا التابع للماليك ، ومع هذا فصل السلطان خشقدم مهادته ومنحه الحصن مكافأة له على خدماته السابقة ضد جهان شاه .^(٣٨) وظلت العلاقات طيبة بين الماليك وإبراهيم قرمان ثم تنازع أبناؤه الامارة بعد وفاته عام ١٤٦٤ واستعان أكبرهم « بير أحمد » بحاله السلطان محمد الثاني العثماني واستعان « اسحق » بالسلطان المالكي خشقدم وأوزون حسن ، واتصر بير أحمد وحصار تابعا للسلطان العثماني ، مما جعل العلاقات تتوتر بين السلطنة المالكية والسلطنة العثمانية .^(٣٩) وفي أثناء تدهور العلاقات بين خشقدم ومحمد الثاني العثماني - بسبب المشكلة الدلمادرية - حاول أوزون حسن أن يدس أتفه في هذه الامارة ، ولا سيما بعد أن منحه خشقدم لياحة « خربوط » الدلمادرية ، فاغتال أتباعه الأمير « أصلان دلمادر » في « أبليستين » ، واعتقد السلطان خشقدم أنه حل المشكلة الدلمادرية بهذه الطريقة . وتجاهل قدوم الأمير « سيف بن أصلان » الى القاهرة لتلقى الخلة السلطانية خلفا لوالد ، وأعلن شقيقه « شاه

(٣٦) — Zloda. Op. Cit., p. 30.

(٣٧) — أبو الحسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٧٠٤ .

(٣٨) — أبو الحسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٧٣٠ - ٧٣٢ ، ٧٤٤ - ٨٥٥ .

خليل بن شامس الظاهري : المصدر السابق ص ١٢٩ - ١٥١ .

— Ency. D'Islam, Op. Cit. Art. «Him Kaitao».

(٣٩) — أبو الحسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٨٠٥ .

— Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «Karaman Oghlun».

بدني « أميراً للإماره ، على حين أيد السلطان محمد الثاني المماني أخاً ثانياً هو « شاه سوار » . ومن أجل ذلك استعلت الحرب بين الآخرين ، وتحرك شاه سوار نحو الأطراف المالكية فأرسل خشتقدم إلى نواب حلب وحماه وطرابلس للاستعداد للحرب . (٤٠)

وفي قبرص واصل السلطان خشتقدم سياسة ملته في تأييد الملك جيمس الثاني لوزجتان ، وبفضل ذلك التأييد استطاع الملك جيمس استعادة قاماجوستا من الجنوبيين . غير أن جيمس الثاني لم يلبث أن صاق بأفراد القوة المالكية في الجزيرة فاعتال قائدها وأرسل يعتذر للسلطان عن ذلك الحادث ، كما أعلن استمرار خضوعه للسلطان . واتهمزت الأميرة شارلوت الفرصة وأثارت حقها في عرش قبرص ، ولكن السلطان رفض الاستماع لمندوبيها (٤١) . وفي أواخر أيام خشتقدم أثار البدو الاضطرابات في صعيد مصر وسوريا وشمال بلاد العرب ، وأعقب ذلك وفاة السلطان في أكتوبر ١٤٦٧ دون أن تخرج حملة في الداخل أو في الخارج لتأديب البدو . (٤٢)

وفي أواخر يناير ١٤٦٨ تولى السلطنة في القاهرة السلطان الأشرف قايتباي ١٤٦٨ - ١٤٩٦ ، وامتلات سلطته بالأعمال العمرانية والحربية ، فاهتم ببناء المساجد والمدارس ، وقام بحولات تفتيشية في بلاد السلطنة المالكية وسلك مسلكاً طيباً مع من سبقه من السلاطين المعروفين . (٤٣) وفي المجال الخارجي ترك خشتقدم لقايتباي مشكلة

(٤٠) إير المحاسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٧٢٧ - ٧٢٨ ، ٧٠٢ - ٨٠٢ .

ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٨١ .

— Eocy. D'Islam, Op. Cit., Art. «Dul, Kaders».

— Ziaja, Op. Cit., p. 172.

(٤١)

— Mas Latrie, Op. Cit., T II p. 402.

— Eocy. D'Islam, Op. Cit., Art. «Kochkadama».

(٤٢) إير المحاسن : المصدر السابق ج ٧ ص ٨٦٦ - ٨٦٧ .

ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢ .

— Lane Poole, Egypt in the Middle Ages pp. 341, 342.

(٤٣)

— Ziaja, Op. Cit., p. 95.

امارة « دلمادر » وعبء مداخلة أوزون حسن عن الأطراف المالكية . واستطاع ابن رمضان - تابع السلطان قايتباي على اقليم أطنة - تشتيت شاه سوار عدو السلطة المالكية عام ١٤٦٩ وابصاده عن الأطراف الشمالية ، كما نجحت قوات الماليك في أسر وارسماله للقاهرة مكبلا بالحديد حيث شتق على باب زويلة . غير أن البحر لم يصبح بذلك خاليا للأمير « شاه بداق » ، اد فازعه أحوه « علاء الدولة دلمادر » بتأييد من السلطان بايزيد الثاني العثماني الذي خلف والده محمد الثاني العثماني عام ١٤٨١ (٢٤) ثم استطاعت قوات الماليك هزيمة علاء الدولة وأجبرته على اعلان الولاء للسلطة المالكية ، ولم يلبث أن صار من أحصن أعوان الماليك ، وكان يبلغ السلطان قايتباي تحركات العثمانيين على الأطراف المالكية . أما شاه بداق فوصل الى القاهرة وأرسله السلطان قايتباي الى الصعيد وأجرى عليه الأرزاق حتى مات عام ١٤٩٨ . (٢٥)

وكان أوزون حسن قد هنا السلطان قايتباي بالسلطنة وأرسل اليه هدايا فاحرة لدى اعتلائه العرش في ٣١ من يناير عام ١٤٦٨ . ثم لم تلبث أطماع أوزون حسن أن ظهرت ، اذ انتهر فرصة الخلاف بين السلطنة المالكية وشاه سوار فاكسح بقواته قلاع قبيلة « الشاه السوداء » ثم أرسل مفاتيح تلك القلاع للقاهرة عام ١٤٦٩ م ، امملا في الخداع ، واضطر قايتباي الى السكوت وقتذاك على مضض لانشغاله بحرب شاه سوار ، ثم توسع أوزون حسن في فتوحاته شرقا في فارس ووسط آسيا ، وأمر « أبا سعيد التيموري » ملك سمرقند

(٢٤) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ١١١ - ١٦٧ و ١٢٩ - ١٣٦ .

— Heyd, Op. Cit., T II p. 327.

— Lane Poole, Turkey, pp. 634, 135, 136.

— Hammer, Op. Cit., T. III, pp. 117, 118.

(٢٥) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٢ - ٢٤١ - ٢٥٩ - ٢٦١ .

وأصدق خلفاء قبيلة الشاه السوداء وديحه وأرسل رأسه للقاهرة عام ١٤٦٩ هـ (٤٦) ولم يكتف أوزون حسن بذلك بل أرسل كسوة الكعبة بإيمه ، ووصل قصاده فعلا للقاهرة عام ١٤٧١ هـ في طريقهم للحجاز . وكان السلطان قايتباي قد فرغ من شاه سوار ، فقد بقواته ضد أوزون حسن وأجبره على الارتداد عن الرها ، وحجز بمشته للصلح حتى تم الصلح وسمح له بعد ذلك قايتباي باستئناف السفر للحجاز . ثم لم تلبث العلاقات أن ساءت مرة أخرى بين أوزون حسن وقايتباي ، إذ اختلف مع أحد أبنائه ولجأ هذا الابن إلى حلب محتيا بالسلطنة المالكية ، ووقعت زوجة أوزون حسن إلى القاهرة لتوسط السلطان قايتباي في الصلح بين الأب وابنه . ولم ينتقد الموقف سوى موت أوزون حسن ١٤٧٨ م ، وحلفه ابنه خليل عام ١٤٧٩ م ، ثم يعقوب عام ١٤٩٠ ، ثم ييمتر عام ١٤٩٥ م ، ورستم عام ١٤٩٦ ، وسادت الفوضى بعد ذلك مملكة الشاه الأبيض حتى ضم أملاكهم الشاه اسماعيل الصفوي . (٤٧)

أما العلاقات بين السلطة المالكية والعثمانيين فظلت على حالها من التدهور في أوائل عهد قايتباي حتى اتفق الطرفان على عدم التدخل في شئون إمارتي دلفادر وقرمان . وبدأ أن العداء قد قارب الانتهاء ، وبدأت السفارات مرة أخرى بين القاهرة والقسطنطينية حتى وفاة محمد الثاني العثماني عام ١٤٨١ م وتولية ابنه بايزيد الثاني ، وذلك

(٤٦) ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٦ .

(٤٧) ابن أبياس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٠ - ١٥٠ و ١٥٩ و ١٦٠ - ١٨١ .

٢١٠ - ٢١٢ - ٢٥١ - ٢٧٢ - ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٢٠ .

قرمان : أخبار الملوك وأئمة الأئمة ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

رياسة : نهاية دولة سلاطين المماليك - تحت مجلة البصيرة التاريخية ١٠٠٠ م مايو

١٩٥١ ص ٢٠٢ .

— Ency. D'Islam, Op. Cit., Art. «AK KOYUNLU — UZON HASSAN» pp. 1066, 1067.

— Hammer, Op. Cit., T. III pp. 31-464-466.

أن الأمير جم — صاحب الحق الشرعى فى السلطة العثمانية — فر الى القاهرة ، ورحب به السلطان قايتباى وأمدّه بالمال مما أثار حفيظة السلطان بايزيد الثانى على الدولة المماليكية . (٢٨) ثم التجأ الأمير جم بعد ذلك الى فرسان القديس يوحنا فى رودس ، فحجزوه ، وساموا السلطان بايزيد الثانى على الاحتفاظ به رهينة لقاء ٤٥٠٠٠ دوكات يدفعها لهم سنوياً ، وفى عام ١٤٨٩ م سلم الفرسان الأمير جم للبأوية ، ثم نقل لفرنسا حيث دس له شارل الثانى السم ومات ١٤٩٥ . (٢٩) وقام السلطان قايتباى أثناء تلك المأساة بدور أدى الى تدهور العلاقات مرة أخرى بين السلطة المماليكية والعثمانيين ، وزاد هذه العلاقات تدهوراً أن السلطان قايتباى رفض السماح للسلطان بايزيد الثانى بإصلاح قنوات المياه فى شوارع مكة ، كما امتنولى نائب فخر جدة على هدايا مرسلة للسلطان العثمانى من بعض ملوك الهند وأرسلها للقاهرة . ولهذا كله نشبت الحرب بين الطرفين عام ١٤٨٦ ، واستطاعت قوات السلطان بايزيد الثانى الاستيلاء على طرسوس ومحاصرة ملطية ، وهى كلها أملاك السلطة المماليكية على الأطراف الشمالية ، وشجع علاء الدولة دلدادر فى ثورته على السلطة المماليكية وفى عام ١٤٨٩ استطاع أمير أزيك المماليكى استرداد ما احتلته القوات العثمانية وأزّل بها هزيمة ساحقة . ثم مستم الطرفان القتال وحل السلام بينهما عام ١٤٩٢ . (٣٠)

واستمرت العلاقات ودية بين قبرص والمماليك على عهد السلطان قايتباى ، وتزوج الملك جيمس الثانى من كاترين كونارو ابنة أحد

(٢٨) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٦ .

— Ziaja, Op. Cit., p. 204.

— Hammer, Op. Cit., T. III pp. 353, 354.

(٢٩) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

— Ziaja, Op. Cit., p. 205.

— Lane Poole, Turkey, pp. 147-150.

— Hammer, Op. Cit., T. III pp. 357-360.

(٣٠) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ - ٢٢٤ .

أعيان البندقية ، واستخدم في بلاطه عددا كبيرا من البنادقة . ولما مات جيمس الثاني عام ١٤٧٣ حكمت كاترين الجزيرة بأشراف البنادقة . وأبدى قايتباي ارتياحه لذلك وحذر البنادقة من تأخير الجزية ، فأ سرعت كاترين بإرسال جزية عامية متأخرين ، وسر السلطان قايتباي بذلك وأرسل يؤيد الملكة . ثم تأخرت الجزية مرة أخرى فهدد قايتباي باستخدام القوة ، فوصلته الجزية عام ١٤٧٩ م . وقدرت البندقية أهمية الجزيرة في الدفاع عن مصالحها وتجارتها في شرق البحر المتوسط ، واستطاعت أن تقنع كاترين بالتنازل عن الحكم للبندقية ، وتم ذلك في عام ١٤٨٩ م ، وانتقلت الملكة لتقضى بقية أيامها في البندقية . وسافر الحاكم الينليقي الجديد للقاهرة ، وأوصح للسلطان المالكي قايتباي الأمر مؤكدا التبعية وضمان وصول الجزية بانتظام . وفي عام ١٤٩٠ أرسل قايتباي لدوج البندقية رسالة يبلغه فيها موافقته على الوصح الجديد للجزيرة مع مراعاة سكانها وحقوقهم ومعاملتهم معاملة طيبة . (٥١)

وفي عام ١٤٩٠ وصلت للسلطان قايتباي استغاثة من الأمير « أبو عبد الله محمد » صاحب غرناطة يطلب العون لصد هجمات فردناند ملك اسبانيا المسيحية ، وكان السلطان قايتباي مشغولا بحروب التركمان والشمانيين ، فاكتمى بإرسال تهديد لملك اسبانيا والبابا بهدم كنيسة القيامة بالقدس ومنع الحج للأراضي المقدسة بفلسطين . ولكن تهديده لم يؤد لنتيجة ما ، وسلمت غرناطة للملك فردناند الثاني عام ١٤٩١ بشرط أنه يبقى المسلمون بها دون إيذاء في أموالهم أو أرواحهم

(٥١) ابن أبيس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥ .

سيد مكنور : فروس والحروب الصليبية ص ١٢٦ .

توفيق امين : وثائق تنال حصر من حكم قبرص للبندقية - انظر المراجع .

— Mac Lennan, Op. Cit. T. II pp. 391 N. 3. & pp. 472-473 481-483.

أو دينهم ، وطويت بذلك صفحة رائعة من تاريخ الاسلام في
أوربا . (٥٢)

وفي ٢٠ ابريل ١٥٠١ ولي الحكم بالقاهرة السلطان « الأشرف
قائصود القوري » ، وكان عمره ٦٠ عاما ، غير أنه أثبت للأمراء أنه
ليس مطية عجوزا ، ولما كانت الميزانية في حالة افلاس فقد لجأ القوري
الى الأهالي بجمع المال منهم بوسائل شتى ، فأخضع للضرائب السلطانية
المباشرة جميع الأراضي والعمارات والسواقى والطواحين والقوارب
ودواب العمل ، كما عرض على اليهود والمسيحيين أموالا كثيرة ، وطلب
دفع الضرائب مقدما لعدة سنوات ، وأنقص وزن العملة (٥٣) وفي
عام ١٤٩٨ نزل البرتغاليون في قاليقوط بساحل الهند العربي ، بعد
أن داروا حول افريقية ، وأخذوا يعملون على ترحيله تجارة التوابل
من الاسكندرية الى لشونة ، ووصلت رسائل احتجاج من السلطان
القوري الى البابا وملكى اسبانيا والبرتغال عام ١٥٠٤/١٥٠٧ ، وفيها
هدد السلطان بهدم كنيسة القيامة ومنع الحج الى الأراضي المسيحية
المقدسة في فلسطين اذا لم يكف البرتغاليون عن تهديد التجارة
الماليكية . ولما لم يجد القوري استجابة لطلباته أرسل حملة بحرية الى
الهند ، وتحالف مع ملوكها الممادين للبرتغاليين ، واستطاع الأمير حسين
قائد الأسطول المالكي - معونة أسطول مملكة «جوجيرات» - أن
يهزم البرتغاليين عند « ثول » حيث قتل القائد البرتغالي « لورنزو
دالميديا » عام ١٥٠٨ . وبعد ذلك بشهور قليلة انتقم « فرنسيسكو
دالميديا » نائب الملك البرتغالي بالهند لموت ابنه لورنزو ، وحطم أسطول

(٥٢) سجلت خريطة في ديسمبر ١٤٩١ م/سفر ٨٩٧ ص ١٠٠ انظر :
محمد عبد الله حنان تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ الى
٢٣٧
(٥٣) ابن اياس : القصور السابق ج ٢ ص ٥٩ .

الماليك والأسطول المتحالف معه في وقعه «ديو» ١٥٠٩ . (٥٤) وكان
 لهزيمة ديو وقع شديد في القاهرة ، وطلب السلطان العورى العون
 المسكرى من البندقية لمواصلة القتال ضد البرتغاليين في الهند فنصحه
 البنادقة بأن يتوجه بطلبه الى السلطان بايزيد الثانى العثمانى لصرح
 موقفهم أمام الدول المسيحية ، واستجاب السلطان بايزيد الثانى وأرسل
 الأسلحة للسلطان العورى ، وكذلك الأخشاب عام ١٥١٠ . ولم تكد
 السفن تبارح الموانئ العثمانية حتى حاجبها فرسان القديس يوحنا
 وأغرقوا بعضها وأسروا البعض الآخر . (٥٥) فمصب السلطان العورى
 وانتقم من الأحاب في بلاده وخاصة البنادقة ، لظنه أنهم وشوا به
 لفرسان رودس . وجاء حادث ضبط الرسائل المتبادلة بين قنصل
 البندقية في دمشق والشاء اسماعيل الصفوى في فارس تأكيدا للشكوك
 التي حامت حول البنادقة ، فقبض على القنصل وأودعه مع بعض
 مواطنيه سجون القاهرة حتى وصلت بعثة تريفيزانى من الهند عام ١٥١١م
 وسويت المشكلة في معاهدة ١٥١٢ م . (٥٦)

ومنذ عام ١٥٠٢ والشاء اسماعيل الصفوى الذى ولى الحكم في
 فارس يعمل على توسيع رقعة بلاده غربا ، فضم اليه أملاك قبيلتي
 الشاء البيضاء والشاء السوداء ، واقترب من أطراف الدولة العثمانية
 في آسيا الصغرى ودولة سلاطين المالك بشمال الشام والعراق ،
 وكان الخلاف قد زاد بين الشيعة الصفويين والسنة العثمانيين بصورة
 واضحة منذ عهد السلطان بايزيد الثانى العثمانى ، ولم تلبث أن قامت
 الحرب عام ١٥١٤ بين القوتين المتصارعتين على عهد السلطان سليم

(٥٤) — Lane Poole, India, pp. 176, 177.

Lane Poole, A Hist. of Egypt In The Middle Ages; pp. 350-352.

(٥٥) تاريخ الحركة ١٠ أغسطس ١٥١٠ .

— Heyd, Op. Cit. T. II pp. 537, 538.

(٥٦) انظر معاهدة تريفيزانى بالملحق برقم ١٣ ا واجدما .

— Heyd, Ibid, p. 539.

الأول العثماني الذي خلف والده بايزيد الثاني عام ١٥١٢ * (٥٧) وبنت أهمية الدولة المالكية ، وخاصة أملاكها على الأطراف الشمالية في الصراع بين الشيعة والسنة ، وحاول كل من الشاه اسماعيل الصفوي والسلطان سليم الأول التحالف مع الماليك على حدة ، ولكن السلطان العوري فصل الحياد ، مع العلم بأنه راسل الشاه سرا فيما بعد واستقبل قصاده دفعا لعداوته (٥٨) . واستطاع السلطان سليم الأول أن يهرم الصفويين في موقعة تشالديران عام ١٥١٤ م ودخل العاصمة تبريز وهدمها ونجا الشاه اسماعيل الصفوي من الأسر واكتفى السلطان سليم الأول بهذا النصر ، وعاد بعد أن استولى على كردستان وديار بكر ومرعش وأبلستين وباقي أملاك دلفادر ، وكان الأمير علي بك ابن شاه سوار الذي قتل على عهد السلطان قايتباي قد خلف علاء الدولة دلفادر عام ١٥١٥ وصار تابعا للسلطان سليم الأول . وباستيلاء السلطان سليم الأول على هذه الامارة ، أصبح فعلا على مقربة من الأطراف المالكية الشمالية . (٥٩)

والواقع أن الخلاف بين الماليك والعثمانيين كان لابد أن يصل الى نهايته المحتومة ، فلم تكن المناوشات والحروب منذ أيام السلطان قايتباي وبايزيد الثاني الا تمهيدا للمعركة الفاصلة التي وقعت على عهد السلطان سليم الأول . ولما تجاوزت حدود الدولة العثمانية بأطراف الدولة المالكية الشمالية وضمت نية العثمانيين . (٦٠) فلا عداوة العوري ولا ايواء الأمراء الفارين ولا معاهداته السرية مع الشاه الصفوي كانت سببا في النكبة التي حلت بدولة سلاطين الماليك، انما

(٥٧) Lane Poole, Turkey, p. 141. —

(٥٨) ابن اياس : المصادر السابق ج ٢ ص ١١٨ (طبعة محمد مصطفى) .

القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٥٩) Lane Poole, Turkey, p. 158. —

(٦٠) زيادة : نهاية دولة سلاطين الماليك ص ٢١٦ مجلة الجمعية التاريخية مايو

١٩٥٤ .

— Zieda, Op. Cit. p. 377.

هي الرغبة في التوسع وتأمين أطراف الدولة الشمالية (١١) . قلى يكند ينتهى سليم الأول من الشاء الصفوى حتى دفع بجيوشه الى المعركة في الشام والتقى بالسلطان العورى عند مرج دابق ١٥١٦ م وكان أن انهزم الماليك وسقط العورى صرصا بسبب الحيانة بين صفوى الماليك وما عجل بالهزيمة . ووصلت الأنباء الى القاهرة فأقام الأمراء العادل طومانباى الثانى سلطانا في ٧ أكتوبر من عام ١٥١٦ . (١٢) وبذل طومانباى جهودا يائسة لوقف الزحف العثمانى على القاهرة ، ولكنه تفهقر عند الريدانية ١٥١٧ . (١٣) وفي اليوم التالى أعلن سليم الأول سلطانا على مصر والشام ودعى له على المنابر ، واستمر طومانباى يقاوم في البحيرة والصعيد والبحيرة حتى سلحه أحد رؤساء القبائل من البدو للعثمانيين وشنق على باب زويلة في ٥ من أبريل عام ١٥١٧ . (١٤)

ويقال ان طومانباى طلب المعونة العسكرية من فرسان القديس يوحنا في رودس وأنهم أرسلوا اليه معدات حربية عن طريق ميناء دمياط ، ولكن ابن اياس المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث يكذب الواقعة (١٥) . وقد ثقل السلطان سليم الأول الخليفة العباسى

(١١) ابن اياس : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦١ (طبعة محمد مصطفى) . — Ziaadeh, Ibid, p. 215.

(١٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ٥ ص ٦٨ و ٦٩ (طبعة محمد مصطفى) . ابن زبيل الرمال : كتاب تاريخ السلطان سليم (مخطوطة) ورقة ١٤ رعن تولبة طومانباى ورقة ٢٢ .

ابن اياس : المصدر السابق ج ٥ ص ٧٠ و ٧١ و ١٠٩ - ١٠٧ .
 « لم يقع للترك بين عثمان مثل هذه الصخرة على أحد الملوك فاطية كما لم يقع لحد لأحد سلاطين مصر مثل هذه الصخرة أو حائط تحت صليحة في يوم الحرب » .

(١٣) ابن اياس : المصدر السابق ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٣ - ١٢٧ . ابن زبيل : المصدر السابق ورقة ٢٩ - ٢٧ و ٢٨ .

(١٤) ابن اياس : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠٩ - ٢١١ .
 ريادة : نهاية دولة سلاطين المماليك ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ . — Lane Poole, Turkey, pp. 158, 159, 160, 161.

(١٥) ابن اياس : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٦٢ - ٢٦٩ .

للقسطنطينية . وجاءه وهو بالقاهرة ابن شريف مكة وسلمه مفاتيح الكعبة ، وكان هذا أقصى ما يتمناه سليم الأول ليصبح خليفة للمسلمين . وفي عودته للقسطنطينية استولى على جزيرة قبرص ونظم جزيتها .

ويعتبر سقوط بلاد الشام ومصر في يد العثمانيين أهم أحداث أواخر العصور الوسطى بعد فتح القسطنطينية وكشف الطرق البحرية حول أفريقيا إلى الهند .

الفصل الثاني

العلاقات التجارية الخارجية بين دول شرق البحر
المتوسط وغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الشرق والغرب من المصطلحات النسبية التي تطبق على أى اقليم وقد اتبعت فى هذا البحث ما جرى عليه معظم المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين لفترة العصور الوسطى ، اذ يطلقون كلمة الشرق على القارة الآسيوية كلها بما فى ذلك شرق البحر المتوسط والبلاد الناطقة بالصاد ، ويضيفون الى ذلك البلقان والبلاد التي كان يحتلها العرب مهما قرب موقعها الجغرافى من الغرب . أما الغرب عندهم فهو الجزء من أوروبا الذى يقع غرب البحر الادرياتي ونهر الألب . وعلى هذا فالدراسة هنا تتعلق أساسا بالعلاقات التي قامت فى حوض البحر المتوسط بصفته مركزا للاتصال بين الشرق والغرب ، على أن إسبانيا وصقلية لا تمدان من البلاد الغربية الا بعد خروج العرب والروم منهما (❊) .

وعلى هذا النحو فقد ظلت مصر والشام وموانئهما على البحر المتوسط والبحر الأحمر مراكز للاتصال التجارى بين المحيط الهندى وشرق آسيا والمحيط الأطلسى وغرب أوروبا ، حتى نهاية العصور الوسطى ، فتجمعت فى أسواقهما المتاجر الشرقية والغربية ، ووقع عبء

(❊) افانز فى كتابها المسمى *اوروبا في العصور الوسطى* (Robert Lopez) ، فى مقالته «التجارة الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب القصور» بالمجلة الدولية التى تصدرها اليونسكو باسم *Cahier D'Histoire Internationale* المجلد الثالث يناير ١٩٥١ - وقد قام بنقله الى العربية الدكتور توفيق امين فى كتاب «بحر فى التاريخ الاقتصادى» - مجلة البحوث المصرية للدراسات التاريخية عام ١٩٦١ - البحث الخامس من ١٢٢ الى ١٨٧ .

نقلها ونوزيمها على عائق التجار العرب وتجار المدن والجمهوريات
الاطالية والفرنسيين والقطاليين .

وأدى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ في يد الأتراك العثمانيين
وما صاحب ذلك من عمليات حرية برية وبحرية واسعة ، الى ارتباك
التجارة وانهايار طرقها البرية والبحرية من آسيا وأوروبا عبر البحر
الأسود والأناضول والمضائق ، اذ أصبح المرور بها أمرا معقولا بالكثير
من المخاطر . هذا الى أن السلطات العثمانية أولت كل اهتمامها للعمليات
الحربية في محاولة منها لتثبيت أقدامها في أوروبا فلم تهتم بالتجارة ،
بل انها قبضت على الجاليات الأجنبية التي احتكرت التجارة في المنطقة
منذ أمد بعيد ، وخاصة تجار المدن والجمهوريات الايطالية لمساعدتهم
البيزنطيين في العمليات الحربية ، فأنهت الوكالات والمصارف أعمالها ،
وأغلقت الأسواق . ورحل بعض التجار الى بلادهم ، واتجه الآخرون
الى فروع وكالاتهم في بلاد السلطنة المماليكية بمصر وسوريا . (١)

وفي مصر اتخذ السلطان ايتال ١٤٥٣/١٤٦٠ اجراءات أمن
مشددة يتطلبها الوضع الجديد الذي نجم عن سقوط القسطنطينية ،
فاحتفظت السلطات المماليكية على سفن وسلع وكالات التجار الأجانب،
ولكن بعد عودة بعثة الشرف المماليكية التي أرسلت لتهنئة السلطان

(١) الملاحظ أنه في فترة الصراع مع القسطنطينية ١٤٥٣ حاولت الجمهوريات
الاطالية ذات المصالح التجارية في المدينة حماية مصالحها ، فراسلت السلطان معيد
الثاني ، في الوقت الذي كانت تساعد فيه البيزنطيين سرا لتفاد من التفتت حرايا جديدة
كما يلاحظ أيضا أن عدم اهتمام العثمانيين بالبحرية في ذلك الوقت ليس مرجعه التاجر أو
البحر أو الاعمال ، ولكن في عام ١٤٥٣ كان لدى العثمانيين ماحو أهم من التجارة ، كان
لديهم الشج والتوسع رتامي الامبراطورية . وقد أثبتت الحوادث ذلك فيما بعد .

— Heyd, Op. Cit. T. II pp. 349 ff. & 428, 429-440.
— Millet, Hist. Des Fautes Economiques pp. 110, 111 & 131 ff.
— Fernand, Les Villes Marchandes, pp. 52-56.
— Poston, The Cambridge Economic Hist., P. II pp. 99-102.
— Clodi, Hist. Economique, pp. 106, 107.
— Depping, Hist. Du Commerce, T. I. p. 74. & T. II. pp. 207, 208

محمد الثاني العثماني بالفتح العظيم ، اتخذ السلطان ايمال تدابير
لمواجهة تدفق الأعداد الضخمة من هؤلاء التجار الأجانب وما صاحبه
من انتعاش ملحوظ في التجارة الخارجية للدولة المالية ، فزاد من
الاعفاءات المسموحة لهم ، وخاصة من يكثر التردد أو تطول مدة إقامته
في مصر وسوريا ، وسمح لهم بتوسيع وكالاتهم وتجديدها ، وإشاء
المصارف والمخازن والقنادق . كما أجاز تصيّن وكلاء لقناصلهم في
بعض المرافق والموانئ والمراكز التجارية الداخلية للإشراف على عمليات
البيع والشراء والمقايضة وتحصيل الرسوم المحلية والجمركية وتسليمها
للسلطات الحاكمة . وقد نشطت العمليات المصرفية بعد نقل مراكز
التجارة الرئيسية من القسطنطينية إلى مصر والشام التي طبقت في
مدنها وموانئها نفس القوانين المعمول بها في مصر ، فاكثرت بالتجار
الأجانب المبعدين من القسطنطينية والذين فضلوا الموانئ والمدن
السورية لقربها من مراكز التجارة في وسط آسيا ، وآسيا الصغرى
والخليج الفارسي ، فعفت أسواقها بسلع الصين والهند وفارس
وسلطنة مما لا يتوافر طول العام في أسواق مصر . وقد تضمنت
المعاهدات الجديدة كل هذه الامتيازات ، كما أكدت الاتفاقيات
السابقة .

وكانت البابوية قد لمست بنفسها ما يمايه تجار المدن والجمهوريات
الإيطالية من السلطات العثمانية بعد سقوط الدولة البيزنطية ، وتمت
ضخمت تجار هذه الجمهوريات وتجار فرنسا وقطالونيا سلكت البابوية
مسلكا واقعا ، فقد لاحظت أن التجار يحترمون قوانين المقاطعة ضد
الدول الإسلامية في الظاهر وينقضونها سرا ، فخضعت من قيود
التحريم ، وأباحت للتجار التعامل مع الدولة المالية ، وخاصة في
استيراد البخور والحرير والسلع اللازمة للكنيسة ، ثمريضا لهم عن
فقد أسواق القسطنطينية ، وإن كانوا قد منعوا من تصدير المواد
الحرية والأخشاب لصنع السفن ، وأصبحت قوانين التحريم المعدلة

تقليدا يقرها كل بابا يلى كرمى روما الدينى . (١)

ومنذ عهد السلطان اينال ، ومن بعده ابنه السلطان أحمد
١٤٦١ ، ووفود الجمهوريات الايطالية تصل الى مصر لتجديد وتدعيم
مراكزها التجارية ، ومن بينها وفود جنوة التى طالما اقتصرت تجارتها فى
مدن وموانئ مصر والشام ، وكافوا قد نجحوا منذ أواخر القرن
الرابع عشر فى تدعيم كيانهم التجارى ببلاد السلطنة المماليكية بسبب
ماحدث لجنوة من ارتباكات سياسية ومالية أدت الى تدخل فرنسا فى
شئونها الداخلية ، وزاد من مأساتها اصابها شكة شديدة فى تجارتها
الشرقية بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ ، ثم ضياع أملاكها وتجارها
تماما فى امبراطورية طرايزون على البحر الأسود التى اكتسحها
السلطان محمد الثانى العثمانى عام ١٤٦١ . وقد وجهه الجنويون أن
حياتهم مرتبطة باستئناف التجارة فى بلاد السلطان المماليكى فى ظل
النظام الجديد ، فتمنوا تهجم سفن أسطولهم الحربى على سواحل مصر
والشام وقبرص ، ومنعوا كذلك غارات قراصنتهم ، ومع ذلك فإن
هذا النشاط كان صعوة الموت بالنسبة لجنوة كجمهورية لها كيان
سياسى ، وكيان اقتصادى مستقل . (٢)

(٢) هذا الازدهار العظيم الذى شهد التجارة المماليكية منذ سقوط القسطنطينية ١٤٥٣
الى ظهور البرتغاليين فى المياه الهندية ١٤٩٨ ، والذي استمر لرابة نصف قرن حيث جتت
فى الربع الأول من القرن ١٦ وبالقبط حتى سقوط مصر فى أيدي . المشايخ ١٥١٧
وتحول التجارة تماما الى طريق رأس الرجاء الصالح ، لذا يعتبر عام ١٤٥٣ بداية النهاية
للبحر الأحمر لتجارة شرق البحر المتوسط .
- فليش تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى القسم الثانى ترجمة زيادة والمريسي
خامسة ص ٤٣٦ .

- Poston, Op. Cit., pp. 341, 342.
- Pernaud, Op. Cit., pp. 61, 62 ff.
- Clerget, Le Caue, T. II, p. 303.
- Dogn. l'Egypte Au Gommencement Du 15ème Siècle. p. 59 ff.
- Heyd, Op. Cit. T. II pp. 440-456-459. 460.
- Decoing, Op. Cit. T. III. pp. 170, 171 de T.I. p. 81.
- Ziaja, Op. Cit., pp. 218-221.
- Pernaud, Op. Cit. pp. 39, 40.
- Heyd, Op. Cit., pp. 469. 470.

(٣)

واستقبلت القاهرة كذلك على عهد السلطان إيبال بعثة الملك لويس الحادى عشر الفرنسى للتهنئة باعتلائه السلطنة ولتجديد وتأكيد التعاون التجارى ، وقد أبلعت البعثة السلطان أن شركة جاك كير الفرنسية للتجارة الشرقية وفروعها وأملكها فى أوروبا وشرق البحر المتوسط قد آلت الى الحكومة الفرنسية ، وطالبت البعثة السلطان باعتماد موظفى الشركة فى بلاده على وصعهم الجديد ، وتم عقد اتفاقية جديدة عام ١٤٥٦ ، واستأنف وكلاء الشركة وموظفوها أعمالهم فى مصر والشام فى ظل الادارة الجديدة . ولكن أعمال المؤسسة فى نظامها الحكومى أخذت تدب اليها عوامل الانهيار والتحكك لخضوعها لقوانين حكومية فرنسية غير متطورة - ويبدو أن ازدهار الشركة وفروعها كان موقوتا بقاء مؤسساها التاجر جاك كير فى مركزه الممتاز ببلاد ملك فرنسا وبقدرته على ادارة الشركة وبراعته فى الحصول على الامتيازات والاعفاءات من السلطات المالية . وكانت الشركة تعمل على نقل وتسويق المتاجر الشرقية من الاسكندرية ودمشق وبيروت الى فرنسا ومسائر الدول الأوروبية . بل ان التغيرات الهامة فى تجارة فرنسا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ترجع فى المقدمة الى جهود هذا التاجر الذى خير أحوال التجارة من خلال فترة تردده الطويلة على مصر والشام وقيامه بإنشاء علاقات مباشرة بين فرنسا والسلطة المالية وحصوله من بابا روما وملكوك فرنسا وقطالونيا على امتياز احتكار أنواع معينة من السلع ، ينقلها بأسطول ضخيم على خطوط ملاحية منتظمة من قاعدة أعماله فى مونتبييه . وبلغ عدد فروع شركة جاك كير ٣٠٠ فرع توزعت ما بين دول غرب أوروبا وشرق البحر المتوسط وساندها الأنظمة المالية والمصرفية المعروفة ادراك . وبلغ من شدة ثرائه أنه كان يقرض الملوك والحكومات أموالا طائلة بضمانات عينية كما حملت سفنه الى مصر والشام الأصواف والمعادن والقواك والزيت والحرير ، وعادت بالتوابل والبهار والقطن والجواهر والساج والسقاير

والصبغات ورش النعام ، وكلها ما كان يلقي رواجاً كبيراً في أسواق أوروبا . (٤)

وحتى عهد السلطان اينال كانت شركة التجارة الفرنسية جاك كير تمون أسواق قطلونيا بالسلع الشرقية بدلا من تجار قطلونيا الذين أوقفوا أعمال تجارتهم في مصر والشام ، فلما قل نشاط الشركة الفرنسية طالبت هيئة التجار القطلانية الملك القونسو الخامس ١٤١٦/١٤٥٨ أن يستعيد لهم مراكزهم التجارية في بلاد السلطان المالكي ، واستجاب

(٤) نظم اتصال فرنسا التجاري مع شرق البحر المتوسط كان مع موانئها الجنوبية في تولون ومرسيليا ومونتريبية Montpellier ولد لأدريس هذا الميناء في القرن ١٥ على عهد التاجر الفرنسي جاك كير Jacques Coeur الذي اغتطها مركزاً . لأعماله التجارية إلى الشرق العربي والرب الأوربي ومركزاً لتجارته ومصارفه كما كان على صلة ودية بميناء الاسكندرية ودولة سلاطين المالكي حتى عام ١٥١٧ . ومينائها كان على استثناء دائما لاستقبال أكبر عدد من السفن في وقت واحد مما لا يتواءم في كثير من موانئ فرنسا الأخرى . أما موانئ فرنسا على الأطلنطي فلم تحصل مباشرة بفتح البحر المتوسط وإن ذكر أن فرانسيس الثاني دوق مملكة بريناني عقد معاهدة تجارية مع السلطان لاينباي عام ١٤٧٩ سمح بموجبها لتجار هذه المملكة بوزود الأسوان المصرية والقاهرة . راجع Ziaja, Op. Cit. p. 243.
— Heyd, Op. Cit. pp. 713, 714.

ويرجع إلى اتصال مدن غرب أوروبا بفتح البحر المتوسط مباشرة إلى انتشار القراصنة الأسبان من منطقة جبل طارق وخاصة خلال الصراع بين مجلس الأندلس والقطلانية على عهد الملك فردناند الثاني ، ففضل التجار النرجيون وصول سفنهم من الشرق إليهم من طريق مدن وموانئ إيطاليا ، ثم إلى ليبيا .

— Heyd, Op. Cit. pp. 718-720.
أما التاجر جاك كير فقد شغل نقاشه فترة حامية من تجارة الشرق على عهد السلطان جلق حتى عهد السلطان اينال ١٤٢٨/١٤٥٦ وظهر في بلاط فرنسا على عهد الملك شارل السابع الذي استدعاه وأستد إليه منصب مدير دار السكة ثم اختاره رئيساً للبلاط الملكي ومنحه لقب نبيل ورفع أفراد أسرته إلى مصاف النبلاء . ولم يكتف هذا التاجر ببهرته من بلاده لرفعها إلى مصاف الدول العظمى التجارية حتى أصبح مواطنوه من أكثر الجنائيات رعباً في بلاط السلطان المالكي وأصبح لفرنسا نصيباً في مصر . إلا أن شارل السابع ما لبث أن تفرغ عليه عام ١٤٥٠ لانه بقتل إحدى مصليات الملك ، كما ألهم بيع الأسلحة للمماليك ، وهرب التاجر الفرنسي إلى صديقه البابا ليقرأ الفاسي ، وكان هذا يجهر صلة عبد المماليك . وعمل عهد خلفه لاد التاجر الفرنسي أسطولا من ١٦ سفينة حربية لخدمة رودس وعلى الطريق مرض وتغلبت في جزيرة جيوس Chios حيث مات عام ١٤٥٦ . راجع Camb. Modern Hist., Vol. I p. 504.
— Ziaja, Op. Cit. pp. 221 & 240-243.

الملك لهذا الطلب وبدأ بمع تهجم القراصنة الفطالونيين على السفن المالكية في البحر المتوسط ، وأرسل البعثات الودية للقاهرة ، وماليت تجار قطلونيا أن يظهروا في أسواق الشام ومصر وعادوا الى وكالاتهم ومنادتهم واستأنف قضايلهم أعمالهم الرسمية وحملت سفنهم السلع الشرقية والتوابل والقطن من الاسكندرية وبيروت لمصانع القزل في برشلونة . وهكذا يرجع لهيئة التحار القطالة الفصل في استئناف واستمرار العلاقات الطيبة بين ملوك قطلونيا والسلطين الماليك. وتحفل دار المحفوظات ومكتبة الجامعة في برشلونة بالمزيد من المعاهدات والاتفاقيات التجارية وخطابات التوصية المتبادلة بين ملوك قطلونيا والماليك ، ومن بينها مخطوطة على عهد السلطان ايمال منسوبة الى تاجر برشلوني يدعى « بونس » وتعمل تاريخ ١٤٥٥ - عند فيها التاجر السلع المتبادلة مع مصر « كالتوابل والزنجبيل والقرقة وحمرة الطيب والمسك ومواد الصباغة والصبغة والصمغ والدهون والكهرمان والحفظل والحنطة والسكر والقطن محلوفا وغير محلوفا والملابس والحرير والعطور والعقاقير » . وكلها من السلع الشرقية التي كانت تحتل المقام الأول في تجارة اوريا الخارجية . ثم قائمة أخرى بالسلع المصدرة لمصر ومنها « زيت الألدلس والعسل والصابون والجزر والسمك والنيذ والملح البحري والقطران وجلود الحيوانات وقشر الأشجار والصودا والزنجبر والمرجان والفواكه المجففة واللوز وأبوفروة والشمع والزعفران والأقمشة المنسوجة القطنية والصوفية والحريرية والجوخ والأطلس والمخمل والخيش الناعم والخشن منسوجا وغير منسوج والأثاث وقلوع السفن وحبائها من الكتان وكذلك المصنوعات الحديدية والقصدير والصفير والرخااص والنحاس والزئبق والكسريت وأحجار الطواحين - (٥)

(٥) روى الملك الفرنسي الخامس الحكم في اراجونا عام ١٤٦٦ حتى عام ١٤٥٨ . وقضى امرا ما عوالا في فتح مملكة نابل حتى تخرج ملكا عليها ولهم بتسلط القصادي (امسح)

أما تجار البندقية فكانت فترة حكم السلطان إينال بداية طيبة
 لزيادة نشاطهم التجاري في مصر والشام وخاصة بعد توتر العلاقات
 بينهم وبين العثمانيين ، فعملوا على تنمية مراكزهم التجارية وتدعيمها
 وشيئت أقدامهم في بلاد السلطان المماليكي تعريضا لهم عما فقلوه من
 أسواق القسطنطينية ، وإن كانوا قد طمحووا في استرداد مراكزهم
 السابقة التي أصبحت تحت سيطرة السلطات العثمانية ، فبعد أن هدأت
 الأحوال الحربية عاودوا الاتصال بالسلطان محمد الثاني العثماني
 وأبرموا معه اتفاقية تجارية عاد بموجبها التجار البنادقة إلى استئناف
 نشاطهم التجاري في مراكزهم السابقة وفي قوسهم آمال عريضة
 بالمتاجرة في المورة وعلى البحر الأسود . والواقع أن الاتصال بين
 البنادقة والعثمانيين كان فيه كثير من التساهل بين الجانبين ، ولعب
 الخيال في الاتفاقية دورا كبيرا وبرهنت الأيام على صدق هذا القول ،
 إذ لاحظ البنادقة أن العثمانيين - سادة وشعبا - يعيدون تماما عن
 الحضارة والمدنية اللتين كانتا للبيزنطيين ، كما أن اهتمامهم بالتجارة كان

محدودا في حوض البحر المتوسط الغربي والغربي وعقد معاهدات سياسية واقتصادية مع
 الدول الإسلامية . وكان أهم أهدافه توثيق العلاقات مع مصر بالذات كبحر ، للنشاط
 الإسلامي وأكبر دولة إسلامية حتى ذلك الوقت في شرق البحر المتوسط بل وفي غربها أيضا
 لئلا من مركزها التجاري وموقعها الجغرافي . راجع : المجلة عدد يناير ١٩٦٦ ص ٨٩
 وما بعدها ، بحث/ الطاهر أحمد مكي عن التجارة بين مصر وقلالونيا .
 — Heyd, Op. Cit. pp. 482-483.

ولقد نقل الطاهر مكي معاهدة بين قلالونيا والسلطات المماليكية عن الأمل العربي
 المملوك بأرشيف برشلونة على عهد الملك ألفونسو الخامس عام ١٤١٦/١٤١٨ والسلطان
 الأشرف برسباي عام ١٤٢٢/١٤٢٨ وتعمل تاريخ ٧ رمضان ٨٣٢ هـ . ومع أنها تسبق فترة
 البحث إلا أنها ظلت سارية المفعول ، إلا أن المعاهدات كانت تتجدد كلما تغير حاكم في
 مصر أو في أوجنا في طريق تبادل السفارات ويصغر بها مراسيم تؤكد المعاهدات السابقة
 وملاحق بالامتيازات والإعفاءات الجديدة .

راجع المجلة عدد سبتمبر ١٩٦٦ ص ٤٨ - ٥٩ . والتعليق عدد يناير عام ١٩٦١
 ص ٨٨ وما بعدها . وفي التعليق ملحق بالوثيقة جدول بالسلع المتبادلة وتذكر الرتبة
 اسم التاجر وهو بوتس eBout

— Depping, Op. Cit. T.I. p. 260.

بالتقدر اللازم للحصول على الأموال فزادوا الضرائب التي قلت من أرباح التجار ، كما أن السلطان العثماني حصن مداخل المضائق وأخضع السفن التجارية المارة بها للتفتيش الدقيق ، وتحمل السادة الكثير من المنى والآرهاق من أعمال السلطان العثماني مما جعلهم يترحمون على الأيام التي مرت في ظل الحكم البيزنطي ويعنون في الوقت نفسه على تأكيد وتثبيت كيانتهم في بلاد السلطان المماليكي بمصر والشام ^(١) واتفقوا فرصة انهيار الشركة الفرنسية « كير » وأرسلوا سفارة إلى مصر وصلت أواخر عهد السلطان إسماعيل ، واستمرت في مفاوضاتها خلال الفترة القصيرة التي حكم فيها ابنه السلطان أحمد وعقدت الاتفاقية عام ١٤٩١ ، تأكدت بها المهادنات والاتفاقيات السابقة — كما زادت فترة المدة الخاصة بهم ليتمكنوا من شراء ما يلزمهم من السلع الشرقية تمويضا عن النقص من أسواق بلاد الدولة العثمانية ، وكذلك أعدوا تنظيم رحلات سفنهم التجارية القاصدة موانئ بيروت وصيدا والاسكندرية وشددوا عليها الحراسة لانتساع نطاق الحرب مع العثمانيين في المياه الاغريقية ، وأمدوا المماليك بالأخشاب والمواد الحربية متحدين بذلك التحريكات البابوية ، وجعلوا سفنا خاصة بالشام تبدأ رحلاتها في الفترة من ٨ — ٢٥ من أغسطس وتتكون كل قافلة من ثلاث سفن ، ويتردد أفرادها على مدن وموانئ الشام ، وتحمل القطن من صور وصيدا وحيفا — أما رحلة الخريف فتجبه إلى الاسكندرية وترك بسفنها فراغا لحمل سلع أخرى من ميناء بيروت قبل عودتها إلى

(١) أول المعاهدات التجارية بين السلطان محمد الثاني العثماني والبنادقة هانريك ١٨ أبريل عام ١٤٥١ بعد فتح القسطنطينية (انظر الملحق رقم ١٧) وراجع كذلك شارل ديل. البندقية جمهورية أرستقراطية ترجمة فريال دميرت عبد الكريم وتوليف فاسكس ص ١٢٧ و ١٢٨ .

— Heyd, Op. Cit., p. 316-320.
— Hammer, Op. Cit., T. III pp. 30-64 and p. 240.
— Camb. Modern Hist. Vol. I p. 280.
— Depping, Op. Cit., pp. 227, 228 & N. p. 341.

البندقية . (٣) وأسهمت كثير من بيوتات البندقية التجارية وأسرها هي التجارة الشرقية ، واحتفظوا دمشق مركزا رئيسيا لنشاطهم ، وأقاموا بها ابوكالات والفنادق والقنصليات والمصارف ، وطبقوا بها الأنظمة المالية والمصرفية المنبئة في بلادهم ومعهم السلطان اينال تسهيلات تجارية واسعة وحرية شخصية فسمح لهم بإدخال النسيج في فنادقهم لحاجتهم الشخصية فقط ، واعتمد قنصلهم كممثل لجمهورية البندقية والمشراف على مواطنيه مدة وجودهم في بلاده ، كما سمح لهم أحيانا بالوصول الى القاهرة للبيع والشراء ، وأجازت الدولة استمرار التعامل بالدوكات البندقية عملة رسمية لتسهيل الأعمال التجارية مع الحكومات والأهالي . وقد تناول السلطان الدوكات بالخفض والتفريق كلما زادت احتياجاته للمال مع الاحتفاظ بقيمته الاسمية ، وكذلك للضرب على أيدي الزغلية مزيفي النقود الذين زادوا في النصف الأخير من القرن الخامس عشر . (٤) وأوصت الحكومة عمالها بمراعاة مصالح البنادقة وراحة تجارهم . الا أن الطرفين اختلفا في تحديد أسعار بعض السلع ، كعود الند ، وأخشاب الصباغة ، والسجاد ، واليورسلين ، والبسم ، نظرا لزيادة الطلب عليها مما حدا بالسلطان اينال الى تأكيد احتكاره لها ولبعض السلع الأخرى الشرقية . (٥) فجعل سعر العمل من توابل الذخيرة الشريفة الخاصة به والمعروفة بالسلطانية مائة دوكات، كما حدد كميات وأسعار ما يعرض بها بالسوق الحر لاجبارهم على شراء التوابل الشريفة أولا . (٦) ومع هذا لم تضطرب العلاقات على عهد السلطان

(٣) راجع ماكتب عن نظام زكوة بعض « النظم التجارية » : سلفي بيروت تحمل اسم Galeo Di Baruti وسلفي الشام تحمل اسم Galeo Di Scrin راجع كذلك Heyd, Op. Cit. T; II p. 460, 462.

ولد محمد شهر المحسبي بالفتاح لعل القطر من الشام ويحضر مستعبر لعله من مصر - لتوافق هذا مع مواعيد هبوب الرياح (انظر جزء الفصل الخامس) .

(٤) من علم الأمر أسرة Quinon وأسرة Barberigo وأسرة Storlido والاخوين Marco & Albano Morosini

إينال وابنه السلطان أحمد الذي حمل اليعنة لدى عودتها إلى البندقية رسالة ودية لدوق البندقية وأهدى أعصاءها هدايا قيمة (١١) .

ومن المدن والجمهوريات التي أسهمت في تطارة مصر والشام الخارجية هي النصف الثاني من القرن الخامس عشر: يزا ، وفلورنسا . وكان ليبرا مع شرق البحر المتوسط تطارة رائدة ، بل إنها من أولى المدن التجارية التي كان لها وكالات وفنادق في صور وصيدا وبيروت وبيت المقدس وأنطاكية واللاذقية وطرابلس والاسكندرية والقاهرة ، وتطبق في وكالاتها وفنادقها النظم السائدة في يزا نفسها ، وبقيت كذلك

« راجع :

- Walter, J. Flachet, The Spice in The Mameluk Egypt Vol. I Part, II April 1968 p. 285.
- Dopp, Op. Cit., pp. 67, 68, Folio 40.
- Heyd, Op. Cit., pp. 482, 483 & 463.

وبخصوص تلويح المسلة بالخطى ومطالبة الزفلية مزيلى النقود انظر الفصل الخامس في موضوع النقد ، وكذلك انظر :

— أبو لحاسن : حوادث الممكوري ص ٢٧٨ .

(٩) كانت الخاجر القرطبية شبه احتكار في يد الكرمية حتى لليليا إلى الدولة السلطان الأشرف برسباي . وأكد السلاطين المماليكون هذا الاحتكار حتى نهاية دولة المماليك الجراكسة ، وصار التجار الكرمية موثقي في الدولة يقرمون يجلب التوابل للسلطان ليتول بحاله يبعها لخصائه . (انظر نظام الاحتكار في فصل النظم التجارية) .

(١٠) قدرت كمية التوابل القرطبية بحوال ٢١٠ أحمال . وغرض من التجار البنادقة شراء هذه الكمية بالسعر الذي يحدده السلطان ، هذا في توابل السوق الحر . انظر الفاهري : رهنه كهاب للملك ص ١٠٧ وما بعدها .

أبو لحاسن : التاجم الزاهرة ج ٢ ص ١٦٨ (طبعة كاليغوليا) .

— الفصل الاسكندراني من القفل يزن ٥٠٠ رطل فرلورى . انظر :

— توفيق اسكندر نظام المقاضة في تجارة بحر الخارجية في الصور الوسطى ص ٤٢

وانظر كذلك الفصل الخامس منه .

(١١) كانت السلطات المالكية على عهد السلطان إينال قد انضمت بين الاجراءات الخاصة بالأمى على سلوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ . ودقت في وصول التجار لوالى بحر والشام . وقد نال التجار الأجانب المستقرين فيها بين الأشرف وبطاحمة البندقية . حتى وصلت سيطرة بندقية يرأسها Nicolo Machinelli وقاومت السلطان إينال ثم ابنه السلطان أحمد وبقيت حتى عهد السلطان شمس . وأكدت الإعلانات الخاصة وتوزيع البنادقة على الأشرار التي أساهم وتحويل أسرار التوابل السلطانية والحررة راجع

المطابق بالمحق برقم (١٥) وكذلك — Depping, Op. Cit., pp. 218 ff.

حتى أصبحت إلى فلورنسا ، فألت منشأتها وتجارها إلى الوكالة الفلورنسية في بلاد السلطان المماليكي (١٢) . وكانت فلورنسا في فترة تكوينها السياسي قد حاضت غمار حروب عديدة في إيطاليا ، ولم تستطع منافسة الجمهوريات الإيطالية التجارية ، بل انها فشلت في الاشتراك في تجارة مصر والشام بصورة فعلية واكتفت بتأجير سفن المدن الأخرى لنقل متاجرها ، وبعد انصمام يبرأ لها قامت سفنها برحلتين كل عام لشرق البحر المتوسط ، ولم تلبث أن ازدهرت تجارتها في وقت بدأت فيه الجمهوريات الإيطالية ذات الماضي القديم في تجارة الشرق تنهار بسبب الصراع العنيف مع القوة النامية في تركيا (١٣) . ووصلت سفنوا عام ١٤٥٣ إلى الاسكندرية وإلى القسطنطينية وبيروت وجهت لتكوين علاقات طيبة مع حكام المنطقة فلم تتدخل في الصراع الدموي بين العثمانيين من جانب والبيزنطيين والجمهوريات الإيطالية من جانب آخر وبعد سقوط المدينة ، وفي الوقت الذي جهدت فيه البابوية لتأليب القوى المسيحية في العالم لوقف الزحف العثماني على شرق أوروبا . وصل أسطول فلورنسا التجاري إلى ميناء يبرأ العثماني محملاً بالذهب والفضة والأصواف والصابون والزيت ، كما استقبل بعدها حاكم فلورنسا بثمة عناية أكلت العلاقات الطيبة بين البلدين في الوقت الذي كانت تعلق فيه المشاق للأوربيين في القسطنطينية ، وتوالت

— Depping, *Ibid*, pp. 222 ff.

(١٢)

— Ciofi, *Op. Cit*, pp. 206, 207

انظر ما كتب من الملاحق في فصل النظم التجارية .

(١٣) توضح اتصالات فلورنسا الفعلية بفرق البحر المتوسط وخاصة مصر والشام في ١١ مايو عام ١٤٤٥ حيث حمل المبعوث الفلورنسي Giovanni, Della Staffa رسائل اعتماد وتوصية لسلطان مصر . وكانت الحكومة الفلورنسية قد أصبحت أمرها إلى إدارة البحرية بما تشمل الترتيبات اللازمة لإرسال سفونهم موسمين إلى الاسكندرية كل عام ومغلبها إلى حواريء غرب البحر المتوسط . ثم زاد حجم التجارة مع شرق البحر المتوسط ليعبر القيام برحلتهم سنوياً لولاية بطريركها وحلة السفن الفلورنسية لغرب البحر المتوسط لتمكن توزيع السلع العرفية الواردة من مصر والشام . انظر

— Zinda, *Op. Cit*, p. 245.

— Clive, *A Hist. of Commerce T II* p. 990.

Heyd, *Op. Cit*, p. II pp. 487-488.

البعثات بين البلدين حرصت فيها السلطات العثمانية على اتحاد تجار فلورنسا أداة لضرب البنادقة في جميع مصالحهم التجارية ، حتى انه اتخذ منهم مستشارين في بلاده وجواسيس على تجار البندقية مما حدا بالبنادقة الى الاتجاه بكامل قتلهم الى بلاد السلطان المماليكي (١٤)

وهي مصر والشام عمل الفلورنسيون على توسيع نطاق تجارتهم ، ولما حاولوا النزول في فندق ييزا بالاسكندرية بعد انضمامها لفلورنسا ، رفضت السلطات المماليكية ، لأن الفندق كان قد أعطى للعشابين وأفتى قاضي الاسكندرية بعدم شرعية منحه للأحاف بعد أن آل للمسلمين . ولم يحصل الفلورنسيون بادية الأمر سوى ما كان ليزا من امتيازات في مصر والشام . (١٥) وبقدر ما زاد نفوذ فلورنسا في بلاد السلطان المماليكي ، وراقبت فلورنسا بين القلق ازدياد نفوذ البنادقة التجاري في مصر والشام ، وكانت تحرص دائما على ألا تتفوق أي طائفة عليها في تجارة شرق البحر المتوسط لاسيما البندقية ، فأولت تحركاتها عناية خاصة ، ولما عقد البنادقة معاهدة عام ١٤٦٠/١٤٦١ مع السلطان ابنال ، ثم مع انه السلطان أحمد ، أسرعت فلورنسا فأوفدت سفارة للقاهرة ففاوضت السلطان ابنال أواخر أيام حكمه ، ثم انه السلطان أحمد ، للحصول على نفس الامتيازات التي نالها البنادقة مع تأكيد ماسبق أن منح ليزا وفلورنسا ، كما وصلت بعثة فلورنسية أخرى على عهد السلطان خشتقدم عام ١٤٦٥ يرأسها السفير « برناردو برتولوداي كورمي » للتهنئة ولتأكيد ما لجارها من امتيازات واعطيات ، وأبرمت اتفاقية

— Heyd, Ibid, pp. 337-339.

(١٤)

— Depping, Op. Cit., p. 224.

(١٥) كان يرأس هذه البعثة Mariotto Squarcialupi وقد صدر تمهيدا لبلاد في

الاسكندرية انظر :

Heyd, Op. Cit. ; T II pp. 488, 489.

— Depping, Op. Cit., pp. 222, 223. & 230-232.

جديدة تضمنت نصا جديدا قالت بموجبه حق انهاء سفنها من الرسوم الجمركية اذا حملت سلعا لبلاد أخرى ولم تهرغها في موانئ السلطان، ويعتبر هذا أول انهاء من نوعه لتجار الجمهوريات الايطالية في مصر والشام ، وكانت السلطات المالية تفرص رسوم مرور على مثل هذه السلع (١٦) .

وحتى عهد السلطان اينال ظلت جزيرة قبرص محطاً بحرياً على الطرق التجارية بين شرق وغرب البحر المتوسط ، بل انها كانت تستخدم في كثير من الحالات مركزاً احتياطياً تبقى فيه السفن التجارية في فترات النزاع بين الأجانب والسلطات المالية في مصر والشام ، واستمرت منذ عام ١٤٥٣ تتاجر مع موانئ صور وصيدا وبيروت وطرابلس واللاذقية ، ومع أن الجزيرة كانت تخضع للسلطات المالية سياسياً وحربياً وتجارياً الا أن الادارة المالية فيها كانت تخضع لبنك سان جورج الجوى مما جعل لجنوة شبه اشراف مالي على الجزيرة وبخاصة على ميناء قاما جوستا . وظل هذا الاشراف قائماً حتى استطاع الملك جيمس الثاني العودة الى الجزيرة بتأييد من السلطان اينال واسترد الاشراف الفعلي المالي والتجاري على الميناء (١٧) .

(١٦) لاحظ أن هذا الطلب كان جديداً على الجزيرة في بلاد السلطان الماليكي وقد استخدمت فلورنسا نظاماً تجارياً جديداً في تجارتها مع شرق البحر المتوسط نص عليها في المعاهدات والاتفاقيات مع الماليك في النصف الثاني من القرن ١٥ الى جانب الامتيازات العادية الممنوحة لسائر الجاليات التي تتاجر في بلاد السلطان الماليكي .
انظر :

- Clive, Op. Cit. p. 99.
- Zinda, Op. Cit. p. 245.
- (١٧) شارل ديول الهندية جمهورية ارسطراطية (مترجم) ص ١٤١ - ٢٤٢ .
زيادة الممارسات العربية للاستيلاء على جزيرة رودس ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
De Mas Latrie, Histoire De L'île De Chypre T III pp. 34-57 & 73.
- Dopp, Op. Cit., p. 54.
- Heyd, Op. Cit., p. 407- & ff and 423-426.
- Wurt, Précis De L'Histoire D'Egypte, T. II p. 266.

أما جزيرة رودس فظلت على عهد السلطان إينال . كما كانت من قبل مصدر ازعاج للسلطات المالكية للصفة الصليبية المتأصلة في نفوس حكامها من سلالة فرسان القديس يوحنا ، فمارسوا القرصنة في المياه الشرقية لبحر المتوسط ، وكان لمقدمهم عمولة على الغنائم وله حق شراء ما يشاء منها بالبحر الذي يحدده (١٨) . وسلك المالِك مسلك الاعتدال معهم - حماية لتجارتهم ومنفعهم - وسمحوا لهم بالصيغ للأراضي المسيحية المقدمة بشروط معتدلة . وكان لهم أحيانا قناصل تجاريون وسياسيون مؤثثون في الاسكندرية ودمياط وموانئ الشام الهامة (١٩) . وأبان أزمة العرش في قبرص على عهد السلطان إينال بين جيمس الثاني وأخته شارلوت زوجة أمير ساهاوي ، تدخل الفرسان لصالح الأميرة ضد جيمس الثاني الذي يؤيده المالِك . ولما فشلوا وتولى جيمس الثاني حكم الجزيرة عمدوا الى الانتقام فقطعوا الطرق على سفن التجارة المالكية والسفن القاصدة لمصر والشام وأسروا ثلاث سفن للبندقية تحمل سلعا من الاسكندرية للمغرب ، وبلغت الخسائر حوالي ٢٤٠٠٠٠ دوكات في الأصواف فقط ، غير خسائر التوابل والسلع الأخرى ، مما أثار غضب السلطان ، فقبض على معارهم وقناصلهم وقصادهم ومؤيديهم من التجار الأجانب ، كما هاجمت البندقية الجزيرة وهدمت منزل مقدم الفرسان ، وفكت أسر السفن وطالبت بتعويض مناسب (٢٠) .

وقد حظيت فترة حكم السلطان الأشرف قايتباي ١٤٦٨/١٤٩٦ بالنشاط السياسي والحربي والتجاري الداخلي والخارجي . ففى محاولة من الدولة المالكية لتأكيد سلطانها على القبائل التركمانية على الأطراف الشمالية للدولة اصطدمت بالقوات العثمانية في مواقعها بآسيا الصغرى ،

— Cambridge Medieval History Vol. IV p. 127. (١٨)

— Lane Poole, A History of Egypt in the Middle Ages p. 338. (١٩)

(٢٠) ابن المقلس : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٥٩ (كلاوتونيا) .

ومع أن هذه العمليات الحربية استغرقت معظم فترة حكمه فإنه أولى الشئون التجارية أهمية خاصة وعمل على تنشيطها في بلاده كمورد رئيسي للثروة ، بل أنه سهل وصول التجار الأجانب ، وأكد لهم الاعفاءات والامتيازات ليجمع أمراء وملوك أوروبا ورؤساء جمهوريات إيطاليا حوله في محاولة لوقف الخطر العثماني الذي بدأ بوضوح يهدد الأطراف الشمالية للدولة .

في عام ١٤٧٠ استقبل السلطان قايتباي سفير لويس الحادي عشر ملك فرنسا ، للتهنئة وتجديد الاتفاقيات التجارية السابقة وما تضمنتها من امتيازات على عهد السلاطين السابقين ، وعقدت فعلا معاهدة عام ١٤٧٢ نص فيها على معاملة تجار فرنسا في بلاد السلطان المماليكي معاملة متارة ، كما تنبه على عمال السلطان بعدم التشدد معهم أو التعرض لهم بالأيذاء . وحددت المعاهدة عام ١٤٨٥ بعد أن أضيف إليها ملاحق وامتيازات جديدة (٢١) كما شملت المحادثات كذلك موضوع تجارة حنوة ، فإن جماعة تزارها كهيئة مستقلة كانوا قد احتجبوا فترة عن أسواق مصر والشام انشغلوا فيها بإعادة تنظيم تجارتهم في بلاد السلطان العثماني بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ (٢٢) ، وملكوا ممتلكات التتار في معاملتهم للسلطات العثمانية رعاية لمصالحهم مما جعل السلطان العثماني يرحب بوجودهم وخاصة

(٢١) إذا كانت أسواق فرنسا قد ضمت اتصالها بتجارة الشرق الأقصى في القرن ١٤ الميلادي إلا أن القرن ١٥ م شهد انحسارها إلى وجه قوي وحلت الأسواق العامة في ليون محل الأسواق القديمة وتردد عليها الأسبان والألقان والبرتغاليون والإيطاليون والمغاربة وفي عام ١٤٦٨ قرر الملك لويس الحادي عشر أن تقتصر التجارة في التوابل الشرقية على التجار المحليين وتولت هذه المهمة لطاية التجار الفرنسيين ومع ذلك عكفت معاهدة عام ١٤٧٨ على فتح لتجار البندقية منافسة للتجارة الثانية مع مدن فرنسا .
أنظر

— Heyd, Op. Cit. pp. 717-718.

— Cambridge Modern History, Vol. I, pp. 68-69.

(٢٢)

في ميناء بيرادون سائر طوائف التجار الأقطاب وخاصة لخبرتهم مع أقاليم شرق الامبراطورية في طرايرون وعلى البحر الأسود^(٢٣). ولكن مدان وحده السلطان محمد الثاني العثماني عام ١٤٦٠ جهوده الحربية نحو الشرق لاحتصاع ما بقى من جيوب تركمانية ومعوية وأوربية مستوطنة على البحر الأسود شعر تجار حوة - وكانوا أكبر الجاليات عددا في المنطقة - أن القفرة الزاهية التي عاشوها قاربت الانتهاء فلم ينتظروا النهاية المحتومة وأسرعوا بانهاض أعمالهم المالية والتجارية ، وسلموا أموال الحمارك المتأخرة عليهم الى فرع بك سان جورج بميناء كافا ، واتجهوا الى بلاد السلطنة الماليكية لتجديد وتأكيد مركزهم وتجارتهم في مدن وموانئ مصر والشام^(٢٤) الا أن العلاقات الودية بينهم وبين الممالك كان قد أصابها الفتور بسبب أعمال القرصنة التي يقوم بها بحارتهم في مياه قبرص وشرق البحر المتوسط عامة ضد سفن الممالك والسفن الحاملة لسلحهم ، كما أنهم كانوا لا يملكون التحدث باسم مدينتهم منذ انضمت الى فرنسا في أواخر القرن الرابع عشر ، واتهم الجنويون فرجة ترحيب السلطان الأشرف قايتباي بالتجارة الأجانب وطالبوا الملك لويس العاشر عشر ملك فرنسا بالتوسط لهم لدى السلطان قايتباي ليمنحهم حق استئناف التجارة في موانئ ومدن بلاده ، وشملت المحادثات الفرنسية الماليكية عام ١٤٧٢ هذا الموضوع ، وأبدى السلطان قايتباي شعورا طيبا نحوهم ، ولم يثر موضوع تهجمهم

(٢٣) سلم الجنويون حصونهم في جلاليا للسلطان محمد الثاني العثماني لدى تكملة للسيطانية فتمسكهم الأمان وحرية العبارة ، انظر :

- Heyd, Op. Cit., pp. 312-315.
- Depping, Op. Cit. p. 224.
- Gayet, Histoire Du Commerce, T. II. p. 314.
- Poston, Op. Cit., pp. 353 & ff.
- Permand, Op. Cit., pp. 69-70.

(٢٤) وصل فعلا عدد من تجار جزيرة القبرص في موانئ البحر الأسود الى مصر والشام ، انظر :

- Depping, Op. Cit., p. 221.
- Hammer, Op. Cit. pp. 70-71.
- Camb. Medieval Hist. Vol. I. p. 780.

على قبرص وعلى سفنه التجارية وأعمال قراصنتهم في شرق البحر المتوسط ورحب بملوكهم لاستئناف أعمالهم التجارية في بلاده. وبعد معروضات فاحصة استأنف تطار جنوة أعمالهم التجارية في مصر والشام عام ١٤٧٤ ؛ وفتحت الوكالة الجنوية أبوابها وأعيدت لهم فنادقهم بالاسكندرية وبيروت ودمشق واعتمدت السلطات قباصلهم كممثلين لهم ولتجارهم (٢٥) .

أما البنادقة فمع ما نالوه من امتيازات لم تنجح للكثير من التجار الأجانب في بلاد السلطنة المماليكية ، فانهم كانوا يعنون الى أسواقهم القديمة في القسطنطينية وعلى البحر الأسود ، فأعادوا الاتصال بالسلطات العثمانية ونجحوا في عقد اتفاقية استأنفوا بموجبها تجارتهم في المراكز التي حددت لهم والتي سمح لتجارهم بارتياحها . وقبلت البندقية شرط السلطان العثماني بتحديد عدد ما يصدر من الرقيق لمصر حتى لا تزداد قوة المماليك ، وإطلاق سراح المسلمين منهم ، كما قال العثمانيون امتيازات مماثلة لرعاياهم وتجارهم في البندقية (٢٦) . إلا أن السلطات العثمانية كانت تخشى زيادة نفوذ البنادقة في بلادها وتفوقهم البحري في البحر المتوسط ، فلم تلبث أن اتخذت إجراءات مميّنة ضد تجار ورعايا البندقية اتسمت أحيانا بالعنف والشدة ، ولم يراع فيها تنفيذ الاتفاقيات التجارية المبرمة بين الطرفين . ومع حرص السادة على عدم التدخل في صراع مباشر أو غير مباشر مع العثمانيين وتوطيد النفس على قتل الكثير من عنتهم ، فإن الحرب ما لبثت أن نشبت بين الطرفين في اللوبونيز واستمرت حتى عام ١٤٧٩ . وفي اتفاقية الصلح تمهد

— Pernoud, Op. Cit. pp. 39-40.

(٢٥)

— Heyd, Op. Cit. pp. 469, 470. & 490, 491.

— Thernaud, Voyage D'Outre Mer p. 270.

— Von Harff, The Pilgrimage Of ... p. 95.

— Breidenbach, Les Saints pp. 67, 68.

(٢٦) . بالمحقق رقم ١٧ ملحق لصدور المعاهدة بين البنادقة والسلطان العثماني بعد

فتح القسطنطينية وهي بتاريخ ١١ من ابريل ١٤٥٤ - راجع

— Depping, Op. Cit. pp. 227, 228.

— Heyd, Op. Cit. pp. 316, 317 & N. p. 341.

البتادقة بدفع عشرة آلاف دوكات سوييا نظير اشرافهم على الحكم والتجارة في بعض الجزر اليونانية ، والتي آلت للعثمانيين . ومثل هذا أيضا لحرية تجارتهم في أثينا وجزر الأرخبيل وخفف قيود التفشيش على سفنهم ائارة بالمضايق للبحر الأسود . وفي عام ١٤٨٢ أصبحت الى المعاهدة ملاحق باعفاءات جمركية جديدة^(٢٧) . ومع هذا لم تعد تجارة البندقية الى ما كانت عليه وبدأت يوقاتهم التجارية ووكالاتهم ومصارفهم تغلق أبوابها لعلة ايراداتها ، وقل وصول سفنهم الى الموانئ الشمالية ، وأنهى مستطو ما نجم الثب أعمالهم وعادوا الى بلادهم^(٢٨) ، واتجه كثير من التجار الى مصر والشام حيث كانوا يلاقون ترحيبا ورعاية أكثر لتجارتهم ومصارفهم بموجب المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع السلاطين . وكان وصول أعدادهم الكثيرة هذه المرة على عهد السلطان قايتباي في فترة تازمت فيها الأمور بين المماليك والعثمانيين ، ونشبت بينهما حروب دامية على الأطراف الشمالية ، مما أدى الى زيادة نفقات الدولة وبرزت حاجة السلطان الملحة لآمال ، فأصدر عام ١٤٨٠ قرارا بتأكيد احتكار التجارة في بعض أنواع المتاجر الشرقية وخاصة في التوابل المعروفة بالشريفة أو السلطانية ، وحلل سعر الحمل منها ١١٠ دوكات بندقية ، وطرحها في فترة (المدة) للبيع ، وفي نفس الوقت أطلق حرية البيع والشراء في كميات أخرى من التوابل في السوق الحرة طول المام بسعر لا يزيد على ٥٠ دوكا ، وحتم على هيئة التحار الأجانب شراء كل ما بالسوق من التوابل الشريفة أولا وبالسعر الذي حدده ، مما أدى

(٢٧) قدرت البندقية وهي تلحق للسلطان ١٠٠٠٠٠ دوكة سوييا - ان ايراداتها

من تجارة البلوبونيز لا تقل سوييا عن ٣٠٠٠٠٠ دوكة . راجع :

- Hammer, Op. Cit., p. 51. & pp. 117, 118.

- Heyd, Op. Cit., p. 327.

(٢٨) كان السلطان محمد الثاني العثماني قد منح البتادقة حق الحصول على السب

من متاجم Phocae وحتى احتكار صناعة الصابون واستغلال منابع النحاس والاعتراض على

والر ملك الصلة . راجع :

- Hammer, Op. Cit., p. 240.

دليل : البندقية جمهورية قونستانتينية (مترجم) ص ١٧٧ .

الى تأزم الأمور بينه وبين التجار الأحاب ، ولما رفض البنادقة الشراء بهذا السعر حبسهم السلطان في قنصلهم يومين ، ثم أمر بجرهم الى الجمارك وعدم اطلاق سراحهم الا بعد دفع ١٠٠ دوك للحمل الواحد . ويذكر أحد الصجاج الألمان أنه شاهد بنفسه هذه الاجراءات ضد البنادقة ، وأنه شاركهم مصيرهم ، وذكر له التجار أنهم يلاقون نفس المعاملة كل عام ، ويضطر القنصل وهيئة التجار في نهاية الأمر الى دفع ما يطلبه السلطان (٣٩) . وكانت تكرر هذه الحوادث كل عام تقريبا . ففي عام ١٤٩١ وصل السلطان قايتباي الى الاسكندرية وأرسل بعض تجار البندقية الى القاهرة ووضعهم في سجونها لكي يجبر هيئة التجار على شراء التوابل الشريفة بالسعر الذي سبق تعديده ، ورفض البنادقة ثانيا أن يدفعوا أكثر من ٨٠ دوكا للحمل الواحد ، وذكروا أن هذا السعر يكلفهم سنويا حوالي ٣٠٠٠٠ دوك زيادة على ما يشترطونه من توابل السوق الحرة . وبعد مفاوضات طويلة وافق السلطان على ألا يقل السعر عن ٨٠ دوكا وأصبح هذا السعر رسميا وينص عليه في المعاهدات (٤٠) . ولم تكن أسعار التوابل وحدها هي مصدر شكوى البنادقة إنما ترددت الشكوى من رداءة التوابل وغشها . وفي رسالة من السلطان قايتباي لدوق البندقية أظهر السلطان اهتمامه البالغ بنقاء التوابل ونبه على عماله سرعاة ذلك (٤١) . وفي نفس

(٣٩) هو Tacher من مدينة نورمبرج ففي أياما لم ينفق البنادقة الكثير بالاسكندرية وهو لم يخرجه الى بلاد بعد البيع الى بيت القنس وسألت كاترين راجع — Heyd, Op. Cit., pp. 491-493.
(٤٠) — Heyd, Op. Cit., p. 493.

(٤١) في رسالة من السلطان الأتراك قايتباي لدوق البندقية بتاريخ ١٠ شباط ٨٧٧ هـ / ١٤٨٢ م ذكر السلطان : « ورسمنا أيضا بأن نفلل ذخيرتنا الشريفة التي يسطر لوم (البنادقة) يكون سببا في التراب والبلل والخلط وكل ذلك لأجل خاطر حضرة الدوق » . في مجموعة الأستاذ توميتش فيسكوند ونفس الكتاب بالملص رقم ١٦ وراجع — Heyd, Ibid., p. 494.
— لابل الترجمة Thessod في أثناء وجوده بالقاهرة فحصل البنادقة الذي أحبره انه حضر بناء على توصية من السلاة الأتراك الدائمين في كجيرة التوابل بطريق البندقية لكي =

الوقت تكررت شكوى السلطات المالية والتجار المصريين من عش البنادقة للمعادن النعيسة ، كالذهب والفضة ، التي تصل الى الاسكندرية وكذلك تكررت الشكوى من عش الأقمشة وحامه المحلل والجوخ (٣٢) وفي الشام بررت عدة مشاكل محلية تتعلق بمرور التجارة من موانئها الى مدنها الداخلية ، فالبنادقة يدفعون رسوما معينة للسلطات المحلية على مرور متاجرهم من ميناء بيروت ، ويحصل نائب دمشق على جزء من هذه الرسوم ، ويحدث مثل ذلك في طرابلس ونيابة حلب ، وسلطات كل ميناء تحرم التعامل مع السفن التي تخرج حمولتها في الميناء الآخر ، ففي عام ١٤٧٣ أنزل قنصل البندقية في دمشق حوالة من الأصواف والأقمشة في ميناء طرابلس ، فقصب أمير بيروت ونائب دمشق بهذا التصرف ، وحبس حاكم دمشق عددا من تجار البندقية ولم يطلق سراحهم الا بعد زيارة سفير بندقى خاص للسلطان قايتباى فى القاهرة وصدر تعليمات السلطان بمنع التعرض للتجار البنادقة بالايذاء والافراج

== ينظر السلطان على التنبه براملا فرقة التوابل وقد وصل وفد حملة التجار الالمان الى البندقية وشكروا من عدم لثانها . وقال القنصل كذلك انه طلب من السلطان سلطانا حتى فحص التوابل وراملا فرقتها بترابيل صيفة .
— Thersud, Op. Cit. pp. XXXI & II.

انظر بعض ملاحظة (٥٣) وكذلك الملحق رقم (١٠) .
(٣٢) ذكر السلطان في رسالته السابقة لدوق البندقية : « ان الذهب والفضة المرسله للاسكندرية مملوكة حشوش حتى ان المالة درهم من الفضة غدا صفت لم تكارب صلب درهما وغالبها من النحاس . اما القماش الذي يصل لاويانا القريفة من الحشوش فضائيه حشوش ايضا . وجرى المادة ان تكون كل قطعة من الجوخ ٥٥ دراما ، ولكن ما يصل اليها لا تزيد القطعة لى مجموعها على ٣٠ دراما ، وفيها ماهر مقطوع من الوسط عما يضرر منه تجارنا . ونسبنا كل الحشوش من هذه الأمور وكونه يخلق من تجار حشرة الدوق . ولا يقابل المتمد لذلك . لا يطين به من الحشوش وتاديب . وقد أعلنا حشرة الدوق بذلك ليصح على خاطر » . « ولجج نص الرسالة بالملحق رقم ٢ » وكذلك :
Heyd, Op. Cit. p. 495.

اما بخصوص غير العملة والمعادن النعيسة كالذهب والفضة . فان الدش لم يقتصر على العملة المحلية فقط . بل وردت للقاهرة عدة من البندقية على عهد السلطان قايتباى منقوشة ما اثار الجدل حولها لى رسالة قايتباى للملحق رقم (٢) ثم انظر بعد الفصل الخامس من عش العملة المالية والعملة الواردة من البندقية

عمن سجن مهم (٣٠) . وفي فترة الاضطراب والتشاحن حول منصب السلطة التي أعقبت وفاة السلطان الأشرف قايتباي عام ١٤٩٦ ، حتى تولى السلطان قانصوه الغوري السلطة وعام ١٥٠١م أعلن الأمير قنصوه نائب الشام نفسه سلطانا على الشام واتحد لقب الملك المعادل ثم أصبح فيما بعد أنابكاً للعسكر حتى اعتاله السلطان طومانباي الأول . وفي فترة حكمه على الشام وصلت عام ١٤٩٩ بعض السفن من البندقية إلى طرابلس ، وأنزل بها سلعا بلغت رسوم حماركها فقط ١٠,٠٠٠ دوك وكان قنصوه ينتظر وصولها إلى بيروت فأسرع بالقبض على التجار البنادقة في إمارته ومرض عليهم غرامات ضخمة وأرت قيمة الرسوم الضائعة وسجن سبعة منهم . وكان هذا الموقف وموقف السلطات العثمانية من البنادقة قد وجه نظرهم للبحث عن مركز مأمون لهم ولتجارتهم في منطقة شرق البحر المتوسط ، ووجدوا أخيرا صالتهم في جزيرة قبرص التي تصلح لتكون محطة لقوافل تجارتهم إلى الشام ومصر وبلاد السلطان العثماني ، وكان الملك جيمس الثاني الذي عاونه الماليك عام ١٤٦٠ على الاتفراد بالحكم في الجزيرة قد حاض غمار حروب عديدة ضد منافسته شارلوت حتى استطاع الانتصار وأتبع جيمس هذا النصر بالتخلص من العامية المالكية التي أعاقته للوصول للقرص ، ولو أنه لم ينكر التبعية والجزية لمصر ، وكانت البندقية وراء كل هذه الأعمال ، كما أنها ساعدته على توحيد ما بقي من الجزيرة في أيدي الجنوئين ، وبخاصة فمأحوستا (٣١) . مما أتاح لها الفرصة لنشر نفوذها التجاري ، وبخاصة أن زيادة التقارب بين جيمس الثاني والبندقية

(٣٠) الفصل من Giovanni Pisselli

راجع كذلك :

— Heyd, Op. Cit. p. 496.

(٣١) محمد مصطفى زيادة ورملة المطرلات الحرية للاستيلاء على جزيرة رودس

(مترجم) — مجلة الجيوش ١٩٤٦ من ٢٠٣ .

سبحه هاشور : قبرص والحروب الصليبية من ١٣٦ .

— Lane Poole, Op. Cit. p. 338.

اقترون بزواجه من مينة من البندقية هي « كاترين كورنارو » عام ١٤٧٢ ، وأصبحت هذه المصاهرة مصدر ثراء عظيم للبندقية وقد راد نفوذ البندقية بعد موت جيمس الثاني عام ١٤٧٣ ثم ابنه الصغير من بعده ، فأصبحت كاترينا البندقية الأصل صاحبة السلطة ومن ورائها حكومة الدوج تحكم فعلا وباسمها مدة خمسة عشر عاما . وتدخل البنادقة بصورة واضحة في شؤون الجزيرة الداخلية والخارجية ، مما جعل السلطان قايتباي يبدى عدم ارتياحه لهذا التصرف خلال استقباله لقصل البندقية وتجارها عام ١٤٧٧ (٣٥) . وراح من تأرم الأمور تأخر الملكة عدة مرات في ارسال الجزية السنوية لمصر بعد وفاة زوجها ، حتى ان السلطان فكر في حملة يسترد بها السلطة كاملة في الجزيرة (٣٦) . وانتهزت البندقية الفرصة وفاوضت الملكة في التنازل عن حكم الجزيرة للبندقية . وتم ذلك فعلا عام ١٤٨٩ . وغادرت كاترينا الجزيرة الى البندقية وبقيت بها حتى ماتت عام ١٥١٠ . وأسرت البندقية بارسال الجزية بانتظام مع مبعوث للسلطان قايتباي ، وأوضحت له أن هذا التصرف في حكم الجزيرة شكلي ولا يمس سيادة السلطان على الجزيرة شيء ، وانها فعلت ذلك لضمان وصول الجزية في مواعيدها . وبعد تبادل المزيد من الرسائل والعديد من المبعوثين عقدت البندقية اتفاقية مع السلطان قايتباي في ١٩ من مارس ١٤٩٠ أقر فيها السلطان اشراف البندقية على حكم الجزيرة محل الملكة كاترينا كورنارو ، وقد نبه السلطان البنادقة بمراعاة حقوق

(٣٥) ابن اياس : نتائج الزمر ج ٢ ص ١٤٧ .

• Heyd, Op. Cit. p. 423.
 • Mas Latrie, Op. Cit. p. 391 & Pl. 3. and pp. 405, 406. T. II and T III p. 176.

(٣٦) أرسل السلطان قايتباي للملكة كاترين كورنارو عام ١٤٧٧ برقية اعترف بها

ملكه على قبرص بعد أن أرسلت متأخر الجزية .

ابن اياس : نتائج الزمر ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥ .

— Lane Poole, Op. Cit. p. 337.

ومصالح الأهالي ومماثلتهم معاملة طيبة (٣٧) ومنذ ذلك الوقت والبنديقية تطاول أنه تحمل من ميناء مياجوستا مركزا ثابتا لتجارتها وتجارة شرق البحر المتوسط عامة ومستودعا لتاجرها ومحطا لمغنها بالاصافة الى مراكزها في الشام ومصر وبلاد السلطان العثماني .

ومن الجاليات الأجنبية التي حرص السلطان قايتباي على التعامل معها ، هيئة تجار فلورنسا للسمعة الطيبة التي تمتعوا بها منذ عهد السلطانين اينال وخشقدم ، واستغلت فلورنسا هذه الثقة وعملت على ألا تنفوق عليها أي طائفة من التجار في بلاد السلطان المماليكي ، وعلى الأخص البنادقة لما يسهما من تنافس شديد في مجال التجارة الشرقية ، فكلما حصل تجار البندقية على امتياز جديد ، أو عقدوا اتفاقيات جديدة ، أو وصلت سفارة لهم للقاهرة ، أسرعت فلورنسا بإرسال سفارة لبلاد السلطان لاضافة امتيازات جديدة حتى أصبح وصول سفاراتهم للقاهرة دوريا كل عام وفي عام ١٤٨١ ، استقبل السلطان

(٣٧) نصر الأسبلا الدكتور توليق سكندر وتائل تشارل السلطان قايتباي من الجزيرة لمحملة البندقية والمخطبات المبادلة والاتفاقيات وذلك في الجزء الأول من سلسلة وثائق مصر من مخطوطات البندقية ١٩٥٦ نصر الجسدية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٦ .
— خلال وجود الرحالة فيليكس فابري بالقاهرة (١٤٨٢/١٤٨٣) وصل إليها ابن ملك نابلي طالبا مساعدة السلطان قايتباي في زواجه من ملكة قبرص الأرملة . وشهر البنادقة بظفورة الخوف لاسرعوا بالاستجابة عن الجزيرة وحصلوا على تنازل من الملكة وموافقة السلطان مع ملكة الجزيرة نصر ويحكمها البنادقة باسم السلطان وتنظيم وصول الجزيرة السنوية راجع .

— Thénoud, Voyage D'Orient Mer, p. XXXII.

وكان قصد ملك نابلي من زواج ابنته من الملكة الأرملة أن يضع يده على الجزيرة . وكان يستند في ذلك إلى صداقته للسلطان قايتباي الذي كان يستخدم سفن نابلي في رحلاته ، جفوده أحيانا إلى قبرص راجع .

— Thénoud, Ibid, p. XXXIII.

كما أنه خلال الصراع بين ملكة غرناطة وغرناطة أرسل قايتباي راجعا من دير جبل صيون لملك نابلي هذا ليحصل بفرديانه ليكتب يد عن لدى القسطنطيني راجع
Max Latrie, Op. Cit, T. III p. 828.

سيرة ملوك : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢١ .

ابن اياس : صفات الزهور ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥ .

فايتباى سفارة فلورنسيه لعقد اتفاقية بطلبات جديدة بعد أن شمر
 الفلورنسيون بالتقارب بين المالك والبندقية وقد رجب السلطان
 قايتباى بالسفير والبنة وأبدى استعداده لعقد الاتفاقية المطلوبة في
 نطاق خطته الرامية الى كسب أمراء العالم المسيحي في صفه في معاهدات
 ودية ضد السلطان بايزيد الثاني العثماني بسبب النزاع بينها على
 الأطراف الشمالية للدولة ، ولحاجته الملحة للمال . وقد منح الفلورنسيين
 أقصى امتيازات نالها تجار أجانب ، ولكن الموت عاجل السفير الفلورنسي
 وهو بالقاهرة فأرسل قايتباى عام ١٤٨٧ مبعوثه « خواجه محمد بن
 محفوظ المغربي » يرافقه ترجمان صقلي ومعه هدايا لحاكم فلورنسا
 من أسود وغزلان ومجوهرات وأبرم المعاهدة بجميع طلباتهم وحصلت
 المعاهدة تاريخ ١٤٨٨ . وكان لهذا التقارب بين الفلورنسيين والمالك
 أثره السيء لدى السلطان العثماني ، ولم تكف تشمر فلورنسا بذلك
 حتى أسرعت بإرسال سفيرها الى القسطنطينية ليؤكد صداقتها وودها
 وليوضح للسلطان أن وجود السفير الماليكي في فلورنسا لا يعمل
 في طياته عدااء للقسطنطينية بقدر ما هو اجراء اقتصادي اقتضته ظروف
 التجارة مع مصر والشام . ومن بين الامتيازات التي تضمنتها المعاهدة ،
 خصوصا باعتبار عقود البيع المبرمة بين الفلورنسيين والتجار الوطنيين
 لهائية وملزمة للطرفين وفي حالة المناقضة لا يحق للتاجر الوطني مطالبة
 التاجر الفلورنسي بشن السلة نقدا وبخاصة بعد الاستلام ، كما أقر
 السلطان نظام الحساب الجاري في الجمارك وحق لجوء سفنهم الى
 الموانئ المالكية وقت العواصف للإصلاح . وشملت الاتفاقية كذلك
 بعض الحقوق المدنية فنظمت لهم مسألة التوريث في حالة وفاة أحد
 تجارهم في بلاد السلطان الماليكي ، ومنع غش التوابل ، وحق وصول
 رعاياهم للقاهرة لاستئناف القضايا أمام السلطان نفسه وتسهيل العيش
 لهم خلال اقامتهم في بلاده . ويدعو أن الشكوى كانت عامة من كثرة
 الغش في التوابل بقصد الأثراء ، فكما اشتكى البندقية من رداءة التوابل

وعشها ردد الفلورنسيون نفس الشكوى ، وقد أوصى السلطان أمير الاسكندرية بمراقبة التجار والجمالين والضرب على أيدي من يغش منهم التوابل . وحتى عام ١٤٨٨ عومل الفلورنسيون في بلاد السلطان المماليكي معاملة التجار الأجانب الأكثر رعاية ، وعقدوا ملحقا للمعاهدة السابقة تقرر فيه أن يكون البيع أمام شهود وتغلي مسئولية البائع فور توقيع العقد بين الطرفين بشهادة الشهود ، ومنع السلطان تكرار تحصيل الرسوم الجمركية والسمرية في حالة تغيير موافق الحكومة أو الحمرك وأقر كذلك تداول الترتي ، عملتهم الذهبية في مصر والشام (٣٨) . ولم ينصرم عام ١٤٨٨ حتى وصلت سفارة فلورنسية أخرى لتحية السلطان وشكره على رعايته لتجار فلورنسا وعلى هداياه للحاكم ولم تغادر البلاد قبل أن تبرم اتفاقية جديدة نالت فيها حق توسيع تجارتها في مصر والشام لأقصى طاقتها ، كما أرفقت تعليمات

(٣٨) راس هذه السفارة الفلورنسي Paolo da Colle وكان مسؤوله للتجارة في

نوفمبر ١٤٨١ - راجع ١

— Heyd, Op. Cit., p. 361.

— Amari, I Diplomi Arabi p. 361.

والمبعوث المصري خواجه محمد بن مطوف المغربي - ذكره حايك خط باسم
Malfos — Malfots — Elmalfor — Malfomet.

راجع ١

— Heyd, Ibid, p. 489.

يلذكر ابن أبيه : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨٥ (برلن) في حوادث ذي الحجة

٨٨٣ هـ - (فبراير ١٤٧٩) أن ابن مطوف هذا زار فلورنسا عدة مرات وكان آخرها عام

٨٨٣ هـ - راجع كذلك ١

— Ziadé, Op. Cit. p. 246.

— Heyd, Op. Cit., p. 489.

أما المعاهدة التي أبرمها المبعوث المماليكي بتاريخ ١٤٨٨ على عهد نوروز مدينتي
صدرها : مرسوم بشأن الامتيازات التجارية الممنوحة لطائفة الفرنج في مصر وسوريا
بلاد على طلب جمهورية فلورنسا ورئيسها الألفم لوروز مدينتي والطائفة بواسطة التجار
للمهم امتيازات مثل ما للبلدات في بلادنا - تم تعليمات لرعاة هذا لرجال السلطان .

انظر الملحق برقم ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - راجع ١

— Amari, Op. Cit., pp. 363-369-371.

راجع الحاشية السابقة برقم ٢١ - ٢٢ من نفس التوابل والعملات والجوع .

لرجال الادارة المالية في مناطق التجارة الجديدة برعايتهم وعدم
التعرض لهم بسوء (٣٦) .

وهي عام ١٤٩٦ وصلت بعثة فلورنسية جديدة عقدت اتفاقية أكدت
فيها ما سبق من امتيازات وما حصل عليه غيرهم ورصدت بودا تعطي
صورة حقيقية لنظام التجارة في مصر المالية حتى أواخر القرن
الخامس عشر . ومن هذه النصوص اعتبار استلام البائع عربونا لبضاعته
عقدا ابتدائيا غير قابل للرجوع فيه ، كما لا يحق لأحد الطرفين رد
البضاعة أو المطالبة برد ثمنها بعد استلامها ، وفي حالة عدم بيع التاجر
العربي ما اشتراه من الفلورنسي فلا يحق له رد البضاعة ولا مطالبة
الفلورنسي بشئها ثانيا وأقر لهم السلطان استمرار العمل بنظام الحساب
الجاري في الجمارك وتسجيله في دفاتر خاصة تبقى لحين عودتهم في المرة
التالية . وفي حالة استئناف القضايا اشترط وجود طرفي النزاع دون
توكيل عنهما مع حضورهما للقاهرة أمام السلطان نفسه . كما تنبه على
الخاصكي السلطاني والبرندي تسهيل وصول أصحاب القضايا المستأنفة
للقاهرة وأن يكونوا في حمايتهم في الحل والترحال . وحصلوا على
حق الإقامة في فندق خاص بهم ووصول تجارهم في أي وقت من السنة
وفي غير مواعيد المدة المقررة لهم . وتضمنت كذلك عدم تحصيل
مواجبات زائدة أو أسعار أزيد من السعر السائد بالسوق وأرفق
بالماهدة خطابان أحدهما موجه إلى السلطان من حاكم فلورنسا

(٣٦) السفير من Luigi Della Seta والمأمدة بتاريخ ٢١ ذي الحجة ٨٩١ هـ .

١٨ نوفمبر ١٤٨٩ م ومضمومة بالمحق رقم ٢١ - راجع :
— Amari, Op. Cit., pp. 181 et.

وبالمحق كذلك نص الرسالة والتكليف من الباشا للوزير الفلورنسي مودونا بتاريخ

١٠ من نوفمبر ١٤٨٨ ليسأل آل ليونر السلطان على عدايته ووعايدته للفلورنسي وكبرها
في بلاده - وتعليمات أخرى - بالمحق رقم ٢٠ وراجع كذلك :
— Amari, Ibid., pp. 372, 373.

بالمحق كذلك رقم ٢٢ ملحق للمأمدة من :

Depping, Op. Cit., pp. 480.
— Heyd, Op. Cit., pp. 237, 238.

باسمـاح لقنصل الجمهورية بالاقامة بصـعة مستمرة بالاسكندرية لمباشرة مصالح مواطنيه ، والاخر لمنسوب السلطان العاصـكى « الشمسى بن محمود » للسفر ثـلوريسا بهذا الخطاب ومعه الهداية اللارمة للدوق وخطاب ثالث لعمال السلطان فى موانئ مصر والاسكندرية بمراعاة مصالحهم (٤١) .

ومع أن العلاقات بين السلطان قايتباى والتجار الأجانب من كافة الطوائف ظلت طيبة كما كانت على عهد أسلافه ، فانها لم تعد كذلك مع القطارنة بالرغم مما تمتعت به طائفتهم من رعاية على عهد السلاطين اينال واحمد وخشقدم ، فقد بدأت العلاقات تتوتر بسبب خطف قراصنتهم لبعض البحارة المسلمين عام ١٤٧٠ من السواحل المصرية ومن بين المخطوفين بعض أعيان التجار ووكلاء السلطان التجاريين ولم يكن السلطان قايتباى بالرجل الذى يترك هذا الحادث يمر دون اجراء حاسم يرد للمواطنين التجار حقوقهم ويحفظ سمعته وسعة بلاده ، فأصدر أوامره باعتقال كل التجار الأجانب بالشر وزج بهم فى سجون القاهرة ، وأبلغ قناصلهم أن حريتهم مرهونة باعادة المخطوفين بواسطة قراصنة القطارنة وبدون هدية مع دفع تعويض مناسب ، وأوفد التجار مندوبين عنهم لحكوماتهم للمعى لدى أمير قفالوليا لاطلاق سراح البحارة والتجار العرب المخطوفين حتى يسترد الأجانب فى بلاد السلطان حريتهم ومع أن الجهود التى بذلت كانت تكفى لأن يراجع القفالونيون خططهم العدائية التى كانوا يرمون من ورائها منع المماليك من مساعدة أمير غرناطة الذى دأب على طلب العون من السلطان المماليكى ، الا ان

(٤١) هذه المصادقة بتاريخ ٢٢ من فبراير ١٤٩٦ / ١٨ ذى القعدة ٩١٦ هـ ومنشورة

بالمخطى رقم ٢٣ راجع ١

— Amari, Op. Cit., pp. 184-209. — XL.

وللمصادقة مخطى بتاريخ ٢٦ من فبراير ١٤٩٦ / ١٠ جمادى الآخرة ٩١٦ هـ موجه لعمال

السلطان وتبـه لمراعاة الثـلوريسين وبالمخطى رقم ٢٤ .

— Heyd, Op. Cit., p. 489.

— Amari, Op. Cit., p. 210-213-XLI.

انقطاعيين لم يطلقوا سراح البحارة والتجار العرب الا بعد أن دفعوا فدية ضخمة . ولنى وصولهم للاسكندرية أطلق السلطان سراح الأجانب المحتجزين بعد أن حصل منهم على مقابل ما دفعه المصريون من فدية للقطالوين . وعاد التجار الأجانب الى سابق عملهم بعد أن أبعدت السلطات المصرية تجار قطالونيا عن مصر والشام وأوقفه التعامل معهم ، وبعج كذلك تجار الحاليات الأجنبية نفس المهج فقاطموا تجار قطالونيا وسفنها والسفن التي تعمل أعلامها وطاردوا قراصنتهم في البحر (٤١) وفشل انقطاعيون في إعادة العلاقات الودية مع المماليك، بل انه اصرار الملك فردماند الخامس الكاثوليكي ملك أراجونا وزوج ايزابلا ملكة قشتالة على إنهاء الحكم الاسلامي في الأندلس ، وبالأخص موقفه من اماره غرناطة الاسلامية ، زاد من هوة الخلاف بين السلطان قايتباي والقطانة بصورة عامة . ووصل عام ١٤٨٧ الى القاهرة ميموث الأمير ابى عبد الله محمد صاحب غرناطة وطلب من السلطان قايتباي عوناً عسكرياً لمواجهة هجمات الملك فردماند على امارته المنكشة . ومع أن السلطان كان يدرك تماماً مدى النتائج الخطيرة التي تترتب على

(٤١) ابن اياس بتاريخ الرحور ج ٢ ص ١٤٦/١٤٧/١٤٨/١٤٩ (جلال)
— Zindeh, Op. Cit. p. 244, 245.

ذكر ابن اياس عنه العادلة في حوادث رمضان ٨٨٨ هـ وحوادث المحرم ٨٨٩ هـ .
« فقد جاءت الأخبار بأن بعض الفرنج قد احتال على تجار الاسكندرية حتى اسروهم وكان منهم تجار السلطان نفسه وهم ابن طيبة بمقرب ، وعمل الكبراني ، وعمل الصراوى فلما اسروهم الفرنجة خرجوا بهم من الاسكندرية في الوقت والساعة وتوجهوا بهم الى بلاد الفرنجة والخطير في الحال في الاسكندرية وكانت ان تخرج — فلما كانوا السلطان بذلك تأخر لهذا الخبر وبعث للوقت جنسكيا من حرمه يقاتل له « قيت الساقى » الذى تول ولاية القاهرة فيما بعد — وكتب معه مراسيم شريفة للنائب الاسكندرية بالقبط الى جميع تجار الفرنجة بالفسر ، فلما توجه قيت الساقى الى هناك قبض على التجار من الساحل كله وضيق عليهم وأودعهم الحديد والرمم بأن يكاتبوا ملوك الفرنج بما جرى عليهم من السلطان بسبب التجار . وقد قام السلطان في هذا الحادث قياماً تاماً وآخر الأمر اشترى التجار الذين اسروا أنفسهم عن ملوك الفرنج بمال له صوره حتى الملقوم واتوا بهم الى الاسكندرية احمد دراج المماليك والفرنج ص ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ .
— Heyd, Op. Cit. p. 496.

سقوط الامارة الاسلامية الباقية في الأندلس الا أنه لم يستطع تقديم العون العسكري اللازم لانشغاله في حروب العثمانيين وتأمين الأطراف الشمالية للسلطنة ، ومع ذلك فقد كلف الأسقف « ماوروس » رئيس دير جبل صهيون بيت المقدس لكي يوفد راهبا مندوبا من لدنه للملك نابلي - لما بينهما من علاقات طيبة - لبدل مصاعبه الحميدة لدى الملك فردناند ليكف عن أدى المسلمين ، وقرن ذلك بالتهديد بمسح الحج للاراضي المسيحية المقدسة وفرض قيود شديدة على الأجانب في بلاده ، ومع ذلك سقطت غرناطة في يد الملك فردناند ١٤٩٢ (١٢) . وفرضت السلطات المالكية بعض القيود فعلا على وصول الأجانب للبلاد ، وبخاصة التجار والحجاج في تلك الفترة ، لاسيما من له صلة بالقطانية ، لا انتقاما من موقعهم ، ولكن حرصا على سلامة البلاد . ولاحظ الرحالة الألماني « برايدنباخ » خلال زيارته لمصر في فترة الصراع على غرناطة أن عدد اليهود الوافدين الى مصر قد زاد الى حوالي ١٥٠٠٠ ويعملون جميعا في التجارة . وظل هذه الزيادة بهجرتهم الجماعية من أسبانيا بعد أن طردهم منها الملك فردناند ، وأضاف الى ذلك أنهم عملوا على اساءة العلاقات بصورة واضحة بين مصر وقطالونيا وحرصوا السلطان ضد تجارها . ولكن الثابت فعلا أنه لم يكن لليهود أثر يذكر في سوء العلاقات المالكية والقطالونية في تلك الفترة ، اذ أن أشد ما أثار السلطان قايتباي وحرك عاطفته هو ما لاقاه المسلمون من عت الأسان ثم تجاهل الملك فردناند لمبعوث السلطان قايتباي ليكف أذاه عن مسلمي

(١٢) ابي اياس - يدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٦ حوادث ذي القعدة ٨٨١ هـ .

أحمد دراج : المالكي والفرنج ص ١٠٨ - ١١٢ .

سقطت غرناطة في ديسمبر عام ١٤٩٢ / سبتمبر ٨٩٧ هـ انظر :

محمد عبد الله علي - تراجم سلاطنة شرقية وأندلسية ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ ان

٢٢٧ .

— Ziadé, Op. Cit., p. 366.

كان قايتباي يستخدم سفن قاييل أصيالا في حمل جنوده الى جزيرة قبرص - انظر

— Maat Latria, Op. Cit., p. 828 T. III.

غرناطة في حين أن مواطنيه القطلانة وحجاجه يلقون رعاية ممتازة في بلاده . وبعد هذا الحادث فرصت بعض القيود على الحجاج المسيحيين للأراضي المقدسة في فلسطين ، لا انتقاما منهم أو من حكوماتهم التي لم تسمح ليكنف فردناند عن إيذاء مسلمي غرناطة ، إنما حرصا على سلامة البلاد وأمنها وتجارها (١٣) .

واستمرت العلاقات متوترة بين مصر واسبانيا حتى ولي الحكم السلطان الأشرف النوري في شوال ٩٠٦ هـ / أبريل ١٥٠٦ ووصل إلى القاهرة وبعد أمراء مراكش وتونس وحكام الولايات العربية في شمال افريقية والمهاجرون من الأندلس بعد سقوط غرناطة ، وطلب المبعوثون عون مصر الحربي والمالي ضد مسيحي اسبانيا لاستعادة الامارة ورد هجماتهم على مدنها في شمال افريقية ومنع أذاهم عن المسلمين الباقين بالأندلس ، وطالبوا - كاجراء مضاد - منع حجاج القرنجة للأراضي المقدسة ، ومنع تجارهم من ورود مصر والشام . ولم تكف تصل هذه الأنباء لبلاط الملك فردناند حتى قرر أن يسلك مسلكا طيبا مع السلطان المالكي ، واختار لسفارته إلى النوري عام ١٥٠٦ الإيطالي « بير مارثير دانبجيرا » *Piero Martyre D'anghiera* الذي وصل إلى الاسكندرية على سفن المدة الثامنة للبندقية في ٢٣ ديسمبر ١٥٠٦ ، وأرسل فور وصوله القنصل القطلوني ، والذي يمثل فرنسا في الوقت

(١٣) كان لليهود في اسبانيا مركز ممتاز في المصايداتها خاصة وان معظمهم يعمل في التجارة بين الشرق والغرب . كما سيطروا على الأعمال المالية والمحرفية ولهم مراسلون مصرفيون ومكاتب ووكالات وفروع في معظم مدن وموانئ شرق البحر المتوسط . — Depping, Op. Cit., p. 241, 242.

ابن اياس : نتائج الزعمور ج ٢ ص ٢١٦ حواشي في القصة ٨٨١ هـ .
وبخصوص الاضطهاد الذي وقع على مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢ م . حاول فردناند وإيراملا تحويل المسلمين إلى المسيحية وتهديدهم بالقتل على عكس ما فعله سلفه الملك لردناند وقد اشهد الاضطهاد بعد وصول شخصات حاكمة من التوابل إلى لشبونة وتحويل التجار إليها عن مصر وأحضرنا وعدهم للسلطان النوري - الظفر محمد عبد الله خان المصدر السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

نفسه ، الى القاهرة للحصول على اذن بمقابلة السلطان . وانتهم
المعاربة المهاجرون واليهود المطرودون الفرصة وعملوا على اثارة حفيظة
السلطان ضد الاسبان وسفيرهم . ولكن الفوري حكم العقل وأرسل
ادنا بتسهيل وصول سفير الملك فردناند للقاهرة لمقابته ، فبارح
الاسكندرية في ١٦ يناير ١٥٠٢ ، ولدى وصوله الى القاهرة قابل تفرى
بردى كبير تراجمة السلطان ونزل في داره . وساعده الترجمان مساعدة
قيمة خلال محادثاته مع السلطان ، وبعد الاحتفالات الرسمية طلب
السفير عقد جلسة سرية يشرح فيها للسلطان سياسة سيده تجاه المسلمين
والمعاربة واليهود في بلاده . وكان مما قاله السفير في الجلسة ان العرب
والمعاربة عنصر هام في دولته ، وان الملك يحيطهم برعايته لنشاطهم
التجاري والثقافي المتجدد ، وهو لا يستغنى عنهم ولا عن جهودهم .
أما اليهود فقد طردهم . ويبدو أنه السلطان قد اقتنع بهذا الكلام ،
فقد هدأت نفسه وتمهد باعادة اصلاح ما تهدم من الأماكن المسيحية
المقدسة في بيت المقدس والرملة وبيت لحم ، وقال ان السفير اقترح
عليه رصد رسوم الحج لهذه الاصلاحات . ولم تقتصر هذه السفارة
على اصلاح ذات البين بين البلدين ، ولكن تضمنت معاهدات تجارية
خاصة بتسهيل ورود تجار قطلوليا للتجارة في بلاد السلطان مع تمتعهم
باغفاءات وتسهيلات مماثلة لما ينصح للتجار الأجانب وتجديد المعاهدات
السابق عقدها واقرار ما بها من امتيازات ونص على ذلك في ملحق
أصيف اليه عدم فرض رسم أو صرائب جديدة على التجارة المتبادلة مع
قطالوليا . (٤٤) وبدأ الملك فردناند من جانبه يعمل على تشجيع التجارة

(٤٤) السفير القطلولي هو بير مارنير دانييرو والفصل القطلولي الفرنسي في نفس
الوقت في الاسكندرية هو Philippe De Peredex ، وكانت المادة الا يهتم السلطان
الا بسفراء الدول المسلمة والذين يصلون الى القاهرة في مركب فخم . ويختار السفير من
بين كبار رجال دولته ، وينتاز بحضور البديهة واللباقة وحسن التصرف ، وكان يمكن
شهرين في نظام القديس لوفيسوا للمتميزين على المراتب القرية .

— Heyd, Op. Cit., p. 724, 725.

— Depping, Op. Cit., pp. 242-244.

الخارجية وبخاصة مع الماليك ، ففتح ميناء برشلونة للسفن التي تعمل على خطوط الملاحة مع شرق البحر المتوسط وخفف الرسوم الجمركية على السلع الشرقية وأوجد القناصل ووكلائهم إلى موانئ مصر والشام ومدنها . وكانت له سفن سريعة تقطع الطريق إلى الشام في أقل من خمسة أسابيع . ووصلت كذلك المتاجر مع الحجاج المسيحيين العائدين من بيت المقدس والمسلمين العائدين من مكة والمدينة وناص مياها برشلونة موانئ إيطاليا في تجارة الشرق . واهتم فردناند بالمياه حتى جعله مركزا تجاريا من الطراز الأول بالاضافة إلى أنه محصن وبه أحواص لبناء وترميم السفن ومخازن ومستودعات عديدة وتشرف على تجارته الخارجية هيئة القناصل البحريين . كما أصدر قانونا ضم فيه هيئة التجار القطانة إلى مجموعة التجار المسموح لهم بالتجارة ونقل وتوزيع السلع الشرقية الواردة من مصر والشام (٤٩) .

وجرت الأمور على هذا النحو حتى وصلت الأبناء عن نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند بحرا بطريق رأس الرجاء الصالح ، وأنهم ثبتوا أقدامهم في موانئ ساحل الهند الغربي . ووصول البرتغاليين إلى الهند هو ثاني الأحداث الهامة التي ختمت المصور الوسطى وأكثرها أثرا في ماجربات السياسة والاقتصاد في مصر والشام ، ولما أصبحت البرتغال وسيطة التجارة بين الشرق والغرب أغرقت أوروبا بالسلع الشرقية

— Thomson, Op. Cit., pp. 243, 244.

— Zinda, Op. Cit., p. 358.

« وبالرغم من أن المعاهدات كانت توقع بين سلطان مصر وملك كرايون فإن هذه المعاهدات وفيها من المعاهدات لا تقع إل فصل كرايون والنا تسمية فصل الكاتلان . ولطائفه ذلك لأن كاتالونيا عندما انضمت إلى ملكة كرايون في القرن ١٢ م احتفظت باسمها بمدينة برشلونة حتى تسمية القنابل لكل رعايا كرايون المقيمين في موانئ البحر المتوسط الرئيسية التي كان لهم فيها نشاط تجارى . انظر المجلة عدد ١٩ يناير ١٩٦١ ص ٩٠ و ٩١

— Heyd, Op. Cit., pp. 724, 725.

— Depping, Op. Cit., p. 239.

— Zinda, Op. Cit., p. 368.

بأسعار رخيصة ، وطاف البرتغاليون بأسواق أوروبا لاستمالة شركائهم وعملاتها للأسواق ، لشبونة وتنازلوا عن الكثير من الأرباح والرسوم الجمركية . وفي مصر أصبحت أسعار هذه السلع وخاصة التوابل معلا للنزاع المستمر بين السلطان المماليكي والتجار الأجانب بصفة عامة ، نظرا للمركز الذي كان لهؤلاء التجار في توزيع هذا النوع من السلع الشرقية في أوروبا منذ عدة قرون . ففي قسطنطينية وجد التجار سهولة ويسرا في ارتياد أسواق لشبونة وأهلوا اتصالهم بموانئ مصر والشام — كما أن الملك فرديناند لم يحترم ما تعهد به عام ١٥٠٢ للسلطان المماليكي الذي نص على وصول تجارهم لمصر ، ونص كذلك على رعايته للمسلمين من عرب ومغاربة في بلاده . ورغم أن السلطان المماليكي سلك مسلكا طيبا هادئا مع الملك فرديناند الثاني ، إلا أن جهوده لم تؤد إلى نتيجة ايجابية ، ولم يكف الملك عن اساءته للمسلمين والمغاربة ، كما لم تعد سفنه ترد بموانئ مصر والشام (١٦) . ومن ناحية أخرى أكد السلطان المماليكي احتكاره لتجارة التوابل والسلع الشرقية وقصر شحنها على ميناء الاسكندرية دون الموانئ الأخرى بقصد التوحيد والتركيز واحكام الرقابة (١٧) . وخصص أسواق الشام للسلع الواردة من وسط آسيا بالطريق البري ومع ذلك بقيت الأسعار مرتفعة ، فلغ سعر الحبل من التوابل الشرقية ١٠٥ دوكات حين وصل سعره في السوق الحر أكثر من ١٩٢ دوكا ، مما أدى إلى إثارة النزاع بين السلطان وعملاته الدائمين من البنادقة الذين رفضوا الشراء بهذه الأسعار وحملوا إلى قنصلهم حوالي ٢٥٠ حبل فقط مما أغضب السلطان

— Depping, Op. Cit. pp. 260.

(١٦)

— Zinda, Op. Cit., p. 368.

— Heyd, Op. Cit., pp. 473 & 521-523.

— Cruli, Op. Cit., p. 206.

— Parnaud, Op. Cit., p. 410.

— Thecaud, Op. Cit., pp. XLVII, XLVIII.

— Heyd, Op. Cit., p. 493.

(١٧)

وفرض عليهم غرامة قدرها ٢٠٠.٠٠٠ دوك لتأثيرهم في الأسعار
 بالخفض لصالحهم والامتناع عن الشراء بسعر السوق المحدد والحر ،
 وسجن تجارهم وقنصلهم وضاعت مواعيد عودة سفن المدة بعد أن مع
 السلطان هذه السفن من مباوحة الميناء . إلا أن بعض السفن استطاعت
 الإبحار خفية ، وساء حكومة البندقية هذا التصرف من السلطات
 المالية تجاه تجارها ، وتبادل الطرفان السفارات وهدد البنادقة بهجر
 أسواق السلطان والترح إلى لشونة مما اضطر السلطان أن يحدد
 سعر التوابل الشريفة بثمانين دوكانت للعمل الواحد في المدة التالية
 وترك أسواق البيع الحر بدون تدخل ، وأصبح من السياسة الثابتة
 مراعاة تجار البندقية في أسواق مصر وموانئها (٤٨) .

الأن اتساع نشاط البرتغاليين في الهند ، وسيطرتهم على مصادر
 تجارة التوابل والسلع الشرقية ، حجب وصول هذه السلع بكميات كبيرة
 إلى مصر والشام ، وحل التجار المالية تواوحة ظروف صعبة ، كما
 كان معناه أيضا أن تجارة البندقية قد آذنت شمسها بالمضي ، وعادت
 في معظم الأحوال كثير من سفنها خالية أو بنصف حمولتها . ففي عام
 ١٥٠٢ عادت سفن بيروت بأربع بالات من القفل ولم تجد سفينتان من
 خمس في الاسكندرية ما تحمله إلا بمشقة كبيرة ، ولم تعد تشاهد
 سفن المدة إلا مرة كل عامين ، بعد أن كانت تصل للموانئ عدة مرات
 في السنة (٤٩) . وكانت سفن البندقية عند عودتها من مصر تترك في
 مخازنها من المتاجر الشرقية ما قيمته ٣٠٠.٠٠٠ دوك ومثلها على
 الأقل من النقد البنقي كحساب جار لها وتجارها في الجمارك ، ويبقى
 بعد رحيل المدة خمسة عشر تاجرا يشرفون بأنفسهم على تسويق التجارة

— Heyd, Op. Cit., pp. 519-523.

(٤٨)

— Allan, J., The Camb. Shorter Hist. Of India p. 487.

(٤٩) انظر الملحق رقم (٦) من تعليقات البندقية للسلطان سالفود إلى السلطان الفوري .

— Heyd, Op. Cit., pp. 520, 521.

حتى المدة التالية . أما الآن فالسفن لا تكاد تترك من المتاجر الا ما قيمته ٨٠٠٠٠٠ نندقي ، ومن البعد ما يباوى ٢٠٠٠٠٠ نندقي ، ويبقى من هيئة التجار حوالي ستة ليس بيدهم الموارد الكافية للتسويق للمدة القادمة . وكان من الطبيعي أن ترتفع أسعار المتاجر الشرقية في أسواق البندقية لقله الوارد وارتفاع أسعاره مما حدا بعملاء البندقية من التجار الألمان وسكان شمال وعرب أوروبا أن يهجروا أسواقها الى لشبونة ، وليس أدل على تأثير أسواق البندقية من أن الألمان كانوا يصدرون لها كل عام حوالي ٤٠٠٠ قنطار من النحاس ومثلها من أطنان الزيت ، ويحصلون مقابلها على توابل الهند الواردة طريق مصر والشام ، هبطت هذه الأرقام الى ٨٠٠ قنطار من النحاس ، و ١٥٠٠ طن من الزيت ، وأعلن تجار فيا أنهم سيتوجهون الى لشبونة اذا لم يجدوا ما يكفيهم من التوابل بأسعار مناسبة في أسواق البندقية ، كما أن باقي المدن الإيطالية التي تاجرت في هذه السلع هددت بالتوجه الى أسواق لشبونة .

أما البرتغاليون فاستمر طواف مبعوثيهم لأسواق أوروبا لاستمالة شركائها التجارية الى لشبونة ، وتنازلوا عن الكثير من أرباحهم ، وعن الرسوم الجمركية ، تشجيعا لوصول تجار أوروبا الى أسواقهم ، وخطوا خطوة أخرى لتدعيم مركزهم التجاري في شمال أوروبا بتوزيع المتاجر الشرقية بأنفسهم ، وخاصة في بلاد الألمان ، بنفس الأسعار المخفضة امعاناً في هدم تجارة مصر والبندقية (٥) . وبينما الأمور تجري على هذا النحو وصل الى البندقية وفد برتغالي وعرض على حكومة الدوح وهيئة التجار بها تسهيل حصولهم على حاجتهم من التوابل والسلع الشرقية من أسواق لشبونة ، على أن يقوم البنادقة بتوزيعها بأنفسهم

(٥) ديل البندقية جمهورية لوستراطة من ١٥١ وما بعدها .

— Thénard, Op. Cit., pp. XLV-LVI ff.

— Heyd, Op. Cit., pp. 521, 522.

— Auzan, Op. Cit., p. 487.

وبمعرفة في أسواق أوروبا كما كانوا يفتنون ، بدلا من اصرارهم على ارتياد أسواق مصر المرتفعة الأسعار والتي بدأ ينضب معها (٥١) . ولكن كبرياء البندقية وعظمتها منعها من الاستجابة لهذا النداء حتى لا توقع نفسها صك تبعيتها التجارية للبرتغال ، ولكنها في الوقت نفسه لم تفعل ارسال مبعوثيها الى لشبونة لجمع المعلومات الكافية عن رحلات البرتغاليين للهند ، وعما اذا كان بالإمكان وصول سفن البندقية الى الهند مباشرة ثم مراقبة مشروعات البرتغاليين القادمة ومواعيد الرحيل والعودة ومعلومات عن طبيعة الطريق الجديد . كما أوصت حكومة الدوج مبعوثيها الى لشبونة بأن ينفردوا بالأمراء اليهود الوافدين مع سفن التوابل البرتغالية لتحريضهم على مقاطعة البرتغاليين ومواصلة التعامل مع السلطان المالكي والبندقية ، وأن يوحوا اليهم بأن البرتغال بلاد فقيرة تمجيز عن تصرف تجارة الهند بدون مساعدة البندقية التي كانت وستبقى رغم كل هذا ، العميل الأول لتوابل الهند وأكبر دولة تجارية في العالم المسيحي (٥٢) .

(٥١) طالب الملك عمانوئيل ملك البرتغال في البداية ورود أسواق لشبونة ليعرضوا على طلباتهم من التوابل والسلع الشرقية بدءا من ذبائح الأسماك الاسكندنافية وبيروت - Herd Op. Cit. p. 324.

(٥٢) شارل ديبل : الهندية جمهورية ديمقراطية من ١٤٧ - ١٤٩ . لهم مبعوثو البندقية في لشبونة أن الملك البرتغالي عمانوئيل سيميل تماما على احباط كل مشروع للبندقية أو للسلطان المالكي في مياه الهند وحصل على التأييد الكامل في ذلك من رعاياه ومستشاريه وكان يتجهل الوقت الذي يستطيع فيه أن يخلق طريق البحر الأحمر الى جزر البهار في وجه المالكي والبندقية ويحتكر له ولبلاده هذه السلع القيمة ويجبر البندقية على ورود أسواقه . وبالتالي كتبه تجاريا وفي الوقت نفسه تنهار مصر تجاريا وسياسيا وعسكريا ويحدث مثل هذا للبندقية ويحقق الملك البرتغال من ذلك ٣ افراض ١ - الضرب على أيدي التجار العرب والمصريين والافلال في ثرواتهم لان كان الانعام منهم سياسيا ودينيا .

٢ - نقل السيطرة التجارية من البندقية الى البرتغال .
٣ - فتح باب جديد لفرار البرتغال وسيطرتها على الشرق وبحره .
وليس أدل من ذلك من أن لاسكوتاسما الذي عودته من رحلته الى الهند عام ١٥٠٣ صرح بأن هذه الرحلات عرجة أساسا ضد سلطان مصر . انظر أيضا - Herd Op. Cit. pp. 325, 326.

ورغم أن البندقية ، حتى ذلك الوقت ، لم تكن هي وصع من فاتها بدأت تشر بالقلق الشديد منذ بدأت البرتغال تغزو أسواقها القديمة في أوروبا بكميات وفيرة وأسعار رخيصة من السلع الشرقية ، وخشيت أن يترزع مركزها الرائد في توزيع هذه السلع منذ عدة قرون في أوروبا وخاصة أنها وجدت نفسها عاجزة عن مسايرة الأسعار التي تجلبها البرتغال التوابل من الهند ، فقطار التوابل من بعض الأنواع الحيدة يساوي في الهند ما بين ٢٥ - ٣ دوكات ومن القرفة بالذات حوالي دوكات واحدة ، في حين أنه في مصر يصل إلى حوالي ١٠٠ دوك ، وفي البندقية أكثر من ذلك . وهو نوع من المصاربة لو نحس لأدى إلى اسقاط هيئة البادقة والماليك وزعزعة زعامتهم التجارية في أوروبا (٥٣) .

ولدى عودة المبعوثين من لشبونة فهمت البندقية أنه لا بد من عمل حاسم يرد لها كيائها ، والأفاهة مستطر لتوجيه تجارتها إلى لشبونة وتفتح بالمركز الثاني أو الثالث والتبعية التجارية للبرتغال . وانقسم البنادقة فريقين : فريق يرى التوجه إلى لشبونة ويمرر رأيه بما يقاسيه تجاره في بلاد السلطان وارتفاع أسعار التوابل وقيود المصارك وعدم إمكانهم الوصول بأنفسهم إلى مصادر التوابل في الهند . والفريق الآخر يرى إرسال سفارة قوية لمصر ليتدارك السلطان الأمر للنفع المشترك ، ويضيف هذا الفريق أنه بإمكان البنادقة نشر الشائعات المشقة في أسواق أوروبا حول عجز البرتغال عن الاستمرار في هذا العمل الخطير ، على أن تقوم مصر بمثل هذا العمل من جانبها لدى عملائها في الهند . وصادف ذلك فترة اتكست فيها تجارة البرتغال في الهند وجاءت خسائرها فوق حدود المعقول بسبب أخطار الطريق وشدة مقاومة الأهالي للبرتغاليين لسياستهم القائمة على السلب والنهب أحيانا ، وأكد البعض

— Thénard, Op. Cit., p. XXXI.

— Heyd, Op. Cit., pp. 525, 526.

أنه ليس للملك البرتغالي سوا أخرى يرسلها لمياه الهند وساد الاعتقاد بأن السلطان المالكي قد اتصل بالأمرأء الهنود وأن جهوده قد أثرت وأن قوته البحرية ستقضى فعلا على قوة البرتغاليين في المياه الشرقية وأنه لن يترك الأمور تفلت من يده بهذه السهولة (٥٤). وبرغم هذه الشائعات التي رفعت من معنويات البادقة وسعتهم في أوروبا ، بقدر ما أسامت إلى البرتغاليين وانزعج ملك البرتغال وأرسل مبعوثا لدوج البندقية مكذبا هذه الشائعات وشرح المبعوث مقبرة بلادهم على مواحة كل الاحتمالات على طول الطريق وفي مياه الهند نفسها ، وطلب من البندقية التأييد وتوجيه تجارها إلى لشبونة ، كما طلب المبعوث من الدوج أن يرسل مندوبه للتأكد من ذلك . وفي ختام المباحثات طلب من حكومة البندقية أن توجه تجارها إلى لشبونة إلا أن دوج البندقية نصع مبعوث ملك البرتغال بعدم مقاومة السلطات المالكية وعدم الاستمرار في هذه المغامرة الخطيرة ، وأصاف الدوج فيما يتعلق بتوجيه تجاره إلى لشبونة « أن حكومته تضع موضع الاعتبار ترجيحكم بتجارها في بلادكم وتمكينهم من الاستمرار في مراكزهم القديمة في أسواق أوروبا وتوليهم التوريد بأنفسهم ، ولكننا في الوقت نفسه نخشى فقد مراكزنا القديمة المتأزة في شرق البحر المتوسط لو فرض وعجزت سفنكم عن مواصلة رحلاتها إلى الهند » . (٥٥) .

(٥٤) بلغت الشائعات حداً لا يقي في بداية القرن ١٦ في السنوات الأولى لرحلات البرتغاليين ، وكان البادقة مصدر قلقها . إلا أن ملك البرتغال كان لديه من الإمكانيات الضخمة ما يمكنه من الانتفاع في مشروعه بعباج وهي :

- ١ - مناجم البرتغال من ذهب المربلية تبوء باستمرار أسواق التوابل الهندية
- ٢ - لقلات عمدة السكر والبن ما تعبئه من سلع تسد باستمرار لقلات تسليحها
- ٣ - أن ملك البرتغال قنع في البداية بجمدية التقلات وعدم الربح حتى لبت الحاجة واحتاج في ذلك إلى عمل كل ما في وسعه لتفكر أعمال القرمصة في البحر المتوسط وفي مياه الهند ومغسل البحر الأحمر فتح وصول التوابل لغير (الشمس) راجع :

— Heyd, Op. Cit., pp. 517, 518.

— Heyd, Op. Cit. pp. 518, 519.

(٥٥)

وبالرغم من ذلك كله لم تكن البندقية بحاجة لمن يعرفها مدى الحسارة التي تلحقها نتيجة للتوسع البرتغالي في جلب المتاجر الشرقية وفردت أن تسلك مسلكا ايجابيا فأرسلت في عام ١٥٠٢ سفارة برئاسة « بنديتو سانودو » Benedetto Sanoudo ولهذا الرجل تجارب عديدة في التجارة مع مصر فيما بين عامي ١٤٩٦ - ١٥٠٠ وكانت بمته ابي مصر سرية وكان عليه أن يوضح للسلطان العوري الأخطار التي تعرض لها مصالحه وتجارته وثروته من جراء وصول البرتغاليين للهند واهتمام البندقية بمقاومة مشروعات البرتغال في الهند وفي أوروبا ووضع سانودو أمام أعين السلطان الحقيقة المزعجة للطرفين ، وصرح له أن التجار الانجليز بدأوا يتوجهون فعلا الى لشبونة لرخص أسعارها عن الاسكندرية وقلة رسوم حماركها . بل ان التجار البرتغاليين بدعوا يجوبون أسواق أوروبا بأنفسهم . واستعان سانودو بالترجمان « تفرى بردي » لحض السلطان على القيام بعمل ايجابي ومقاومة البرتغاليين في الهند ومن ناحية أخرى تخفيض أسعار التوابل الثمينة والحررة وتخفيض رسوم الجمارك لاما كان اقتناع تجار البندقية بمواصلة ارتياد أسواق مصر والشام ومواجهة نشاط البرتغاليين في دول أوروبا . ولم يكن هذا هو كل ما تناولته المباحثات بين السلطان وسانودو بل كرر السفير شكوى مواطنيه التجار من تمتعت بحكام دمشق وبيروت معهم ، فهم يحبرون تيطرهم على شراء كميات اضافية من الفلفل بأسعار خيالية في الوقت الذي تمتلئ فيه أسواق أوروبا بالتوابل الرخيصة النقية من لشبونة . وشكا كذلك من سوء معاملة عمال السلطان للتجار في الجمر ، وأنهم يمنعون لجوء سفنهم ليلا الى الميناء وخلال العواصف ويحبرونها على الرحيل قبل شحن كل ما يشتره التجار فيبقى معظمه في الميناء للمدة التالية معرضا للضياع والوار . وطلب السفير آخر الأمر ترك السفن حتى يتم شحن كل مالديها بدون الحاجة الى تصريح سابق

من السلطات وعاد السفير الى بلاده في ٢٠ من سبتمبر ١٥٠٣^(٥٦) . وكان السلطان القوري مقتنعا بما جاءت به بعثة سانودو ، كما كان مقتنعا بأن ازدياد نفوذ البرتغاليين في الهند قد يقضى على مصالحه التجارية وهيته أمام العالم ، وقد تأكد له هذا بصورة عملية عندما أرسل أسطولا تجاريا الى ساحل مالابار شحن كالمستاد كميات ضخمة من التوابل والمتاجر الهندية وفي عودة السفن حملت معها عددا كبيرا من الأمراء الهنود ، وعددا من المسلمين في طريقهم الى الحج ، ولكن هذه السفن بشحناتها لم تصل كاملة الى ميناء جدة اذ هاجمتها سفن الأسطول البرتغالي في مياه الهند وصادرت معظم شحناتها من التوابل والمتاجر الهندية . وأثارت هذه الأنباء ثائرة السلطان القوري ، لاسيما أن الأنباء تواترت مرة أخرى عن اجراءات تعسفية ضد العرب في أسبانيا ، فقرر السلطان أن يعمل عملا جديا فأنزل سفنا حربية جديدة في البحر الأحمر لمواجهة تهجم البرتغاليين على سفنه في الهند . ويقال انه أشرف نفسه على ارسال قطعها الى ميناء الطور وفي الوقت نفسه قرر ارسال بعثة برئاسة الأسقف « ماوروس دي سان برنادينو » *Maurus Di San Bernadino* رئيس دير حل صهيون ببيت المقدس ومعه راهبان الى ملوك وأمراء أوربا ومابا روما للوقوف على الأحوال السياسية بصفة عامة ، وحث البابا على اقناع البرتغاليين بوقف أعمالهم العدوانية ضد

(٥٦) راجع الملاحق بالمخط رقم (٦) وكذلك

— Heyd, Op. Cit., pp. 519, 520.

— مما دفع البداية الى ارسال بعثاتهم المتكررة الى مصر . ان البرتغاليين افلحوا في سلب التجارة المالكية وهي في مياه الهند به شحنها ومصادروا ما عليها من شحنات التوابل وحلله وظهر اثر ذلك بوضوح في « بعثة » البندقية ١٥٠٢ م الا عادت سلفهم من الإسكندرية وبيروت ، وهي لا تكاد تحصل ربح شحناتها وحملتها العادية . حتى ان هيئة التجار الألمان الذين وفدوا كالمستاد لحضور مراسم الأسواق السنوية في البندقية هادنوا بأموالهم به أن يحدوا السلطات المرفقة على التجارة الخارجية بأنهم سوف يوجهون الى أسواق لشبونة للحصول على حاجتهم من التوابل . ولنج كذلك :

دراج : القديك والفرنج من ١٣٢ و ١٣٣ .

— Thénaud, Op. Cit., pp. XLVII, XLVIII.

مصالح السلطان في الهند . ووصل ماوروس ومرافقاه الى البندقية في ابريل ١٥٠٤ ومع خطابا للدوج لطلب مساعدات حربية للسلطان لمقاومة البرتغاليين في مياه الهند وطلب كذلك منحه خطابات توصية الى ملكي اسبانيا والبرتغال والبابا . وعقد السناتور جلسة خاصة حضرها الأسقف ماوروس ، الذي عرض طلب السلطان المعونة الحربية والتأييد الأدبي لدى البابا وملكى اسبانيا والبرتغال لوقف تعرض البرتغاليين لمصالح السلطانية في الهند ، أو ارسال أسلحة للسلطان لمقاومة البرتغاليين في المياه الهندية في حالة فشل المفاوضات لوقف اعتداءاتهم . وأعلن ماوروس كذلك استياء السلطان من موقف الملك القطلوني من المسلمين في الأندلس والمعاربة بشمال افريقية واجبارهم على ترك دينهم أو الموت . وقال ماوروس ان ملكى اسبانيا والبرتغال يسلكان مسلكا صعبا ضد السلطان سواء في أوروبا أو في الهند وأنه اذا لم تجب كل طلباته بالود والتفاهم فسيجد نفسه مضطرا الى قتل كل أجنبي يصل لبلاده ويهدم ما بها من أديرة وأماكن مسيحية . ورد السناتور على مبعوث السلطان بأن الأضرار التي لحقت بالسلطان قد أصابت البندقية كذلك في الصميم واعتذر عن الكتابة للبابا وملكى قطلونيا والبرتغال حتى لا تتهم البندقية بمساعدتها للسلطان عدو المسيحيين ، واكتفى السناتور بأن أعطى للأسقف ماوروس عند سفره معلومات عن الحالة في أوروبا بصيغة عامة ليبلغها للسلطان .

وسافر الأسقف الى أوروبا واتصل بالبابا يوليوس الثاني الذي أفرعج لما سمعه عن تهديدات السلطان للمسيحيين والأماكن المقدسة المسيحية في بلاده وأسرع بإرساله ومرافقيه الى فردناند الخامس ملك قطلونيا وعمانويل ملك البرتغال وهناك أوضح لهما الأسقف جلية الأمر ومصمونه مهمته . وليس لدينا ردهما المكتوب ولكن كل ما نعرفه أن الملك البرتغالي أرسل يطمئن البابا يوليوس الثاني كما نصحه بالا يقلق أو يلقى بالا لتهديدات السلطان لأنه ليست لديه القوة الكافية لتنفيذ

هذه التهديدات ، كما أنه لا يستطيع القيام بأي عمل تصفي ضد
المسيحيين في بلاده أو ضد الأماكن المسيحية المقدسة لأنه يجي من
ورائها رسوما طائلة في مواسم الحج . وأصاف أنه في حالة تنفيذ
السلطان تهديداته فإن الأسطول البرتغالي سيدخل البحر الأحمر ويهاجم
الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة كاجراء مضاد وفي نهاية
الرسالة طلب من البابا التأييد الديني والأدبي في صراعه مع الماليك
والاتصال بملوك وأمراء أوروبا لنفس الغرض .

وأعطى الملك الخطاب للأسقف مطلقا ليلمه بنفسه للبابا وهو في
طريقه للشرق (٥٧) .

وفي البندقية لم تكذ السلطات تودع الأسقف ماوروس الى روما
حتى أسرع بإرسال سفارة جديدة الى القاهرة يرأسها « فرانسيسكو
تالدي Francisco Taldi » في ٢٤ من مايو ١٥٠٤ بعد شهر من
وصول الأسقف للبندقية . وفي المحادثات نبه السفير تالدي السلطان
العورى الى ازدياد نشاط البرتغاليين في الهند وأنهم يوزعون التوابل
في أوروبا بأسعار تقل كثيرا عن أسعار الاسكندرية وببيروت، بل انهم
يوزعونها في إيطاليا نفسها بالأسعار المنخفضة، وأوضح السفير للسلطان أن
حكومته لم تستطع منع تجارها من اللجوء أحيانا الى أسواق لشبونة
كما أنها لم تستطع مقاومة لقرناء رسل ملك البرتغال الى البندقية
ودعوتهم تجارها لتولى منصب الصدارة في توزيع هذه التوابل في أورده

(٥٧) — Thomsen, Op. Cit., I. pp. XLVII, XLVIII, XLIX.

— لكي يسهل السلطان على الأسقف ماوروس مهته طلب منه بيع قطعة رخام من كنيسة
القبر المقدس وهي مبرحة بلون جنسجي ومطابها لـ ٢٧ شبر مربع ويقيسها ال خمس
قطع مصلوبة على البابا وللكهنة وللكهنة البرتغال وللكردينال Curvial وكان
يعمل لقب Sainte-Croix En Jérusalem والامانة للكردينال D. Francesco Camerac
وقصد من ذلك أن تكون مباديا مقبلة لتسهيل مهته . انظر كذلك

— Heyd, Op. Cit., pp. 520-522.

— Lane Poole, Egypt In The Middle Ages, p. 532.

— Muir, W., The Mameluk Or Slave Dynasty, p. 191.

— Charles Roux, J. L'Isthme Et Le Canal De Suez, T.I. p. 42.

بالنظام نفسه الذي يقومون به الآن بشرط قطع الصلة مع السلطان المالكي ثم ألح السفير للسلطان أن بلاده لا تستطيع أن تنصحي عن ثلاثة قرون من العلاقات الطيبة مع مصر بهذه السهولة ، وصرح بأن الهيئة المشرفة على التجارة الخارجية عارضت مياحه الحكومة الهادئة مع السلطان ، ولكن حكومه الدوج يمز عليها أن تهجر السوق التي طالما ترددت عليه وتأمل أن يتدارك السلطان الأمر . وأضاف السفير إلى ما ذكره أنه وصل إلى البرتغال ١٤ سفينة تحمل حوالي ٥٠٠ حمل من التوابل أرسلت كلها إلى أسواق إنجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا كما يوجد بميناء لشبونة ١٢ سفينة مستعدة للرحيل عبر ١٦ رحلت فعلا للهند ونصح السلطان بأن يتخذ إجراء سريعاً جدياً فيرسل مندوبيه الدبلوماسيين إلى ولايات الهند وأمراها لينصحهم بقاطعة البرتغاليين أعداء الدين والوطن ويقرن هذا بعمل حربي يضع البرتغاليين عند حدهم وأن يصحب سفن التجارة المالكية دائماً سفناً حربية ويفرق أسواق لاسكندرية وبيروت بالتوابل النقية الجيدة بأسعار رخيصة لاغراء التجار البنادقة وغيرهم بمودتهم إلى أسواقهم ، وبذلك يكون قد عمل على تدمير مشروعات البرتغاليين في الهند ، كما نصحهم ألا يتخذ أي إجراء ضد المسيحيين والأماكن المسيحية المقدسة في بلاده لأن هذا سيثير عليه الشعور الديني في أوروبا ويكسب البرتغاليين تأييد الدول الأوروبية وعطفاً على جهودها ضد السلطان (٥٨) . وأوضح تالدي أيضاً للسلطان صعوبة كتابة حكومته للملكي قطلونيا والبرتغال والبابا حتى لا يحدث شكاً في موقف النديفة من الدول المسيحية المعادية للسلطان .

(٥٨) رسالة السفير البندقي تالدي للقاهرة تمت في ٢٤ من مايو ١٥٠٤ - انظر نص تعليمات السلاطون للسفير بالبحر رقم (٧) وكذلك :

- شارل ديول : البندالية جمهورية استغرافية من ١١٧ - ١٥١ وكذلك

- Mas Latrie, Op. Cit., pp. 259-263.

- Charles Rouz, Op. Cit., T. I. p. 45.

- Heyd, Op. Cit., pp. 521, 522, 523, 524.

- Thénard, Op. Cit., pp. XLV-XLVI ff.

وبخصوص المعونة العسكرية التي طلبها السلطان ، فيبدو أن حكومة البندقية أحطت في فهم مقاصده فاعتقدت أنه يطالبها بإرسال أسطولها إلى الهند بالطريق الجديد ليلتقي بأسطوله ويواجهها مع البرتغاليين ، وأوصحت البندقية على أساس هذا الفهم أن البرتغال تبعد حوالي ٤٠٠٠ ميل عنها ، وبالطبع ستكون المسافة أضعااف هذا بالنسبة للهند بالطريق الجديد علاوة على أن ملك قطلونيا حليف البرتغال، تقع بلاده على الطريق إلى الهند وتجاور كذلك حدود البندقية أملاك لويس الثاني عشر ملك فرنسا الذي امتولى على نابلي وهو لن يتحالف معها ضد المسيحية . إلا أن السلطان أوضح للسفير أنه يطلب فقط شحنات من الأسلحة والأخشاب إلى الاسكندرية . ثم مرض تالدي وانقطعت معادلاته مع السلطان حتى حل محله مبعوث آخر هو « برناردينو جيونا Bernardino Giova » ومع كل الجهود التي بذلتها البندقية لم يقدر لهذه المباحثات النجاح ، واعتقد البنادقة أنه لو نفذ السلطان مشورتهم بالاضافة إلى جهوده الخاصة لحسم المشكلة نهائيا (٥٩) وفي أثناء ذلك وصل الأسقف ماوروس إلى القاهرة في ٥ من مارس ١٥٠٥ وأطلع السلطان على تفاصيل رحلته وبدأ السلطان يتخذ إجراءات هامة فأزل أسطولا ضخما في السويس وجمع تكاليف الحملة من رفع أسعار التوابل وزيادة رسوم الحمارك ، وقل بعض التجار الأجانب الزيادة ورفضها قبطان « الحالي البندقي » وهو « سر بولو كاللو Ser Polo Callo » وطالب تطبيق المعاهدات المقسودة بين السلطان وبلاده ، واتهم القبطان غرصة اشغال عمال الميناء وأقلع من الاسكندرية دون استئذان السلطان المحلية حسب التعليمات وعاد

(٥٩) أصبح السفير تالدي السلطان الفوري صرف النظر عن التهديد بالغلا إجراءات عتيفة ضد المسيحيين والحجاج والإمامي القسمة ببلاده لأن هذا سيعمل عليه أوروبا ويمنع وصول التجار إلى بلاده ويلغفه رسوم الحجاج . راجع الفقرة ١٢ من الرسالة في الملحق برقم (٧) .

للبنديقية حاوي الوفاض ، وكان هذا الممسل منه في هذا الوقت الحرج ميباً في إثارة حفيظة السلطان ، فألقى القبض على القنصل الهندقي ووكلائه وقنصل الدول الأخرى ورعاياهم ، وأرسلهم مكبلين بالحديد لسجون القاهرة ومعهم راعي يعة الاسكندرية الهندقي ، وصادر السلطان أموالهم ومتاجرهم في مصر والشام ويعت بأبخس الأثمان (٦٠) . وراد من ثورة السلطان أن فرسان رودس وقراصنتهم صادروا سفناً للسلطان بعمولات ثمينة غربي مياه قبرص ، واعتقد السلطان أن البنادقة يدا في ذلك وأنهم أهملوا أو تمعدوا إهمال تنفيذ شروط الاتفاقية المبرمة معهم من عهد السلطان قايتباي والتي بموجبها تنازلت لهم مصر عن إدارة قبرص لقاء تمهدهم بحماية الجزيرة ودفع الجزية السنوية ومنع القراصنة عن مياهها . وفي ثورة الغضب أعار السلطان على مابقى من مستلكاتهم (٦١) . واتخذ إجراءات أخرى داخلية فأعلن سيطرته الكاملة واحتكاره للتجارة الشرقية وحذر من بقي من التجار الكارمية من التعامل المباشر مع الأجانب وبخاصة البنادقة واقتصرت أعمالهم على جلب التوابل والسلع من الهند ، بعد أن رأى وصوح التقارب بينهم وبين الأجانب المترددين على بلاده ، وظل الكارمية كما كانوا على عهد السلطان قايتباي مجرد موظفين لدى السلطان بالمرتب والممولة ، وفي الوقت نفسه رفع بعض تجاره من القائمين ببيع التوابل السلطانية للمركز الذي كان للكارمية من قبل رغم قلة خبرتهم في التجارة الشرقية مما أدى الى تردد الشكوى من سوء تصرفهم . وتضاءلت شخصية التاجر الكارمي الدولية حتى أصبح تاجراً عادياً (٦٢) .

— Thevenud, Op. Cit., I. pp. XLVII, XLIX.

(٦٠)

لكثرة ما آمن الإسرى ملك القنصل والقى واحد كبار التجار وهو التاجر
Ser Alvise Bragadino . بالطامون والأمراني الأخرى .

مراج : المسالك والفرنج ص ١٣٦

— Thevenud, Ibid, I. p. LX.

(٦١)

(٦٢) انظر طوائف التجار في الفصل الخامس وما كتب عن الكارمية .

— Heyd, Op. Cit., pp. 519-520.

ومع هذه الاحتياطات الشديدة وتحذيرات السلطان فإن هذا الاجراء الاحتكاري لم يمنع توثيق الصلة بين التجار الكارمية والأجانب مرا والتعاون على تهريب البضائع أحيانا - ولما اشتعلت المراقبة عليهم هجروا مصر وتركزوا في الحجاز والبحر الأحمر ومارسوا تحسرة متواضعة سببا في مواسم الحج ، كما هجر عدد من الجاليات التجارية الأجنبية مصر والشام الى لشبونة (٦٣) .

وبدا للبندقية هذا الموقف من أسوأ ما واجهته في حياتها التجارية بشرق البحر المتوسط . ومع هذا لم تياس من اصلاح الحال ، ورأى السائرون اعادة العلاقات الى حالتها الطبيعية يحتاج لسفارة جديدة يرأسها مندوب فوق العادة من السائرون نفسه تكون له الخبرة الكاملة بمجريات الحوادث على أن تعطى له كل الصلاحيات اللازمة لعقد اتفاق مفيد واختير لهذه البعثة السائور « الفير ساجاندينو Alvise Sagandino » لخبرته بشئون الشرق . ووصل السفير في صيف ١٥٠٥ وعرض على السلطان آخر تطورات الموقف في أوروبا وفي الهند واستمر منه عما اذا كان بإمكانه القيام بعمل ايجابي للمحافظة على مصالح البنادقة في بلاده ولم يتم السفير سفارته لموته المفاجيء . (٦٤)

ولم يكن الخوري في حاجة لمن يعرفه بمدى التدهور الذي بلغه الموقف في الهند وخسائره التجارية وفشل خطته لافساد العلاقات التي نشأت بين البرتغاليين وأمراء كافانور وكوشين ومراكز انتاج البهار ،

— Thénard, Op. Cit., T.I pp. XLVII, XLVIII.

(٦٣)

— Heyd, Op. Cit., pp. 520, 521.

(٦٤) يضح فقا ان اتصاله من مدى ما ترمى اليه البندقية من العاصيا في كل عام الاجراءات . . . ألم يكن بإمكانها إلغاء اتفاقياتها مع مصر وتوجيه سفنها الى الهندية للحصول من ما تريد من التوابل . وتنظيم رحلات لها بشرط البرتغاليين الى الهند ؟ الواقع أن الطريق البحري حول افريقية كان طريقا بالنسبة للبرتغاليين وبالطبع الطريق بالبرية للبندقية ، كما أن البنادقة رفضوا كبحر أن يكونوا تابعين تلك البرتغالية بعد أن كانوا دولة من الدرجة الأولى لذلك فضلوا اسواق مصر - راجع -

— Heyd, Ibid ; p. 524.

وتدمير البرتغاليين المستمر لأساطيله التجارية وأساطيل الأمراء الهنود الموالين له وبخاصة في قاليقوط ، وترصدهم لسفنه عند مدخل البحر الأحمر ، وفي الوقت نفسه قلة التوابل بصورة مزعجة في أسواق مصر وسوريا وزيادتها الهائلة في أسواق لشبونة ، مما أزعج تماما هيئة التجار والسنانو البندقى وبخاصة لما وصلتهم التوابل والسلع الشرقية من لشبونة حتى بلادهم بأسعار معتدلة ، كما وصلت أنباء عن تدعيم البرتغال لأسطولها في الهند بسفن حربية للحماية وتأكيد السيطرة والاحتكار وامساح كل تدبير للسلطان بل علم أن البرتغال قررت أن يرافق أسطولها التجارى سفنا حربية اعتارا من عام ١٥٠٦ وسعت السلطات البرتغالية للسفن الفلورنسية والجنوية والألمانية بصحابة الرحلة على أن يكون ما تشتريه لحسابها بأشراف البرتغاليين ويخصص منه ثلثا العمولة - وذلك نكايه في البنادقة . ويقدر ما كان هذا العمل توسعا في تجارة البرتغاليين والهنود فانه لا شك كان انتكاسا شديدا لتجارة الماليك والبنادقة (١٤) .

الا أن النورى لم يدع مصالحه تنهار بهذه السهولة ورأى أن الأمر يحتاج لعملة حربية الى مياه الهند وقرر ارسال بعثة الى الهند للمفاوضة في طلب المعونة العسكرية من أخشاب وسلاح واعادة التجارة الى ما كانت عليه لا سيما وأن ايراداه انخفضت بصورة مزعجة ، وأسند هذه السفارة الى ترحماته الخاص تفرى بردى وسامر المبعوث السلطاني في ٥ من مارس ١٥٠٥ على احدى سفن المدة البندقية الى قبرص ومعه أعضاء سفارته وبقي بها حتى وصلته تصريح مرور الى رودس ليفاوض مقدم استبارتها «أمايرى دامبواز Ameiry D'Amboise»

(١٤) سمح البرتغال لبعض تجار فلورنسا وجنوة والألمان بصحابة احدى رحلاتها للتأكد من مقدراتها على أن يستلوا للبرتغاليين ثلثي ما يشترونه بالاسعار العادية راجع ٦

— Theoud, Op. Cit., T. I. p. 11.

في شأن السفن المأسورة والمصادرة بواسطة فرسانه شرقى البحر المتوسط وعربى قبرص . و انتهى تغرى بردى من مهمته بسهولة وحمله مقدم الاستتارية هدايا للسلطان وأوصله بنفسه للسفينة التي أقرته للبندقية وبالرغم من عدم الشعور بالارتياح في البندقية لشخصية السفير الترجمان تغرى بردى فان المساتور اضطر أن يحفى هذا الشعور للصفة الرسمية التي للمندوب السلطاني ، بل ان المساتور تحمل ثقافات الرحلة اكراما للسلطان . وفي المعاهدات طلب السفير السلطاني معونة عسكرية لمواجهة الموقف في الهند ، كما طالب بعودة تجار البندقية لموانئ مصر والشام . أما البندقية فان طلباتها تلحقت في تسهيل مهمة تجارها في موانئ مصر والشام وأسواقهما ، وفك أسر المسجونين منهم ، وتعدد سعر التوابل الشريفة ، ورفع القيود على السوق الحرة وتخفيض الجمارك وفي الحق أن البندقية لم تشأ أن تعطى رأيها بصراحة في طلبات السلطان ، كما أن تغرى بردى لم يوافق على طلباتها بسرعة واقترح ارسال خاصكيا من عنده للقاهرة بسرعة لعرض الموقف وطلبات البندقية ورأيها على السلطان . ووافقت البندقية ، وحصلت الخاصكي السلطاني وعدا سريا برغبتها في المساعدة الحرة ، بل انها ستعمل على ذلك بكل طاقاتها سرا حتى لا تثير عليها وعلى السلطان الدول الأوروبية المسيحية ، وفي الوقت نفسه طلب تغرى بردى أن يبلغ سيده جهازا بأن يتوجه بطلباته من السلاح والسفن الى السلطان العثماني بإيزيد الثاني . ويبدو أن السلطان الفوري كان في موقف دقيق فعلا فقبل شروط البندقية وأقرها على مطالها . وما لبثت أن وصلت سفن المدة التابعة لهم الى الموانئ السلطانية ، وفي الوقت نفسه أتقذ رسله الى السلطان بإيزيد الثاني لطلب السلاح (٦٦) إلا أن الآمال لم تتحقق وفق ما يرجوه

(٦٦) راجع للملحق برقم (٨) من ملاحظات المساتور بخصوص سفارة تغرى بردى ١٥٠٦ ورقم (٩) بشأن المباحثات بين تغرى بردى وحكومة البندقية وما اتفق عليه في هذا الموضوع . راجع كذلك :

الطرفان لاستمرار اعتداء البرتغاليين على معن التوابل المالية في الهند ، واستأنف تغري بردي رحلته الى روما وأوروبا في يوليو ١٥٠٧ دون أن يحقق عرضا ايجابيا سوى اسماع صوت سيده السلطان للمستولين في روما وأوروبا . وقد عزا تغري بردي فشل مهمته الى موقف البنادقة المائع من طلبات السلطان مما جعله يوعر صدر سيده عليهم فيتخذ هذا اجراءات أشد عنفا ثم لا يلبث تغري بردي أن يتصل بهم في سجونهم ويعرض عليهم الحرية والحياة الكريمة اذا ما حضروا حكومة الدوج على اعطاء السلطان طلباته من السلاح والسفن . وبرغم كل ما قيل وما جاء على لسان تغري بردي وحكومة الدوج فان الوثائق لا تشير بصراحة عن طبيعة المعونة المطلوبة : أهى مال .. أم سلاح .. أم سفن أم كل أولئك معا .. وهل وعده البندقية بالمساعدة السرية كان وعدا صادقا أم مسايرة للظروف .. والواقع أن توالي الأحداث بعد ذلك أكد تهرب البندقية من تنفيذ وعدها للسلطان متعلقة بعرج مركزها أمام العالم المسيحي (٣) .

وإذا كانت العلاقات المالية البندقية قد استغرقت معظم سنى حكم السلطان الفورى الا أنه لم يبخل رعاية غيرهم من التجار الأجانب وخاصة من الفلورنسين . ففي زحمة المشكلات التى اقترنت باتساع نشاط البرتغاليين فى الهند ومحاولتهم تدمير تجارة السلطان ، وفى

— ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٢٦ (طبعة كالة)

— Heyd, Op. Cit., p. 525.

— Depping, Op. Cit., p. 270.

— Thénoud, Op. Cit., T.I. p. LII.

وكانت البندقية قد أرسلت سفارة للسلطان الفورى بشأن نصيحته له بطلب السلاح من بايزيد الثانى المسمى والأشهب من خليج ايبس وبالفعل أرسل السلطان الى ادرلة سفيرا من لدته يوضح الموقف للسلطان العثماني .

دراج : الممالك والفرنج ص ١٢٠ و ١٢١ .

(٦٧) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٩١ - ١٢٠ .

— Thénoud, Op. Cit., pp. L-LI.

— Heyd, Op. Cit., p. 493.

المستقرات والبعثات الدبلوماسية لبحث هذه المشكلة وصل الى القاهرة عام ١٥٠٦ مبعوثا فلورنسيا لحية السلطان وللحصول على تأكيدات لمواطنيه التجار من مصالح وامتيازات في بلاد السلطان المالكي . وكانت حكومة فلورنسا قد قلقت لقلّة ما بأسواق السلطان من توابل وارتفاع أسعارها وما اتخذ السلطان من اجراءات تعصية ضد التجار الأجانب ، وأقلقها كذلك كثرة السفارات المتبادلة بين مصر والبندقية وخشيت أن يكون في الأمر ما يصر بمصالحها في مصر والشام فقدت اتفاقية في ١٢ من ابريل ١٥٠٦ أكد فيها المورى رعاية حكومته لتجار فلورنسا وتأكيد ما لهم من حقوق وامتيازات ، وطلب من السفير أن يبلغ حكومته اهتمام السلطان بوصول التوابل والسلع الشرقية بصورة دائمة لبلادهم وأنه لا صحة لما يشاع عن قصور تحاره عن جلب السلع الشرقية من الهند . ثم أصدر له السلطان مرسوما شريفا موجها الى « كل واقف عليه وناظر اليه من الجنایات العالية والمخالس السامية، النوابه والحجاب ، والمباشرين ، والنظار ، والمتكلمين ، وأرباب الادراك ؛ وأصحاب الوظائف بالشر الاسكندري المحروس وغيره من الثعور الاسلامية والسواحل بممالكنا الشريفة .. بالأمان والاطمئنان لطائفة المرتين ورعاية مصالحهم ومصالح تجارهم » . — كما تضمن الخطاب تعليمات السلطان لعماله في حالة موت أحد تجار الفلورسنيين أو انكسار احدى سفنهم وحماية ملكياتهم الخاصة هذا مع اقرار كل ما منح لهم من امتيازات نالوها في المعاهدات السابقة من عهد السلطان اينال والسلطان قايتباي ، وبخاصة المعاهدة الشاملة التي عقدها السلطان قايتباي مع سفيرهم « دلا ستوفا Della Stufa » عام ١٤٨٩ (أصبح قنصلهم هو الشخص ، المسئول رسميا عن طاعتهم وفي المعاهدات كرر السلطان في الشائعات التي يرويها أعداءه اليرغاليين عن الهيار

تجارته في الهند^(٦٨) . والواقع أن تجار فلورنسا لقوا رعاية خاصة في بلاد السلطان لبعدهم عن المشكلات العامة والخاصة وعدم اعتراضهم على تعليمات حكومة السلطان . ولم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بين البلدين حتى أن السلطان كلف مبعوثه تفرى بردي بأن يعسج على فلورنسا بعد انتهاء مهمته في البندقية وحمله لحاكمها الهدايا والتحيات ومشروع اتفاقية جديدة بامتيازات أوسع في مصر والشام . وقد وجه حاكم فلورنسا خطاب شكر للسلطان العسوري على هداياه ومجته لتجارها^(٦٩) . وحمل تفرى بردي خطاب الشكر للسلطان الذي أعد مرسوما آخر لعماله بمراعاة طائفة الفلورنسيين في بلاده وألا يؤخذ أحد بجزيرة خطأ ارتكبه آخر ، وألا يمس أحد منهم مصالحهم بسوء^(٧٠) ، ومع أنه لم يحدث ما يعكر الصفو بين الفلورنسيين والسلطان العسوري في تلك الفترة فإله عدد حدوث أي نزاع بين السلطان والتجار الأجانب في بلاده كان غضب السلطان يجمع الكل بما في ذلك الفلورنسيين أنفسهم فيخضعون لشتى أنواع الضغوط والمصادرة لسلعهم وأموالهم

(٦٨) داب الفلورنسيون على زيادة مصالحهم ومراعاة علا الاتصال بالسلطان المماليكي فكانت القاهرة تستقبل كل عام سفيرا فلورنسيا لتأييد الصداقة وتجديد الامتيازات (الممنوحة لتجارهم)

— Zadeh, Op. Cit. p. 246.

والبحر الملحق رقم (٢٥) والاتفاقية بتاريخ ٨ ذو القعدة ٩١١ هـ / ١٢ من إبريل ١٥٠٦ أما الاتفاقية التي ذكرها السلطان العسوري من عهد السلطان قايتباي فهي بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ٨٩٤ هـ / ١٨ من نوفمبر ١٤٨٩ ومنشورة بالملحق رقم (٢٠) و (٢١) وهي من أهم الاتفاقيات لواخر القرن ١٥ م .

— Amari, Op. Cit., pp. 215 ff

— Amari, Ibid, pp. 181-272-273.

(٦٩) خطاب حاكم فلورنسا للسلطان العسوري لشكره على الهدية المرسلة مع الترجمان

تفرى بردي عام ١٥٠٧ منشورة بالملحق رقم (٢٦) انظر كذلك

— Amari, Ibid, p. XLIX.

(٧٠) خطاب ومرسوم السلطان العسوري الذي حمله تفرى بردي لفلورنسا منشور

بالملحق رقم ٢٧ وفيه يؤكد السلطان للحاكم تأمين مصالح وعياله في مصر والشام ويوجه نداء للتجار الفلورنسيين لارتداد حوائج بلاده للتجارة وكذلك صورة الأمر الذي أصدره لصالح مواجبه لمراجعات هذه الطائفة . انظر كذلك

— Amari, Ibid ; pp. XVII-218-220.

بالرغم من قلة عددهم (٧١) على أنه بعد هذه الاتفاقيات راحت وكالاتهم التجارية وسمح لهم بإشياء فروع لقنصلياتهم العامة في مصر والشام ومبارك عملياتهم التجارية على نمق ما هو معمول به في فلورنسا نفسها وسمح العوري باتحاد عملتهم الذهبية العرتى عملة رسمية في مصر والشام (٧٢) .

الا أن الموقف أحد يدهور بسرعة زائدة ، فلدى عودة الترحيل تعرى بردى من رحلته الى أوروبا قدم للسلطان تقريراً وافياً ولم ينتظر السلطان أن تفي البندقية بوعودها الحرية بل أرسل أسطولاً حربيًا في ميناء الطور وجعل عليه الأمير « حسين كرى » بعد أن زوده بالأسلحة والعتاد، وكان قد تحالف مع أمراء الهند وبخاصة أمراء جوجيرات لوضع حد لتصرفات البرتغاليين في مياه الهند . وتجمعت وحدات الأسطول المالىكى المكون من خمسين سفينة في ميناء حدة ، ثم واصل السير الى سورات في مقاطعة جوجيرات عام ١٥٠٧ حيث انضم اليه الأسطول المتحالف من الهنود ، وفاجأ أسطول البرتغاليين بقيادة الميديا الصغير وأوقعه الهزيمة عند شول « Chaul » عام ١٥٠٨ وقتل القائد البرتغالى في المعركة (٧٣) ولدى وصول أناء هذه الهزيمة الى أوروبا أثير موضوع

— Heyd, Op. Cit., p. 490.

(٧١)

— Ameri, Op. Cit., p. 75.

(٧٢) يرجع ارتفاع تجارة فلورنسا منذ النصف الثاني من القرن ١٥ الى مالتها المستقرة التي ارتكزت على اقلية صربية راقية كانت تحول بوجها المسلمين التجارية الى الشرق والغرب ومن أهم مصارفهم وبيوتانهم التجارية والمالية بيت آل ميديشى وآل Pazzi وآل Capponi وآل Corsini وآل Falconeris راجع .

— Heyd, Op. Cit., pp. 483, 484.

— Depping, Op. Cit., pp. 232, 237.

— Clava, Op. Cit., p. 99.

(٧٣) دراج : للمالكي والفرنج : ص ١٢٧ .

ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٠ - ١١٢ (ج ١) حوادث الحرم وشمال

٩١١ هـ انظر كذلك :

— Heyd, Op. Cit., p. 536.

— Lane Poole, Egypt, p. 352.

— Lane Poole, Medieval India Under Mohammedan Rule pp. 176, 177.

— Cattani, Joseph, Coup D'Oeil Sur La Chronologie De La Nation Egyptienne, p. 303.

مساعدة البنادقة للسلطان المالكي بالسلاح والمال والأحشاب وكان ملك البرتغال من أكثر المتحمسين لاتهام البندقية ، اد ووصلته أباء متصارية عن شحن البنادقة لسفنتي بالمدايق لتكونا تحت تصرف السلطان الفوري في صراعه مع البرتغاليين في الهند وأرسل الملك البرتغالي عمانويل احتجاجا شديدا وتهديدا للبندقية لمعاونتها أعداء المسيحية وأعداء البرتغال (٧٤) .

واقف الأمر أن البنادقة كان يسرهم فعلا مساعدة السلطان لوقف نشاط البرتغاليين في المياه الشرقية ، وتمنوا لو أنه استجاب لدعوتهم في السنوات الأولى لوجود البرتغاليين في الهند ، حيث كان بالإمكان القضاء على قواتهم بسهولة . ولكن مطاظة السلطان وانصرافه الى الاحتجاج السلمى والبعثات الدبلوماسية لدى ملوك وأمراء أوروبا وبأبنا روما جعل البنادقة يشعرون بحيرة أمل ويحجمون عن المساعدة الحربية . واستندوا في ذلك الى حرج موقفهم أمام العالم المسيحي . والثابت فعلا أن البنادقة لم يكن لهم ضلع في حملات السلطان ضد البرتغاليين في الهند ، بل انهم في هذه الفترة كانوا في شغل شاغل بمؤتمرات حلف كامبرى . ومع نجاح العمليات الحربية المالكية في مياه الهند الا أن سفنهم التجارية لم تعد تمارس نشاطها السابق ، وذلك لتجمع سفن الأسطول البرتغالى عند مدخل البحر الأحمر وفي الهند وترصدها السفن المالكية . وفي الوقت نفسه أحجم التجار الأجانب عن الوصول لمصر والشام بعد هزيمة شول ١٥٠٨ حتى لا يتهموا في العالم المسيحي بمساعدة السلطان ماديا ضد البرتغال ، وأدى ذلك الى نقص

(٧٤) أرسلت البرتغال احتجاجا الذي وصل الى البندقية عام ١٥٠٩ كما وصل احتجاج ملك فرنسا عام ١٥١٠ واتهما البندقية بتدبير هزيمة البرتغاليين وقتل قائده أسطولهم في مياه الهند . واستندت البندقية على هذا الاحتجاج في تبرئة نفسها من حوادث فرسان رودري والسلطان التي تمت ذلك وأبلغت السلطان أن مفرصا المشترك حوالا لفرنسيون مدبرو هذه الحوادث - راجع

Hezel, Op. Cit., p. 536.

واضح في التوايل ، وفي المبيعات ، وفي الجمارك فلجأ السلطان الى تسهيلات واعفاءات أكثر ، وبخاصة طائفة التلورثسين . ففي عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م أصدر مرسوماً بالترخيص لهم بدخول جميع موانئ بما في ذلك موانئ البرلس ودمياط ورشيد ، وكان هذا الأخير لا يزال حتى ذلك الوقت محظوراً الدخول فيه على جميع الأجانب لصفتهم الحرية (٧٥) ومحمهم كذلك حمايته ورعايته « ... فلا يعترض عليكم أحد ، ولا يزعجكم أحد .. ولا يطالبونكم بأى شيء لائى سبب فى الحال والاستقبال (٧٦) » وفي الهند بعد هزيمة البرتغاليين عام ١٥٠٨ م أقسم « فرنسيسكو دالميديا Francesco D'almedia » الكبير أن ينتقم انتقاماً شديداً فانتهر فرصة لجوء الأسطول المالكي والأسطول المنهك معه من أمراء الهند الى جزيرة ديو للتموين والاصلاح ، وفاجأ وأوقع به الهزيمة فى معركة رهيبة فى ٣ من فبراير ١٥٠٩ م دمر فيها معظم السفن المالكية والهندية ، واستحب الأمير حسين كردى بعد ذلك الى جدة (٧٧) أما السلطان النورى فقد هزته الهزيمة ورأى أن احتياطيه من الأموال والسلاح يتناقص بالتدريج ، فى الوقت الذى تزداد فيه قوة البرتغاليين فى الهند وتتسع أملاكهم وتنشط نشاطهم . وكرر طلب السلاح من السلطان بايزيد الثانى العثمانى الذى وعد بارسال مطلوبه هدية لانقاذ

(٧٥) المبدأ رشيد صفة حرية عند عهد الأيوبيين . وكان منع وصول الأجانب اليه للملك الذى كان يحيط بهم دائماً من محاولات غزو مصر من الشمال تم بطريق النيل . راجع كذلك فصل الطرق والمطارات التجارية وكذلك :

— Heyd, Op. Cit., p. 428.

(٧٦) بالمحقق رقم (٢٨) مرسوم السلطان النورى بتاريخ اكتوبر ١٥٠٨ / ١١٤ هـ بعد عودة الساجر تفرى بردى الى القاهرة وفيه يؤكد امتيازات السلطان للتلورثسين فى بلاده وأمر لسانه بمراعاة مصالحهم . راجع :

— Amari, Op. Cit., p. L. & p. 388.

(٧٧) سبيد ماثور : النصر للمالكي فى مصر والقيام من ١٧٨ - ١٧٩

• راجع : المليك والملاح من ١٧٧ - ١٧٨

— Heyd, Op. Cit., p. 536.

— Depping, Op. Cit., p. 269.

— Lane Poole, Med. India, pp. 176, 177.

— George Darter, A Hist. Of India, Vol. I. p. 152.

الأملاك الإسلامية المقدسة ، إذ اعتقد كلاهما أن البرتغاليين لن يهدأ لهم بال حتى يصلوا إلى مكة والمدينة . ووصلت السفن المالكية إلى ميناء الاسكندرية لتحصيل المعونة التركية (٧٨) وفي نفس الوقت قبض السلطان على عدد كبير من تجار البندقية وأرسلهم إلى سجون القاهرة وأوصى الحراس بأن يوحوا إليهم بأن حريتهم مرهونة بدعوة جمهوريتهم لمساعدة السلطان حرييا في الهند . ولما بلغ البندقية ما حدث أرسلت تبدي استعدادها لمعونة السلطان حرييا ، بل ومد اليهود كذلك بالسلاح لطرد البرتغاليين ، ولكن موقعها الحرج في العالم المسيحي يمنعهما الآن من تقديم هذه المعونة سرا أو علنا (٧٩) .

أما باقي الجمهوريات والمدن الإيطالية فكان لأبناء هزيمة ديسو ١٥٠٩ أثره السيء فيها ، ففي فلورنسا بدأ القلق واضحا على مصالحها وأسرعت بإرسال سفارة إلى القاهرة يرأسها « برناردو بيروشوا Bernardo Pirochowa » ، ووافق السلطان على كل طلباته ومنح تجاره موسما تجاريا بالاسكندرية وقنصلية دائمة بها ، وأمر بحاله ببراءة هذه الطائفة ، وضمن ذلك اتفاقية بتاريخ ٩ يوليو ١٥٠٩ ، وهي لا تخرج عما سبق أن عقد في السنوات السابقة (٨٠) .

— Theopold, Op. Cit. p. LIV.

(٧٨)

يذكر ابن أبياس ج ٤ أن البندقة نصحو السلطان الفوري بطلب السلاح من السلطان بايزيد العثماني ويذكرها في حوادث رجب ٩١٦ هـ ٥ ٠٠ ولقد حضر يونس المائل وكان السلطان له أرسل إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له أعضايا وحديد وبارودا ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد المبلغ الذي كان مع يونس المائل وقال له إنما أجهز من عندي وردمالة للسلطان فحضره فيها بعد ٠٠ ٠

ابن أبياس ١ نتائج الزحف ج ٤ ص ١٩٦ (طبعة محمد مصطفى) .

— Heyd, Op. Cit. p. 337.

(٧٩)

(٨٠) الواقع أنه في فترة حكم الفوري لم يسل من التجار الأجانب مثل ما سطر ٤ تجار فلورنسا من رعاية . فلم تقطع سبلهم مدة طويلة مثل ما حدث للبندقة وتجارهم وكذلك لفرنسا وقطالونيا . بل أنه من دولهم فتح فلورنسا أن البندقية استخلصت سبلها في كثير من الأحيان لنقل متاجرها من شرق البحر المتوسط .

وهي أثناء ذلك حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد وصلت الى الاسكندرية خمس سفن فرنسية محملة بأثواب الحرير والصوف والسلع الأوربية الأخرى ، وبعد أن انتهى التجار من بيع ما معهم من سلع أقفلت السفن عائدة وعلى ظهرها بعض المقارنة وأسرههم وأمتعتهم في طريقهم الى بلادهم ، فترصد لها فرسان رودس عند « كاسل روسو Castle Rossou » وأسروها واقتادوها الى الجزيرة وجردوها من حمولتها وأسروا ركابها ثم أطلقوا سراح السفن وبطارتها الفرنسيين لتواصل السير لفرنسا . وكان من جيلة ما غنمه الفرسان ما يساوي اربعمائة ألف فوكات (٨١) ولما بلغ السلطان المغوري ذلك اعتقد أن قباطة السفن الفرنسية دبروا هذه المؤامرة بالاتفاق مع الفرسان وأعطوهم مواعيد العودة من الاسكندرية . وفي ثورة العصب قبض السلطان على « فيليب ده بيريتاس Philip De Peretas » قنصل فرنسا الذي يمثل قطالونيا كذلك ، وأمر بالقبض على جميع رعايا فرنسا ووضعهم في سجون القاهرة ومصادرة أموالهم وأملاكهم . واقتربت هذه الاحداث باشاعة عن خيانة ترجمانه تغرى بردى واشترائه في المؤامرة مع الفرسان فقبض عليه السلطان وسجنه بعد أن جرده من ألقابه ومماليكه ، وأحل

= ال أوروبا في فترة انقطاع العلاقات البندولية المماليكية بواخر عهد المغوري ، وذلك للاجرام والحماية اللذين حظتهما فلورنسا وجنارها في مصر والقسم .

راجع ا

— Heyd, Ibid, p. 484.

— Depping, Op. Cit., pp. 236, 237.

— Thémard, Op. Cit., p. LV, LVI.

(٨١)

درج المماليك والفرنج من ١٤٦ - ١٤٧ .

عاجم فرسان رودس السفن الفرنسية المائتة من الاسكندرية انتقاما لما فعله المماليك

في مارس ١٥٠٩ عندما عاجم الفرنج ميناء الطينة شرق دمياط . لا أسروا سبعة لهم رمي

عليها ولوسلوهم الى القاهرة . انظر كذلك

ابن اياس : مناقب الزهور ج ٢ ص ١٤٦ .

محطه الترجمان يونس ، وهو مملوك أوربي اعتنق الاسلام (٨٢) . ولم يكديمرغ السلطان من هذه الاجراءات حتى فوجيء بكارثة أشد وأنكى؛ فلدى عودة سفن السلاح الثماني عشرة، والمرسلة من السلطان بإيريد الثاني العثماني من الاسكندرونة الى مصر، أحاطت بها سفن الفرسان ودارت بين الطرفين في ١٠ من أغسطس ١٥١٠ معركة غير متكافئة ، استغرقت عدة ساعات غرقت فيها بعض السفن المصرية، وأسر الفرسان البعض الآخر وتاهت سفينتان في العاصفة ولم يصل للاسكندرية سوى ست سفن خاوية (٨٣). وكانت هذه الكارثة تفوق طاقة السلطان القوي،

— Thénau, Ibid, p. LVI

(٨٢)

— Heyd, Op. Cit., p. 537, 538.

— كما ان علم السلطان لواطل نفري بردي كبير التراجمة السلطانية مع الفرج وانه كانهم بأحوال الملكة من عجز السلطان على تجهيز حملة بحرية وحطو السراجل من انحصانات الحربية . فامر بالتبض عليه والترسيم على بيته واماؤه . .

ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٦١ (٣٤٦) حوادث المحرم ١١ هـ / ١١٧ هـ / ابريل ١٥١١ تم حل محله أواخر المحرم ٩٢٠ هـ الترجمان يونس وهو مملوك اجنبي كان من Verona واعتنق الاسلام وتسمى باسم يونس .
 راجع : الشالوك والفرج ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٨٣) تحصل مصر على حاجتها من الأعشاب اللازمة لبناء السفن من آسيا الصغرى وتصور لها من طريق ميناء الاسكندرونة ، ولما علم الفرسان بذلك ارسلوا سفنها في ١٠ من أغسطس ١٥١٠ ومادروا قنصلها لصالحهم ، وقام بهذا العمل قائد أسطولهم المسمر André Di Amarel ، وهو برتغالي الأصل . بعد أن تأكد من أن هذه السفينة من السلاح والغلبة مينة للحرب ضد البرتغاليين .

راجع

— Heyd, Op. Cit., pp. 537-539.

— Depping, Op. Cit., p. 270.

— Thénau, Op. Cit., p. LIV

— Darnes, The Book Of Duarte Barbosa, Vol. I. p. 133 — R.I.

ابن اياس بدائع الزهور ج ٤ ص ١٢٨ حوادث رجب ٩١٣ هـ وكذلك ج ٤ ص ٢٠١ حوادث شوال ٩١٦ هـ حيث ذكر .

وليه وصلت عدة مراكب من عند ابن عثمان ملك الروم، وفيها زرع طانة للسلطان، فوصلت اؤ، يولاقي عند الرصيف ، وخرجوا يحولون ما فيها الى القلعة ، فكان من حملة ذلك مكاسل مسيليات المدة للامثلة ونشاب ثلاثي ألف سهم ، وبارود اربعون قنطارا ومقلاذيق خشب . . . وسلب وجبال حراسي جديد وغير ذلك مما تحتاج اليه المراكب . فشكره السلطان .

فأمر بالتحفظ على جميع السفن الأجنبية في موانئ مصر والشام،
وتكفل بالأجانب في بلاده ، وخاصة البنادقة ، لظنه أنهم وشوا بأمر هذه
السفن للعرسان ، وأرسلهم إلى سجون القاهرة بعد أن صادر أموالهم
وأملأهم ، وطرد رجال الدين من أديرتهم ، وأجبر مطران دير جبل
صهيون على دفع غرامة قدرها أربعة آلاف دوكات قورا ، وصادر الحلى
والأواني المستعملة في الطقوس الدينية في الكنائس ، واشترط لردّها
أن تدفع عنها غرامة قدرها خمسة آلاف دوكات وفى الشام قاسى
البنادقة نفس المصير وأغلقت خاناتهم وفنادقهم وقبض على تجارهم
وقناصلهم (٨١) .

، ويبدو أن الظروف كلها كانت تقف موقفا العداء من البنادقة ،
ففى مايو ١٥١١ قبض حاكم مدينة البيرة على الفران، على قبرص من
فماجوستا يدعى « نيقولين سورير » يرافقه فارس ويحملان خطابا
من الشاه الصفوى موحيا الى دوج البندقية وقنصلها فى دمشق
« توماسو كوتاريسى » وخطابا آخر الى قنصلها فى الاسكندرية « بيترو
زين » . وكان الرجلان - بمساعدة قناصل البندقية فى مصر والشام -

== على ذلك ، وكان السلطان قد أرسل مالا على يد يرسى الملقب ال بلاد ابن عثمان لفرار
الاحتياط والمحاسن والحدود . . فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهر ما ذكرناه من
مبدء لفتنة للسلطان .

— Heyd. Op. Cit., pp. 538-539 & 540.

(٨١)

— Depping, Op. Cit., p. 329.

— Charles Roux, Op. Cit., Vol. I, p. ٤٠.

يتجنى المؤرخون الأجانب على إجراءات السلطات المالية ضد التجار الأجانب عقب
حوادث تهجم دولهم وفراستهم على مصالح العرب ويظهرون السلاطين بالاعتداء على الكنائس
والأماكن المقدسة المسيحية والواقع أن هذه الإجراءات تكشف بالصفة المالية البضة ، لخص
تأخذ شكل تمويلات لفخائل التي تصيب المالية . ولعل أبلغ رد على هذا التجنى
ما فعله من رعاية السلاطين حتى الفروى بسمير كنائس بيت المقدس ودير جبل صهيون ،
بل وتزايد اعتماد القبط والمهاجر الأجانب فى نظم الأحيان .

مراجع : المالية والتمويل من ١٤٢ و ١٤٤ .

ابن ايلس : بفتح الزحور ج ٤ طبعة كلية من ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠٦ .

راشد البرادى : حالة مصر الاقتصادية من ٢٢٥ عن ثلاث القراصة فى البحر المتوسط .

فقد استطاعا تهريب رسائل من دوج البندقية الى شاه فارس ، وفي عودتهما حملا الرد ، ولكن شاه سوء حظهما أنه يقعا في يد السلطات الممايكية (٨٥) وأرسلا الى حاكم حلب خاير بك ، ومن ثم الى القاهرة بتقرير من الحاكم الى السلطان أبان فيه خطورة ما قام به الرجلان والفاصل ، وخاصة أن الحرب بين الصفويين الشيعيين والعثمانيين السنيين كانت وشيكة الوقوع ، وأملك السلطان النجاشي في شمال الشام تقع بين القوتين المتصارعتين ، وهو لا يريد أن يجرح نفسه الى مثل هذه المتاعب . وكان هذا العمل من البنادقة محكما لاثارة السلطان النجاشي ، بالإضافة الى الحادثتين السابقتين ، واعتبر السلطان أن عمل القنصلين خيانة عظمى موجهة لشخصه وبلاده . ووصل المتهمون للقاهرة حيث استجوبوا دون نتيجة هامة ثم ألقوا في السجن (٨٦) وكان لهذه الأنباء أسوأ الأثر في البندقية ومستمراتها ، وكان لابد من اتخاذ اجراء سريع لاعادة العلاقات واطلاق سراح الأسرى ، ولكنها كانت حتى ذلك الوقت في شغل شاغل بمشكلات اتحاد كامبري Cambri ، كما أن

(٨٥) كان القنصل Pietro Zen سفيراً لبندقية في تبريز قبل أن يمثل بلاده في بلاط السلطان المماليكي لما Contarini فهو وأسره كانوا على علاقة ودية مع لاورون حسن التركاني فقد كان قريبهم Ambroise Contarini سفيراً لبندقية في بلاط التركان في تبريز عام ١٤٨٧ .

— Theonard, Op. Cit., T. II, p. LXIII.

وكلا Desoyard اميراطور طرابزون قد زوج ابنته Despine لاورون حسن وتزوجت بنته الثلاث الأخيرة من قبرص والبندقية .

... Heyd, Op. Cit., p. 539.

— Theonard, Op. Cit., T. II, pp. LXIII — LXIV

(٨٦) ترجع خطورة هذا الحادث الذي أثار مغلوب السلطان الى صلة القنصلين فارس والشاه اسماعيل الصفوي « راجع ملاحظة ٨٥ » وحالة صلة بيشرودين بحسن الطويل الذي يمتد نسب الشاه اسماعيل الصفوي اليه . وكان الخلاف قد بدأ واضحاً بين المماليك والصفويين منذ عهد السلطان النجاشي الذي قطع أملكه في الشمال بين القوتين المتصارعتين العثمانيين والصفويين . والسلطان النجاشي لا يرغب في القيام لنفسه في خلافاتهما . انظر دراج : المماليك والفرنج ص ١٤٥ .

— Heyd, Op. Cit., p. 539.

— Theonard, Op. Cit., T. II pp. LXIII, LXIV

لها هي بلاط مصر أعداء ألداء لم يهملوا الفرصة للإيقاع بينها وبين السلطان .

- ومن خلال المشكلات العديدة التي واجهت السلطان العسوري أبدى بعد نظر وتفهم للمشكلة، فقد وجد أن الفرسان هم أعداؤه فعلا، والماوثون في شرق البحر المتوسط ، وأن بامتطاعتهم التعرض لكل معونة عسكرية ترسلها له تركيا أو البندقية . فرغب في تصفية المشكلات معهم ، ورأى أن الأمر يحتاج لتوسط فرنسا ، ولها إذ ذاك ظل من السيادة عليهم وللفرسان نوع من التبعية لفرنسا . وظهر بجلاء أهمية القنصل الفرنسي والقطالوني المحبوس ، وكذلك أهمية ترجمانه السابق تفرى بردي (٨٢) . واتصل القنصل الفرنسي بلويس الثاني عشر ملك فرنسا ، وفي الوقت نفسه أرسل العسوري تاجرا راحوريا مقيما في الاسكندرية ليدعم معادثات السفير مع الملك الفرنسي ويعرض صداقة السلطان واعادة ما لفرنسا من امتيازات وحقوق في تجارة الشرق وتسهيلات جمركية والسماح للحجاج بالوصول للأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين بحرية كاملة ، وأعلن لويس الثاني عشر هذا كله في أسواق مدينة ليون خلال الاحتفالات بعيد الفصح عام ١٥١١ وشجع التجار لارتياح أسواق مصر والشام ، وأضاف أنه أرسل سفيرا

(٨٢) كان لفرنسا ظل من السيادة على فرسان رودس . فقد كان وزير البلاط الملكي الفرنسي وكاردينال نايل فيما بعد شقيق مقم الاسكندرية في رودس *Aumery D'Amboise* ولي وسه وعقدوه أن يضبط عليه لامادة سفن السلطان التي استول عليها في خليج ادياس وأن يحميه من الكف من أصل الفرصة ضد الثورة الفالكية . انظر

ابن اياس : نتائج الزحف ج ١ (١٥٦) ص ١٩٦ - ٢٥٥ - ٢٥٩ - ٢٦٩ .

— Hoyd, Op. Cit., pp. 539, 540.

— Thénard, Op. Cit., pp. LVIII, LIX & R.I. p. LIX.

اتصل فرنسا هو *Philippe De Perceus* وكان يمثل كذلك قطالونيا ونايل وكان على صداق مع البنادقة . وبالرفق من أنه ليس ليس المصح الذي قاسه الأجانب وتنازلهم في ٧١ أنه لم يبق في السير أكثر من شهر سبب رغبة السلطان في الاستمالة به في تصفية العلاقات مع فرنسا .

— Thénard, Op. Cit., pp. LV, LVI.

لمصر لانعام الاتفاقية التي اقترحها السلطان الغوري . أما الترجمان تمرى
يردى فقد وصل الى رودس بعد أن مهد له السفير الفرنسى مقابلة مقدم
فرسانها بمساعدة الرهبان الفرنسيسكان فى بيت المقدس وأبدى كبيرهم
الرغبة فى اصلاح الأمور مع السلطان ، اذ كانت الأباء توحى بقرب
هجوم عثمانى على جزرهم ، ولكنه اعترض على رد النائم والأسلاب^(٨٨)
ووصل فى ٢٥ من مارس ١٥١٢ الفارس د اندريه لوروا Andre le Roi
سفير ملك فرنسا ، وذكرها ابن اياس فى حوادث المحرم ٩١٨ هـ /
١٥١٢ م ... وأشاعوا أن قاصد ملك الفرنج قد جاء يسمى لدى
السلطان فى عقد معاهدة للتجارة ومساعدة السلطان فى المحيط الهندى
وفتح القيامة (كنيسة القيامة) التى بالقدس^(٨٩) . ووصل السفير الفرنسى

(٨٨) تارك السلطان الغورى أن لوروا رودس هم القبة فى سبيل الوصول الى حل
لمشكلة البرتغاليين فى الهند وهم القبة فى سبيل وصول المواد الحربية الى مصر من تركيا
تقصد تحسين العلاقات معهم يستجيب تمهيلات تجارية ببلاده والسماح لهم بالوصول لبيت
المقدس لنجح وكذلك ارضاء ملك فرنسا لويس ١٢ مثل ذلك ليس ضم لهمهم على
صفحة ٠ انظر :

— Thénault, Op. Cit., p. LXI & N.p. 5.

— بالمنحل ترجمة لجزء المجلس بالجمع الى بيت القدس وسيناء ٠ ويخصوى المعاهدة
بين السلطان الغورى ولويس ١٢ انظر الفصل فى

— Heyd, Op. Cit., p. 540.

— ذكر Thénault كذلك أن رسول سفير السلطان الغورى بخطابات الى ملك فرنسا
كان بداية غيبة للعلاقات بينها . وقد ذكر ذلك ملك فرنسا خلال (زيارته لحدية ليون فى
عيد الفصح عام ١٥١٢ وقال انه وردت اليه خطابات من السلطان العظيم الذى يحكم مصر
والقمام وجراء كبيرا من بلاد العرب . وهى مكتوبة باللغة العربية ويعرض صداقة حتى
يميد لفرنسا مكانتها الدينية التى كانت تتمتع بها منذ الحروب الصليبية بوصفها الدولة
التي قامت بالدور الأكبر فى الحروب الصليبية ، كما يمكنها من أن تتزعج من البنادقة
والجنوئين حق حماية المسيحيين الذين بالإراضى المقدسة ٠ انظر :
دواج : الميثاق والفرع من ١٥٠ وكذلك :

— Thénault, Op. Cit., pp. LX, LXI — LXVII.

(٨٩) من لويس ١٢ Guillebert Chauveau سيطر الى السلطان الغورى ولكنه
مالئث أن تعاد بعد أن علم بصائق لفعله . فى معادلات صائفة مع السلطان العثماني
مايريد الثاني عام ١٤٩٨/١٤٩٩ لوقت الحرب بين العثمانيين والبنادقة ، وعين بدله
Andre Le Roi لقد معاهدة مع الغورى وكان السفير يشغل وظيفة سكرتير الملك لويس ١٢
وموافق مقوده . ثم دلف بعد ذلك آمينا لغزائه وأرسله الى قايى فى ٢٠ ابريل ١٥٠٢ ليحارن =

للقاهرة ، وتفاوض مع السلطان ، وكان محور المحادثات وقف هجمات
الفرسان ومسح الفرنسيين تسهيلات في بلاد السلطان وأرسل السلطان
مندوباً عنه إلى الفرسان في رودس لأخذ موافقتهم على طلبات السلطان
الخاصة بإحلال السلام بين الطرفين ، وحرية الملاحة في شرق البحر
المتوسط ، مع منحهم حرية التجارة في بلاده والصبح بالقدس ، وطال
انتظار السفير بالقاهرة ، ولم يصل رد الفرسان ، واضطر السفير إلى
مبارحة القاهرة إلى رودس وترك ابنه بالقاهرة . أما أعضاء البعثة
الفرنسية فقد سافر بعضهم إلى بيت المقدس ، وأبحر بعضهم إلى رودس
نفسها (٩٠) .

ومع الجهود الهائلة التي بذلها السفير والترجمان مصري
بردى في بلاط السلطان المموري وملك فرنسا ولدى فرسان رودس ،
إلا أن هذه الجهود لم يقدر لها النجاح ، فلا السفير أندريه ، ولا مندوبه
« بارليه » إلى رودس ، استطاعا أن يكسبا جناح فرسان رودس في
عدائهم للسلطان ، والسفينة التي أسرت لن تعود ، وهجمات الفرسان لم
تنقطع ، والبعثة الفرنسية لم تصل إلى نتائج حاسمة مع السلطان ، ولم

١٠٠ الكاردينال حاكم القاطنة كما أرسله موفوا إلى بابا روما عام ١٥٠٢
ثم إلى سويسرا وبني بها حتى استطاع . سفارة القاهرة ١٥١١/١٥١٢ دخل بينهم بلاده في
سفارات عديدة - راجع :

ابن أبي : نتائج الزعمور ج ٢ ص ٢٥٥ حوادث القرم ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م (كافة)

— Heyd, Op. Cit. p. 537.

— Thénard, Op. Cit. pp. LX, LXI, — LXVIII & II.

— Charles Roux, Op. Cit. T.I. p. 42.

(٩٠) يذكر Marc Trivizani حاكم كريت وشقيق السفير البينقي ديمكوتريزالي
الذي سافر للقاهرة لتسوية مشاكل البينقية والسلطان عام ١٥١٠/١٥١١ م أن عدم وصول
رد الفرسان في الوقت المناسب أعطى لشقيقه ديمكوتريزالي فرصة سانحة ليتولى مركزه أمام
السلطان المموري ويستجيب هذا لطياته وإن كان السفير يود تحقيق كل مطلب من أماله
ولكنه اكتفى بما ناله - راجع :

— Heyd, Op. Cit. pp. 444-450.

— Thénard, Op. Cit. p. LXXIX.

تستعد ما كان لها على عهد السلاطين العظام منذ منتصف القرن
١٥ م (٩١) .

كانت البندقية ترقب تدهور علاقاتها بالسلطان وازدياد نفوذ
الفرنسيين والفلورنسيين بكثير من القلق في الوقت الذي كان فيه
تجارها نزلاء سجون القاهرة ، فصممت على معاودة الاتصال بالسلطان
لاصلاح ذات البين ، وألح وفد تجارها على حكومتهم أن تعني بإرسال
بعثة يرأسها مدوب يعلو مركزا على سفير فلورنسا وسفير فرنسا . فعى
٢٠ من يناير ١٥١١ تقرر إرسال رسالة خاصة مع مبعوث الى السلطان
للتمهيد لمفاوضات شاملة لكل الأمور المتعلقة بين الطرفين حتى اذا
سئحت الفرصة أرسلت سفيرا لعقد الاتفاق وأثارت حكومة البندقية
في الرسالة دهشتها وتضايقتها مما حدث لقنصليها في دمشق
والاسكندرية ولهئة تجارها في بلاد السلطان ، ومماثلتهم بمعاملة
الأعداء ، وعزت ما حدث الى تعريض من أعداء السلطان وأعدائها ،
وقصدت بذلك أن توغر صدره على الفرنسيين وفرنسان رودس ومن
ورائهم البرتغاليين وأوصحت حكومة البندقية مشكلة ضبط الرسائل
مع القنصلين ، فقالت ان مبعوثي الشاه الصفوي قصدا فرنسا لوجود
علاقات بين البلدين ، ولدى عودتهما مرا بالبندقية وطلبا باسم سيدهما
الشاه اسماعيل تجديد صداقته مع حكومة الدوج ، ولبسطة الأمر
لم تبلغه البندقية للسلطان كمابق اتفاهما ، وأضافت في الرسالة
أنها لم تعط اجابات شافية للمبعوثين ، ولم يكن دور القنصلين البندقيين
أكثر من عليهما بمرور المبعوثين على البندقية بعد عودتهما من فرنسا .
وعلى أى حال فان حكومة الدوج ستقطع تماما كل صلة لها بالشاه
الصفوي . وقصدت البندقية من هذا كله الصاق التهم بفرنسا ورودرس
والبرتغال ، وفي نفس الوقت لا تمكن فرنسا من التوسع في تجارة

(٩١) ابن ايلس : العصر السابق ج ٤ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٦٨
— Heyd, Op. Cit., p. 541.

مصر والشام وكعادة البندقية لم تترك الفرصة تمر دون أن تذكر متاع تجارها وقصصها ومواجهم وتطلب المزيد من التسهيلات ، ووعدت في الرسالة بمواصلة العمل على خطوط الملاحة لمصر والشام بصفة دائمة ، وفي ختام الرسالة أبلغت أن سفيرها للقاهرة ينجهز للسفر وسيصل في موعد قريب .

وفي دورة السساتو في ١١ نوفمبر ١٥١١ اختار المجلس و دومسكون ترينيراني Dominico Trivizani سعيها ومدوبا فوق العادة للتفاوض مع حكومة السلطان وتكونت هيئة مستشاريه من الجبراء الموسمين المجريين في شئون الشرق وتجارته ومع البعثة تعليمات بمقد اتفاق اقتصادي جديد وتعليمات بإعادة فتح طريق الحج للأراضي المقدسة ورد كموز كنائسها . ووصلت السفارة في ٩ من مايو ١٥١٢ وفي نفوس أفرادها آمال كبار لتحقيق أهداف بعثتهم، وأعطت البندقية تعليمات لسفيرها الى القاهرة بالتزام القواعد الدبلوماسية، وتقديم الهدايا المناسبة للسلطان ورجاله ، والثناء على سياسته ، وأن يكرر للسلطان ماسبق أن ذكر في خطاب ٣٠ من يناير ١٥١١ عن حياة ملك فرنسا وعداوته له ومؤاررته للفرسان أعداء المسلمين من مئات السنين ، كما أن ملك فرنسا والفرسان لا يداومون الحضور لموانيه الا مرة كل ثلاث سنوات، في حين أن البنادقة عبلاء دائمون يداومون الحضور مرتين أو أكثر في العام الواحد . وبخصوص موضوع القنصلين فعليه أن يثبت للسلطان حسن نيتهما وأنهما أخذا علما فقط بمرور ميعوثا الصوفي على البندقية بعد عودتهما من فرنسا ، في مقابلة ودية . ثم عليه أن ينتقل بعد ذلك الى الأهم وهو الشئون التجارية : ويحدد مع السلطان أسعار التوابل الشريفة والحررة حتى لا يتمتع تجارهم من الشراء ويتوجهون الى لشبونة ، وأعطيت للسفير رموس موضوعات أخرى هامة خاصة صحن السفن أكثر من اللازم بعد المدة ، أو إعطائها أوامر بالرحيل قبل تشوين كل مشترياتها وبعدم تغير ديوان القبان ، وهو من أهم

« مصالح الحكومية المتعلقة بتجارة البندقية وأنه يحصل على معاهدة بكل طلباتهم في أمر « مربع » واجب الاحترام والتنفيذ (١٣) وهي المقابلة الأولى مع السلطان ثار السلطان الغوري على ترينفرائي لمحاولة تبرير فعل القنصلين ، وكادت تنقطع المفاوضات وتفشل السفارة ، حتى أن ترينفرائي أمر بحزم حقائبه للعودة ، إلا أنه عاد ورجع العقل وعمل على تهدئة خاطر السلطان ، وذكر أنه يجهل تماما ما فعله القنصلان ، وأنه وحكومته يلتزمان الصنف عنهما والطلاق مراحهما وترحيلهما إلى البندقية لمحاكمتهما طبقا للقانون ليلقيا الجزاء الحق (١٤) والواقع أن هذا المسلك

(١٣) بالمحقق برقم ١١ خطاب البندقية في ٢٠ يناير ١٥١١ للسلطان الغوري تفكر فيه من الإجراءات الانشائية ضد البندلة بسبب التجسس . وبالمحقق كذلك نص تعليمات السناتور لانسبير دو مكنو ترينفرائي برقم (١٤) بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٥١١ بقصد بالامر المربع نوع من الأوراق يحق له بحفظه أن يلاقي التسهيلات في تنفيذ مطالبه وما جاء به من بنود واجبة التنفيذ . أما الأمر الطويل فليس له نفس الصلة كما أنه يكتف بأوراق كثيرة .

وصل السفير البندقي للقاهرة في ٢٣ صفر ٩٦٨ هـ / ١٥ من مايو ١٥١٢ م .
راجع ابن أبياس : مقال المزبور ج ١ ص ٢٥٩ (كذبة) .

— Thénault, Op. Cit., pp. LXV, LXVI.

(١٤) يذكر مارك الطوبو حاكم كريت وخليف السفير البندقي إلى القاهرة وصدا لثام بين السفير والسلطان فيقول : « أن الرقعة الأولى استغرقت حوالي ٣ ساعات ظل السفير خلالها واقفا وقبضه في يده ودار الحديث في هذه الجلسة بخصوص القنصلين المظنون بالتجسس لحساب القائد الصغرى الذى يمرض السلطان ويلازمه للخطر . وكان السلطان يمشى وهو ثائر ، ويعد السفير جهرا بجرأة لكي يهتدى من لورته ، ولكن يبدو كل طوره وفكره ، وخرج له حامية المخرج ، وأنه ليست هناك أية خيانة من جانب حكومة البندقية أو قنصلها ألما هو سوء تصرف منها . وأكد السفير أن عدم الأمور مما يمسى بها رجال حكومته بكل أمالة . وبدا أن السلطان قد اقتنع بكلام السفير إلا أنه ما لبث أن صاح قائلا : « . إلى فلا مفتتح من براءة حكومة البندق ، ولكن ذلك الفصل زينو قد أماء إلى بغيائته أسامة لا تحتل ا » وكان السلطان يتكلم ووجهه مكس بالذهب البديع والسفير يطاول البات حسن نية الفصل وبراءة حكومة البندقية . ثم حب السلطان ، وقال : « . أيها السفير . . هل تعرف كيف تسم الأمور الآن ؟ إذا كنت موافقا من قبل دوج البندقية سافرا للتحية أو للاقتبال الصغرى فمرحبا بك . أما إذا كنت قد أتيت لحماية لصوم والدفاع عن خونة فليس لك مكان هنا في مصرى . الاصب في رعاية الله ومكعب ببارك فليس لى بك ولا بهم حاجة » . راجع .

— Herd, Op. Cit., p. 547.

— Thénault, Op. Cit., pp. LXXX, LXXXI.

من ترفيزاي كان له رد فعل طيب في نفس السلطان الذي ما لبث أن هدأت نفسه وأخذ برأى السفير ، وطلب منه أن تقوم حكومة البندقية بمحاكمتها بشدة وأن يشتقا في الميادين العامة أو يسجنا مدى الحياة. وأطلق سراح القنصلين وميقا « كوتاريني Centarini » إلى دمشق لتصفية أعماله هناك ، ومنها رحل إلى البندقية ، وتم مثل ذلك بالنسبة لقنصل الاسكندرية ، وفي نفس الوقت أطلق سراح التجار المأسورين وردت إليهم ودائعهم ، وهكذا تحقق الهدف الأول من البعثة بنجاح^(٩٤)

أما الهدف الثاني وهو الأهم والأشق فكان على ترفيزاي أن

— Thiers, Ibid, pp. LXXXII, LXXXIII.

(٩٤)

— Hayd, Op. Cit. p. 342.

١ - العلاقة بين البندقية وفرنس ليست بالأمر الجديد في تاريخها الدبلوماسي . لقد تعالفت البندقية وحسن الطويل لراحة عدوها فكتبت السلطان محمد الثاني العثماني . كما أن الصغريين خلفاء حسن الطويل كانوا يودون الوصول إلى البحر المتوسط عبر أملاك السلطان المماليكي . وفي نفس الوقت خسرت البندقة بضميرها أحوال الدولة المماليكية لفرعها في احياء الطريق التجاري عبر المراتي والخليج الفارسي وهو يمر بأملاك الصغريين . واحياء هذا الطريق لا يتم الا اذا أصبح للصغريين منطلق على البحر المتوسط الذي تطل عليه أملاك الدولة المماليكية والتمناية . فقصده البندقة والصغريين من تعاليمها تبادل المصالح العسكرية والاقتصادية . انظر :

دراج : المماليك والفرنج ص ١١٦ .

ب - وهناك رأي آخر يقول ان انهيار تجارة مصر بعد وصول البرتغاليين إلى الهند جعل البندقية تفكر في الاستيلاء على مصر وحصل بنجاح إلى المياه الهندية ، وهي تحتاج في ذلك إلى حليف ضد القوة العثمانية . العثمانيين ، فوجدت في الصغريين الحليف المنموذ . ويؤكد ذلك ما عرضه البندقة على السلطات المماليكية بخطر قناة بحري تصل البحر الأحمر بالمتوسط . انظر :

دراج : المماليك والفرنج ص ١١٧ . وبالمنقح رقم ٦٠ مشروع خط القناة (والوليقة

مترجمة من الإيطالية من :

— Enrico Anichini, Suez Il Mondo D'Oggi, pp. 7,8.

— Thiers, Op. Cit., p. 63.

ابن أبياس : بذائع الزهور ج ٤ ص ١٩١ - ٢٠٠ .

ج - وقد تلاشى هذا الأمل بعد استيلاء البرتغاليين على هرمز عام ١٥١٢ وسددهم بذلك

التجارة إلى الخليج العربي . انظر

— Hammer, Op. Cit., T II pp. 141, 142-168-172 & ff.

يهدم المركز الذي يحتله الفرنسيون لدى السلطان (٩٥) . وقد أوضح السفير للسلطان بطلان الشائعات حول مركز البندقية التجاري وأن البندقية جديرة بأن ترفع رأسها بين أعدائها . يزعم وخيلاء . وأوضح له بأن معنى البندقية كان بإمكانها الحصول على التوابل والتاجر الشرقية من لشبونة بسهولة وأمان وسعر منخفض ، وأن تتولى بنفسها توزيعها في أوروبا بنفس الصورة التي كانت لها قبل وصول البرتغاليين للهند ، ولكنها فضلت أسواق السلطان ، وفضلت أن تستأنف العلاقات الطيبة مع مصر ، وتتعهد بأن ترد مفتها موانئ السلطان كما كانت في السنوات الحائية محملة بالسلع الغريبة والذهب والفضة والأنسجة الصوفية والحربية والخامات اللازمة للصناعات المحلية والرياح والريوت ، وأمانا في الحيلة والحذر صرح السفير للسلطان بأن بلاده لا تمنع أبدا في أن تكون هناك علاقات بين السلطان وملك فرنسا والبقاء على المعاهدة الموقعة بين الطرفين على يد الترجمان تغري بردي (٩٦).

واقع الأمر أن السلطان والسفير كانا يودان إنهاء المشكلة بسرعة لا مكان استئناف التجارة ، فدارت بين الطرفين مفاوضات طويلة وضعها

(٩٥) يذكر ساكن كريت مارك انطونيو تريفراني أن علم وصول رد فرسان رودس في الوقت المناسب أعطى صلاحية لنجاح سفارة أخيه دومنكو ال السلطان الخوري . وحتى باقي أعضاء السفارة والبيئة لا طائل عليهم الوقت تركوا القاهرة ال رودس ووصل بعضهم ال بيت المقدس . كما يذكر أن من عوامل نجاح سفارة تريفراني . وصول السفير البندقي بعد انتهاء السفير الفرنسي من بعثته التي لم تحقق شيئا وكذلك من عوامل النجاح وصول مبعوث الشام المصري ال القاهرة لبرثة سيدة من جهة تحالفه مع البندقية ضد السلطان الخوري . انظر ملاحظة ٩٠ قبله وكذلك .

— Thénau, Op. Cit., pp. XLVIII-LXXIX-LXXXIII and p. 180.

— Heyd, Op. Cit., p. 484-530.

(٩٦) الواقع أن السفير تريفراني كان يلجأ حين تحول في التلميحات المطاط له بإسائة العلاقات بين السلطات وفرنسا ، فقد لاحظ أن من الأفضل الظهور بظهر الحياد والبراءة حتى لا يظن السلطان بالبنادقة السوداء ويظن أنهم دعاة ملهم . وفي الوقت نفسه تشير دول أوروبا المسيحية أن البندقية لا تعاديهم ولا توفر عليهم سحر السلطان فتحتل بصفتها لفرانج . انظر ١

— Heyd, Ibid., p. 542.

أساسها وتركها الباقي لهيئة المتفاوضين . وتعتبر المعاهدة التي أبرمت عام ١٥١٢ من أهم المعاهدات التي عقدت بين البنادقة والمماليك وتعرف بالمعاهدة الشاملة . وبعد معاوصات طويلة اتفق في المعاهدة التي أبرمت بتاريخ ٥ يونيو ١٥١٢ على أربعة عشر سؤالاً وأربع عشرة إجابة صيغت فيها تماماً كل المشكلات الاقتصادية بين مصر والبندقية ، وساد جو المفاوضات الصراحة التامة (٩٧) وذكر في الردود أنه بعد تحديد سعر التوابل السلطانية بثمانين دوكان للحمل الواحد وتحديد سعر التوابل الحرة كذلك فليس هناك داع لبقاء هيئة من التجار البنادقة للإشراف على تسعير وتأمين السلع (٩٨) . وبخصوص تأجير سفن البندقية للتجار العرب فإن الاضطرابات التي شملت البحر المتوسط شرقاً وغرباً منعت تأجير هذه السفن للوطنيين للمتاجرة مع المغرب . وذكر المتفاوضون من البنادقة أن توابل الشرق في لشبونة تقل كثيراً عن أسعارها في مصر ، وتفاوتت الأسعار على هذا النحو يحمل كثيراً من سفن البندقية تعود دون شراء حاجتها . وتعدد في المعاهدة كذلك أنواع المتاجر الأوروبية المطلوب من البنادقة الوصول بها إلى الاسكندرية وبيروت ، وكذلك النقد المتداول ، وأضحت المفاوضات أن تجار البندقية الوافدين إلى بلاد السلطان يمثل بعضهم شركات كبرى . ولذلك فهم مقيدون باتباع ما تمليه عليهم شركاتهم ، فلا غرابة أن بعض هذه السفن تبارح الموانئ دون شراء حاجياتها تحبباً للخسارة المترتبة ، على ارتفاع الأسعار . ونجد السلطان ياهمال البندقية في اتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع حد لتهجمات قراصنة رودس وابعادهم عن قبرص وشرق البحر المتوسط ، ووعد السفير بإبلاغ حكومته احتجاجات وملاحظات

(٩٧) راجع المعاهدة بالملحق رقم ١٢ . ملحق سفير البندقية بالقاهرة إلى بيت المقدس في ٢ من أغسطس ١٥١٢ انظر :
 دراج . المماليك والفرنج من ١٥٢ و ١٥٣ .
 (٩٨) رفيع الصلح بالملحق رقم (١٣) وكذلك برقم (١٣ب) .

السلطان . وقد ألحق بالمحاكمة ملاحق خاصة بالتعامل النقدي والبيع بالمقايضة . (٩٩) وحصلت البندقية لتجارها على أوامر وتعليمات لعمال السلطان في الموالي والمدن الكبرى لراحة تجارها . (١٠٠) كما حصلوا على اتفاقية بالتجارة في طرابلس وحلب (١٠١) وبيروت ودمشق (١٠٢) وفي ميساء الاسكندرية كذلك . (١٠٣) وقد أثار السفير ترينزالي مسألة توحيد الأسعار ومنع التقلبات التي كانت تسود السوق من حين لآخر ، واتفق في هذه المقالة على أن يدفع البنادقة سعرا موحدا لما مقداره ٢١٠ أحمال من البهار سنويا ، و ١٥٠٠ دوكات لمدة ٣ سنوات مقدما . (١٠٤) وعاد ترينزالي للبندقية في ٢٣ أكتوبر ١٥١٢ بعد أن ترك

(٩٩) راجع النص بالملحق رقم (١٢) ثم انظر الفصل الخامس من تجارة النقد والمقايضة وكذلك انظر تولى اسكندر : نظام المقايضة في تجارة مصر اواخر العصور الوسطى .

(١٠٠) النص بالملحق رقم (١٣) .

(١٠١) النص بالملحق رقم ١٤ - وقد أثار البنادقة ما يلايه تجارهم في موالي بيروت وطرابلس ومدن دمشق وحلب اذا توجهت السفن الى أي الميناء دون الآخر ، وكان هذا موضع خلاف سابق ولم يتم انهائه الا في سنة ترينزالي ١٥١٢ ، راجع شمسكي البندقية من هذا الموضوع في المصطلحات السابقة على عهد الايبي .

بخصوص تجارة البندقية في ميناء طرابلس انظر الملحق رقم ١٤ أ .

وبخصوص تجارة البندقية في حلب انظر الملحق رقم ١٤ ب .

(١٠٢) بخصوص دمشق انظر النص بالملحق رقم ١٤ ب . وراجع هنا أيضا ما ذكر

في مباحثه سانودو عام ١٥٠٧ لفرد ١٣ ومشورة بالملحق رقم ٦ .

(١٠٣) راجع النص بالملحق رقم ١٣ د وكذلك :

— Heyd, Op. Cit., pp. 544, 545.

(١٠٤) كانت حكومة البندقية قد شكت في خطاب للسلطان الفروي في ١٦ من ديسمبر

١٥١٠ من عدم مراعاة عماله لتجارها في مواليه مصر والشام . وانهم يجبرون التجار على أخذ كمية من التراب عشرة مع السلع وخاصة التوابل . لأن التهربين صنعوا الترابيل لكي لا يزل التراب من مخزونها ، وفي هذا خسارة كبيرة لنا ، وهو عمل غير أمين اطلاقا ولم يعود من قبل . راجع النص بالملحق رقم ١٠ . كما شك البنادقة من حين سلفهم بعد مواعيد المئة مما يزجر وصول البضائع الشرقية في مواعيد الأسواق السنوية في اوربا . ومع ذلك جاء في حاشية لهذه الرسالة لسم البندقية من أن مبال السلطان لا يزالون يمارسون تعطيل السفن في موالي مصر والشام . كما نص في الاتفاقية على نظام بيع التوابل الشريفة واستصحت فيها نظام الحساب الجاري لسنوات قادمة (انظر الملحق رقم (١٣ أ) - وقد شك السلطان من نفس الجوخ وعدم تديته قبل لفة مما يؤذى -

بعض مواطنيه الذين ردت اليهم حريتهم مؤخرا في حماية السلطان (١٠٥) ولم يحدث بعد ذلك ما يحدد العلاقات بين البندقية والسلطان ، وكان آخر اتصال بين الطرفين في ٣ من مايو ١٥١٤ عندما طلب قاصدهم من السلطان الفوري المزيد من التسهيلات والاعفاءات . (١٠٦)

وكان استئناف العلاقات على هذا النحو بين البنادقة والسلطان الفوري عام ١٥١٢ قد جعل السلطان لا يلجأ في توثيق العلاقات التجارية مع فرنسا ، وإن رغب في توثيق العلاقات السياسية لوضع حد لقرصنة فرسان رودس في شرق البحر المتوسط . ولم يقدر لتجارة فرنسا الازدهار الذي كان لها من قبل ، وإن وصلت بعض سفن المدة الفرنسية في فترات متباعدة إلى موانئ مصر والشام . ولكن لم يستطع الفرنسيون الاستمرار في التجارة مع السوق المصرية على نطاق واسع بعد أن أغرق البرتغاليون أوروبا بالتوابل النخبة وبأسعار رخيصة ، ولم يعد هناك داع لوصول تجار فرنسا لمصر (١٠٧) .

أما في الهند فقد شدد البرتغاليون قبضتهم على تجارتها ورصدوا السفن العربية والمالكية عند مدخل الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، وصادروا حمولتها ، وحنج أمراء جوجيرات وحلفائهم إلى مهادنة

١٠٥ انظر الكتابه بعد ان يوصله المصري وينسله مع وجود عيوب كثيرة به انظر الملحق رقم ١٢ ج .

(١٠٥) انظر خطاب السفيرة النمساوية في القاهرة في ١٢ من ديسمبر ١٥١٤ المذكور في تاريخ اسكندر - أما في الإنجليز المبرمة بين السلطان الفوري والسفير فقد نقلها للفرنسية .

— M. Reinoud, *Journal Asiatique, Nouveau Traité Du Commerce*, T. IV, pp. 22-51

وهي تشمل على ١٢ مزايا ودجاجها والعلية التوابل القليلة والعلية حامية بصفة خاصة وحلب . راجع الملحق رقم ١٢ وما بعده .

(١٠٦) راجع Heyd, *Op. Cit.*, p. 545.

— Heyd, *Ibid.*, pp. 483, 484.

انظر فصل فرنسا في الإسكندرية حتى وصول السلطان سليم الأول المشايخ ١٥١٢ .

البرتغاليين ، وأصبح السلطان وحده في الميدان يواجه قوات تفوق قواته ، وقل بصورة واضحة وصول السلع الشرقية لمصر والشام ، وبالتالي وصول التجار الأجانب . ومع ذلك استقبل السلطان الموردي سفير فرنسا برناردو بيروشوا Bernardo Pirochawa ووافق على كل طلباته ، ومنح تجار فلورنسا موصفا تجاريا ثابتا وقصصلا في الاسكندرية . (١٠٨)

أما الأمير حسين كردى فبعد هزيمة ديو ١٥٠٩ اتجه الى جدة بما تبقى معه من سفن ، وعمل على بناء سور ضخم محصن حولها بعد أن توافرت الأنباء عن محاولة دخول البرتغاليين للبحر الأحمر ، واستغرق بناء السور عامين ١٥٠٩ - ١٥١١ . (١٠٩) ولم يحاول الأمير حسين كردى العودة الى مصر ليواجه السلطان وأمراء المالكة قبل أن يقوم بعمل عسكري ناجح ضد البرتغاليين ، وطلب من حلفائه الباقين أمراء الهند المسلمين معونة مالية لبناء السور ، فاستجاب له السلطان محمد محمود شاه ١٥٠٨/١٥١١ ملك جوحيات وأمراء آخرون ، وذكر لهم في تقرير هذا الطلب أنه مادام البرتغاليون أقوياء وباستطاعتهم دخول البحر الأحمر والوصول الى جدة ، فبعضى ذلك أن بإمكانهم تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة (١١٠) وقد اعتقد أمراء

-
- (١٠٨) على الجامعة بتاريخ ١٠ ربيع ٩١٥ هـ / يوليو ١٥٠٩ وبالملحق رقم ٢٩ راجع الترجمة الفرنسية من
 — Amari, Op. Cit. p. XVIV. pp. 221-223.
 والترجمة الإيطالية كذلك من :
 — Amari, Ibid, pp. 329-390. I. I.
 وأمر السلطان لماله بالإيطالية من :
 — Amari, Ibid, pp. 391-392 I. II.
 وبالعربي من
 — Amari, Ibid, pp. 226-229, XLV
 وبالملحق رقم (٣٠)
 Darnes, The Book Of Duarte Barbosa, T.I. pp. 46-47. Hakluyt (١٠٩)
 Society.
 — Darnes, Ibid, pp. 47.
 (١١٠)

الهند المسلمون أن البرتغاليين لا شك قاطعون هذا وأكثر منه ، لذلك منحوا الأمير حسين طلبه وهدايا قيمة بلغت في مجموعها حمولة ثلاث حفن من التوابل والبهار . وقد أسهمت هذه الهدايا في تكاليف بناء السور حول جدة . وفي نفس الوقت كان البرتغاليون — بموافقة ملك قاليقوت — يشيدون حصونا وأسوارا مماثلة داخل المدينة وحولها . ولما طلب ملك قاليقوت من السلطات البرتغالية تأمين وصول سفينة توابل لجدة وافق البرتغاليون على ذلك ، وجعلوا قيادتها للملاح عربي معروف يدعى خليفة ، ووصل إلى جدة والعمل قائم في السور ، وأبلغ الأمير حسين بموقف البرتغاليين وأحوالهم العسكرية في مياه الهند وتعصيتهم الجديدة ، وأن خروجه كان بترخيص من قائد الأسطول البرتغالي ، مما جعل الأمير حسين يتوجس خيفة من الملاح ويمتقد أنه جاء للتجسس عليه لحساب البرتغاليين ، ولكي يقطع الشك باليقين حجزه وسجنته وأشركهم في بناء السور . (١١١)

ومن ناحية أخرى لم يكف الفوري عن مناوأة البرتغاليين في الهند فأرسل في عام ٩٢٠ هـ أسطولا عهد بقيادته للأمير حسين كردى نفسه وضم إليه عسكريا من الترك والمغاربة ، ووصل إلى جوحيرات. واجتمع بسلاطنتها خليل شاه ، ثم وصل مدد آخر بقيادة سلمان وتعاونوا على هزيمة البرتغاليين وطردتهم من بعض موانئ الهند ، ثم اتجه الأسطول بعد ذلك إلى اليمن واستولى عليها من بني طاهر وجعل عليها نائبا ماليا هو الأمير برمساي الجركمي واستمر بعد ذلك في طريقه إلى جدة . (١١٢)

— Darnes, Op. Cit., pp. 48-49.

(١١١)

— Syngt, A Book Of Discovery, p. 177.

— Darnes, A History Of India Vol. I p. 152.

— Heyd, Op. Cit., p. 536.

— Darnes, Op. Cit., p. 219, Vol. II.

(١١٢) دى الدين نسخة المصنفين في بعض أحوال البرتغاليين ص ٤٠ - ٤٦ .

وهي ذلك الوقت حدث الصدام بين السلطان العورى والسلطان سليم الأول العثماني ، وهو الحادث الثالث الهام في سلسلة الحوادث التي حتمت العصور الوسطى . ووصل الأمير حسين كردى الى جدة وسلمان الى القاهرة في الوقت الذي قتل فيه العورى في مرج دابق ١٥١٦ وقبض شريف مكة على الأمير حسين وأغرقه في البحر .

وغداة الفتح العثماني لمصر وقع ممثل البندقية في حيرة شديدة حين أراد أن يجمع حوله اثني عشر رجلا من التجار بالشر ليؤلف منهم مجلسه الذي سيقابل السلطان فلم يجد هذا العدد ، وهذا يدل على ما وصلت اليه التجارة في فترة سقوط مصر في أيدي العثمانيين ، وتنت المقابلة في الاسكندرية بين قنصليها في مصر والشام والسلطان سليم الأول العثماني ، وقدما له فروض الطاعة والولاء مشفوعة بطلبات ومعااهدات جديدة لاقرار الامتيازات التي كانت للبنادقة في عهد المايك . وحلال المقابلة أثار السلطان موضوع مساعدة البنادقة للمايك ضده ووصول سفنهم خلال الحرب الى الاسكندرية حاملة الفضة والذهب ثمنا للتوابل والسلع الشرقية زيادة عما كان مفروضا عليهم طبقا للمعاهدات . وكان على القنصلين أن يفندا هذه التهمة فأخضا السلطان بأنها يعملان دائما على توسيع نطاق تجارتهم من السلع الشرقية للوقوف أمام فيض السلع الواردة من طريق البرتغاليين . ويبدو أن السلطان العثماني قد اقتنع بهذا الاعتذار فلم يمارض طلباتهم وأقر معاهداتهم السابقة وضمن ذلك كله في معاهدة جديدة بتاريخ ٨ من سبتمبر ١٥٠٧ . (١١٣) وقد سلمت المعاهدة لندوبهم « نيقولوموسينيو

(١١٣) قنصل البندقية في مصر هو Bartholomeo Comarini وفي دمشق هو Alvise Mocenigo

— Heyd, Op. Cit., pp. 545, 546.

— Comb, Précis De L'Hist. D'Egypte, T. III, p. 6.

يذكر كرمب أن السلطان سليم الأول العثماني جد الفصيله في تبريز على الصلوبيين ١٥١٤ قابله قنصل البندقية في استامبول وحله على مطربة المايك وأعاد أن البندقية من استعداد لإدارة باسطولها البحري وفي نفس الوقت أرسلت البندقية رسولا الى القاهرة =

Niccolo Mocenigo « الذي سافر الى القسطنطينية على ظهر إحدى سفن الأسطول العثماني حين قصد القنصل كوتاريس قبرص لتسليم دفع الجزية المفروضة عليها بعد أن آلت للسلطان العثماني . وقصت الاتفاقية بأن تدفع الجزيرة ذهباً ومقدماً لحمس سنوات ، وعلى النص بعد ذلك لتصير سنوياً ، وعياً من السكر والحبوب . (١١٤) واستقبل السلطان كذلك قنصل الفرنسيين والقطانة في الاسكندرية وطلب تجديد اتفاقيةهم التي كانت أيام السلاطين ، فمنحهم السلطان حمايته وأصدر أوامره بمراعاتهم في مصر والشام ، وبعدها فتحت الموانئ المصرية والشامية أمام السفن البندقية . ولم تغير هيئة القناصل الا عام ١٥٢٥م حيث نقلت قنصلية البندقية من الاسكندرية الى القاهرة ، وصار بالاسكندرية نائب قنصل فقط . ولعل هذا دليل واضح على فقدان الثروة أهميته التجارية التي كانت أيام المماليك . ومما هو حدير بالذكر أنه لا تجارة مصر ولا الشام قد جنت أي ربح من التغير الذي حدث فقد أصدر السلطان العثماني قانوناً يضم تجار الحرير الوارد من فارس الى هيئة تجار القسطنطينية في محاولة منه لرفع شأن المدينة

== يعرض على السلطان المماليكي القوة عند السلطان سليم الأول راجع Heyd, Op. Cit., p. 546. وازيدت قنصلتها في دمشق الى القضاء اسطنبول المصري يرضى المساعدة عند السلطات المالكية راجع Heyd, Ibid., p. 537. وقصت البندقية من ذلك سلاله السلطنة الثلاث المتصارعة . حتى اذا ما فازت استعما استطاعت أن تهيمن على غيرها في كل حكمها . والنوافع من البندقية كانت تهيمن لها عن حليف للرسول لوسط آسيا برا . ثم من طريق الخليج الفارسي للهند وزادت هذه الرغبة بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح وتقليل السلطنة المالكية في وضع حد لتوسع البرتغال في الهند . وسياستها هذه تنقسم بالاثباتية والافكار المصلحية الخاصة أو كما يقال سياسة الوجود . وهي الصفة التي استطاعت بها الجمهوريات الايطالية التجارية في الصور الوسطى . وكانوا قد فعلوا مثل ذلك مع البيزنطيين والمماليك . انظر

— Heyd, Ibid., pp. 305, 306, 307.

(١١٤) المساعدة بين البندقة والسلطان سليم الأول بالاسكندرية بالتدخل رقم ٦٤

وانظر كذلك :

— Wiet, Précis De L'Hist. D'Egypte, T III p. 96 ff.
— Heyd, Op. Cit., pp. 545, 546.

واحياء مجدها الذي كان أيام البيزنطيين ، وتم ذلك بالطبع على حساب مصر والشام ، البلدين اللذين ولي مجدهما منذ الفتح العثماني ١٥١٦/١٥١٧ . (١١٥)

أما مرسان رودس فقد ترددت الشائعات عن وصول بعض قطع أسطولهم حاملة الأسلحة من بارود ومدافع وألغام من قناصتهم لمساعدة السلطان العادل طومباي الثاني في صراعه مع السلطان سليم الأول ، وأن سفنهم وصلت لميناء دمياط . ومع ثبوت زيف هذه الشائعة إلا أن الفرسان كانوا على استعداد دائما لمساعدة كل من يعادى العثمانيين ولو كانوا من المماليك أنفسهم . وابن إياس المؤرخ المصري المعاصر لهذه الأحداث يكذب الواقعة (١١٦) .

وعلى أي حال فإنه بعد سقوط مصر عام ١٥١٧ قدر السلطان سليم أهمية جزيرة رودس في الصلة بين تركيا والاسكندرية وباقي مدن وموانئ مصر والشام ، فهاجم الجزيرة واحتلها في ديسمبر ١٥٢٢ ورحل عنها الفرسان إلى ملطية .

أما دول شمال غرب أوروبا فإن اتصالها بشرق البحر المتوسط لم يكن مباشرا ، فلم يدلوا بدلوهم في التجارة الشرقية إلا في فترة متأخرة ، واكتفوا حتى أواخر العصور الوسطى بالتظار وصول السفن الإيطالية اليهم محملة بالسلع الشرقية من مصر والشام، ونظم الإيطاليون مع عملائهم الألمان رحلات تجارية ومنتظمة تمر بإنجلترا حاملة السكر والكروم والتوابل والحرير وتعود محملة بالقصدير والجلود . ومنذ وصول البرتغاليين للهند وهم يقومون بهذه العملية بمساعدة الهولنديين

— Depping, Op. Cit., pp. 242-245. T. II.

(١١٥)

— Heyd, Op. Cit., pp. 438, 484.

(١١٦) ابن إياس : بحال الزحور ج ٢ ص ٧٦ إلى ٧٨ .

— Ziada, Op. Cit., pp. 206, 207.

حتى تحلصت انجلترا من هذا النوع من الوساطة وبشرت انصاتها
بالهند بنفسها (١١٧) .

أما الأراضي المحصنة فوصلتها السلع أولا من مصر والشام وبلاد
السلطان العثماني بطريق الايطاليين الذين كان لهم وكالات ومسادق
ومنحوا إعفاءات جمركية وتسهيلات ، ثم تحولوا الى لشبونة بعد وصول
البرتغاليين للهند ، ولا سيما وأن القرصنة اشتهت على السفن في غرب
البحر المتوسط والمارة بجبل طارق . وحصلوا على حاجتهم من السلع
الشرقية من لشبونة ، ثم تالوا ادقا من ملك البرتغال بمرور أسواق
الهند بأنفسهم ، وضاعت هذه الأسواق من البادقة (١١٨)

— Heyd, Op. Cit. pp. 725, 726.
— Heyd, Ibid, pp. 725, 727, 728.

(١١٧)

(١١٨)

الفصل الثالث

الطرق والمحطات التجارية

منذ فقد الأوروبيون حرية الاتصال التجاري المباشر بإقليم وسط آسيا بعد انهيار القوى الصليبية في شرق البحر المتوسط عام ١٢٩١ م ، وهم يحاولون تدعيم الطرق البرية من أوروبا إلى فارس والهند المار ببلاد الدولة البيزنطية ، متحاشين المرور بالأراضي العربية والماليكية. ومع ذلك فإن أكثر القوى نشاطا واهتماما بالتجارة كالبنادقة والجنويين فصحت الطريق البحري إلى شرق البحر المتوسط إلا في حالات اشتداد الهجمات من القراصنة ، فكانوا يلجأون إلى الطرق البرية المذكور من ساحل دلماشيا حتى القسطنطينية ، ومنها إلى آسيا الصغرى بوسط آسيا . ولهم مع ملوك وأمراء الأراضي المارين بها معاهدات واتفاقيات خاصة بحرية المرور والتجارة . وما لبث أن فقد هؤلاء التجار هذا الطريق أيضا بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، وتقدم العثمانيون في شرق ووسط أوروبا حتى إيطاليا . واضطر التجار إلى العودة إلى الطريق البحري القديم الذي ينتهي عند موانئ مصر والشام حيث تتجمع السلع الشرقية من الصين والهند وعقدوا مع حكام مصر والشام اتفاقيات تجارية ظلت سارية المفعول حتى الفتح العثماني للمنطقة عامي ١٥١٦/١٥١٧ (١) .

الطريق الأول :

ومع تمدد الطرق البرية والبحرية الرئيسية والفرعية من أوروبا

— Deppe, Histoire Du Commerce, T.I p. 194.

وآسيا وشرق البحر المتوسط حتى أواخر العصور الوسطى فإنه بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ بقي منها أربع طرق رئيسية برية وبحرية : أظهرها وأقدمها هو طريق الصين - الهند - الخليج الفارسي ، وهو طريق بحري حتى رأس الخليج الفارسي ، ثم تبدأ فروعه النهرية والنهرية من البصرة الى بغداد حيث يتفرع فرعين : يتجه الأول شمالا الى ديار بكر ، ويتجه الثاني غربا الى دمشق ومنها تخرج فروع الى مواليء ساحل البحر المتوسط ، ثم جنوبا الى مصر بعداء الساحل الى عرة ، ثم عبر الصحراء الى القاهرة ، وفرع يتجه شمالا يغرب الى حلب ، ثم الى آسيا الصغرى ليلتقى بالطرق القادمة من وسط آسيا برا ويتعد منها الى القسطنطينية ثم أوروبا . وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من وسط آسيا خلال غزوات المغول في القرن الثالث عشر ، ثم عاد الاتصال بعد ذلك عندما سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى وأمنوا الطرق المارة بها ، حتى أنه أصبح يشل الطريق الاحتياطي للتجارة الشرقية كلما تعطلت الطرق الأخرى أو أصابتها كوارث القراصنة وقطاع الطرق . ويخدم هذا الطريق في جزئه الرئيسي بالخليج الفارسي مواليء ومدن : هرمز ، وسيراف ، وقيس ، والبصرة ، والأبلة .

أما هرمز فظلت المركز الرئيسي لتجارة الخليج الفارسي طوال العصور الوسطى وهي « فرضه اقليم كرمان ومركز تجارته وتجارة اقليم سيستان وسوقها الطبيعي وتبعد عن الساحل بحوالي ١٢ ميلا » . وهرمز في الأصل مدينتان : القديمة مياء على الساحل ، والجديدة تقابلها في البحر على مجموعة من الجزر . وانشأ المدينة القديمة «ادرشير بايكان» في منطقة مرجستان وترسو بها سفن الهند التي تحمل التجارة لكرمان وسجستان وخورستان ثم تركها أهلها لكثرة تعرضها لهجمات قطاع الطرق وانتقلوا منذ القرن ١٤ م الى مجموعة الجزر التي

عرفت باسم هرمر الجديدة ، ويسمىها العرب جرون وأحيانا هرموز^(٢). ويصلها تجار الشام عن طريق مصب نهر دجلة والفرات للحصول على متاجر الهند والصين وبيع متاجرهم ومتاجر أوربا الواردة اليهم ، إذ كانت هرمر هي الواقع تمثل الى حد ما مركزا لتبادل السلع الشرقية والعربية . وأحيانا يتقدم تجارها حتى يصلوا الى موقع قاليقوت بالهند على سفنهم الخاصة أو سمن اليهود والصينيين . كما أنهم كانوا يصعدون في دجلة والفرات حتى البصرة حيث يتجمع فيها أحيانا تجار العراق والشام حاملين معهم سلع العراق والشام وآسيا الصغرى وأوربا^(٣) . وبعضها تجار الشرق والغرب على غيرها لقلة الرسوم المفروضة على التجارة وللتسهيلات التي تبذل لترغيب التجار . ومن أهم السلع المتداولة هنا القرفة والفلفل والزنجبيل وخشب البخور وعود اللند وخشب الصندل وخشب البراريل الأحمر والترهندي والزعفران والشمع والحديد والسكر والأرز وجوز الهند والبورسلين والأحجار الكريمة واللؤلؤ والجوهر والأنسجة الحريرة والقطنية . ولهذه الأنسجة عند الأهالي سمعة طيبة فيصنعون منها عباءاتهم وثيابهم ، كما يصلها من عدن النحاس والزئبق ، ومن فارس ماء الورد والأنسجة المطرزة والتعائن ، ومن البحرين اللؤلؤ الصغيرة والكبيرة ، ومن بلاد العرب الخيول التي تصدر للهند . ولا يقل عدد تطارها كل موسم عن ٤٠٠

(٢) ميامي أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك . مطبعة ١٩١٨ م

— Varthema, La Vierge En Orient, pp. 102-104-109 & N.I. p. 102, N. II. p. 104.

— بخصوصي تمثل العبارة على هذا الطريق خلال غزو المغول لغرب آسيا في النصف الثاني من القرن ١٣ م انظر :

— Marco Polo, Travels, Vol. I, p. 107-108.

— Dames, Manuel Longworth, The Book Of Duarte Barbosa, (٣) Vol. I, pp. 68-82 & p. 90, R. II, p. 68 & R.I.

تبدو أهمية ملاحظات وكلمات جابرز في كونه شاهد عيان لا ينسحب عنه بل انه صاحب ابرقنالي في غزواتهم للخليج الفارسي وفيهم حتى ١٥١٨م

— ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك (طبعة لبنان) ١٨٧٢ م ص ٤٠ .

— الجزري : تحفة المجالس مطبعة دولة رقم ١٣٦ ١ .

تاجر . وتباع السلع هنا بالميزان ، وأسعارهم ومواريلهم محددة، كما أنهم يستخدمون عملة من الذهب والفضة عليها كتابات عربية من الوجهين تعرف باسم الأشرقي ، ولها عملات أنصاف ، وتلقى هذه العملة رواجاً في الهند لنقايتها وحسن وزنها (١) . وحتى وصول البرتغاليين للهند كانت المدينة لا تزال مزدهرة بالتجارة . وقد حاول القائد البرتغالي الـوكرك عقد معاهدة مع حكامها عام ١٥٠٧ ، ولما رفضوا هاجمها في العام التالي واستولى عليها وفكّل بمن فيها من التجار العرب ، وأجبر أهلها على دفع جرة ١٥ ألف أشرقي ذهب سنوياً (٢) . ومنذ وصول الشاه اسماعيل الصفوي الى العراق العجى عام ١٥٠٨ ، وهرمز مجال صراع بين البرتغاليين والصفويين حتى خلصت تماماً للبرتغاليين حين اتخذوها قاعدة لملياتهم الحربية في الخليج الفارسي ضد العرب ومصر وفقدت المدينة أهميتها التجارية ، وأصبحت مدينة حربية بعد الغزو البرتغالي على أساس أنها محطة تجارة العرب ومصر لتدمير تجارتهم وإعلاء شأن تجارة البرتغاليين (٣) .

ومن هذه المحطات أيضاً سيرانف على ساحل إيران جنوبي شيراز

— ابن أريب : المصدر السابق ذكره ص ٢٢٩ .

— Wilson, *The Persian Gulf*, p. 102.

— Sonia, *In Quest Of Spices*, p. 102.

— Heyd, *Op. Cit.*, p. 457.

(١) يبلغ سعر الصان الواحد بما يوزن الآن ٢٠ جنيه ، حسب أمالته ونوعه

وتنقل الخيل الى ليس وحرر القديمة حيث ينتظرها الهود بسفنهم وعلى الخيل

مكتبة الى جرات صغيرة متفصلة .

Sonia, *Op. Cit.* p. 102.

Darnes, (Barbosa), Vol. I. pp. 90-93, 94-100, 101-105.

Varthema, *Op. Cit.* p. 109. and 107 R. 5.

Depping, *Op. Cit.* T.I. pp. 46, 47.

— بخصوص البحرين وتجارها مع حرر القطر اللندني أوجزة العرب ج ٢

Darnes, *Op. Cit.* pp. 101-106, 107

(٢)

Wilson, *Op. Cit.* pp. 105-108.

Varthema, *Op. Cit.* p. 109.

(٣) ابن ابريس : تلحق الأجزاء (مطبوعة) ورقم ٦ ١

Heyd, *Op. Cit.* pp. 500-504.

Charles Roux, *Op. Cit.* T.I. pp. 27, 28.

التي ظلت حتى أواخر العصور الوسطى من أكبر أسواق الخليج
 الفارسي وهي لا تقل أهمية عن هرمز وإن كانت تفضلها لقربها من
 أسواق البلاد العربية ، فتركزت فيها لذلك السلع الغريبة أكثر من
 أي مركز تجاري آخر على الخليج الفارسي وتصلها سمن التجارة من
 الصين والهند واليمن ومسقط كما يصلها تجار شرق البحر المتوسط
 والعراق وإيران ، لذا كانت مركزا لتبادل السلع الشرقية والغربية .
 ونجس السلطان كل عام حوالي ربع مليون دينار مكوسا تجارية على
 السفن الداخلة إليها . ومما أسهم في نمو هذا الميناء صعوبة الملاحة
 عند مصب دجلة والفرات ، فالتجته السفن إلى سيرايا بدلا من
 مدخل الهرين . وقد استولى على سيرايا أمير قيس وحول عنها
 التجارة إلى بلاده فأخذت في الانهيار تماما أواخر القرن الخامس عشر
 حتى « صارت سبعة لا ينبت بها زرع وانصرف عنها أهلها إلى محطات
 أخرى . . حتى أن الواحد منهم يسافر عشرين عاما ولا يلتفت إلى
 أهله وولده » (٧) .

أما قيس أو قيش فهي جزيرة قرب الساحل الشرقي للخليج وبينها
 وبين الساحل مر بحري عرضه حوالي تسعة أميال بحرية ويحتكر
 حاكمها التجارة لحسابه وأسطوله حوالي ٥٠ سفينة وكل سفينة من
 قطعة واحدة وأسواقها من أكثر أسواق الخليج ازدهاما بالتجارة من

(٧) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٣٦ و ٤٠ .

ابن أيوب : المصدر السابق ص ٢٢٧ .

السيرايا : أبو زيد حسن . وسيلان الناجر . سلسلة التاريخ ص ١٥ - ١٨ .

حوقل : العرب والملاح في المحيط الهندي ص ٢٠٦ و ٢٠٧ .

سيامي : المصدر السابق ورقة ١٦٧ قوب .

المقصود : حصن الفاسيم ص ٤٢٦ .

بروك : ابن شهر آشوب التناخولي : عجائب الهند جزء واحد ص ٢٢ و ٢٣ .

ابن ابيس : تشق الأزمار ورقة ٦٠ .

وتعرف سيرايا الآن باسم طهرى على الطريق من بوشهر إلى قيس وكان انهيارها

قد أدى إلى زيادة نمو قيس وهرمز .

Damen, (Barbosa) Vol. I. p. 81 & R. I. p. 79-81.

الهند والصين وفارس والعراق والشام لسهولة العيش فيها ، إذ أن أرضها خصبة ، وماءها وفير ، وتغرق باقي المدن والموانئ في تجارة العبيد المستوردين من شرق إفريقيا . ومنذ تحول سبل التجارة إلى البحر الأحمر بدأت تجارتها في التأخر إلى أن وصلها البرتغاليون وحولوا عنها التجارة في محاولاتهم القضاء على الطرق التجارية إلى البلاد العربية واتخذوها مركزاً لتموين سفنهم بالماء والخضر ، وتحولت تجارتها وتجارة الخليج كله إلى ساحل الهند الغربي (٨) .

وظلت البصرة بموقعها الممتاز عند التقاء دجلة بالفرات على رأس الخليج الفارسي من أهم المحطات للتجارة الشرقية . وتتصل المدينة بالهر بقناتين يصلانها ببغداد والخليج الفارسي . وبالمدينة سوق ضخم وجمر ك بلغ إيراده منذ منتصف القرن الخامس عشر حوالي ٤٤١٠٠٠ دينار سنوياً ، كما أن بها معازن ومستودعات للمتاجر الشرقية والغربية وتنتهي عندها بعض طرق القوافل وشهدت المدينة ازدهاراً عسورها طوال المصور الوسطى ، فهي مخرج تجارة العراق وتتصل بالصين والهند براً وبحراً كما تتصل بالشام وآسيا الصغرى . إلا أنها منذ أواخر المصور الوسطى بدأت تتأخر حتى أصبحت ميناء مساعداً لسيراف ، وكافح الميناء للوقوف أمام منافسة الطريق الثاني في البحر الأحمر حتى انهارت قيمتهما بعد وصول البرتغاليين إلى الهند ودخولهم الخليج الفارسي ولم تعد أكثر من قرية جرداء . وفي فترة احتلال البرتغاليين لهرمز لقت أنظارهم أهمية البصرة كمركز ومدخل لتجارة الخليج الفارسي إلى العراق والشام بالنسبة للعرب فعملوا على تحويل التجارة عنها حتى لا يلجأ العرب إلى أحيائها مرة أخرى ،

(٨) ابن أيوب : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

Darke, *Ibid*, pp. 80, 81.

Wilson, *Op. Cit.* pp. 97, 98.

وسدوا للمواصلات البحرية إليها (٩) .

والى الشمال من رأس الخليج الفارسي عند مصب دجلة والفرات تقع مدينة الابلّة وقد شيّدت قبل البصرة وتبدو أهميتها في أنها مخرج تجارة العراق الى الخليج الفارسي كما أنها حاضرة ميناء البصرة ، وتقع عند ملتقى أهم طرق التجارة من ايران والعراق وبلاد العرب ، بل انها اعتبرت في وقت ما ميناء العراق الرئيسي الى الخليج الفارسي بسبب صعوبة الملاحة عند مصب الرافدين . وللبيد بها جاية تجارية كبيرة ، كما أن بها فتارات لهداية السفن ليلا ، وهي الآتية من عمان وسيراف ويوجد بها للتجار وكالات ومواقف ومنذ تحولت التجارة بصفة عامة من موانئ الخليج الفارسي الى البحر الأحمر ومصر بدأت الابلّة في التأخر ، وانكمشت في النصف الثاني من القرن ١٥ م لتصبح مجعا صغيرا ، ثم أقفرت تماما بعد تحول التجارة الى رأس الرجاء الصالح في مطلع القرن السادس عشر (١٠) .

على أنه منذ أواخر القرن ١٥ م وأوائل القرن ١٦ م بدأ هذا

(٩) دائرة المعارف الإسلامية جلد ٤٤٨

يجب ألا يغرب عن البال أن جغرافية العراق الآن تختلف عن جغرافيتها في العصور الوسطى فليما يختص بنهرى دجلة والفرات ، فالفرات في الوقت الحاضر يتصلان ببعضهما فسماني مدينة البصرة ويصبان نحو الخليج الفارسي مسافة ٢٥٠ ميلا من بغداد الى شط العرب أما في القرن ١٥ م فكان دجلة يسير في خط مستقيم حوالي ١٠٠ ميل جنوبى بغداد ثم يستقل في مجرى فئات تعرف الآن باسم خط الحى ويسر بواسطة ديتور مرة أخرى في مستنقعات الحصب الجنوبي للبصرة وهذا الطريق الذى كانت قوارب النقل بسهولة من بغداد الى البصرة انظر Wilson, Op. Cit. pp. 65, 66, 67, 68.

Darnes, Op. Cit. pp. 28, 29, & R.I. 90.

متر : الحضارة الإسلامية (مترجم) ج ٢ ص ٢٢٠ .

المسمى : المصدر السابق ص ١٢ .

الاسطخري : المسالك والممالك ص ٢٢ .

ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٦ - ابن أيوب : المصدر السابق ص ٣٠٩ .

قلت البصرة تابعة للصفيين حتى احتلها التتار عام ١٠٢٤ على عهد السلطان

سليمان القانوني بعد سقوط بغداد .

Wilson, Op. Cit. p. 66.

Wilson, Op. Cit. pp. 62-64.

Darnes, Op. Cit. p. 28 R.I.

(١٠)

الطريق يفقد أهميته في خدمة التجارة وبخاصة في مروعه من الخليج الفارسي عبر العراق الى ديار بكر وسلطانية فقد أغلقت الحروب التي نشبت بين الصفويين والعثمانيين في العراق العربي وآسيا الصغرى . وبعد أن استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق المعجمي منذ عام ١٥٠٨ ، مع تجار الشام من الوصول الى بغداد والبصرة لحصل المتاجر الشرقية ، فامست بالتالي السفن الشرقية الواردة من الصين والهند من دخول الخليج الفارسي وهرمز والبصرة . هذا بالاضافة الى زيادة انتشار قطاع الطرق في اجزائه البرية فأحجم معظم التجار عن ارتياده وفقدت مدنه وموانيه ومراكزه التجارية أهميتها حتى بطل استخدامه تماما في الربع الأول من القرن السادس عشر منذ دخول البرتغاليين بأسطولهم الحربي في الخليج الفارسي واحتلالهم لأهم موانيه وسيطرتهم على تجارتها امعانا في تعظيم التجارة العربية والماليكية . وتؤكد هذا الانهيار تماما منذ الفتح العثماني للشام ومصر ١٥١٦/١٥١٧ (١١) .

الطريق الثاني :

هو طريق بحري من الشرق الأقصى الى البحر الأحمر ، وله فرعان يتجه أحدهما شمالا بعد أن يترك البحر الأحمر عبر ميناء الى دمشق ثم موانئ ساحل البحر المتوسط ، ويتجه الآخر عبر الصحراء الى النيل والقاهرة ومنها بالنيل أيضا الى الاسكندرية فأوروبا الا أن هذا الطريق تعترضه صحوبتان :

أولاهما : المساحة البحرية الواسعة من الصين الى الهند الى البحر الأحمر وما فيها من تيارات بحرية وهوائية متعارضة معظم السنة . وثانيهما : كثرة الشهاب المرحانية التي تعترض الملاحة في البحر الأحمر .

Clive, A Hist. Of Commerce, pp. 24, 25.
Clerget, Le Caire, p. 180 & pp. 189, 190.
Wilson, Op. Cit. pp. 10-13.

وقد دلت الصعوبة الأولى بعد وصول السفن العربية إلى المحيط الهندي في وقت نصبت فيه المعلومات الجغرافية عن الملاحة في البحار الشرقية وقد لام البحارة أوقاتهم في مواعيد هبوب الرياح الموسمية (١٢) .

أما الصعوبة الثانية فقد تم تذليلها بالإبحار في البحر الأحمر بعيدا عن الشطاب ، المرجانية والتيارات المتعارضة وبعد بناء سفن ضخمة تحمل الإبحار وسط هذا البحر (١٣) .

ومد الصف الثاني من القرن الثالث عشر بعد عزو المولى لعرب آسيا وتعطل الطرق التجارية البرية من وسط آسيا ، وطرق البحر الأحمر من أكثر الطرق التجارية أهمية بين الشرق والغرب ، فهو يمد عن ميادين الحرب بين المولى والماليك ، وفيما بعد بين الشماليين والأوربيين ، ثم بينهم وبين التركمان ومارات آسيا الصغرى ، وبينهم وبين الماليك ثم الصفويين في مطلع القرن ١٦ م ، فكانت هذه الاضطرابات السياسية والحربية سببا في قطع الصلات التجارية وسد الطرق البرية القديمة بين الشرق والغرب واضطر التجار إلى اللجوء لهذا الطريق المار بأملاك السلطنة المالكية إذ كان أكثر الطرق أمنا ، وإن كانت مرحلة البر فيه تكلف كثيرا من الجهد والمال والحراسة (١٤) . ولعل أشد ما كانت تعرص عليه السلطات المالكية عند تحول التجارة

(١٢) ظل طريق سيلاب - قوس - النيل - القاهرة الطريق الأول لتجارة مصر العربية من الصين والهند واليمن حتى أواخر القرن ١٢ ثم استلهم طريق البحر الأحمر إلى السويس بحرا ثم برا للقاهرة أما الاسكندرية ودمياط فكانتا أهم إرباب مصر في تجارة أوروبا .

سيد ماضور مصر في عصر دولة سلاطين المالكية البحرية من ٢٠٨
Charles Roux, Op. Cit. T.I. pp. 27, 28.
Depping, Op. Cit. p. 47, T.I.

Gayet, Le Cours, The Camb. Shorter Hist. Of India, Vol. II. p. 315. (١٣)
Clive, Op. Cit. p. 85.

Clerget, Op. Cit. pp. 299-300.

(١٤)

الى هذا الطريق ، هو ضبط الطرق التجارية وحماية التجارة ، والتجارة من عبث قطاع الطرق ، وكسب الرحالة المنصفين عن هذه الفترة تزخر بالاشادة بهذا العمل من جانب السلطات المالية (١٥) .

وقد أثرى سلاطين الماليك من التجارة على هذا الطريق ، فعملوا أولا وسطاء بين تجار الشرق والغرب ، ثم تاجروا بأنفسهم واحتكروا هذا النوع من التجارة بعد أن انتزعوها من « التجار الكارمية » ، وغالوا في احتكارهم لها وخاصة في السلع النادرة ، إلا أن هذا الاحتكار لم يؤد إلى زيادة تداولها ، فارتفعت أسعار التوابل والسلع الشرقية عامة في أوروبا إلى أربعة وخمسة أضعاف أسعارها في الهند ، أضف إلى ذلك أن الماليك فرضوا رسوما حركية عالية على كل بالة تجارية تمر من البحر الأحمر إلى مصر ودول أوروبا . فالبضائع التي كان ثمنها ٢٠٠٠٠٠ حنيه كان يدفع عنها في الجمارك رسوما تبلغ

(١٥) بخصوص جهود السلاطين لتأمين هذا الطريق منذ منتصف القرن ١٢ م انظر :

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٠٠ - ٧٠٢ .

القلقشندي : صبح الأعلي ج ١٢ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

خليل بن شامس : زبدة كشف المالك ص ٤٦ .

انظر بعض الفصل الخامس من طواف التجار الوالدوين بحر والنصر في المعاصات

والانكاليات عن رحلاتهم وحماية مصالحهم .

Felix Fabri, The Wanderings Of Felix Fabri, Vol. I, II 1480-1483. From The Library of Palestine Pilgrims' Text Society, Vol. VII.

يذكر الرحالة فايري : أنه في دعوى سروري خلال رحلتي للأراضي المقدسة أنه لم نلنا ممانعة بأي حال . لا من الأتراك ، ولا من اليمس ، ولا من السلطات الحاكمة . ويذكر في موضع آخر أنه بعد زيارته لدير سانت كاترين توجه مع القافلة إلى البحر الأحمر لركب السفينة من الطور إلى القضاة الغربي في طريقه إلى القاهرة وهناك كما يقول : « لاحظنا قافلة قادمة نحونا بسرعة فظننا أنهم لصون ثم لم تلبث أن توقفت أمامنا كباما وقائدها رجل شخم الجبهة استلقى قائده قائلنا وماله : كلب وأنت عربي كود جماعة من الفروج بسلاحهم كما لو كانوا فرقة حربية ؟ فاجاب الدليل أنهم حجاج . ولا كانوا يمشون قطاع الطرق فقد استأذنا حاكم بيت المقدس في حمل السلاح للدفاع عل أن يسلموا أسلحتهم في القاهرة . فحمد القائد لنا هذا وقال لرجاله أنه لو اتبع الحجاج ذلك لفقدوا كل قطاع الطرق كباما .

Fabri, Vol. I. Part II, p. 243 & Vol. II. Part II, pp. 642-646.

٤٠٠٠ جنيه وفي مساء بولاق النهرى كانت البضائع التى تساوى ٣٠٠٠٠ جنيه يدفع عنها رسوما تبلغ حوالى ٥٠٠٠ جنيه - هذا غير الهدايا التى كانت تدفع لرجال السلطان وعيال المياء لتسهيل الشحن وحماية البضائع . ومع كل ذلك تركزت التجارة على هذا الطريق ومدنه وموانيه وفتحت مصر والشام أبواب مدنها ، وموانيهها وامتلات الأسواق بالأجانب رغم « التحريمات البابوية » والمتكررة وخاصة بعد تغزل العثمانيين فى شرق أوروبا ، وأصبحت بلاد السلطان المماليكى مقصد تجار البندقية وجنوة وفلورنسا وقطالونيا وفرنسا ولهم وكالات ومصادق ومعاملات وحسابات جارية مصرفية مع السلطات والأهالى . ومن أهم المدن التى خدمت التجارة على هذا الطريق : القاهرة والاسكندرية ، وعلى البحر الأحمر : القلزم والسويس والطور وجدة ثم عدن ، وفى الشام : دمشق وبيروت وحلب (١٦) .

وحتى حاية المصور الوسطى كان التنافس شديدا بين القاهرة والاسكندرية فى بيع وتوزيع سلع الشرق وبلغ الغرب ، ولكن ظلت القاهرة نقطة تجميع السلع ، ومركز توزيعها شرقا للسلع الغربية وغربا للسلع الشرقية والمحلية نظرا لتوسط مركزها كما كانت أقصى ما يصل اليه التجار الأجانب الوافدين لمصر ، ونص على ذلك فى المعاهدات التجارية بين مصر والدول الأوروبية (١٧) . وبالمدينة أحياء مميّنة خصصت لتجارة التوابل والمطور والسلع الشرقية والغربية وللتجار فيها مخازن وقياسر ووكالات وفنادق وأماكن خاصة لدوابهم ، لا سيما الوافدين

(١٦) انظر ملحق الفهرست ، ومن نراه المالك انظر

Atiya, *The Crusades In Later Middle Ages* pp. 115-174, 175.

Heyd, *Op. Cit.* p. 448.

Maurice, *Le Caire*, pp. 186, 187.

Clerget, *Op. Cit.* p. 300.

Clerget, *Op. Cit.* p. 302.

Heyd, *Op. Cit.* pp. 434, 435, 697, 698.

من الشام أو بلاد العرب أو السودان وأحيانا من فارس^(١٨) ودار
القاهرة في أواخر القرن الخامس عشر عديد من الرحالة الأجانب
ويعتبرون مدى الازدهار التجاري الذي عاشته المدينة في فترة تحول
التجارة عبر البحر الأحمر وبلاد السلطنة المماليكية حتى بداية القرن
السادس عشر^(١٩) . ويقترن بذكر القاهرة ميناؤها الهام على النيل

(١٨) بخصوص مدينة القاهرة فإن لقوارعها ودرورها بوابات تغلق عليها ليلا .
ولها حراس . وبكل شارع سوق لصد حاجات السكان من السلع اليومية . كما أنها
تضاء ليلا بالمصابيح . ويسر جماعة من الطواف ليلا كذلك لتفقد الأمن والحراسة ومقاب
الغالب . وتسمى الحكومة بنظام القوارع ورشها وأمام كل حائز ثناء به ماء لاطلاء
ما قد يشرب من حرائق . كما أن بالمدينة وكالات وفنادق وخانات وأسواقا مخصصة
الكل .

سعيد طاهر المصنف المصري في عصر مملوكي المماليك ص ٨٦ و ٨٧
Dopp, P.H., L'Egypte Au Commencement Du 15 éme Siècle, pp. 50-53 &
FOLIO 30-32.

- فريش : الرسائل في الصور الوسطى ص ٢٦ .
Clerget, Op. Cit. pp. 180, 181.
Lewis, Robert, 'The Merchants' (Moppe) = Map Of Commerce, pp. 93-97
انظر ملحق الفرائد .

(١٩) مصطفى الطنطاوي : قناة السويس ج ١ ص ١٦ و ٢٠ .
Ziade, Op. Cit. pp. 215, 216.
Breydenbach, Bernard De, Les Saints Pèlerinages (1483) pp. 47, 48-50-53-56.

في الرحالة براندنباخ القاهرة عام ١٤٨٢ م وذكر أنها (مدينة كبيرة مرفهة
بالمكان وبها حوال ١٥٠٠٠ تاجر . ولهم أحياء وقوارع خاصة بهم حيث اشترينا منها
الأسلحة والطور والتوابل) . وزارها كذلك الرحالة ماروف خسي رحلته
Arnold Von Harff, The Pilgrimage Of... (1496-1499).
في إيطاليا والشام والحبشة وبلاد العرب وحضر القنوة وفلسطين وتركيا وفرنسا وإسبانيا.
ويقول أنه رأى خارج القاهرة فترة قبل المساجد بسورها . لا لا تسمح السلطات
الحاكمة للأجانب بدخول المدينة إلا بعد الحصول على إذن خاص يذكر فيه هويتهم وسبب
ظهورهم . . . وبسطها حارب صورة صادقة عن المدينة عام ١٤٩٧ للهـ . . . مدينة ضخمة
تغلق شوارعها وحاراتها بوابات كبيرة ليلا ولكل حارة قرن وسطى وحمام مياه ويوجد
الأعمال الأفران بالأخشاب المحلية . أما الأخشاب القيمة فتأتيهم من أوروبا خفية لأن
التجارة محرم التعامل مع المماليك في المواد الحربية . . . وبالمدينة كذلك عدد كبير من
المسيحيين وأهل الشام واليهود ومسلمهم تيار . ويعتبرون جزيرة صغيرة للسلطان .
وحلال الأزمات السياسية تقف الحياة في البلاد تماما وتمتنع التجارة . وقد تعاملت بنفس
اجتماعها خلال الصراع بين المماليك ومنافسها . فنقلت التجارة . ولقد التجار الأجانب
الموجودون معهم ومتاجرهم . وفقدت خلال ذلك كل امتعتي وأخت سجننا . كما عر =

بولاق — والذي ظل المياه الرئيسي للقاهرة على النيل حتى أواخر
العصور الوسطى . ويصل المياه آلاف السفن المحملة بالسلع والمتاجر
من الشرق والغرب ، فتصله السلع من الإسكندرية طريق فرع رشيد
ومن موانئ الشام وتركيا طريق فرع دمياط ، ومن الجنوب سلع
الحبشة والنوبة ، وأحيانا البحر الأحمر طريق النيل وموانئ الجبوية.
وبالميناء محازن ومتاجر ووكالات واسعة ، كما يوجد بها رجال الحكومة
وعمال الجمر ك بصفة دائمة لتحصيل الرسوم المستحقة على التجار .
ولجمر كها باب خاص بالمسافرين تفحص فيه حقائبهم ويدفعون حينئذ
١٠/ عما في حقائبهم ، ودوكن للمساقر العادي ، وحصة للحاج ،
مع دقة مراقبتهم (٢٠) .

= التجار الوطنيون ، يذكر عارف أن بها تجارا أريا ، يجلبون الفراء منهم في حوالي ١٠٠,٠٠٠
دينار (ويصلهم من أوروبا الخنازير البتل والمسكرات بما لا يقل قيمته عن ٢٠٠,٠٠٠ دولار
سنويا في مقابل ما يحصله الأجانب من صلب الفراء) .

Harff, Ibid, p. 109-111 & 114 + R.I.

(حدث الصراع الذي يذكره عارف كان بين السلطان محمد بن قايتباي ، ومناصبه
على الحكم بعد وفاة أبيه السلطان الأتراك قايتباي ١١٩٦/١١٩٧م أما العملة المسكوكة
والنيل التي يذكرها عارف فقد وصلت مع سطر الهندية عام ١١٩٨ .
Heyd, Op. Cit. p. 440.

ومن علماء الرحالة الباصري كذلك Thomaud الذي زار القاهرة عام ١٥١٢ مع
السلح الفرنسي أندريه لوردى بعد أن زارا الإسكندرية الفخر

Thomaud, Voyage D'Ouzre Mer, pp. 48-51. & J.L. p. 52.

ويذكر أن بالقاهرة أسواقا متخصصة ، فهنا سوق المطارين ، وهنا سوق النحاسين
وخلقه . وبأسواق وكالات لبيع السجاد والذهب واللؤلؤ والحرير والأحجار الكريمة،
ولكل خاتمة وكالة ، كما للأجانب من التجار وكالات منها وكالات الأتراك ، واليهود،
والفرنسي ، والمنازية ، والهنود . وبالقاهرة تجار أثرياء لا يقل ما يبدعهم عن ملبرسي قطعة
ذهبية وإبرادات السلطان من أملاكه في مصر والشام لا تقل من تسعة ملايين ليرة .

ومن زاروا القاهرة كذلك نحو آخر القرن ١٥ م «بايلا وكوفلهام Palva & Covilleham
مبولنا ملك البرتغال آل القس يوحنا للاتصال به في الحبشة أو الهند حيث كان يظن
أنه يحكم وقد وصلوا القاهرة والطريق من الإسكندرية إليها وهو لا يزيد على خمسة أيام
بالنيل ، وهي مدينة كبيرة ، تكثر المباني ، ومرصعة لمطارات الأبل لا تنتهي . وترجع
بالتحديد عن الأجانب .

Soria, Op. Cit. p. 99.

Clerget, Op. Cit. pp. 169, 170.

Clerget, Ibid, pp. 169, 170.

(٢٠)

طرق التجارة - ١٢٩

أما الاسكندرية فيحكم موقعها على البحر المتوسط فانها كانت تفوق القاهرة في اتصالها بأوروبا مباشرة ، والمدينة تزدهم طول العام بالأجانب الوافدين اليها للتجارة أو للعبور للحج للأماكن المقدسة في سيناء وفلسطين ، ولدول أوروبا والبحر المتوسط بالمدينة قناصل وسفراء ووكالات وأحياء كاملة وفنادق يمارسون فيها حياتهم الخاصة في حرية . وكان السلاطين المماليك قد سمحوا للحجاج العابرين بدخول الفنادق منذ أواخر القرن ١٤ م بعد دفع رسم سنوي للسلطان . ومن أشهر الفنادق التي كانت تقوم بهذا النوع من الخدمات فندق مدينة ناربون وفندق البنادقة وفندق القبطالونيين (٢١) . وشهدت المدينة ازدهاراً أيامها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وخاصة بعد عام ١٤٥٣ حتى ان إيرادات الحكومة كان معظمها من جبرك الاسكندرية التي كانت تتراوح يومياً في فترات « المدة التجارية » ما بين « ألف وألفي دينار » عدا رسوم السفن والمياح والحجاج (٢٢) . والمدينة لا تقل اتساعاً وأهمية عن أكبر مدن العالم التجارية مثل البندقية وجنوة ومرسيليا ولشبونة وكلكتا وزيتون بالصين وكولونيا بألمانيا ، ولها

Lewis, Op. Cit. pp. 98-100.

Thénaud, Op. Cit. p. 121.

Harff, Op. Cit. p. 101.

(٢١) خلعت مدينة الاسكندرية ديماط كميناء مصر الأول على البحر المتوسط منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر بعد أن حسم المماليك جزءاً من الميناء ووهبوا لم يجر ديماط حتى يأمنوا أي غزو أوروبي منه . لذا لم يمد في استطاعة السفن الأوروبية الكبيرة الوصول إليها ، وأصبحت ترسو بالبحر قريبا من حصنه فرع ديماط وتستعمل القوارب المحلية بينها وبين الميناء .

اللقبندقي : صبح الاعشى ج ٢ ص ١٠١ .

الفر ملحق الخرابط .

سيد ماثور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية .

Ziade, Op. Cit. p. 292.

(٢٢) ليبث : مصر الإسلامية (المراسلات) ص ٢٩ .

Depping, Op. Cit. T. II. p. 307.

Heyd, Op. Cit. T. II. p. 125.

عدة أبواب يفتح أحدها إلى الميناء حيث يوجد به مرسى البرج للسفن
الوافدة من أوروبا ومرسى السلسلة للسفن الوافدة من شمال افريقية
وتقل فيه رسوم الجمارك عن المرسى الأول (٢٣) . وإلى الشرق من
ميناء الاسكندرية يقع ميناء أبو قير عند بحيرة باسم « رأس المعديّة »
ويتصل الميناء بالنيل بقناة تصل للبحيرة . ويبعد الميناء حوالي ثلاثة
أميال جرمانية عن الاسكندرية « ثمانية أميال » ، وهو مرفأ للسفن
السورية الواردة للاسكندرية وتدخله السفن الصغيرة أما الكبيرة
فتصل به من البحر بالقوارب (٢٤) .

ومن هذه الموانئ أيضا ميناء رشيد النيلى وتحرم السلطات
المالية دخوله من البحر المتوسط لصفته الحرة ، ونقلت نشاطه
التجارى الى ميناء بلدة فوة جنوبه . وهي تتصل بالاسكندرية بقناة
ملاحية ظلت تعمل حتى أواخر القرن الخامس عشر (٢٥) .

(٢٣) Harff, Op. Cit. pp. 93-95 & R.I. p. 93.
 Depping, Op. Cit. I. pp. 62-63.
 Leo Africanus, The History And Description Of Africa, Vol. III. pp. 861-862.
 (٢٤) عن ميناء أبو قير يذكره الأرحي أواخر الصور الوسطى باسم
 (Campus De Bucher = Aboqir)
 Thénau, Op. Cit. p. 28. R. 2.
 Elienne, Combe, Alex. Mustinens, pp. 40-50.

(٢٥) عن ميناء رشيد

Harff, Op. Cit. p. XXXII.
 Heyd, Op. Cit. II. pp. 437-438-439.
 بالمحقق رقم (٢٧) مرسوم سلطانى لجباة الدارونسيين ولتجارهم بمسحهم اعماله
 واعتيالاته في حوانية ما كان ميناء رشيد .
 Combe, Op. Cit. pp. 50-51-52-53.
 راجع كذلك المحقق رقم (٢٨) ثم
 Heyd, Op. Cit. II. pp. 428-431.
 سباهى : المصدر السابق ١٤٢ :
 ابن أيوب : المصدر السابق ص ١١٧ :
 وانظر كذلك خريطة مصورة عن الاسكندرية من كتاب :
 Asia, The Crosses, Op. Cit. face to page 352.
 عن الاسكندرية ورشيد حوالي ٢٦ ميلا : انظر
 شارل ديل : البلديات جمهورية دستورية (مترجم) ص ٥٩/٥٨
 Lewis, Op. Cit. pp. 92-93.

ومن جويى رشيد تخرج قناة تصل الى ميناء البرلس بين رشيد ودمياط ، وهو مفتوح طول العام ، وله مدخلان الشمالى للسفن المسيحية والعربى للسفن الاسلامية من المغرب . وتتبع الموانىء نائب الاسكندرية الذى يحصل مدو به رسوم الدخول وشحن وتفريغ السلع وقد ذكرت البرلس فى وثائق البندقية وفلورنسا من العصور الوسطى وان كانت لا تظهر على الخرائط ، وكان بها قنصلية للبندقية وفندق لمواطنيهم (٢٦) .

ميناء دمياط :

ومن أشهر موانىء مصر كذلك ميناء دمياط النهرى البحرى ، وهو مخرج تجارة مصر لمصر والمدن وموانىء الساحل الشرقى للبحر المتوسط وكريت وتركيا وقبرص - كما يتصل بالقوافل البرية الى موانىء البحر الأحمر ، ولا تدخل السفن ميناء دمياط مباشرة بسبب شدة التيار من النيل ، وكذلك لردم جزء من فم البحر عندها . انما يخرج من دمياط قناة الى بحيرة المرلة حيث تدخل اليها السفن الكبيرة من البحر المتوسط حتى تنيس على بعد سبعين ميلا من البحر المتوسط ومثلها من قناة دمياط وهى فى الواقع مركز تبادل السلع الواردة الى دمياط والصادرة منها . وبالمدينة عدد كبير من الأجانب من افريق وبنادقة وجنوبين وفلورنسين وبها قنصلية خاصة بفرسان القديس يوحنا فى رودس ، وفلك هذه القنصلية قائمة حتى الغزو العثماني لمصر ١٥١٧ م ويقال ان الأسلحة كانت تصل للماليك عن طريق قنصلية الفرسان بالمدينة ،

Depping, Op. Cit. I p. 74.

Heyd, Op. Cit. II pp. 440-448.

Gall, Lioneir, Histoire Economique, pp. 196-197.

من نورة

Thomand, Op. Cit. p. 29. N. 2, pp. 32-33, No. 5.

Harfi, Op. Cit. pp. 97-100.

Heyd, Op. Cit. I. pp. 100 & II. pp. 438-439.

(٢٦) انظر ملحق الخرائط .

Heyd, Ibid, II. pp. 428-429.

ولكن ابن ايامس المعاصر للأحداث يكذب هذه الواقعة (٣٣) .

انطرق الداخلية :

واتصال التجار بالهند والصين عن طريق مصر كان يتم بوسيلتين-
هناك طريق القاهرة/ القلم ثم السويس والطور ومنها الى البحر
الأحمر ، والآخر طريق بولاق/ القاهرة بالنيل جنوبا الى قوص ،
ومنها شرقا الى عيذاب على البحر الأحمر ، وهذا الطريق بطل استعماله
منذ أوائل القرن الخامس عشر تقريبا لطوله وكثرة تكاليفه وصعوبة
التفاهم مع أهل الصيد أحيانا ، وإن كانت موابيه مفتوحة طول العام
وأقل حطوة من الطريق الأول ، وفضل التجار عنه طريق القاهرة
القلم .

ومنذ القرن الخامس عشر وهذا الطريق هو طريق التجارة الرئيسي.
وزادت أهميته بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ واهتمت به وسوانيه
السلطات المالية (٣٤) .

Depping , Op. Cit. I. p. 64.

(٣٧)

Lewis, Op. Cit. p. 92.

Theroud, Op. Cit. pp. 121, 122- N. 2 p. 121.

ابن أيوپ : المعجم السابق ص ١١٧٧ .

الظاهرى : زينة كتب المالک ص ١٢٥ .

ابن دقماق : الانتصار لوسطة ملك الأمازيغ ج ٥ ص ٨١ .

يوسف تولا : ديات ص ١٩٧ - ٢٠٠ .

ابن ايامس : نقل الأمازيغ : مخطوطة دولة ٢٧ ب .

ابن ايامس : مبالغ الزهور فى دلائع النجوم ج ٢ ص ٩٢ أخبار سنة ٩٢٢ هـ .

(بولاق)

عن اتصالات الفونسين فى دياتل راجع الملحق رقم ٢٧ - ٢٨ .

لاحظ أن دياتل كيناء دفعت أهميتها البحرية منذ أواخر القرن ١٢ م والنقل مركز

النقل والأهمية الى ميناء الاسكندرية واتخذت اجراءات سبلة فى الميناء لمنع أى غزو بحرى

لحصر من فرع دياتل . انظر ليله خلاصة ٢٩ وكذلك :

سعيد طائور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٢١٠ .

وجى أواخر البصور الوسطى ظل الاتصال بها عن طريق القوارب النيلية وعن طريق

قناة محلى الى بحيرة المنزلة .

(٢٨) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٢ ملاحظة عن القلم والسويس

وطريق البحر الأحمر التجارى طيبة ذكر الكتب .

وكانت السويس قد حلت محل القلزم منذ القرن ١٢ م ، وتصلها
سفن التجارة الصغيرة من ميناء جدة وعدن محملة بالتوابل والمطور
والعقاقير والأحجار الكريمة والعنبر والمسك ، ثم تحول على ظهور
الجمال عبر الصحراء الى القاهرة ، ثم بالنيل الى الاسكندرية على
أن هذا الميناء التجارى لم يلبث أن هجر وأصبح ميناء مصر الحربى
على البحر الأحمر وبقيت به ترسانات السفن العربية والتجارية
انقاصدة الى المياه الشرقية ، ومنه قام أسطول مصر الحربى فى مطلع
القرن السادس عشر الى الهند (٢٩) . ولما صارت السويس مرفأ مصر
الحربى على البحر الأحمر استقر رأى السلطات المالية على أن يحل
ميناء الطور محلها فى التجارة . والواقع أن كثيرا من التجار كانوا
يطرقون هذا الميناء متجنبين موانئ الساحل الغربى للبحر الأحمر بسبب
ما به من شعاب مرجانية وصخور تتحطم عليها السفن، لذا لم يكن الميناء
جديدا يوم تقرر حمله ميناء مصر التجارى على البحر الأحمر ، بل صار
بمرور الزمن ميناء التجار المفضل . وميناء الطور يقع جنوب غربى
شبه جزيرة سيناء بين فرعى بحر القلزم وعليه أمير مملوكى من القاهرة
وتحيط به عدة قرى وهو بالقرب من جبل فاران (فيران) ، وأطلق
عليه الأجانب خطأ اسم رايتو التى يسميها العرب الراية وهى غير
الطور وبالميناء مخازن ضخمة وجمر كخاص بواردات الهند واتباع
به نفس النظام الذى كان لميناء السويس فسفن الهند لا تصله إنما

(٢٩) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٨ .

سياسى : المصدر السابق ورقة ٢١٩ .

يذكر (بروجزا) أن تجارة السويس فى بداية القرن ١٦ م دمرت ومجرت المدينة

نفسها ولكن نادر كتاب بروجزا يذكر فى الملاحق (٦) ص ٤٢ أن تجارة مصر فى البحر

الأحمر التى كانت تنسب عند السويس لم تنمر نهائيا وأن عبر المدينة كان مؤلفا .

Darnet, Op. Cit. I. pp. 42-45 & R.I. p. 43.

راجع كذلك ثيود حيث يقول انه خلال زيارته لها عام ١٥١٢ كانت لا تزال

وليس بها سوى بعض الاغراب بجمالهم وبنسب لمسيحيين من البلباقية .

Theoud, Op. Cit. p. 63 & N.I.

ابن ايلس : نقش الأضرار ورقة ٨٨ .

تفرغ حمولتها في عدن وفيما بعد في جدة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ثم تنقل السلع الى الطور بالقوارب ومنها بالقواهل للقاهرة ، وتصل سفن التجارة الهندية الى جدة مرتين في العام ، وفي كل مرة ينشط العمل في ميناء الطور (٣٠) . وعلاوة على أهمية الميناء التجارية فهو المحط الرئيس للحجاج المسيحيين الوافدين لمصر من دير سانت كاترين ، والحجاج المسلمين الداهيين لمكة والمدينة . ويهتم الحجاج المسيحيون خاصة بمواعيد وصول سفن التجارة الى الطور ، لأن البندقية توقت (مدة) سفنها التجارية ، للاسكندرية مع مواعيد هذه السفن مع حساب فرق الوقت والتورع من الطور للقاهرة ثم الاسكندرية ، فيستطيع الحجاج المسيحيون القاصدون أوروبا اللحاق بقواهل التجارة الى القاهرة والرحيل الى أوروبا على سفن البندقية المنتظرة المتاجر بالاسكندرية . وسفن البندقية لا ترتبط بمواعيد سفن الحج الى مكة والمدينة بسبب اختلاف مواعيد الحج على مدار السنين (٣١) . ووثائق البندقية أواخر العصور الوسطى تؤكد ذلك وتحدد الفترة من ٨ - ٢٣ سبتمبر من كل عام موعدا لرحيل سفنها للاسكندرية وتكون على استعداد للعودة محملة بالتوابل في منتصف أكتوبر أو بداية شهر نوفمبر على أكثر تقدير قبل حلول فصل الشتاء ، كما أن لها رحلة أخرى في مارس لتصل الى الاسكندرية وتغادرها في ابريل وعلى هذا فان وصول التوابل للطور كان في أوائل سبتمبر

(٣٠) أبو الحسن : المصدر السابق ج ٨ ص ١٥٢ .

سباهي : المصدر السابق ورقة ٢١٩ ا .

ابن أيوب : المصدر السابق ص ١٠٧ .

انظر ملحق الخرائط - وراجع كذلك .

Heyd, Op. Cit. pp. 440-443 ff.

Harff, Op. Cit. T. II. pp. 136, 137-140, 150-154.

Thomson, Op. Cit. pp. 157, 158.

Heyd, Op. Cit. pp. 446, 447.

Harff, Op. Cit. p. 154.

Darrou, Op. Cit. T. I. p. 45.

من كل عام . وتصلها كذلك من الهند في أوائل مارس بعد خروجها
من موانئ الهند في فبراير من كل عام .

وظلت الطور على هذا النحو من الأهمية والازدهار حتى نهاية
العصور الوسطى حين انتشر الأسطول البرتغالي في مياه الهند وسد
مدخل البحر الأحمر ، بالاستيلاء على جزيرة سقطرى وبدأت الطور
تنهار في نهاية السنوات الأولى من القرن السادس عشر . وفي عام
١٥١٧ أصبحت قرية صغيرة مهجورة وقلت القوافل الوافدة إليها برا
وبصرا (٣٢) .
مياه عدن

وإذا كانت القلزم والسويس والطور هي مدخل البحر الأحمر
من طرف الشمال فإن عدن مدخله الجنوبي واعتبرت من أكبر محطات
تبادل المتاجر والسلع بين الشرق ومصر (طريق البحر الأحمر) وظلت
لفترة طويلة لا يتعداها تجار الصين والهند إلى البحر الأحمر ، بل تنقل

(٣٢) يوضح لينكس قايي في رحلته من بيت المقدس إلى سانت كاترين بسينا ثم
إلى القاهرة بالقوافل والإسكندرية بالليل ، أن سفن الهند تلحق حوارجا وتصلها قوارب
صغيرة إلى الطور ثم تنقل إلى القاهرة بالقوافل والإسكندرية بالليل . وهذه السفن مواعيد
مجيئها فهي تنبع في سبيلها الرياح الموسمية في المحيط الهندي وتنتج في بعض السنوات
مواعيد مواسم الحج إلى مكة والمدينة . وعلى هذا تنظم الهندية وجانيات التجار الأجانب
مواعيد هذه تجارتهم حسب ذلك . كما يرتب سباج سينا رحيلهم من الطور إلى القاهرة
في مواعيد تحرك القوافل بعد وصول السفن لا يمكن صلاحتها للإسكندرية وضمن العودة
لاوروبا من سفن الهندية . ولدى وصولها إلى الطور سألنا دورية الحرس المالكية من
مواعيد وصول سفن التوابل الهندية إلى الطور حتى تستطيع صلاحتها للقوافل للقاهرة وللمحافل
بسفن الهندية رفعتنا من القائد أن سفن الهند وصلت منذ أيام وصلت القوافل للقاهرة
والمرحبا لهذا الخبر لأن هؤلاء أننا سنفتك مواعيد هذه السفن القوافل بالإسكندرية فأخذنا
لحم القائد للإسراع لفتح السفن في الوقت المناسب .

Fabri, Op. Cit. T. II. pp. 642, 643.

Heyd, Op. Cit. pp. 447, 448.

راجع كذلك : إبي إيماس : نفس الإبحار ورقة ٦٨ .

شاهد الرسالة لثيود السوييس عن البحر المذكور خلال رحلته عام ١٥١٢ .

Therand, Op. Cit. pp. 80-82.

ملحهم على سمن مماليكيه الى حدة ثم الى القلزم والسويس والطور .
وفي عدد تتجمع متاجر الشرق والعرب للتبادل فتقل الأولى الى مصر
قاوريا - وتقل الثانية الى الهد فالصين . وترسو بعدد علاوة على
سمن الصين والهد سفن الحبشه والخليج الفارسي وشرق افريقية
وتعقد أسواقها ليلا بسبب شدة الحرارة ، وتجار عدن يسافرون الى
الشام ومصر وأثيوبيا والهد والصومال ، ومدن وموانئ الخليج
الفارسي ، ويتوافر في أسواقها الحديد والنجاس والزئبق والمرجان
والملايس الصوفية والقطنية والحريفة والعقاقير والتوابل والسكر والأرز
وجوز الهند واللبان والجاوي وخشب السند وعود الدند والراوند والمسك ،
ويسكنها عدد كبير من العرب واليهود والزنوج ، ويحضون للملك
العربي الذي يحصل على مبالغ ضخمة من رسوم الجمارك ولتجار
مصر الكارمية بعدن مركز ممتاز ولهم مؤسسات ومصارف مالية
وتجارية (٣٣) . على أن ملوك اليمن التابعة لهم عدن كانوا يظهرون
التعسف مع سفن التجار أحيانا فلم يكتفوا بما يفرضونه من ضرائب
عالية ، بل استعملوا معهم القسوة ، وصار من التقاليد المرعية عند
وصول إحدى السفن الى عدن أن يصعد اليها عمال الميناء وينزعوا
قلاعها ودفتها ومرساتها حتى لا يمكنوها من الإبحار قبل أن تدفع
الأموال والضرائب المستحقة أما التجار أنفسهم فكانوا يفتشون
تفتيشا دقيقا قبل نزولهم الميناء وكذلك وجدت عجوز تفتش النساء ...
فإذا أتم التاجر انزال بضاعته ودفع ما عليه من ضرائب وبيعها وتأهب
للمودة طاف مناد في طرقات عدن معلنا أن التاجر الفلاني ، بغادر الميناء .

(٣٣) سيامي : المصدر السابق من ١٩١ .

ابن أيوب : المصدر السابق من ٩٢ .

متر : المصدر السابق ج ٢ من ٢٧٠ - ٢٧١ .

Daroon, Op. Cit. pp. 53-54-55 (56-57 & R. 2. 4. p. 56, R. 5. p. 56.

Varthema, Op. Cit. pp. 65-66 & R.L. p. 65-66-67.

Heyd, Op. Cit. II. p. 444.

Depping, Op. Cit. I. p. 47.

عمن له عليه دين أو مال فيطالبه به ، وإذا لم يظهر للتاجر دائن يسمح له بالرحيل (٢٤) .

ومنذ اردھار طريق البحر الأحمر التجارى فى القرن الخامس عشر ، وخاصة بعد عام ١٤٥٣ ، وسياسة الدولة المالىكية قائمة على تحطيم المركز التجارى لعدن واحلال جدة محله . لذلك حذروا السفن التجارية من الرسو فى عدن وحرموا على تجار مصر والشام دخول الميناء . كما خصصوا الرسوم الجمركية فى موانئ جدة وينبع وفرضوا رسوما عالية على السفن التى يثبت أنها تمر بعدن أو ترسو بها ، فالضريبة على السلع الواردة من الشرق لجدة رأسا كانت ١٠٪ ، وضمنها اذا مرت بعدن أولا ، بل انهم كانوا يصادرونها أحيانا ، ولدى عودة الحجاج اليمنيين من مكة يدفعون ضرائب عالية فى بلادهم على ما يحصلونه من الحمار وموانئ الى اليمن وعدن (٢٥) . وكانت تستخدم من عدن أحيانا الطرق البرية عبر بلاد العرب المارة بمكة والمدينة ، ومعظم ذلك كان فى مواسم الحج ، وهى تتصل بسيناء وموانئ الشام (٢٦) .

وحتى نهاية المصور الوسطى ظلت مكة مركزا هاما من مراكز تجارة الشرق والواردة بطريق البر من عدن ومن الشام . ومنفذها الى البحر ميناء جدة . والطريق البرى المار بها مأمون ، تحرسه الدوريات لوقوع معظمه فى نطاق سلطنة المالك (٢٧) . وتنقل على هذا الطريق السلع الخفيفة ، أما السلع الثقيلة فتأخذ الطريق البحرى الى جدة

(٢٤) أبو محمد عبد الله باخرجة : تاريخ ثغر عدن ج ١ ص ٥٨ . ٦٧ - ٦٨ .

سعيد عاشور : مصر المالىكية فى مصر والشام ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

Lane Poole, Hist. Of Egypt In The Middle Ages, p. 340. (٢٥)

Depping, Op. Cit. I p. 52. (٢٦)

انظر ملحق الخرائط .

(٢٧) راجع ما كتبه الرحالة فيلكس فابرى فى هذا الموضوع ص ١٠١ ملاحظة (١٥)

من هذا الفصل .

فالطور (٣٨) . ويصل إليها علاوة على سلح الهند سلح من أثيوبيا،
 وشرق افريقية وبلاد الزنج كما تصلها سلح أوروبا من مصر ودمشق .
 ويصل مكة في مواسم وصول سفن الهند الى عدن مالا يقل عن
 ٨٠٠٠٠٠ جمل وتوقت وصولها في معظم السنوات في مواسم الحج
 وتستمر الى دمشق وتعود سلح الشام والعرب الأوربي الى عدن لتتقل.
 بلورها الى الهند وتستغرق الرحلة حوالي ٥٠ يوما (٣٩)

وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر كانت مكة ومينائها
 جده نهاية سفن الهند والصين الى البحر الأحمر ، ولبيت هي وجده
 دورا هاما في تحول التجارة من عدن ، مما أدى الى ازدهار تجارة
 الماليك بصورة رائعة (٤٠) . ومن اجراءاتهم في ذلك فرض رسوم
 عالية على السفن التي تمر بميناء عدن قبل وصولها الى جدة وخفضها
 بالنسبة للسفن القاصدة جدة رأسا وتقنوا هذا الحظر والضرائب بكل
 دقة ، وبمرور الوقت أصبحت جدة المستودع العظيم لتاجر الهند ،
 وكان هذا مبعث سرور ورضى السلطات المالكية . وحاول أمراء اليمن
 من آل طاهر الرسولين تعويق مرور السفن الداخلية الى البحر الأحمر،
 فاتجه التجار الى موانئ شرق افريقية ومنها الى جدة بعيدا عن طريق
 عدن ، وصدر قرار من السلطات المالكية بجعل الرسوم ١٠٪ فقط
 مهما كانت جنسية السفينة . ومنذ ذلك الوقت وميناء جدة حتى نهاية
 القرن الخامس عشر المركز الرئيسي للحجاج والتجار الشرقيين (٤١) .
 أما التجار الأجانب فممنوعون من دخول ميناء جدة سواء أكانوا غربيين

Heyd, Op. Cit. II ; p. 446.

(٣٨)

Varthema, Op. Cit. p. 44.

(٣٩)

Thersud, Op. Cit. p. 37.

Ziada, Op. Cit. p. 225.

(٤٠)

Dopp, Op. Cit. pp. 41-42. Fol. 28 & p. 50, p. 52 Fol. 30.

(٤١)

Ziada, Op. Cit. pp. 222, 225.

Heyd, Op. Cit. II ; pp. 445-446.

أم شريقي إلا باذن خاص من السلطان نفسه (١٢). وعند وصول السفن الى جدة تفرع حمولتها لتقدير رسوم الجمارك عليها ثم تنقل على سفن صغيرة الى ميناء الطور ومنها برا الى دمشق أو الى القاهرة (١٣). ويصل الميناء كل عام حوالي ١٠٠ مركب منها مراكب بسبعة أشعة وتؤخذ منها الموجبات والرسوم وتحمل لصاحب مكة ولا تقل سنويا عن ٢٠٠٠٠٠ دينار وحاكمها أواخر القرن الخامس عشر شقيق بركات شريف مكة ونائب السلطان بها (١٤).

ميناء ينبع :

ومن الموانئ الأخرى التي أسهمت في تجارة البحر الأحمر في هذه الفترة المتأخرة من العصور الوسطى ، ميناء ينبع (ينبع) وهو ميناء كبير كثير العمائر والأسواق وله بندر ترد اليه السفن بالفلال كل سنة وتقدر قيمة تجارته كل عام بحوالي ٣٠٠٠٠٠ دينار ، وله أمير يتبع السلطان (١٥).

(١٢) حصل عارف علي تصريح شخص من السلطان محمد بن قايتباي
(١٣) ابن حوقل المصدر السابق ص ٢٦ - ابن أيوب المصدر السابق ص ٩٢
سياحي : المصدر السابق ورقة ١١٠ ب .

Depping, Op. Cit. I. p. 51.

(١٤) الظاهري : زينة كلف المالك ص ١٣ و ١٤ .

ابن اياس : نقش الأعلام ورقة ٨٢ .

« نيسب لدينا إحصائيات دقيقة من نظام الضرائب التي فرضها السلاطين المماليك بعد برسباي حتى نهاية دولتهم عام ١٥١٧ أكثر مما كان معلوما من عهد الإيالة كان سلفه السطحية ١٤٥٢ أنه في تعداد المماليك في تسجيل الضرائب والرسوم الجمركية على السلع في موانئ الاستيراد والبحر الأحمر كما احتكروا أرباحا ضخمة من السلع واقتصوا عنها الكارمية ودفعوا أسطولها واحتج الميناء بآية من النجار الأجانب وحدثوا بالامتناع عن الدفع مما أدى الى اضطراب السلطان الى تعديل لبيد التجارة وتعطيل أسطول الغزاة القريبة وكذلك تعطيل الفريضة »

Depping, Op. Cit. T. II. p. 50.

Heyd, Op. Cit. T. I. pp. 380, 381 & T. II. p. 444.

Lane poole, A Hist. Of Egypt In The Middle Ages p. 340.

Varthema, Op. Cit. p. 39.

Darnes, Op. Cit. pp. 46, 47.

(١٥) ابن اياس : نقش الأعلام ورقة ٨٦ .

واراء تركر التجارة في البحر الأحمر بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ فقد خصصت السلطات المالية ميناء أيلة لمرور السلع القاصده الى الشام واقتصر ميناء الطور على سلع القاهرة ، وأيلة على الطرف الشرقي للبحر الأحمر في مقابلة القلزم، ورعم صعرها — كمدينة وميناء — فانها خدمت التجارة فترة طويلة، ويسكنها تجار كثيرون وجمر كما يتبع السلطان في مصر . كما يوجد بها قباص المكوس ، وتبعد عن الطور يوما وليلة (٤٦) .

ومن هذه الموانئ التي أسهمت أيضا في تجارة البحر الأحمر ميناء ربيد الذي اخص بتجارة العبور « المناولات أو الترازيت » فيجتمع فيه التجار من الحبشة والصحار والعراق ومصر ، للتجارة والمبادلة (٤٧) .

أما موانئ مصوع وسواكن فتختص بنقل تجارة الحبشة والنوبة وتصلها بحرا سفن الحبشة وبراقواغل النوبة محملة بالرقيق والشمع والعسل وتصل متاجرها لمصر بطريق البحر الأحمر لسهولته (٤٨) . وقد ورد ذكر ميناء سواكن في فترات الصراع بين مينائي عدن وجدة ، فكانت سوء معاملة آل رسول باليمن سببا في توجه سفن التجارة الى جدة لتجد معاملة أخرى سيئة فتوجهت السفن الى ميناء سواكن وجزر « دهلك » ، غير أن المعاملة التي لقيها التجار هنا لم تكن خيرا مما لاقوه في عدن وجدة ، فتوجهت السفن الى ميناء ينبع (٤٩) .

(٤٦) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٩ .

سياحي : المصدر السابق ص ٧٨ .

ابن أيوب : المصدر السابق ص ٨٧ .

ابن أبياس : نقش الأعمار ورقة ٨٧ . وانظر ملحق الترايبل .

(٤٧) ابن أبياس : المصدر السابق ورقة ٧٧ .

Depping, Op. Cit. T II, p. 52.

(٤٨)

(٤٩) انظر ملحق الترايبل .

وتمر سفن التجارة الداخلية للبحر الأحمر كذلك بمينائي بربرة وزيلع ، وكلاهما مركز تجمع تجارة الحبشة والنوبة . وهي زيلع تعقد أسواق العبيد والمعادن ، واللؤلؤ وزارها القائد البرتغالي سواريز عام ١٥١٤ ثم استولى البرتغاليون عليها ودمروها عام ١٥١٨ (٥٠) . ويتردد على ميناء بربرة القريب من زيلع في مواسم التجارة مالا يقل عن ١٠ - ١٥ ألف شخص ، ومعظمهم يتاجرون في سلح الهند والصين والحبشة والنوبة في عاج وقطن وتوابل وأنسجة وشمع وهي تباع حاكم الحبشة ودخلها البرتغاليون كذلك عام ١٥١٨ (٥١)

ويستخدم التجارة الداخلية والخارجية في مصر مجموعة من الطرق الملاحية النهرية والبرية من أسوان الى دمياط ورشيد والاسكندرية ، ومن قوص وقنا وما يقابلها من موانئ عيذاب والقصير على البحر الأحمر. فأسوان كانت أهم أبواب مصر الجنوبية بالنسبة لتجارة النوبة وعن طريقها شهدت مصر نشاطا تجاريا كبيرا وخاصة في عصر الماليك مع بلدان السودان الغربي وأفريقية الوسطى وعرف تجار تلك الجهات باسم الكارم أو الكارمية نسبة الى مملكة « كانم » كما عرف بعض طوائفهم باسم التكرور نسبة الى مملكة التكرور (٥٢) وهم يعلبسون الى دولة الماليك التوابل والبهار والبخور والعبيد مما يتهافت الأوروبيون للحصول عليه ، وامتد نشاطهم كذلك الى الهند والصين حتى أصبح اسم الكارمية يطلق على كل من يعمل في البهار والغفل ، كما اتخذ عدد كبير منهم مدينة قوص مركزا لنشاطهم التجاري الواسع

Varthema, Op. Cit. T. III. pp. 95, 96.

(٥٠)

Darnes, Op. Cit. T.I. p. 35.

Varthema, Op. Cit. T. III. pp. 95-99.

(٥١)

(٥٢) من المرجح ان تكون تسمية ميناء مصر في يولات على النيل باسم يولات التكرور نسبة الى تجار التكرور الذين كانت ترد بضائعهم من قوص في طريق النيل الى ساحل يولات . انظر : سعيد عابدور : العصر المالكي من ٦٦٠ ملاحظة (١) .
سعيد عابدور : العصر المالكي من ٦٦١ ملاحظة (٢) .

وعدت المدينة موقعا واسعة لتجارة افريقية الوسطى واليمن والحبشة والهند، وكوفروا بها نقابة خاصة بهم هيمنت على تجارة التوابل والبحور والعاج واحتكروها حتى انتزعها منهم المماليك قبيل منتصف القرن الخامس عشر وكان لنقابتهم رئيس ومعتزف به من قبل حكومة المماليك أطلق عليه اسم رئيس الكارمية ولثرائهم كان بعض سلاطين المماليك يقترضون منهم الأموال كلما اضطرتهم الظروف الى ذلك (٥٣). أما الميناء الثاني (قوص) فأتجهت منه القوافل شرقا في الصحراء الى ميناء القصير وميناء عيذاب، وتستغرق الرحلة الى القصير من ١٧ الى ٢٠ يوما وتصلها بحرا سفن التجارة من الحبشة واليمن وبلاد العرب والهند وزنبار وأسواقها واسعة وتجارها من مصر واليمن والهند والحبشة المغرب وعدن والسودان، وهي على ثلاثة أيام بالقوافل (٥٤). أما عيذاب على البحر الأحمر فظلت فترة طويلة من العصور الوسطى مركز تجمع الحجاج وتجار الشرق وطمع الحبشة واليمن التي تصلها بحرا، وبها واد من قبل البجاء وآخر من قبل صاحب مصر ويقتسمان الرسوم الجمركية. وهم يتعاملون بالدرهم ولا يعرفون الورق. وظلت عيذاب عامرة بما يصدر اليها حتى القرن الرابع عشر حين كثرت بها عصابات قطاع الطرق فقلت قيمتها وشهرتها، وإن ظلت حتى عهد ابن اياس ميناء بحريا عاديا (٥٥). وتمع انهيار عيذاب انهيار

(٥٣) القريزي : السلوك ج ٢ من ١٣٢ و ١٣٣ .

سيد طنبور : مصر للماليكي من ٣٩١ .

(٥٤) ابن ايرب : المصدر السابق من ١١١ .

القريزي : الخواص والاختيار ج ١ من ٢٠٢ و ٢٠٣ .

ابن اياس : نقش الأضرار - ورقة ٢٣ .

سيد طنبور : مصر في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية من ٢٠٨ .

Kammerer, Le Mer Rouge, T. I. pp. 73-82.

Depping, Op. Cit. T.I. p. 71.

Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 424-426.

(٥٥) ابن اياس : نقش الأضرار ورقة ٢٦ - ٢٧ .

القريزي : الخواص والاختيار ج ١ من ٢٠٢ - ٢٠٣ .

ابن الاثير الجزري : كشف المجيب (مطبوعة) ورقة ٢٥٧ .

الموانئ المقابلة على النيل وحاذف ذلك ازدهار طريق البحر الأحمر منذ القرن الخامس عشر وموانئه في جدة وينبع وعدن والطور ، « وعجرت عذاب لتندثر في القرن العاشر الهجري وتلاشى طريقها التجاري ويتحول عنها التجار والحجاج » (٥٦) .

ومنذ نجاح البرتغاليين في الوصول للهند بحرا بطريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر التجاري يفقد مركزه تدريجيا ، كما بدأت تنهار الموانئ عليه من مدخله الجنوبي في عدن إلى طرفه الشمالي في السويس والطور ، وكذلك موانئه في جدة وينبع والساحل الغربي . وقد فهم البرتغاليون أنه استقرارهم في الهند وازدهار تجارتهم لن يتم إلا بالقضاء على تجارة العرب ومصر ، وصدرت منذ عام ١٥٠٢ تعليمات للقائد البرتغالي « دي جاما » بسد المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عند عدن - مما عرض السفن العربية في هذه المنطقة لهجمات الأسطول البرتغالي بكثرة . وفي عام ١٥٠٦ استولى البرتغاليون على سقطرى فتحكموا بذلك في طريق البحر الأحمر وشرق أفريقيا . وبعد وقتي شول ١٥٠٨ وديو ١٥٠٩ وتحكم البرتغاليين في هذا

-
- ١ - سيامي : المصدر السابق ورقة ١٦٩١ .
 - المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٦ .
 - القلقشندي : صبح الأمل ج ٢ ص ٤٦٨ .
 - مقر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
 - ابن أيوب : المصدر السابق ص ١٢١ .
 - ابن أبي عمير : المصدر السابق ورقة ٢٧ / ١٥١٧ م ، وضعها في هذا العام .
 - علي مبارك : الخطط الترتيبية ج ٤ ص ٥٦ .
 - أبو المظفر : المصدر السابق ج ٧ ص ٦٩ (للاطلاع) طبعة دار الكتب .
 - سميح عاشور : مصر في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية ص ٢٠٨ .
 Ency. Of Islam, Art. Aidsab.
 Heyd, Op. Cit. T. II. p. 443.
 Clerget, Op. Cit. p. 195.
 Depping, Op. Cit. p. I. pp. : 52, 53, 54.
 Depp, Op. Cit., p. 52 FOL. 30 & pp. 47, 42. & Fol 28 & p. 50. (٥٦)
 Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 445, 446-467-480.
 Ziada, Op. Cit. pp. 222-223.

الطريق يرداد ، بل ان السفن البرتغالية بدأت فعلا تدخل البحر الأحمر عام ١٥١١ بعد ان قرر البرتغاليون السيطرة الكاملة على كل مراكز البهار وطرقها من مطلقا في الطرف الجنوبي الشرقي لاسيا حتى هرمز على رأس الخليج العربي وعدد من مداخل البحر الأحمر وجدة على ساحله الشرقي . وكان معنى ذلك سد كل منافذ التجارة على السفن المماليكية ، وبدأت هذه المراكز فعلا تفقد أهميتها التجارية ، بل ان البرتغاليين تقدموا في البحر الأحمر وهاجموا سواكن واستولوا على جزيرة كمران ١٥١٣ م ، في محاولة منهم للوصول الى جدة والأماكن الإسلامية في مكة والمدينة (٥٢) وقد أدى هذا كله الى اضطراب الأحوال السياسية والتجارية بين مصر وجمهوريات إيطاليا ، وصادف ذلك ازدياد تهجم القراصنة على سفن التجارة المماليكية في البحر المتوسط شرقيه وغريه وبخاصة بعد سقوط آخر معاقل العرب في اسبانيا عام ١٤٩٢ م ، فقرر الفوري سلطان مصر كذا إعادة فرض سيطرته على مياه الهند وطرق التجارة الحرة اليه ، فأرسل عام ١٥١٤ م / ٩٢٠ أسطولاً على رأسه الأمير حسين كردى قائد حملة شول ١٥٠٨ م وديو ١٥٠٩ م وضم اليه عسكرياً من الترك والمعارية ، وأقطعته جدة فبنى حولها سوراً ضخماً وأبحر في العالم التالى في طريقه الى الهند . ولما لمس البرتغاليون قوة الأسطول المماليكى انسحبوا من مياه البحر الأحمر وعدن وتبعهم الأمير حسين الى الهند حيث اجتمع بسلطان جوهرات ، غير أنه لم يستطع ازال الهرمة بهم وبسبب في طلب الموت من مصر . فقامت حملة من السويس بقيادة « الرئيس

(٥٢) حاول القائد البرتغالى اليركوك دخول البحر الاحمر عام ١٥١٣ والاستيلاء على مكة والمدينة وجدة كاجراء مقابل لوجود الاماكن المسيحية في ايدي المسلمين وللقضاء على تجارة البحر الاحمر التي تركزت في جدة - وقد فشل ليحمله بالقلعة في هذا البحر . وحاول كذلك الاتصال بملك الحبشة المسيحي الذى كان يظن انه د القس يوسف . بمساعدة الحبشية ليحمله على تحويل مجرى نهر النيل من فرعه النيل الأزرق الى البحر الأحمر لتجريد مصر وانجاسها . انظر شارل ديبل الهندية جمهورية ص ١٤٨/١٤٩

سلمان العثماني « . وعلى الرغم من ذلك لم توقع هذه القوة البحرية الضخمة في الحصول على نصر حاسم على البرتغاليين الذين كانت قد توطدت أقدامهم في الهند ، وإن كانت الحملة قد نجحت في الحصول على نصر مؤقت بإبعاد خطرهم عن البحر الأحمر وفي العودة استولى على عدن وأشرف على احتلالها سلمان العثماني ، وتولاها الأمير يرسباي الحاكم الجركسي - وأخيرا عاد القائدان إلى جدة ومعهما بعض الأسرى من البرتغاليين ، ولكن كان قد تقرر مصير الدولة المالكية عقب هزيمة مرج دابق ١٥١٦ ثم الريدانية ١٥١٧ - وضاع طريق البحر الأحمر التجاري نهائيا (٥٨) .

وعلى ساحل شرق البحر المتوسط تنهى الطرق البرية التجارية الآتية من الشرق الأقصى ومن الخليج الفارسي ومن البحر الأحمر في الفرع الممتد من أيلة عبر سيناء والشام وكذلك الفرع القادم جنوبا من آسيا الصغرى والفرع القادم من أوروبا برا ثم الطريق البحري الرئيسي من غرب أوروبا وإيطاليا (٥٩) . وقد اعتاد الأوروبيون منذ الصروب الصليبية الحصول على غالبية طلباتهم التجارية من السلع الشرقية من مدن وموانئ الشام وكثر ورودهم في القرن الخامس عشر وخاصة في نصفه الثاني بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ واضطراب الأسواق

(٥٨) تركز على الصراع بين المصريين والبرتغاليين في المياه الهندية تحت الاتصال التجاري بين شواطئ الهند وميناء عدن وموانئ البحر الأحمر على ساحلها الغربي والشرقي . كما أدى بطور ال تحويل تجارة الفرج من أسواق حبر والهام إلى أسواق لشبونة . وذكر ابن أبي العاصر لهذه الأحداث أن الإزمة اجتمعت بمصر وأدى هذا إلى تحارب بندر الإسكندرية وبندر جدة وبندر صياد من جهة الفرج مع التجار في بحر الهند . ولم تدخل جنات بندر جدة بحرا من ست مئة ، ابن أبي العاصر : بدائع الزهور ج ٤ حوادث المعزم ٩٢٠ هـ وحوادث شيبان ٩٢٢ هـ ٩٠٧ و ٩٠٨ - ٩٢٢ و ٩٥٩ و ٩٨١ ٩٨٢ - ٩٢٥ ٩٢٦ هـ - ٩٥٨ و ٩٦١ ثم ج ٥ من ٩٦٩ دواج : للمصنف السابق ص ٩٥٩ - ٩٥٧ .

انظر ملحق الخرائط .

والطرق التجارية في منطقته نفوذ السلطنة العثمانية بآسيا الصغرى
وشرق أوروبا .

واستقر بمدن الشام وموانئها في دمشق وحلب وميروت وطرابلس
وصور صيدا وبيت المقدس ويافا وعكا ، عدد كبير من تجار الهندية
جنوا ومورنسا وبرشلونة وفرنسا ، وبعض مواطني شمال أوروبا
المرافقين للبنادقة والحوين ، ووكلاء الشركات الأجنبية الأوروبية التي
لها عروج في الشرق ، كما كان لهذه الدول والجمهوريات والمدن سفراء
وقناصل سياسيين وتجاريين . ولهذه الصلة التجارية الوثيقة بين أوروبا
والشام ، سادت المنطقة معظم الأنظمة التجارية الموجودة في الصرب
الأوربي ، بالإضافة إلى الأنظمة المحلية التي كانت سائدة في ظل قوائم
السلطنة المملوكية الحاكمة . وأقبال الأجانب على الشام بهذه الصورة ،
يرجع إلى اتصال الشام اتصالا وثيقا ومباشرا بأسواق الشرق ووسط
آسيا ، وكذلك لأن مدنها وموانئها مهبط الحجاج المسيحيين العرب
إلى بيت المقدس ، ولأن الأوربيين استقروا بها ، مدة طويلة خلال
الحروب الصليبية (١) ومواسم الحج الإسلامية والمسيحية من بين
المواسم التي كان يتم فيها التبادل التجاري في الشام بين الغرب
والشرق ، بالإضافة إلى مواعيد وصول القوافل التجارية من فارس
وسلطانية والهند ووسط آسيا الصغرى والبلغار والبحر
الأحمر ، لذا فاقت أسواقها أسواق مصر في تنوع السلع التي ترد
إليها (٢) . وحتى نهاية المصور الوسطى كانت دمشق من أهم مدن
ومراكز التجارة بسوريا ، وكانت في المرتبة الثانية بعد القاهرة وإن
كانت تعتبر أحيانا الثالثة بعد الإسكندرية ، وخاصة منذ عام ١٤٥٣ ،
وهي مركز نائب السلطنة أو كافل السلطنة (٣) . كما أنها أيضا مركز

Depping, Op. Cit. pp. 81-83.

(١٠)

Heyd, Op. Cit. II, p. 457.

(١١)

Varchena Op. Cit. p. II. N. 2 & pp. 11-15.

(١٢)

الشام الاقتصادي ومستودع تجارة وسط آسيا إلى أوروبا وتردد عليها في مواسم التجارة حوالي ١٥٠٠٠٠ جمل محملة بالسلع الشرقية لتعود بالسلع العربية والمعلية ومنها الزجاج والكريستال والأنسجة والطور والأسلحة والقواكه . وهي أيضا مركز قناصل الدول الأجنبية وبها عدد من الفنادق لسكنى التجار الأجانب شرقيين وغربيين ومخازن لتاجرهم (١٣) . وتتصل دمشق بالبحر المتوسط بطريق ميناء بيروت الذي يبعد عنها مسيرة يومين ، ومياه هذا الميناء هادئة لذا تلجأ إليها السفن في معظم أوقات السنة . ويوزرها التجار الأجانب وإن كان بعضهم يستقر بها بصفة دائمة من بينهم جاليات من المماليك والشراسة والبادقة والجنوبين والقطالونيين والأرمن والجورجيين ، ولهم بها فنادق وقياسر ووكالات وكنائس ونواب قناصل . ووكالة البندقية من أظهر هذه الوكالات حتى القرن السادس عشر كما أن لهم بها ولكل التجار الأحاب وكلاء مصرفيين ومروع لمصارفهم وشركاتهم في أوروبا حيث تسود نفس الأنظمة التي تسود الأصول في بلادهم (١٤) .

وحرك بيروت من أعين جمارك سوريا وأحفلها وتربى به السلع التي تصل إلى دمشق من البحر المتوسط أو التي تخرج منها إلى أوروبا ، كما أنه السوق الطبيعية لمنتجات دمشق المعلية (١٥) ومنذ سيطرة

(١٣) فليس البندقية من أشهر فنادقها ونزل به حارب الله وجوده في دمشق .
Heyd, Op. Cit. II, p. 458.
Depping, Op. Cit. I pp. 99-100.
Vertherna, Op. Cit. p. 20.
Harif, Op. Cit. pp. 230 — & R. 2.
Zinda, Op. Cit. pp. 219-220.

دمشق وصفها حارب خلال زيارته ١٤٩٧/١٤٩٨ .

(١٤) حروب : وصفها حارب خلال زيارته ١٤٩٨/١٤٩٩ م .
Vertherna, Op. Cit. p. 8 & N. II. p. 2.
Zinda, Op. Cit. p. 220.
Depping, Op. Cit. III pp. 97-99.
Thenaud, Op. Cit. p. 110.
Harif, Op. Cit. pp. 232-233.

(١٥) كره على : خطط الشام ج ٤ ص ٣٦٨ .
Depping, Op. Cit. I pp. 97-99.

الممالك على قبرص وميناء بيروت مقصد تجار البحر المتوسط عامة ،
 وازدهم الميناء بالتجار الأجانب بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ (٦٦) .
 ونظمت الجاليات الأجنبية خطوطا ملاحية الى بيروت وبخاصة السفينة
 التي صممت سفينها لتتحمل رحلة الجزء الشرقي من البحر المتوسط
 وتياراته ، فتبدأ الرحلة الأولى في الفترة من ٨ - ٢٥ أغسطس من كل
 عام - أما الرحلة الثانية فتكون في الفترة من ٥ أبريل - ١٥ مايو
 وفي شهر يونيو يصل ميناء بيروت سفن معينة لحمل القطن ويصل الى
 مصر سفن الجمهوريات الإيطالية التي تتعامل مع الاسكندرية في فصل
 الخريف وتخرج في فترة تسويق التجار متاجرهم على ميناء بيروت
 وطرابلس ، وتترك مكانا لسلع مصر بها (٦٧) .

ميناء حلب :

ومن أهم المراكز التجارية في شمال الشام ميناء حلب التي ظلت
 حتى نهاية المصور الوسطى على علاقات تجارية مع آسيا وأوروبا .
 وتقع حلب على عشرين فرسحا من الفرات وتصل بالبحر المتوسط
 بطريق سهل ، وبالعراق ووسط آسيا وآسيا الصغرى بالقوافل (٦٨) .
 وتبدو أهمية حلب لدى السلطات المماليكية في وقوعها عند المدخل
 الشمالي للدولة المماليكية بين الشام وتركيا ، وفي تجمع تجارة فارس
 وآسيا وآسيا الصغرى بها ، حتى انه يتوفر بأسواقها مالا يتوفر بأسواق
 القاهرة ، لذا كانت من أكثر مدن وموانئ الشام مقصدا للتجار

(٦٦) لما بدأت بحرية جلوة في الامميار مع الفصل الثاني من القرن ١٥ م قلت
 رحلاتها الى الشام واكتفت بالوصول الى لاماچوستا . وكانت قد سيطرت عليها وحاولت
 جعلها مركز تجارة ساحل البحر المتوسط ولكنها فشلت .

Heyd, Op. Cit. II ; p. 461.

Varthema, Op. Cit. p. 8. N. 2.

(٦٧) حرفة سفن بيروت باسم Galea Di Beirut

وسفن دمشق باسم Navli Di Siria

Heyd, Op. Cit. II ; pp. 460-461.

Depping, Op. Cit. I, p. 101-102.

Varthema, Op. Cit. pp. 9, 10.

(٦٨)

الأجانب الذين يصلون إليها من طرابلس مينائها على البحر المتوسط .
ويصلها سنوياً ما بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ جمل بالطرق البرية محملة بمختلف
السلع (٦٩) . ومنذ عام ١٤٥٣ والمدينة تزدهر حتى بلغ عدد جمال
القوافل التي تصلها سنوياً نحو ١٥ ألف جمل بالطرق البرية بالاضافة
الى الجاليات الأوربية ، ولكثرة ما بالمدينة من أجانب أصبح وجودهم
أمراً مألوفاً ، فهم اما مواطنون عاديون ، واما تجار دائمون ، واما تجار
موسميون ، واما وكلاء شركات ومصارف أو نواب دبلوماسيون
أو رجال دين ، كما كانت تسوج المدينة بتجار الشرق من الكرج والهند
وفارس وكلهم يتاجرون بالنقد والمقايضة . والبنادقة هنا من أشهر وأهم
الجاليات ، وحصيلة ما يدفعونه لجمارك حلب يفوق كل ما يدفعه
الأجانب مجتمعين وزاد تركيزهم بالمدينة بعد سقوط القسطنطينية
١٤٥٣ (٧٠) . وظلت المدينة على هذه الحال حتى قام الصراع المسلح بين
العثمانيين وامبراطورية طرابزون وآسيا الصغرى ثم بينهم وبين
التركمانيين ، ثم بينهم وبين الصفويين ، فأغلقت مرة أخرى الطرق الشمالية
من آسيا الصغرى ووسط آسيا الى المدينة . ولما بدأت الماوشات بين
العثمانيين والمماليك اقتصر وصول المتاجر إليها براً من أيلة على البحر
الأحمر ثم بالصعراء حتى أفقدها الطريق البحري الى الهند حول
أفريقيا الكثير من مكائنها التجارية (٧١) .

(٦٩) راجع ما كتب من تحصيل الضرائب في حوائج بيروت لصالح حاكم دمشق وفي

طرابلس لصالح حاكم حلب في الفصل الثاني. Depping, Op. Cit. I, p. 103.

(٧٠) (ار حطب أواخر المصور الوسطى عديد من الرحالة الأجانب منهم

Chisti & Varthema عام ١٤٨٣ ولعمري بالتساع المدينة والادخامها بالتجار وامتلاء

حواليها وكالاتها بالسلع المحلية من المنسوجات والزجاج والسجاجيد والمجمرات والأواني

الذهبية والشمع والحك والترايل والمصنوعات الحديدية. راجع - كرد علي لصندر السابق

ج ٤ ص ٢٦٧ . Depping, Op. Cit. I, p. 63.

Hayd, Op. Cit. II ; p. 59.

(٧١) محمد كرد علي : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٨ .

كانت هذه الطرق البرية من وسط آسيا قد أغلقت خلال فترات الغزوات لغرب آسيا .

انظر لبلة ملاحظة (٧) . Heyd, Ibid, II , p. 459-460.

ميشاء طرابلس :

ويأتي ميناء طرابلس في المرتبة الثانية بعد بيروت بالمعنى لتجارة الشام الخارجية والداخلية . وهو مخرج تجارة منطقة حلب ، وحتى نهاية المصور الوسطى وهو صلة التجار الأجانب من آسيا وأوروبا ، والوطنيين من حمص وحلب ودمشق وحماة وبيطبك ، وعلى طول شوارع الميناء تنتظم مظان وحوانيت التجار التي تمتلئ بالسلع الشامية والسلع المستوردة . وبالميناء نائب للسلطان ، وقناصل للدول الأجنبية ، ووكلاء ومندوبو الشركات الأجنبية ، ومصارف وفروع مؤسسات أوروبا التجارية ، وفنادق وقياسر . ويستوعب الميناء عددا كبيرا من السفن المختلفة الأحجام . وازدادت أهمية الميناء في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وبخاصة بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ ثم بعد سد الطرق البرية الشمالية ، وأصبح منفذ التجارة إلى حلب للبحر المتوسط لتصدير السلع الواردة من البحر الأحمر طريق آية ، بمكس ما حدث لميناء اللاذقية الذي قلت أهميته وتركز النشاط في طرابلس (٣) .

وعلى طول الساحل الجنوبي للشام إلى مصر تنتشر المدن والموانئ العديدة . ولكل ميناء أهمية نوعيه فمنها ما يرد إليه تجار القطن ومنها ما يرد إليه الصجاج من أوروبا إلى بيت المقدس . ومن أبرز موانئ هذا الجزء من الشام صور وصيدا وعكا وبيافا وللجاليات الأجنبية في صور وصيدا مساكن وفنادق ووكالات تجارية ومخازن وظل ازدهارها متألقا فترة طويلة من النصف الثاني من القرن الخامس عشر واقتصر التعامل فيها على تصدير القطن والصمغ (٣) . وفي عكا أقامت النندقية وكالة

(٧٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ص ١٠٨ .

ابن أيوب : المصدر السابق ص ٢١٢ .

Depping, Op. Cit. I, pp. 99-100.

Heyd, Op. Cit. II, p. 460.

(٧٣) ابن أيوب : المصدر السابق ص ٢١٢ .

Depping, Op. Cit. I p. 96.

ولائب قنصل يحتضن بتشوين القطن وتصله سفن البندقية في فترة « المدة » وكذلك سفن الفترة المعروفة باسم « فائض المدة » بصورة منتظمة لنقله الى أوروبا (٧٤) . وظلت يافا طوال العصور الوسطى المتأخرة وفترة من عصر النهضة ميناء لمدينة القدس ويزل بها الحجاج المسيحيون في طريقهم لبيت المقدس وللجاليات الأجنبية بها أماكن محددة لا يتعدونها ، فالجنوبيين مثلا في خاص آل لفرنسا منذ أصبحت اسلطة في جنوة للفرنسيين ، ولم يعد رعاياها يتمتعون بامتيازات الدولة الأكثر رعاية وأصبحوا مجرد حجاج أو روار يدفعون الرسوم المطلوبة مثل غيرهم على الحج والتجارة وقد اهتمت السلطات المالية حتى نهاية دولتهم بزيادة الحجاج المسيحيين للأراضي المقدسة في فلسطين لأسباب سياسية واقتصادية . وموضع الأهمية هنا هو ما تجنيه الدولة من رسوم جمارك وحج وكذلك ائتماش التعامل التجاري في هذه الفترة القصيرة في مدن يافا والرملة وبيت المقدس حيث تباع البسج الشرقية المستوردة، والسلع المصنوعة محليا من الأتسجة والمطور والحلويات ، حتى ان أماكن التجار تظل تفوح منها رائحة المطور والخور فترة طويلة . ولهذا الأسباب حدثت البندقية السلطان الغوري عن طريق سميرها تالدي عام ١٥٠٤ من منع الحج للأراضي المسيحية في فلسطين كتهديد منه للناوية وملوك أوروبا اذا لم يوقف البرتغاليون تعرضهم لتجارة السلطان الشرقية في الهند ، ومما قاله السفير للسلطان : « ان هذا سيحرم بلادك من رسوم ضخمة ، ويفقدك عطف الدول الأوروبية للمسيحية ، بل سيثيرها عليك ، ولي يمنع البرتغاليين من هدفهم » (٧٥) وليناء يافا علاوة على ذلك سمعة طيبة تجارية ،

Heyd, Ibid, II, p. 465.

(٧٤)

Depping, Op. Cit. I, p. 96. II, p. 310.

(٧٥) ساد ميناء يافا على الأنظمة التي اتت في كل مواسم رمضان السلطان الماليكي باستثناء واحد وهو شهر رجب بقاء سفن الحجاج المسيحيين يرما واحدا إنظارا لعودة الحجاج من بيت المقدس ، وهذا ينطبق على حجاج بيت المقدس فقط ولا ينطبق على الحجاج -

فتتجمع به تجاره الداخل من نابلس وعزة ورام الله والرملة وبيت المقدس (٧٦) . وفي أواخر القرن الخامس عشر بدأ الميناء يفقد مركزه التجاري فقط ، وتحولت عنه التجارة الى بيروت والاسكندرية بقصد التركيز ، وذلك على عهد السلطان القوري بعد سيطرة البرتغاليين على مياه الهند وتجارها (٧٧) . ولدى الفتح العثماني للشمس ١٥١٦ كانت يافا مجرد قرية مهملة (٧٨) .

= المروجي بعد ذلك الى سيناء لزيارة دير سانت كاترين فؤلا . يعوض عن طريق مصر . وللزيارة ترتيبات معينة لدى وصول السفن ثقلة للحجاج الى الميناء . فطلب أولا اذا من السلطان بوصول الميناء والا اطلقت عليها الخسبة . ويرسل قائد السفينة لحاكم الميناء يطلب الاذن للوصول الى بيت المقدس ولا بد ان يؤيد هذا الطلب رئيس دير جبل صهيون وعلى راسه الموافقة بصحبه نائب الحاكم مع بعض الأدلة ورسالة المالك الى المدينة المقدسة . ويصحب هذا أيضا بعض إجراءات تكميلي على الأمتعة والتحقق من الشخصية وقصر دخولهم للمدينة المقدسة على الأئمة القضاة الدينية ، ويطلع كل حاج فوكي نظير الإقامة والضيافة وفي بيت المقدس ٧٢٪ دوكانه ويسجل اسمه ثم ١٢٪ دوكانه شريفة راس ويسمح لهم بالمهاجرة لينا يحملون أو يشترونه من سلع العرب ويقبضون في بيت المقدس يوما وليلة يؤدون فيها الضمان المدينة ويوزعون الأماكن المقدسة ويعودون لاني يوم الى يافا لو ان غير سانت كاترين ، وفؤلا يرحلون لاني يوم من بيت المقدس .

القرن الفصل الثاني ثم الملحق رقم (٧٧) من سنة تالفي القوري والمباحث

Fabry, Op. Cit. Vol. VII. Part. II. pp. 213-226.

Zinda, Op. Cit. pp. 293-296.

(٧٦) تذكر مراجع المصنوع الوسطى المهاجرة طريقا آخر من يافا الى بيت المقدس مارا بمدينة الرملة وقمر بمدينة الرملة تجارة الهندية مرتين في العام ويحصل منها ما للبحر والحجاج . في حين أن سلفي الحجاج الخاصة لا فصل منها حجاج . ولكن الهندية في النصف الثاني من القرن ١٥ م خلفت هذه القاعدة وحصلت الحجاج على سلفي الحجاج لدى هودهم من بيت المقدس ومن بين هذه السلع الحجاج القرية والحلية والمنسوجات والرجاج . وللبنادقة في الرملة فصل وهم لا يطرئون يافا الا في حالات نقل الحجاج للمسيحيين القادمين من الرملة وبيت المقدس ثم في الحاجة الى حيوط الفول القطنية التي تقتصر بها هذه المنطقة بالرقم من حفاة الأمان في أسطولها كنفند السلطات في البشارة والأصل في وجود التناصل هنا هو تسهيل لمرد الحج للمسيحيين الى بيت المقدس وأضيف إليهم بعد ذلك رعاية تجارة مواطنهم . ويطلع الحاج وسوما للمحج ورسوما للجمرات من تجارتها اذا كان يحمل متاجرا ورسوما للتناصل ويؤجر دليلا للطريق .

Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 466, 467.

Fabry, Op. Cit., Vol. I. Part. II. pp. 266-269.

(٧٧) ذكر السلطان القوري تجارة الشرق في الاسكندرية وبيروت بعد أن كانت

وارداته من التجارة الشرقية منذ وصول البرتغاليين الى الهند . راجع الفصل الثاني .

Dopping, Op. Cit. T.I. pp. 88, 89.

(٧٨)

أما الطريق البرى من دمشق للقاهرة فيسير بهذا الساحل حتى
عزة ، وبها تجارة على جاب كبير من الرواج ومعظم تجارتها هنا من
الوطنيين ولا يتردد الأجانب عليها الا قليلا ، وإذا نزلوا فهي عندهم
استراحة في طريقهم لمصر وقد أصاب مدن الشام بصفة عامة ضرر
بالبحر بعد أن شق البرتغاليون طريقهم البحرى للهند فتحوط عنها تجارة
الشرق من الصين والهند بحرا ، كما بطل عمل القوافل البرية التى
كانت تروح وتغدوا بين الشرقين الأدنى والأقصى وقل بها عند الأجانب
من التجار المستقرين والمارين وانحصرت التجارة الداخلية فى نطاق
ضيق وأصبحت لا تتعدى حد الاستهلاك (٣٦) .

الطريق الثالث :

أما الطريق الثالث الرئيسى : فهو طريق برى من وسط آسيا ومن
الهند عبر جبالها وممراتها الى نهر الأيبل ويتقابل مع القوافل الوافدة
من الصين ، ثم يسيران معا حتى بخارى حيث يتفرع فرعان الأول : الى
بحر قزوين فنهر الفلجا وبلاد البلخار . والثانى : يتجه الى البحر الأسود
وموانيه ، ثم القسطنطينية وأوروبا وتخرج منه فروع جانبية الى حلب
وساحل البحر المتوسط ، وآخر الى بغداد وديار بكر ، والثالث : غير
مطروق ويعبر أرمينا وآسيا الصغرى برا الى القسطنطينية . وفى
النصف الثانى من القرن الخامس عشر تعددت مرات اغلاق هذا الطريق
ووقفت حركة التجارة فى مدنه وموانيه بسبب اشتداد الصراع بين
العثمانيين والتركمان والجيوب الرومانية على البحر الأسود ، ثم
الصفويين والماليك . كما تأثرت فروعه بهذه العمليات الحربية التى
اشتدت بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ م (٣٧) .

(٣٦) كرد على المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٨ .

(٣٧) انظر ملحق المرافق وراجع كذلك

Clive, A Hist. Of Commerce, pp. 85, 86.

Eleen Power, Travel & Travellers, pp. 136, 137.

وبالرغم من سيطرة القوات التركية على هذا الطريق قبل سقوط القسطنطينية فإن التجارة لم تتوقف فيه ، بل وصلت قواصل الصين والهند حاملة معها التوابل والأنسجة والأحجار الكريمة من الهند والصين ، كما وصلت عليه الأنسجة المطرزة والسجاد من فارس وشيراز وأصفهان وكردستان وما بين النهرين ، والجلود والفراء والحنطة وسماك الكافيار والعييد من بلاد البلسار عن طريق بحر الفلجا لتقابل مع السلع الواردة من الشرق الأقصى وتوجد طريقها إلى آسيا الصغرى ثم إلى البحر المتوسط أو القسطنطينية وأوروبا . والقادة في هذه التجارة هم البنادقة والبحوريون ثم الفلورنسيون وآخر نقط وصولهم شرقا هي مصب نهر الفلجا عند تقابل طرق الشرق والوسط والشمال ويتولون هم بعد ذلك نقلها للقسطنطينية أو موانئ الشام ^(٨١) .

وإذا كنا بصدد الحديث عن التجارة عبر هذا الطريق من آسيا إلى آسيا الصغرى فإن موقف الأتراك العثمانيين هنا هو حجر الزاوية فيما آل إليه منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر . فهذه الطرق لم تعد منذ ذلك الوقت تصلح للاستخدام بعد أن ظلت فترة طويلة مسرحا لحروب مدمرة بين الأتراك العثمانيين والغرب المسيحي ، ولم يعد بإمكان السفن التجارية دخول المضائق والبحر الأسود بنفس الحرية التي كانت لها أيام البيزنطيين ، وواجهت التجارة صعوبات جمة من تفتيش دقيق وقيود شديدة ورسوم عالية ونهب أحيانا . وتدخلت السياسة في تنظيم الاقتصاد ، فصادر العثمانيون السفن الحربية عدة مرات لصالح الحرب ولما تعددت الاعتداءات، وكثرت الشكاوى، ضج التجار وجأروا بالشكوى لحكوماتهم ووجدت هذه الحكومة أن خير ما تنصع به تجارها ورعاياها هو التوجه إلى الساحل الشرقي والجنوبي

Perrotet, Op. Cit. T. II. pp. 65, 96.
Gayet, Op. Cit. T. II. p. 315.

للبحر المتوسط في مصر والشام . لذا شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر حركة تجارية جديدة ، فبعد أن كانت السفن يتجه معظمها الى الشمال والشمال الشرقي حولت وجهتها الى الشرق والجنوب الشرقي للبحر المتوسط (٨٧) . وبعد فتح القسطنطينية وصلت التجارة لبلاد السلطان العثماني بطريق الشرق وبطريق الغرب برا وبحرا . وفي عودة التجار الأوربيين كانوا يعملون معهم السلع الشرقية . ولما كان البيزنطيون من قبلهم هم سادة المنطقة المحصورة سياستهم الاقتصادية في أنهم اذا أمكنهم السيطرة بأنفسهم على التجارة واحتكارتها فانهم يقومون بذلك وعلى نطاق واسع والا تركوها للتجار الغربيين مع منحهم جميع التسهيلات لمباشرة نشاطهم التجاري — أما الأتراك العثمانيون كما يقول « هايد » : « فكأنوا يتصرفون على غير ذلك ، فعلاوة على أن روح المتاجرة لم تجر في عروقهم ولم تشغل أفكارهم ، فإن الرغبة الجامحة في التمتع والحرب سيطرت على كل جهودهم وبخاصة الجمهوريات الإيطالية التجارية لثرائها وقوتها البحرية لمساعدتهم للبيزنطيين خلال الصراع على القسطنطينية ، فلم يلتق العثمانيون بالا لما يجزم عملهم هذا على التجارة وطرقها ، بل كانوا في عنفهم يدمرون الأسواق ويخضعون لسيطرتهم مراكز الجاليات التجارية ومن بها من تجار وتجارة ، وفر الكثيرون الى وطنهم مكتفين من الغنيمة بالآباب » ، والواقع أن مؤرخي الفترة الأخيرة من العصور الوسطى ومنهم « هايد » يتهمون المملكات العثمانية بالتأخر وفقدان روح الحضارة ويلتقون مسئولية غلق هذا الطريق فترات طويلة على عاتق العثمانيين . والحقيقة أن العثمانيين في فترة تكون دولتهم نهوا التجارة جانبا ، لا اهمالا منهم ، ولا لأنهم رعاة آسيويين ، ولكن لأن تأمين امبراطوريتهم أهم في هذه الظروف من المتاجرة ، وأهم من فتح

أبواب بلادهم للأجانب وهم على عدااء معهم وبخاصة أن الجيوش العثمانية نصبت كثيرا في شرق أوروبا ووسطها ، كما أن هذه السلطات كانت تعلم أن قواد الجمهوريات الايطالية - التي اشتركت في الحرب صدها - قائم على التجارة وانها مصدر خطر حربي على الامبراطورية الجديدة^(٨٢) . وليس أدل على ذلك من أن التجارة ظلت مستمرة في آسيا الصغرى في الأماكن التي عزاها العثمانيون قبل سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ ، كما أنه بمجرد انهيار الامبراطورية البيزنطية واستقرار الأمور للعثمانيين في القسطنطينية وفي البلقان استؤنف حركة التجارة بين الشرق والغرب على هذا الطريق ، وتقدم ابادقة والجنوبيون والفلوريسيون وغيرهم من تجار راجوزا وسين والألمان بطلبات استئناف التجارة في ظل السيد الجديد ، وعقدوا اتفاقيات تجارية أكدت سابق امتيازاتهم ، وإن كانت الضرائب قد زادت أحيانا ودفعوا تأمينات لهم في الجمارك^(٨٣) . إلا أن العثمانيين تشددوا في الجمارك وتفتيش السفن وبخاصة في فترة الحروب : كما حدث في الصراع العربي بينهم وبين البابوية على عهد البابا كالكستس ١٤٥٧ وجرت اليها الهدنة في صراع استمر حتى عام ١٤٧٩ أغلقت فيه المضائق في وجه سفنها وجرى تفتيش دقيق للسفن المحتجرة في البحر الأسود كما أغلق الطريق البري من وسط آسيا ، وهذا اجراء تطلبت

(٨٢) لاحظ أن بعض المؤرخين مثل هايد يعامل كثيرا على العثمانيين ملما بأنه أعداء يوقلهم منه الكلام على تجارة القرن ١٥ م مع قسطنطينيا وفلورنسا والبندقية انظر ملاحظة ٨٧ ص ٥٥

Heyd, Op. Cit. II, p. 349.

(٨٤) حصل الجنويون على مملكة تجارية مع العثمانيين بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ وكانوا قد سلموا حصونهم في جلايا للسلطان محمد الثاني العثماني استسلمهم الألمان وبقى للتجارة . أما البندقية فقد عقدوا اتفاقية مع العثمانيين لتفديم شئون رحابا وتجارة الدولتين وتحديد الرسوم الجمركية . ملخص مملكة البندقية والسلطان محمد الثاني العثماني بلالمن رقم (١٧) .

Cambridge Modern Hist. Vol. I, p. 278.

Heyd, Op. Cit. II; p. 214-215. & pp. 316-317.

Dopping, Op. Cit. II, pp. 214-215-217-228 & N. p. 341.

«الضرورة العصرية كما أنه من حقوق السيادة للعثمانيين» (٨٥) . إلا أن هذا العداء مع البندقية لم يشمل باقي الجمهوريات والمدن الجمهورية، الإيطالية فتمتعت فلورنسا بامتيازات رائعة في الموانئ والبحار العثمانية ، بل أن السلطان العثماني استخدم بعض الفلورنسيين في قصوره كمستشارين وتبادل الطرفان العديد من المعاهدات (٨٦) . كما رادت بعثات عثمانية مدينة فلورنسا وتبادلت مع حاكمها الهدايا (٨٧)

ومن المحطات العثمانية التي خدمت التجارة على هذا الطريق مدينة أدرنة التي زخرت بالتجار البنادقة والجويين والفلورنسيين وعرب الشام والعراق .

وامتد النشاط كذلك الى بروسة حيث تعقد بها أسواق يبيع النوايل والسلع الشرقية عامة ومعظم روادها من تجار الشام والعراق ؟لذين يتجهون بعد التسوق الى حلب وبغداد ، بل أن أهالي ضاحية بيرأ بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ وحصولهم على الأمان لهم ولتجارتهم اتجهوا الى بروسة وأدرنة للحصول على حاجتهم من السلع

(٨٥) شارل ديبل : البندقية جمهورية من ١٢٨ .

Depping, Op. Cit., T. II, pp. 226 & N. p. 341.

Heyd, Op. Cit. T. II, p. 312.

Hammer, Op. Cit. T. III, p. 240.

(٨٦) عقدت فلورنسا مع العثمانيين معاهدات تجارية عديدة منها معاهدات عام ١٤٦١

١١٦٣ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٨٢ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٧ .

Heyd, Op. Cit. T. II, pp. 339, 340-343-343-346.

(٨٧) يمكن أن يقال بوجه عام أن عدم اعتماد العثمانيين أحياناً بالتجارة كان مبني على أمور سياسية واقتصادية . فكانت البندقية وقوتها العسكرية هي المقصودة من إجراءات طرد الطرق والموانئ والمضائق وحساسة الأموال والتاجر . فانه بعد أن استقر الأمر للعثمانيين في القسطنطينية وشرق أوروبا بحثوا في فرض السيطرة على مواصلات وتجارة البندقية في بلاد السلطان العثماني لأن رواج تجارتها يزيد من ثرائها وتهددها المستمر للفتوحات العثمانية ووجد العثمانيون أن السبيل الوحيد لمنع التهديد ، ولتشجيع التجارة هو الكشفاء على تجارة البندقية ومواصلاتها البرية والبحرية ثم تصحيح باقي المدن الإيطالية مثل الفلورنسيين للفصل عن نطاق واسع . ومعنى هذا أن الطرق لم تطلق نهائياً إنما أغلقت في وجه جاليات بعضها لموانئ الأمن . انظر ملاحظة (٨٢) وكذلك

Heyd, Op. Cit. T. II, p. 349.

الشرقية . ومعظم المتاجر الشرقية في مدنه ومراكز آسيا الصغرى كانت في يد العرب المستوطنين والتركمان وبعض الأجانب المغامرين من بنادقة وجنوبين وفلورنسين ولهم وكالات ومخازن . ومن أكثر مراكزهم ازدحاما طوروس ، وبها سوقان : أحدهما : للحبوب والمنتجات القطنية والأحجار الكريمة ، والآخر : للقطن الخام والصابون والتوابل والسلع التي يكثر الطلب عليها في أسواق الشرق والغرب ، كالسجاد والصوف والجلود المديونة والشحم وبذور الصباغة ، وبخاصة صبغة المن والقمح (٨٨) . وفي فترات الصراع العربي - اقتصر التعامل التجاري على الفلورنسين والعرب (٨٩) . وعلى شواطئ البحر الأسود مرت سلع هذا الطريق التجاري من الشرق الأقصى وسيطر على تجارته في هذا الجزء الإيطاليون بصفة عامة برا وبحرا ، وتعاملوا مع قبائل القوقاز ووسط وشمال آسيا وارثرت تجارتهم على قواعد ثابتة من التعامل النقدي والمؤجل والمقايضة ، ومن أهم مراكزهم على البحر الأسود كافا ، وتتصل بالطريق البري من بكين بالصين ، واتخذها الجنويون عاصمة لهم ولتجارهم وتردد عليها التجار البلغار والرومانيون والبولنديون والأتراك والأرمن والبنادقة والفلورنسيون أحيانا بمدعم ١٤٦١ (٩٠) . وكان الجنويون يعتبرون البحر الأسود بحيرة جسوة حتى سقطت القسطنطينية عام ١٤٥٣ وسيطر العثمانيون على هذا الطريق في جزئه الأوسط بآسيا الصغرى حتى شرق أوروبا مما جعل المراكز التجارية في الأناضول وعلى البحر الأسود شبه معزولة ، وإن كان التجار الأجانب فيها قد نالوا حق استخدام هذا الطريق في

Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 353.

(٨٨)

Heyd, Ibid. T. II. pp. 350, 351.

(٨٩)

Poston, Camb. Med. Hist., II, pp. 353-354.

(٩٠)

Depping, Op. Cit., T. II. pp. 224-227

Gayet, Op. Cit. T. II p. 314.

Pernaud, Op. Cit. pp. 69-70.

أملاك الدولة العثمانية ضمن المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها مع السلاطين المتعاقبين ، إلا أنهم شعروا بقرب انتهاء وجودهم ، وبخاصة عندما عاد السلطان محمد الثاني العثماني إلى الشرق منذ عام ١٤٦٠ لاختصاص ما بقي من حيوب تركمانية ومنولية وأوربية في شرق آسيا الصغرى . وكذلك نهاية للفترة الزاهية التي عاشها تجارهم قرونا عديدة . وسلم الجويون أموالهم لينك سان جورج ورحلوا إلى مراكزهم في مصر والشام (٩١) .

وبعد أن اكتسح السلطان محمد الثاني العثماني الإمارات التركمانية استولى على المراكز الأعرقية الباقية في بوتس وهراقليا وسينوب وسسبون التي انقسمت إلى قسمين : التركي وهو سسبون ، والجنوبي سيمسول وجنوة في الجزء التركي قاصملي وتجار (٩٢) . أما مدينة طرايزون فتصل بطرق برية بفارس وأرمينيا ، وبها أسواق عالمية وتمد أوروبا بالسلع الشرقية ، وللجاليات الأجنبية فيها وكالات وفنادق . وتتصل بحرا وبرا بباقي موانئ البحر الأسود وبالقسطنطينية كما تتصل عن طريق ديار بكر ببغداد بالحليج الفارسي . ولدى وصول السلطان محمد الثاني للمنطقة حاول مثلو طرايزون في أوروبا إثارة حروب أوربية ضد السلطان العثماني ، وأقاموا حلفا عسكريا من أمراء المسلمين الحاقدين على الأتراك وأمراء جورجيا المسيحيين والبابوية ، ولكن فشل الحلفاء وسقطت المدينة عام ١٤٦١ (٩٣)

(٩١) انظر ملحق المرفقات ودائج

Gayet, Op. Cit. T II. p. 314.
Poston, Op. Cit. T II. p. 354.
Depping, Op. Cit. T II. p. 221

Depping, Ibid ; p. 222.

(٩٢)

Heyd, Op. Cit. T II. pp. 359, 360, 361.
Hammes, Op. Cit. T. III. pp. 70, 71.

(٩٣) انظر ملحق المرفقات ودائج

Depping, Op. Cit. T II. pp. 128, 129.
Camb. Mod. Hist. Vol. I. p. 78.

وحلال الفترة التالية لسقوط امبراطورية طرايزون ماجت المنطقة
باصراع السياسى والتحرى الذى امتد من حدود فارس الى حدود
سبطه المالىك باطراف الشام والعراق وديار بكر ، وشمل عصر
سلاطين آل عثمان محمد الثانى وبايزيد الثانى وسليم الاول ، ومن
سلاطين مصر المالىك شمل عصر السلطان قايتباى والسلطان المورى
ومن فارس فترة طويلة من عصر اثناء اسماعيل الصفوى . وكان
لامتداد اقبال فى هذه المنطقة اثره البالغ فى طرق التجارة الأوسط
ابرى وابحرى ومروجه بين الشرق والغرب ، وليس أدل على ذلك
أن الترك كثيرا ما كانوا يرسلونه سفهم الى الاسكندرية وديار
وبيروت للحصول على حاجتهم من السلع الشرقية ، بل منح تجارهم فى
الاسكندرية مدينا ومركزا دائما (٩١) . وكان هذا الفئق من قبل
لجالية يبرا ورمص قاضى الاسكندرية منحه للفلورنسين بعد انصمام
يبرا اليهم — وقد آل الفئق للمسلمين .

الطريق الرابع :

أما الطريق الرابع فهو من الصين بحرا الى الهند ، وعندها يتحد
مع الطريق الأول الى الخليج الفارسى ، والطريق الثانى الى البحر الأحمر
ويخدم التجارة على هذا الطريق عدة موانئ بالصين والهند ، أبرزها
خانفو (كانتون) وزيتون وكيساى بالصين أما بالهند فعلى ساحل
الملابار مدنه حوجيرات وكماى وديو وقاليقوت وجوا وكولون وشول
وكانانور وسورات ثم محطات قليلة على ساحل كروماندل الشرقى
فجزيرة سيلان. وقد سيطر على هذا الطريق من طرفه دولتان تجاريتان
عظيمتان ، ففى طرفه الشمالى الصين ، وبها أسرة منج الوطنية التى

(٩١) شارل ديبل الهندية بيمورية من ١٥٠٠ - ١٥١٠
Hoyd. Op. Cit. T. II pp. 374-350 & 735, 736.

حكمت من عام ١٣٦٨ / ١٦٤٣ - وفي طرفه العربى دولة سلاطين المماليك
بمصر والشام من ١٢٥٠ / ١٥١٧ م وأشرف الصينيون على الطريق من
عاصمتهم نانكينج ، وقد ظهرت أهمية هذا الطريق منذ أن هددت الحروب
العديدة الطريق البرى من شرق ووسط آسيا والهند الى آسيا الصغرى .
وكان أقصى نقطة وصلت اليها السفن الصينية هي جدة فى البحر الأحمر
وقد نشطت العلاقات التجارية من الرحلات المباشرة بين شرق وغرب
آسيا والتي يقوم بها الطرفان ووصلت بعثات الصين التجارية الى
الساحل الجنوبي لبلاد العرب والساحل الشرقى لأفريقية حتى مقديشو ،
كما أن سفنهم مرت فى هذا الطريق بالخليج الفارسى ومدنه وموانئه ،
وان كانت معظم الرحلات توجه أساسا الى البحر الأحمر ومصر
والشام (٩٥) .

أما التجار العرب فقد ازدادت رحلاتهم للمياه الصينية بعد
علق الطريق البرى الأوسط منذ أن ملأت الفتوحات العثمانية النصف
الثانى من القرن الخامس عشر فى آسيا الصغرى ، وازداد بالتدريج
عدد التجار العرب وسيطروا على تجارة جوب شرق آسيا ، واتخذوا
من خائفو قاعدة لعملياتهم التجارية وأنشأوا مواصلات منتظمة بين
مراكزهم على الخليج الفارسى ومراكزهم الجديدة جنوب شرقى آسيا .
وانتقل هذا النشاط بعد ذلك الى البحر الأحمر الذى اتصلوا منه
مباشرة بموانئ الصين ، وتركزت التجارة الى حد كبير فى يد
بعض الأسر ، وخائفو من أهم مراكز التجارة فى الصين ، وتزخر
أسواقها بالحرير والمك والمود والمروج والسمور والدارصينى
والأبنوس وخشب الصندل والكافور والخيزران ومختلف أنواع
الأفاوية ، وذكرها معظم مؤرخى العرب كمرقا للسفن « ومجتمع
تجارات العرب ولهم بها رجل مسلم يوليه صاحب الصين الحكم بين

(٩٥) انظر ملحق المرفقات وكذلك :

Hyzyyia, Arabia & The Far East, pp. 180, 181.

المسلمين القاصدين تلك الناحية ، وفي العيد يصلى بالمسلمين ويحطب ويدعو للسلطان » (٦٦) . وبالإضافة الى العرب فيها جالية يهسودية ونصارى ومجوس . « ولدى وصول سفن البلاد العربية تدخل الميناء ، وتنقل السلع الى الجمرك وتبقى فيه مدة حيث يصير تقدير ثمنها وتحصل الحكومة على ثلاثة أعشار الثمن جمارك وضرائب ، ويستطيع الامبراطور أن يشتري ما يشاء بأثمان غالية بلا ظلم لأحد » (٦٧) . ومن أسباب احتكار السلع حتى نهاية الموسم إتاحة الفرص للأهالي لشراء بأسعار مخفضة ، وذلك باغراق السوق بالسلع . ومن النظم كذلك قيود التفتيش فيلزم مفتش التجارة البحرية الصيني التجار تسجيل أسمائهم وشحناتهم في مكتبه لا مكان حصر قيمة الضرائب ورسوم الشحن على سلعهم ، كما يحرم عليهم تصدير السلع النادرة أحيانا (٦٨) .

أما ميناء زنتون (٦٩) فهو من مداخل الامبراطورية البحرية ومستقبل السفن الصخمة وبه محازن واسعة ، وجميع الأهالي هنا يعملون اما تجارا ، واما صاعا كما أن معظم السفن التي تدخل الميناء

(٦٦) ابن الوردي : فريدة السجائب ص ١١ و ١٢ .

ابو زيد حسن السهالي : سلسلة التاريخ ص ١١٠ .

الجزري : المصدر السابق (مطبوعة) ورقة رقم ٢١٤ - ٢٢٥ .

ابن أبي عمير : نقل الأثر : (مطبوعة) ورقة رقم ١٢٨ .

سباهي : المصدر السابق ص ١٢٧ ب .

Husayyin, Ibid, pp. 157-158.

(٦٧) حوراني : المصدر السابق ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٦٨) راجع ملحق الفرائط وكذلك : .

Husayyin, Op. Cit. pp. 160, 166.

Eileen Power, The Opening Of The Land Route To Carbay, pp. 148 ; Chap. VIII From «Travel & Travelers».

Guyot, Op. Cit. T. II. p. 315.

Chih an-Chow (٦٩) زنتون هي المدينة الصينية « تشوان - تشو » .

ويقال انها تصروفج Tung - Tzu من موانئ إقليم لوكن . ولا يرد اسمها الا في المصادر العربية المتأخرة . انظر :

حوراني : المصدر السابق ص ٢٢١ ملاحظة (٧) .

Husayyin, Op. Cit. pp. 178. R. 3, 197. R. 2.

أجنبيه وبالأخص عربية . وبها حرك على جانب كبير من الاتساع والثراء ويستوعب المياح حوالي ١٠٠ سفينة في المرة الواحدة من السفن الكبيرة وصحها من السفن الصغيرة ، ولزيتون اتصالات وثيقة بمدن وموانئ عرب آسيا هي مصر والشام وترسو هي مينائها من الصين بشكلها المعروف محملة بالتوابل وعود اللند والمصبار والأبوس وخشب الصندل من الهند الصينية والمسك من التبت والحرير الحام من الصين نفسها . وهي طريقها للبحر الأحمر تمر بالهند لتحمل اللآلئ والجواهر والأحجار الكريمة والفلفل والحرير والأفاوية (١٠) .

ومن هذه الموانئ أيضا ميناء « هاج تشو » الذي يعرفه العرب باسم كنيماي أو كنيما ويقع شمالي ريتون وهو من أعظم فرص الصين واليه ينتهي وصول تجار العرب من العرب وغيرهم . ومع أنها ليست كبيرة إلا أنها اكتسبت شهرتها كمركز تسويق ومدخل لنهر يانج تسي ، وبها مراكز ووكالات تجارية للمسلمين مثل كاتون وزيتون (١١) .

على أن هذا الطريق لم يكن معظمه آمنا ، فليست صعبة المواصلات في بعض أجزائه هي العقبة الوحيدة إنما انتشرت القرصة في بعض أجزائه عند البحرين وقطر والساحل الإيراني في الخليج الفارسي . وكان القراصنة يأوون في الشعاب المختلفة بالبحر ، بل انتشروا كذلك في مياه الهند والسند وهم المعروفون باسم « المد

(١٠) سباني : المصدر السابق ص ١٣٦ .

Eleen Power, Op. Cit. p. 136.

(١١) أصل هذه المدينة هو King Sen أي المدينة المركزية وعرفت كذلك

باسم Quinsay, Kinsay وتقع على عدة حرر بينها قنوات مائية ولها ١٢ بوابة
 : ١٢ كوبري - وسكنها سادة الصين وتجارها يتعمرون بجميع الحقوق المدنية والدينية والمساوية ،

Hyazayin, Op. Cit. p. 108.

Eleen Power, Op. Cit. p. 134.

والكرج » ويسكون بلاد السند . لذا كان على السفن التي تصل الصين على هذا الطريق البحري أن تزود بما تحتاج اليه من مياه ومؤن من ميناءى سحار ومسقط على ساحل عمان ، ثم تمر المحيط مباشرة الى كولم على في جنوب مالابار لتفادى بذلك قرصنة الميد والكرج . بل ان هؤلاء القراصنة وصل نفوذهم أحيانا الى جزيرة سقطرى واتحدوها وكرا لهم ليرصدوا السفن القادمة الى شرق افريقية والبحر الأحمر ، لذا حرص الصييون على أن تحمل سفنهم التجارية حدودا بحريين مدربين على رمى النار اليونانية . (١٠٢) ومن هذه لعقبات أيضا اختلاف هبوب الرياح في المحيط الهندي من فصل لآخر ، ولكن الملاحين استطاعوا تدليل هذه الصعوبة بعد أن مارسوا الملاحة فترة طويلة في هذا المحيط ووقتوا مواعيد رحيلهم وأوبئهم مع دفع الرياح الى جهة مقصدهم . ونبا لاختلاف هبوب الرياح في اساطر الشرقية فان السفن القاصدة للصين كانت تدخل الخليج الفارسي قبل أن تشتد عواصفه في شهرى سبتمبر واکتوبر . وتعبير المحيط من مسقط الى ساحل الملايار بالهند بدفع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية وتستغرق هذه الرحلة شهرا ما بين شهرى نوفمبر وديسمبر وتبقى حتى تنتهى العواصف الدوارة من خليج البنغال ومن ساحل الملايار تسير السفن الى جزيرة « سرديب » سيلان الباقوت ، وأحيانا تعرج على خليج البنغال بعد هدوء عواصفه ثم تسير شرقا مباشرة الى جزر ليكوبار ليتزود رحالها بالماء والميرة ويتبادلون السلع مع السكان وهم منتظون قواربهم ، ويكون شهر يناير قد انتهى ، وانتهى كذلك هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، وتوجه السفن الى ملقا مدفوعة بالرياح الموسمية الجنوبية ، وسطول شهرى أبريل ومايو تكون قد وصلت الى الملايو ثم تتجه فى شهور الصيف الأولى الى سومطرة وحاوة

والهد الصيفية ، وتستغرق في هذه الرحلة حوالي ستة شهور من الخليج الفارسي لتدخل في النهاية ميناء كاتون « خانقو » وبحر الصين عامة . وإذا سارت السفن من مسقط الى كاتون مباشرة دون توقف استغرق سفرها حوالي ١٢٠ يوما . وبعد قضاء الصيف في بحر الصين تحمل السفن السلع الصينية لتعود مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية الى مضيق ملقا فيما بين أكتوبر وديسمبر ، وتعتبر الخليج في البغال في يناير مستعينة بدفع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية . ثم تحتتم رحلتها الى الخليج الفارسي ويكون الصيف قد حل . ورحلتنا الذهاب والاياب تستغرقان شعرا من عام ونصف عام (١٠٦) .

وفي الهد على هذا الطريق انتشرت المدن والمراكز التجارية على ساحل ملابار - الساحل الغربي للهد - وهي تحجر خلفها مساحات واسعة من الأراضي ذات المناخ الموسمي والانتاج الوفير من التوابل ويزرع الأهالي الحاصلات ، بأنفسهم وتقوم الوكالات الأجنبية بتسويقها وتصديرها للخارج ، ومن هذه الوكالات وكالات الحاليات العربية الذين يكونون خمس سكان الموانئ ، وراسلون التجار في مصر وأوربا ولهم وكلاء في الخليج الفارسي وسواحل بلاد العرب وشرق افريقية وقد ثبتوا أقدامهم في مدن وموانئ ساحل ملابار منذ أمد طويل ، واشتركوا مع الأهالي في اللغة والدين والمعادن والتقاليد والعمل المشترك (١٠٧) ، وانقسمت الولايات الهندية الى مجموعة من الامارات نافست بعضها مع بعض في السياسة والانتاج الاقتصادي وشمل التنافس جميع فئات التجار الوطنيين ، والأجانب ، ولكل اقليم منتجاته الخاصة به التي يزداد الطلب عليها في الأسواق العالمية تما

(١٠٦) سوراني : المصدر السابق ص ٢٢٠ و ٢٢١ .

(١٠٧) انظر ملحق المرفقات ثم وليم

Depping , Op. Cit. I. p. 39.
Darnes, Op. Cit. II. p. 75.

لجودتها وبدرتها ونقاؤها . والانتاج هنا يصل الى التجار مباشرة دون وساطة مما جعل أسعاره منخفضة . وميناء قاليقوت من أبرر موانئ هذا الساحل والتجار العرب هم أول من وردوا أسواق قاليقوت ويصلون منها شرقا الى الملايو والصين . واكسبت المدينة شهرتها العالمية التي امتازت بها من تجارة التوابل والأحجار الكريمة الثمينة ، ونموذج بعيد من الجاليات الأجنبية من العرب، والسوريين والمصريين واليمنيين والأحياش والترك والمجمل والصينيين (١٠٥) . وبالإضافة الى اقتاحتها الويرة ، تصلها توابل وبهار الصين وجزر الهند الشرقية وسيلان ويعملها العرب الى الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، وتعقد أسواقها السنوية في الأعياد ، ويدفع التجار لسلطات الميناء رسوما جبركية ثقل أو تزيد بحسب تعبير الحكومات ، وبارتفاع رسوم الجبرك ترتفع ثبعا لذلك أسعار السلع أربعة أو خمسة أمثال ثمنها أحيانا وعلى هذا فان الفائدة البضخمة هي التي يجنيها التجار الذين يحملون السلع الى غرب أورما مباشرة دون وساطة (١٠٦) .

ورصف قاليقوت الرحالة المسلم ماعون في القرن الخامس عشر وكان ترحماتا لامبراطور الصين تذكر أنها « ... من أهم مراكز العالم التجارية ويرد اليها التجار من جميع أنحاء العالم . ولدى وصول سفن الصين اليها ، يعتليها مندوبو الملك لكي يلقوا نظرة على البضائع والسلع ويضمنون حملتها ، ويعين لكل تاجر حارس ، لحمايته ومحاسب لتنظيم حساباته وتقدير رسوم الجمارك وسممار لتسويق ما يطلبه من سلع أو يبيعها نظرا لمعرفته ببلاده وطباع أهلها ولتفهم وعلاوة على الحارس الخاص فان جميع ضباط الميناء والبحرية ورجال الجمارك

(١٠٥) انظر ملحق المرفأط ولفند :

Heyd, Op. Cit. II ; pp. 497-499.

Syngé, A Book Of Discovery, p. 172.

(١٠٦) هم البرتغاليون به كشف طريق رأس الرجاء الصالح

Gamb. Med. Hist., I. pp. 25-26.

في حراسة أمتعه وبصائع التجار الأجانب ، ويحصلون لقاء ذلك على ربع قيمة المبيعات والمشتريات ، وإذا لم تبع فلا يحصلون أي عوائد .. وإذا دفعت الرياح أي سفينة إلى المياه بطريق الخطأ أو القهر وجد رباستها في المياه الأمان والسلامة بعكس الموانئ الأخرى التي تنهب وتصادر حمولة السفن المحتجبة بها لصالح السلطان أو تفتك بركابها (١٠٧) . ومعظم أهالي قاليقوت بطارية مهرة وشججان ولا يجرؤ أي قرصان مهاجمة سفينة يقودها بحار من قاليقوت هذا برغم انتشار القراصنة في المنطقة من سقطرى إلى ساحل ملابار . (١٠٨) وحواليت العرب والفرس والصينيين هناك مشهورة ببيع الأحجار الكريمة واللؤلؤ والطور والتوابل والخور والحرير الصيني . ويرد للمياه سلع أوروبا عن طريق الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، وهذه السلع حواليت خاصة ببيع النيد الوارد من كريت والأصواف وغيرها . أما العملة المتداولة هنا فهي قطع ذهبية مضروبة في مصر كما يستعملون أيضا الدوكات البندقية وعملة أخرى من الفضة تزد حوالى ١٦٣٢٤ قمعة ، وكثير استعمالها في أسواق الصين (١٠٩) . والميناء ، صالح لرسو السفن الكبيرة والصغيرة ويستعمل العرب هنا السفن الصغيرة والسفن الكبيرة الضخمة كالمنازل والتي لا تقل حمولة كل منها عن ألف ومائتي بهار (البهار أربعة قناطير) وتربط ألواحها بعضها بعض بخيوط من القصب والقطن . أما الهنود فيستعملون سفنا تسمى « سامبوك Sam-Buques » ويستعمل الصينيون هنا سفنهم المسماة « يونك Yonques » . وليس

(١٠٧) Mockajit, Indian Shipping (A Hist. Of . . .) pp. 196, 197, 198.

(١٠٨) في قراصة الميد والكبرج تركيزوا أولا في حنيج Cathiswar, Cutch

كما تجولوا في أرجاء المحيط الهندي وحملوا الخليج الفارسي والجزء الجنوبي من البحر الأحمر وسواحل سيلان وجزيرة سقطرى من أوكلهم ولرد عدوانهم حدثت السفن التجارية منها بحارة سقطرى عربى على النار الإفريقية .

حوالتي : المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

Mockajit, Ibid, pp. 196-197.

(١٠٩)

Depping Op. Cit. I. pp. 30-31 & ... 40.

«لمن أسطح علوية ، وظلوا حتى وصول البرتغاليين للهند لا يستعملون الحديد في ربط ألواح السفن بعضها ببعض» (١١٠) .

Depping, Op. Cit. I, pp. 31-33.

(١١٠)

Varthema, Op. Cit. pp. 153, 172-177 & N.L.

Darnes, Op. Cit. II, p. 77.

حتى وصول البرتغاليين للهند ظل العرب والفرسيون عادة يستعملون في رحلاتهم بحرية من الصين إلى الخليج الفارسي والبحر الأحمر وشرق أفريقيا سفنا ذات أشراب واحدة في صناعتها وإن اختلفت في أشكالها ومن أبرز خصائصها :

(١) أن ألواحها تتخاط بالخيوط المصنوعة من القنب ولا تدق فيها المسامير .
(٢) طول الصاري ويمتد الشراع على طول السفينة فهيكل السفينة يصبح من ألواح خشب الساج وخشب جود الهند وكلامها حتى لا يتساقط ولا يندفع شكله في الماء .
ومعظم هذه الأشراب تأتي من الهند ولا تصنع السفن في المنطقة من شرق البحر الأحمر إلى الصين من أشراب النخيل والبرد ، وبخاصة في الخليج الفارسي ، لأنها لا تصلح للسفن المحيطية .

جوراني : المصدر السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

ونبت ألواح الهيكل بعضها إلى بعض أنقى بخرط في اللب لم تسمح لها بطول لتقاوم أمواج المحيط الضاربة . والألواح الجانبية متلامسة الأطراف . وتورد الخيوط خلال للرب على أبعاد معينة قرب أطراف الألواح لتجاذرة . والخرط من القيد ومن ليف النخيل .

جوراني : المصدر السابق ٢٥٦ - ٢٥٧ .

More Land, The Ships Of The Arabian Sea, J.R.A.S. pp. 191-198 & pp. 172-174-179.

Muckerji, Op. Cit. pp. 196-197.

لم تعد تقريبا باجراء في عهد النخيل تعرف باسم القنبر أو سابع الخشب وأحيانا من شحم الحيوان الصغيرة الموجودة في مياه عدن بعد طبعه وأحيانا يستعملون دهن سمك القرش وساد هذا النوع من الدخون على فارس والهند والصين وساحل عمان ، ثم نزل بالقرن .

جوراني : المصدر السابق ص ٢٥٩ .

إدراك بن شهریار : كتاب عجائب الهند جزء وجزأته ص ٢٢ - ٩٤ - ١١١

(لفر سبيل)

Darnes, Op. Cit. II, p. 76.

Varthema, Op. Cit. I, p. 152.

يرجع بناء هذه السفن على هذا النحو حتى القرن ١٦ م إلى غلاء صناعة الحديد الذي يحتاج إلى أفران صخر وجيرة وغائر ثقلاته ما لم يرمس عليه الشرابون . كما أن البحارة الشرقيين اعتادوا هذا النوع من السفن ، وهي مونة كمعمل صفات السكر وشباب البحر الأحمر المرجانية ، وليس كما قيل من ارتفاع علوثة المحيط الهندي وتأثيره في المسامر والروابط الحديدية .

More Land; Op. Cit. pp. 188 & 191, 192.

ومن الجاليات الأجنبية المستقرة هنا أيضا بأسرها : فرس وخراسانيون ولهم كبير يفصل في أمورهم . وكان لاستقرار العرب والجنائات الأخرى في قاليقوت أثره في الصعوبة التي واجهها البرتغاليون في محاولتهم السيطرة على التجارة في المحيط الهندي والهند (١١).

وهي ولاية جوجيراب تقع أعظم مراكز الهند في تجارة التوابل ، وهي كمباي ، وديور . ويسكن المنطقة معظم تجار وأعيان الهند

٣٣ جوراني : العرب والملاحه ص ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٩ .

أما دفة السفينة فكانت في الجنب . وهي النوع الوحيد الذي عرف في المصور . الوسطي . ولكل سفينة دفتان على جانبيها مائحات تدير المحيط . أما المرساة فهي حجر مدبوك في وسطه كلب للمحبال وأحيانا من الرصاص وتعمل بالسلسل المحيطية ستة مراس . بذلك : المصور السابق ص ٨٧ .

جوراني : المصور السابق ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

Varthema, Op. Cit. p. ٢٥٢.

أما صواري السفن فهي من الخشب (المساج) وأطول من السفينة ، ويسبح شراعها من أوراق جوز الهند ، أو سمك النخيل ، أو النسيج اللطيف . واختصه السفن العربية بالقرع الملقبة حتى القرن الخامس عشر . ونقلها عنهم كولمبي ودياز وفاسكودي جاما . وترجع أهميتها إلى تسهيل تحميل السفينة تجاه الريح من كل جانب حتى لا يضطرب من القراع ويحطم الصاري . وللسفينة أجرة احتياطية . جوراني : المصور السابق ص ٢٦٢ - ٢٨٦ .

ومن الأجرة المينة في الملاحة عندهم : البوصلة ولها عندهم ٢٢ قسم وحسب عندهم احتمال الاضطراب بسبب شدة اهتزاز السفن في البحر وإن كانوا يستعملونه على الساحل وتعتمد خطوط المرمى تهاوا بالشمس قليلا بالنجم القطبي لا يمكن تحديد مكان السفينة وتسجل في دفاتر الإرشادات البحرية التي أطلق عليها اسم « رهائي » الذي يضم عدة خطوط المرمى والجدول الفلكية سطوحات عن الرياح والمساوئل والقصبات وكل ما يحتاج إليه الرابطة في رحلاتهم ويحصله الملاحون والتجار في المحيط الهندي والبحر الأحمر . ومن أشهر هذه النوع من الكتب في نهاية القرن الخامس عشر « رهائي أحمد امي ماحد الذي وضعه فيه على حيرته الخاصة وسيرة أبيه وجدته من قبل من سبقه طريقا في المحيط والبحر الأحمر » وهو « كتاب الفوائد في أصول علم البحار والزحار » وعلق عليه فرائد في المجلد الأول من :

Ferrand, Instructions Nautiques et Routiers...

أما الإبرة المصطنعية فكان استعمالها قليلا بسبب صفاء السماء معظم أصول السفة .

جوراني : المصور السابق ص ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ .

Dames, Op. Cit. II. p. ٧٥.

(١١١)

والعرب، ولهم اتصالات قوية بمصر وفارس والصين، ففي كمبای تنتشر جاليه عربية غنية لها وكالات وصادق وهم وكلاء عن كبار تجار الشام ومصر والعراق . ويدخل ميناء كمبای السفن العربية المصحلة بالحيون والقطن والتيل « والمتاع الديبلى » فتعود بالتوابل والأحجار الكريمة والحرير والكشمير والعقيق وريت السمسم والأخشاب والناددين والمسك واليوداكس والأميون والصبغات والحبوب (١١٢) ويدفع التجار هنا ١٪ لصالح تعمير المدينة ، كما يتعاملون بنقود ذهبية فضية مسكوكة وعليها من الوجهين كتابات عربية (١١٣) .

أما ديو فهي مخرج تجارة كمبای ، وبها جاليات مصرية وفارسية وعربية ويعمل الأهالي كلهم في التجارة وفي تجارة التوابل فقط يصل حوالي ٥٠٠٠ تاجر ، كما يصلها أكثر من ٢٤٠٠ تاجر سنويا . ويرد لها من الصين البورسلين والمسك ، والحرير وخشب الصندل ومن فارس المعادن النفيسة والفضة الخام والمسكوكة واللؤلؤ والبلح ومن مصر والشام متاجر عرب أوربا كالأصواف الايطالية والذهب والفضة والأسلحة والزجاج والكريستال والروائح العطرية ومن بلاد العرب الخيول (١١٤) . وحاكمها في ١٥٠٦ هو الملك العزيز الذي تعاون مع أسطول مصر ضد البرتغاليين ، وبعد هزيمة ديو ١٥٠٩ وهي المعركة التي تأيد بعدها

(١١٢) ابن بطوطه : المصدر السابق ص ٢١٩ .

Depping, Op. Cit. I. pp. 35-36-37.

Heyd, Op. Cit. II. pp. 500-501.

Varthema, Op. Cit. pp. 117-118-120.

Darnes, Op. Cit. I. pp. 164-165 & 108-156 & R. 3 p. 119.

Lane Poole, Med. India, p. 5.

Camb. Med. Hist. I. p. 28.

Varthema, Op. Cit., p. 129.

(١١٣)

Darnes, Op. Cit. I. p. 154, 156.

(١١٤) انظر ملحق العلاقات وكذلك :

Lane Poole, Med. India, Op. Cit. pp. 170-175.

George Das Bar, A History Of India, p. 141.

Varthema, Op. Cit. pp. 99, 100 & R. I. p. 100.

Depping Op. Cit. I. p. 36

Darnes, Op. Cit. I. pp. 128-130 & R.I. p. 128-129.

سيطرة البرتغاليين على التجارة الشرقية ونهاية تجارة العرب ومصر هي الهند ، طلب الحاكم الصلح وأجابه اليه البوكرك القائد البرتغالي الهندي لاحظ أهمية ديو فسيطر عليها عام ١٥١٣ (١١٥) .

ومن الموانئ الهامة التي لها صلة بالتجارة مع شرق وعرب آسيا ميناء حوا في مملكة الدكن وسكانها من الهنود والعرب والفرس والصينيين ، وتصلها سفن مكة وجدة وريبع وعدن وهرمز وكامباي ولا يدخل الميناء أجنبي قبل اجراءات تفتيش دقيقة ، وحاكمها عام ١٥٠٩ هو عادل شاه . ولما علم بخرقة ديو فتح بلاده لكل الفارين من بطش البرتغاليين ومنحهم حق الالتجاء والحماية والمعونة لاستئناف الحرب ضد البرتغاليين ، وقد بنى أسطولا ضخما وحصونا لأسلحتهم وجنودهم . ولما علم البوكرك بذلك هاجم الميناء واستولى على حصونه وأسلحته وأجبر الأهالي على دفع الجزية ، ثم اتخذها قاعدة حكمه في الهند . ويصل لجوا من هرمز الغيول العربية ويحصل مندوب ملك البرتغال على نسبة معينة من بيع كل حصان وإيراده من ذلك سنويا حوالي ٤٠٠٠ دوكة ، ويمود تجار هرمز بكمولات من السكر والرز والحرير والفلفل والبهار والرنجيل والمقايير وخلصها (١١٦) .

وفي ميناء ثول على الساحل الغربي للهند حدثت المعركة البحرية جدا الاسم عام ١٥٠٨ وفيها انتصر الأسطول المالكي بقيادة الأمير حسين على أسطول البرتغال بقيادة « الميديا الصغير » وتعاون مع الأسطول المالكي أسطول ديو الذي يقوده حاكمها . وفترة ازدهارها بالتجارة تمتد من ديسمبر الى مارس في العام التالي - وللتجار بها

Darnes, Op. Cit. I p. 132 & R. 2 p. 132 & R. 1 p. 133. (١١٥)

Depping, Op. Cit. I. p. 36.

Darnes, Op. Cit. I. pp. 170, 171, 172-175, 176-178, 188. & R. 2 p. (١١٦)

170 & R. 2 p. 176

أماكن محددة ولهم عملة مسكوكة مطايا من النحاس (١١٧) . ومن
الموانئ الأخرى على ساحل مالابار التي أسهمت بصيب كبير في تجارة
الشرق والغرب عدا ذلك كوشين (١١٨) وسوربات (١١٩) وكولام (١٢٠)
وكانامور (١٢١) ، والمياه التي الأحباران رجا بوصول البرتغاليين للمياه
الهدية ومحووا أسطولهم مرقا وحصونا وأسواقا (١٢٢) كما أن
كولام تعود شهرتها إلى تصدير الأعشاب الطيبة والعقاقير ، « لا يوجد
مب بالهند إلا بها يعمل بها كذلك الأواني الصنية البيضاء وبها منابت
أنجيزان والساج الذي يتجاوز في الطول مائة ذراع » (١٢٣) وصلة
كولام بمصر وثيقة مياؤها آخر بلاد الغفل من الشرق « ويقطع منها
إلى عدن » والبحر الأحمر كذلك تشتهر بشجر البقم وهو مثل حب
الرمال (١٢٤) . وأهلها يصرفون بالصوالب وتجارتهم مصدر
ثرائهم (١٢٥) . ولكوشين صلات تجارية مع الملايو ومصر فتبخر منها
السفن التجارية إلى جدة معبلة بالتوابل وجوز الهند والعقاقير والبخور
والسكر والشمع والسنباذح (حجر الجبلخ) وفي عودتها تحصل القمح
والدقيق والذرة والشعير وزيت السمسم والقماش من حرير وموسيلين

Depping, Op. Cit. I. p. 33. (١١٧)

Lane Poole, Med. India, p. 177.

Darnes, Op. Cit. I. pp. 158-163 & R. I. p. 134 & R. II. p. 162.

Depping, Op. Cit. I. pp. 38-39. (١١٨)

Darnes, Op. Cit. I. pp. 148-150. (١١٩)

Darnes, Ibid. II. pp. 95-102 & R. II. p. 95. & R. I. p. 97. (١٢٠)

Varthema, Op. Cit. p. 197 & R. I. p. 197.

Varthema, Ibid. pp. 123-141 & R. I. p. 141. (١٢١)

Darnes, Op. Cit. II. pp. 79-83.

Darnes, Ibid. II. p. 80. R. I. (١٢٢)

Varthema, Op. Cit. p. 141 R. I.

(١٢٣) ابن أبي عامر : نقش الإجماع ورقه ١٧٤ .

(١٢٤) ابن أيوب : المصدر السابق ص ٣٦١ .

(١٢٥) ابن بطوطة : نسخة «إظهار» في تراتيب الإجماع ص ٢ من ١١٨ .

والاصواف المستوردة من أوروبا . كما أنه يسكنها عدد كبير من
المسيحيين (١٢٦)

أما ساحل كروماندل — ساحل الهند الشرقي — فمعظم اتصال
مدنه وموانئه بالشرق الأقصى وحركته التجارية مع العرب محدودة ،
ويؤمه تجار كمبای والحبشة ومصر وفارس وبلاد العرب للبحث عن
أنواع معينة من العقاقير والتوابل والنحاس والمطور وبيادلولها بالسلع
الغريبة ، كما أن الجالية العربية محدودة ويلجئون هنا في الحصول على
العبيد الحمى لقصور الحكام والأمراء والعريم (١٢٧) .

وعلى الطريق البحري من الهند الى الصين تقع جزيرة سيلان (١٢٨)
وهي مقصد تجار الصين والعرب والفرس والهنود والشوام ويسكنها
عدد كبير من العرب وكلهم رعايا ملك الجزيرة الذي يمنح التجار
والأهالي منهم حرية أكثر لذا يفضلها تجار ساحل مالابار الهنود . وأهم
ما تشتهر به سيلان زراعة القرفة التي تنمو على التلال في شكل
شجيرات صغيرة وتقطع هذه الشجيرات لحساب الملك وتوضع في
الشمس لتجف في أشهر معينة وتجهز لحملها للخارج . ويتاجر الأهالي
فيها في اللؤلؤ والكافور ومختلف أنواع الأدوية والمسك والأحجار
الكريمة والياقوت والماس والسنباذخ والأنسجة القطنية والحريية وقد
هاجمها البرتغالي لورنزو دالميدا الصغير عام ١٥٠٦ ثم بنى بها

Depping, Op. Cit. I. pp. 38-39.

(١٢٦)

Depping, Op. Cit. I. p. 41.

(١٢٧)

(١٢٨) يسميها العرب صرغنديبه كما تسمى من المغرب حولها باسم

Sihala أو بلاد « السيبال » أو « سييلان » ويطلق عليها أهلها اسمها Sihala

Ency. Of Islam, I. p. 839 Art. Ceylon.

« نوبوسواريز » القائد البرتغالي حصنا في العاصمة « كولجو » عام ١٥١٨ (١٣٩) .

والمار بهذا الطريق البحري من البحر الأحمر أو الخليج الفارسي
لهند والصين لا بد وأن يمر بمسقط أكبر مراكز عمان ومياؤها التجاري
وقد اعتبرها البوكر كمن أهم المراكز على الطريق إلى الهند فاستولى
عليها وحصنها وصارت مركزا حريا وتجاريا للبرتغاليين (١٣٠) .

وحتى مطلع القرن السادس عشر وطرق التجارة من الشرق للبحر
الأحمر تتجه بفرع لها نحو شرق افريقية على المحيط الهندي جنوبا ،
وطافت بهذا الساحل سفن سراف وعمان كذلك في تطارة منتظمة ،
وبس لهذا الساحل طرق منتظمة ، انما تدير السفن على طول الساحل
الافريقي الشرقي ، ثم حول ساحل الصومال حتى عدن ثم الخليج
الفارسي والهند وأحيانا تشق السفن القادمة من الشرق الأقصى الطريق
مباشرة من رأس « فرمك » جنوب شبه الجزيرة العربية إلى رأس
« جاردافوي » مباشرة ثم باقي الساحل الافريقي وربما كان الطريق
الأول هو الأرجح من شرق افريقية إلى الهند . وفي عودته يتلاقى في
البحر بسقطري ثم بادن ثم حول ساحل الصومال إلى رأس جاردافوي
ثم باقي الساحل الافريقي بعيدا عن مخاطر القراصنة في سقطري . ومن
ساحل افريقية جلب التجار الرقيق والعاج والعبر وكانت أقصى نقطة
يصلون إليها هي موزمبيق وقنبلة (مدغشقر) التي يقال أنها بلاد الوراق

(٢٩) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٨ و ٩ و ١٠ .

صليمان الفارسي : سلسلة التواريخ ص ٧ .

ابن أيوب : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

الكندي : صحيح الأخبار ج ٥ ص ٧٨ و ٧٩ .

Darnes, (Barbosa) Op. Cit. II. pp. 109-113-115.

Darnes, Op. Cit. II. pp. 71 & L. p. 74 ,

(١٣٠)

الواق (١٢١) وعلى الطريق المباشر من شرق افريقية الى الهند يمرّون
بجزيرة سقطرى قرب مدخل الخليج المؤدى الى البحر الأحمر
الجنوبي . وطول الجزيرة ٨٠ فرسخ وهي من المراكز التي يأوي اليها
قراصنة البحر من الميّد والكيرج ومن أهم انتاجها الصمغ والصابر .
وسكانها مسيحيون يعاقبة ويدهمون الجزيرة للوك الهند (١٢٢) .

وقرب باب المندب تقع جزيرة قمران (كمران) وهي محط للسفن
التجارية بين الهند وجدة وتتموه بها السفن بالماء والميرة ، واستولى
عليها الوكرك البرتغالي ١٥١٣ م في محاولة منه للوصول لمياه حدة ،
وفعل مثل ذلك البرتغالي لوبوسواريز ١٥١٧ نظرا لقربها من الساحل
وأهميتها الحربية (١٢٣) .

ومن هذه المراكز الهامة أيضا على الطريق التجاري لشرق افريقية
ميناء مدغشقر مقديشو وهو على الساحل نحو البحر الأحمر ، وله ملك
عربي كاهله وتصله سفن الهند في قوافل محملة بالسلع التجارية
كالأقمشة والتوابل وتصله السفن من عدن مباشرة وفي عودتها تحمل
العاج والذهب والشمع . وفي مقديشو نزلت أولى أفواج الغرب وبخاصة
التجار منهم واستقروا بها بعد أن وصلوا الى رأس جاردافوي وشاهدوا

(١٢١) يذكر حوداني : القلعة في المحيط الهندي من ٢٤١ - ٢٢٢ أن مدغشقر
هي وال واق الجنوب وسومطرة هي وال واق الشرق وعن فرالد : وصحة القول بأن هناك
صلة بين الجزيرتين لا عاجر بعض سكان سومطرة الى مدغشقر منذ القرون الأولى للمسيحية
لذا مررت بهذا الاسم وان كان الأرجح أن اليامان وحدها هي واق الواق ، - انظر كذلك
المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧ .
متز : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٠ و ٢٧١ وانظر ملحق الخرائط .

(١٢٢) ابن أثير : المصدر السابق ص ٢٧١ .
سياحي : المصدر السابق ص ١٦٠ أ و ب وانظر ملحق الخرائط .

Harff. Op. Cit. pp. 155-159.

Dapping, Op. Cit. I. p. 47

— Dumes, Op. Cit. I. p. 52.

دى جاما لدى عودته من رحلته الأولى الى الهند عام ١٤٩٩ (١٣٤) .

أما رأس جاردافوى فهي على بعد غير قليل من مقديشو وعندها
ينحنى الساحل الأفريقى ليدخل البحر الأحمر وتربها اليمن القادمة
من الهند وسيام وسيلان ومثقا وسومطرة والصين وتاجر أهلها فى سلع
الشرق الأقصى والهند والبحر الأحمر وعدن وزيلع وبربرة وينتظر فيها
البرتغاليون لقطع الطريق على سفن العرب القادمة من البحر الأحمر
لأسرها ونهبها » (١٣٥) .

وهكذا ظلت سفن التجارة الشرقية من الصين والهند وبلاد العرب
تقطع هذا الطريق قرونا طويلة حتى حاية القرن الخامس عشر حين
انقطعت الزعامة للشرقيين بدخول البرتغاليين فى مياه المحيط الهندى .
فى عام ١٤٩٨ كان فاسكودى جاما الملاح البرتغالى فى ملندى شرق
أفريقية يبحث عن دليل يحمله الى الهند فلم يجد الا الملاح العربى
« شهاب الدين أحمد بن ماجد » وأقنعه دى جاما بقيادة السفن البرتغالية
عبر المحيط للهند فكان من سخرية القدر أن ملاحا عربيا كبيرا ساعد
فى القضاء على الملاحة العربية فى المياه الشرقية ، فلم يستطع العرب
إبعاد البرتغاليين عن المياه الهندية وبدءوا يتوسعون شرقا وغربا حتى
سيطروا على الطريق المذكور من مالقة الى الخليج الفارسى ، ثم وسعوا
نفوذهم ليشمل المنطقة من سقطرى الى كاتون وجزر مكاف بالصين
وقضوا على الملاحة والتجارة العربية ونفرت سفن العرب ، وبخاصة

— Darnes, Ibid, 11. p. 31 & R. 1. p. 32 R. 2. (١٣٤)

— Darnes, Ibid, 11. pp. 32-33. (١٣٥)

الاسم العربى الحديث لهذا الرأس هو (رأس الخير) ، أما الاسم الاول فله
استخدمه البرتغاليون لأول مرة وهو لا يطلق على الرأس نفسه انما على مكان جنوبه
بحوالى ٦٠ ميلا يعرفه العرب باسم « رأس حافون » ، ويبدو أن الاسم الأخير يطلق
على الساحل كله وليس على مكان بعينه ويطلق عليها الغربى اسم انصاء حافون انظر
ملحق الخرائط .

بعد أن سدوا مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، وفي عام ١٥١٧ كانت
تجارة هذا الخط في جزءه الغربي بالخليج الفارسي والبحر الأحمر قد
انهارت تماما .

وفي البحر المتوسط لم تكن هناك طرق مباشرة بين شرقيه
وغربيه اما تخرج السفن من المدن الايطالية وجمهورياتها متفرعة غربا
الى غرب أوروبا ، وشرقا الى مصر والشام والأناضول ، مارة بمراكز
عدة : فمن البندقية شمال الادرياتى تخرج السفن في طريقين يسير
الأول بحذاء ساحل دالماتيا مارا براجوزا ، ثم الى كورفو ويدور حول
شبه جزيرة البلقان وعندها ينقسم قسمين يتجه أحدهما الى ساحل الشام
مارا يكرت ورودرس وقيرص وموانئ بيروت وطرابلس والشام وعكا ،
ويتجه الآخر الى الاسكندرية مباشرة . أما الفرع الآخر من طريق
البندقية الملاحي فيدور من البحر الادرياتى حول ايطاليا عابرا مضيق
مسيينا الى نابلى ، ومنها مباشرة الى مالطة مارا بجنوب سردينيا ويعبر
مضيق جبل طارق الى لشبونة في البرتغال ويردو في فرنسا ، بعد أن
يعبر مضيق دو فر ليتجه الى كاليه وبروج ثم دول الهانسا شمال أوروبا
وله فرع من بروج الى لندن (١٣٦) .

طريق البندقية التجارية :

وقوافل البندقية البحرية تعرف باسم « مراكب المدة » ولكل
جهة سفن مينة فهناك سفن المدة للقسطنطينية ، ومدة البحر الأسود ،
ومدة الشام ، ومدة الاسكندرية ولدى عودة هذه السفن من الشرق
ينتظرها الأهالي بفارغ الصبر الأسواق الكبرى التي تعقد في عيد
الفصح في شهرى سبتمبر وفي عيد الميلاد (١٣٧) .

(١٣٦) راجع ملحق المرافئ وكلاهما :

— Poston, Op. Cit. II. pp. 292-293 & II.

(١٣٧) كلمة « مدة » هنا تعنى قافلة الموسم ولا أخيفت اليها كلمة مراكب أصبحت

تدل على بيان وقت رحيل وإلوية سفن القافلة ، وتطورت الكلمة لتشمل أنواع السلع التي =

وترحل سفن المدة إلى الشرق في أوقات وصول السلع إلى هذه البلاد ، وهي في الغالب أوقات الحج لتعود في الحريف قبل حلول فصل الشتاء ، ويصاحب سفن المدة أسطول بحري لحمايتها من القراصنة المنتشرين على طول الطريق شرق وغرب البحر المتوسط . وقد قسمت الجمهوريات الإيطالية رحلاتها إلى مراحل ، وفي كل مرحلة يصاحب اسفن أسطول بحري للحراسة ويوصلها لنقطة الحراسة التالية ويبقى لحين عودتها لمصاحبها . وتقع هذه النقط في جزر ومدن السواحل ، والبندقية بها مخازنه ومن أشهرها كورفو وكورون ومورون وكابدي (كريت) وقبرص (١٢٨) .

ومنذ الفتوح العثمانية في شرق أوروبا بعد عام ١٤٥٣ ، حولت البندقية طريقها من كورون ومودون إلى كورفو بعد أن سقطت الجزيرتان في أيدي القوي العثمانية . ولما استقر البادقة في جزيرة قبرص على عهد السلطان قايتباي صارت الصلة وثيقة بين قبرص والشام وكريت والاسكندرية ، وأصبحت الجزيرة أهم مركز تجاري البندقية شرق البحر المتوسط لا سيما وأن العلاقات كانت متوترة بصورة دائمة بين البادقة والعثمانيين . أما سفن البندقية إلى ساحل أفريقية الشمالي الغربي فلم يكن مباشرا ، فإن سفن الاسكندرية قبل توسيقها تتجه إلى طرابلس الغرب وتونس وتعود إلى الاسكندرية لتملا ما بها من فراغ ، وتنتظر كذلك سفن بيروت أحيانا ، وعد عودتها إلى البندقية يماذ تصدير السلع برا وبحرا إلى أوروبا (١٢٩) .

= لحمل كل سفينة معينة وتصل في لوفات محددة فيقال مدة سبتمبر مثلا لنقل من اسطول الشرق المالك إلى شهر سبتمبر قبل حلول فصل الشتاء في أوروبا وأحيانا أطلقت كلمة المدة كل مدة بقاء السفن في الموانئ فيقال « مدة لفة » ليكون لها حق الأولوية في السفن والحماية « انظر الفصل الخامس » .

(١٢٨) انظر ملحق الخرائط .

(١٢٩) بخصوص سفن البندقية إلى طرابلس وتونس انظر ملحق الخرائط وكذلك

مساعدة تريفيزاني بالملاحق رقم (١٣) السؤال السادس .

ومن المحطات على الطريق التجارى للشرق جزيرة كورفو ، وهي مركز شحن وتسويق السلع الواردة من الشرق ، وفى القرن الخامس عشر طرأ تغيير على نظام سفن البندقية فأصبحت كورفو محزنا للبضائع الهامة وتمز بها السفن الآتية من الاسكندرية وبلاد السلطنة العثمانية . وكان على السفن أن تمر بالضرورة على كورون ومودون في الذهاب والاياب ، ولكن كورفو كانت اختيارية بالنسبة بها ، ثم بدأت تحتل مكانتها ، الممتازة بعد سقوط القسطنطينية وتقدم الأتراك في البحر الأيولى وسرعان ما احتلت مكانة كورون ومودون (١٤٠) .

ومن هذه المراكز أيضا « رافنا » ، ولها أسطول يصل لشرق البحر المتوسط ، وللبندقية بها مخازن ومنتوب يتولى شحن وتسهيل العمليات التجارية (١٤١) .

ومن أبرز هذه المراكز كذلك « راجوزا » على الأدرياتى ، وهي مركز للأسطول البندقى في الذهاب والاياب ، وحصل الراجوزيون على تراخيص للمتاجر في بلاد السلطان العثمانى بعد عام ١٤٥٣ ، على عهد السلطان محمد الثانى عام ١٤٨٠ ، وبايزيد الثانى ١٤٨١ ، وسليم الأول ١٥١٧ . ويحصلون من الشرق الفراء والشمع والبهار ، والجلود

— Renard, Journal Asiatique, T. IV.

— Heyd, Op. Cit. T. IV pp. 79-80.
— Hammer, Op. Cit. T. IV pp. 79-80.

(١٤٠) ينص على استخدام هذه الجزر كمستودعات ومخازن للسلع فإن البندقية قصت سفنها الى سفن الاسكندرية وبيروت ، وهي تصل للبندقية مرتين في العام مرة سبتمبر ومرة ابريل في العام التالي وبين هذين التاريخين يتم توزيع السلع في أوروبا وترسل أحيانا بين هذين التاريخين سفن تحمل باسم قناص القنة لتحمل مابقى من السلع في صالون الاسكندرية وبيروت ويتم تخزينه في هذه الجزر حتى يفلت الى البندقية انظر ملحق الخرائط .

— Depping, Op. Cit. II. p. 310.

(١٤١) انظر ملحق الخرائط .

Depping, Ibid, pp. 313.

المذبذبة والذهب والفضة من صربيا التي دخلت في حوزة العثمانيين
كما روجوا المنتجات الأوربية في بلاد السلطان العثماني مثل حرير
وصوف تسكانيا (١١٦) .

وتقع كريت على الطرق البحرية إلى شرق البحر المتوسط ، كما
أنها محط للسفن ، ويستقبل ميناؤها الواسع السفن الكبيرة ، وتتصل
تجاريا بمصر والشام وآسيا الصغرى وتصدر السكر والنيذ
والسمل (١١٧) .

وتبدو أهمية قبرص لوقوعها على الطرق التجارية البحرية إلى
الشام وآسيا الصغرى وهي ملجأ التجار إذا حاق بهم أي ضرر في
بلاد السلطنة المماليكية أو العثمانية بل أنه القبارصة قاموا في أوقات
عصية بالسبب للأوربيين بنقل متاجر الشرق من صور وصيدا وحلب
وبيروت والاسكندرية وأطاكية إلى جزيرتهم حيث ينتظرها البنادقة
والجنوبيين وغيرهم وميناؤها الرئيسي فاما جوستا مزدهم دائما بالسفن ،
وبه ويبقى الموانئ فنادق ووكلات ملأى بالتاجر والتجار من عرب ، وترك
وجنوبيين وبنادقة وفلورسيين وغيرهم . وفما جوستا من أشهر موانئ
شرق البحر المتوسط تصلها التجارة من وسط آسيا برا ثم بحرا ،
وكذلك من حلب وديار بكر والاسكندرية ووسط الشام والعراق .
وتتلى أسواقها بالحرير والكتان والقطن وحوز الهند واللان والجلد
والنحاس والفواكه والعنب الغض « الطازج » والمجفف والمطاط وعاج
افريقية والفراء والصابون والشب من طرايزون وبروسية والحرير
والسجاد من قولية والأحجار الكريمة من الشرق الأقصى ، ويدفع
القبارصة ١/٢ رسوم جمارك ، في حين يدفع الأتائب ٤/١ واتخذت

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 346-348.

(١١٦)

— Depping, Op. Cit. I. p. 112.

(١١٧)

البندقية الجزيرة أكبر مركز تجمع لتجارها شرق البحر المتوسط بعد أن ساءت العلاقات بينها وبين السلطات العثمانية وحصلت من السلطات المالية على حق حكم الجزيرة مع دفع الجزية السنوية ، وبذلك ضمنت البندقية حرية تجارتها وحماية محازنها في شرق البحر المتوسط . واستولى عليها العثمانيون عام ١٥١٧ (١٤٢) .

ومن هذه المراكز أيضا جزيرة خيبر التي ظلت حتى الربع الأول من القرن السادس عشر من أشهر وأهم مراكز التجارة على الطريق الى الشرق العربي ، وثالث ثرائها من تجارتها مع الغرب بعد توزيعها سلع الشرق في أوروبا ، وكان لجنوة في الجزيرة مركز ومخزن ومندوب تجاري (١٤٣) .

طريق جنوة التجاري :

أما سفن جنوة فتكون من أسطول للشرق وآخر للغرب ويتجه أسطول الشرق، جنوبا بحذاء شاطئ شبه الجزيرة الإيطالية مارا بنابلي ومضيق ميسينا الى كريت ، ويتجه شمالا عابرا مضيق البسفور والدردنيل الى القسطنطينية ، ثم موانئ البحر الأسود أما فرعه الغربي فيمر بساحل فرنسا الجنوبي على البحر المتوسط عند مرسيليا ثم الى برشلونة وفالنسيا في قطلونيا . ويخرج من جنوة أسطول آخر يتجه مباشرة الى تونس ويسير على طول ساحل افريقية شرقا الى الاسكندرية ومدن وموانئ الشام وغربا عابرا مضيق جبل طارق الى غرب افريقية . وفي البحر الأسود تتوحد طرق الملاحة بالنسبة لكل السفن التجارية الوافدة من المضيقين وتتفرع الى ٣ فروع شمالا لبلاد البلغار ، وفروع الى كاما على شبه جزيرة القرم ، وآخر الى طرايزون ومدن شاطئ

(١٤٤) انظر ملحق الخرائط ودراجع :

— Bernard, *Cyprus*, pp. 3-4-6-7-8-21 ;

— Dapping, *Op. Cit.* 1. pp. 106, 108.

— Depp, *Op. Cit.* pp. 54-556.

— Heyd, *Op. Cit.* 11. pp. 335-336.

(١٤٥)

البحر الأسود الجنوبي ومنها بونتس وهرقليا ومسمون ومينوب، كما ان هناك فرعا يريا من أوروبا يعبر ممرمة الى الأناضول ليتصل بالطرق البرية الآتية من وسط آسيا وتبرز ويتجه فرع منه جنوبا الى لاجاسو واسطاكية ودمشق على الليفنت ثم بهذا الساحل الى القاهرة (١٤٦) .

طريق فلورنسا التجارى :

أما فلورنسا فانه بعد انضمام يزا اليها بجزر وموانئ البحر المتوسط وبخاصة خيو وجاليوبولى ، وصلت بسفنها الى البحر الأسود والاسكندرية، ولها فى كريت ورودس مندوبون تجاريون (١٤٧) .

وبرعم الصلة الوثيقة بين جمهوريات ايطاليا ومصر والشام فان بعض مدن ايطاليا مثل أنكولا فضلت التعامل مع السلطات العثمانية . وسارت فعلا سفنها الى القسطنطينية عام ١٤٧٥ ، وحصلت على حق المتاجرة مع مدن تركيا — وحلال حروب السلطان العثماني مع البادقة قطع الطرق البحرى التجارى ، ومع ذلك نعم التجار الانكويون بكرم الصياغة العثمانية ، واتخذوا فى رحلاتهم من رودس مركزا لتجمع متاجرهم وسفنهم (١٤٨) .

مدينة سمين :

أما مدينة سمين فى مقاطعة تسكانيا بايطاليا فقد اكتفت سفنها بالوصول الى قبرص وأحيانا توجه الى البندقية قصفا للحصول على حاجتها من سلع الشرق وسوقهم الطييمية فى فرنسا وأسبانيا وانجلترا وألمانيا أكثر من مدن ودول شرق البحر المتوسط ، وفى عام ١٤٨٩

(١٤٦) شارل دبل : البندقية من ٢٠ و ٢١ ومايضا .

— Heyd, *Ibid.*, pp. 345 & ff.

(١٤٧)

(١٤٨) انظر ملحق الخرائط :

— Heyd, *Op. Cit.* p. 346.

اتصلوا بأنفسهم بالسلطات العثمانية وصارت لهم قنصلية في القسطنطينية حتى عام ١٥٠١ (١٤٩) .

طريق مرسيليا التجارى :

وحتى الربع الأول من القرن ١٦ م ظلت مرسيليا متصلة شرق البحر المتوسط ولها هي مصر وسوريا وكلاء وصادق - وهي مخرج تجارة فرنسا الى البحر المتوسط ، كما أن لها اتصالا بالمدن الإيطالية ويمر بها خط جنوة البحرى التجارى الى أسبانيا (١٥٠) .

طريق برشلونة التجارى :

وعلى الشاطئ الأسباني الشرقي كانت برشلونة ملتقى الطرق البحرية من إيطاليا وفرنسا الى أسبانيا . وقد نافست المدن الإيطالية هي التجارة الشرقية ، ولها امكانيات مهدت لها أن تكون مركزا تجاريا من الطراز الأول فميناؤها محصن وتدخله السفن من الدول المختلفة وله أحواض لبناء وترميم السفن ومخازن ومستودعات للمسلح وترسانات ضخمة لعبت دورا هاما في اجلاء العرب عما بقى لهم بالأندلس أواخر القرن الخامس عشر ، كما أن هذه الترسانات تبني السفن للدول التي تتاجر مع شرق البحر المتوسط (١٥١) . ووصلت سفنها كذلك الى بلاد المغرب ، ولكل جهة سفن معينة وقناصل ومراكز تجارية ، وللقناصل التجاريين نقابة تحميهم ، وكان ضمن رجال حكومة قطلالويا في القرن الخامس عشر عضوان ينوبان عن القناصل في شئون التجارة . وقد سرم ملوك قطلالونا دخول سفن أجنبية تعمل سلعا من الشرق حتى يقتصر ذلك لدى السفن القطلالوية فقط (١٥٢) .

(١٤٩) انظر ملحق المخرائط ١

— Heyd, Ibid. p. 347.

(١٥٠) انظر ملحق المخرائط ٢

— Fernand, Op. Cit. p. 40.

— Fernand, Op. Cit. p. 41.

(١٥١)

— Depping, Op. Cit. I. p. 260.

(١٥٢) انظر ملحق المخرائط وراجع

— Depping, Op. Cit. pp. 251-254, 258-259.

— Heyd, Op. Cit. II ; pp. 473, 477.

طريق القسطنطينية البرى :

أما الطريق البرى من أوروبا الى القسطنطينية فقد وقعت أجزاء عديدة منه تحت حكم العثمانيين بعد أن سيطرت السلطات العثمانية بفتحاتها حتى شرق ووسط أوروبا - وموضع الأهمية هنا أن الرقعة التى سيطر عليها العثمانيون هى محور تجارة الشرق والغرب ، مما من طريق تجارى من الشرق الى الغرب أو من الغرب الى الشرق الا ويمر ببلاد الترك أو بدول تحت سيطرة الأتراك العثمانيين وإذا نظرنا الى خريطة العالم فى الربع الأول من القرن السادس عشر لاحظنا أن هذه الطرق إذا اتجهت من الإسفور والدردينيل الى البحر الأسود فلا بد أن تمر بأرض عثمانية ، وإذا اتجهت الى ساحل الشام ومصر فلا بد أن تمر بتركيا وبأرض تحت سيطرتها ، وإذا اتجهت الى البحر المتوسط والبحر الأحمر من الشرق فلا بد أن تمر بأرض تحت سيطرتهم ، إذ أن أملاكهم شملت رقعة واسعة تمتد من العراق شرقا الى الادرياتي غربا وإلى البحر الأسود شمالا وحدود النوبة جنوبا . وعلى هذا أصبح على التجار الغربيين إذا أرادوا الوصول الى أى مكان فى الشرق أو الليفت أو القسطنطينية أن يمرروا بأرض عثمانية ويحصلوا على تصاريح من السلطات العثمانية. على أن هذا لم يوقف التجارة على هذه الطرق من أوروبا لشرق البحر المتوسط بل استمر فى ظل السيد الجديد وتحت إشرافه ، وكانت الفتوحات العثمانية فى شرق أوروبا قد أحيت طرقا بركة قديمة منها الطريق الذى يبدأ من راجوزا ، Ragusa والطريق الذى يبدأ من سبالاتو Spalato وهما يلتقيان عند بليفيلج Plevlje ثم يتوحد ليصلا الى مدينة بريوليچ Prepelje على نهر ليم Llm ثم الى مدينة نوفيبازار Novibazar حيث يوحدهم للتجار جاليات ، وفنادق ووكالات ومنشآت تجارية عديدة وخاصة البنادقة ، وبعد مبارحة مدينة نيش Nich تدخل القافلة الى الطريق الموصل لبلغراد ثم الى القسطنطينية مارة بمدينة صوفيا Sophia وفهلييopoly Philippopolis

وأدرة والمدينة الأخيرة كسوق عالمية كانت تلقى أهمية القسطنطينية نفسها التي تصلها القوافل بمسـد ٣٠ يوما من رحلتها الـيرة من راجوزا (١٥٣) . هذا فيما يتعلق بشرق البحر المتوسط .

أما في غرب هذا البحر في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وعلى وجه التحديد في البرتغال واسبانيا وغرب أوربا فانه حدثت تغييرات واسعة النطاق بعيدة الأثر في المراكز الأساسية التي اختلفت بالتجارة العالمية في العصور الوسطى في غرب آسيا وغرب أوربا والشرقين الأدنى والأقصى ، فقد بدأت شحوب أوربا على الأطلنطي رحلاتها الطويلة عبر البحر ونجحت أخيرا في إيجاد طريقها إلى الشرق بحرا دون وساطة مصر والشام أو آسيا الصغرى ، وفتحت محاطرتهم فصولا جديدة في العلاقات العالمية ليس فقط لأن هـاك طرقا جديدة قد فتحت، ولكن لظهور وسطاء جدد على المسرح أحدثوا تغييرات حقيقية أسرعت بنهاية القرون الوسطى في عالم التجارة . وكان الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة في التجارة العالمية ثوريا من كل الوجوه . واستمرت نفس السلع يحملها البرتغاليون والهولنديون بعدهم ، وقد ساروا على نهج العرب وتقاليدهم ، وبقيت هذه التقاليد حتى ظهرت الطوائف الأكثر حداثة ونشاطا في شمال غرب أوربا (١٥٤) .

ومع أن العثمانيين في فتوحاتهم نجحوا في السيطرة على مصر والشام ، مفتاح التجارة العالمية في العصور الوسطى ، فانهم أخفقوا في أن يحلوا محل العرب في السيادة الاقتصادية ، لاختلافهم عن العرب التجار بالقطرة ، وقد بذلوا جهودا طيبة لانعاش الطريق البحري

(١٥٣) انظر ملحق الخرائط وكذلك :

— Heyd, Op. Cit. pp. 334, 335.
— Atiya, The Crusades, p. 477.

— Hyazzyin, Op. Cit. p. 153.

(١٥٤)

القديم وشجعوا تجار البحر المتوسط للإقامة في أراضيهم الجديدة
ولكن كانت أسواق الشرق العربي قد انهارت وفقدت أهميتها في
التجارة العالمية التي انتقلت بالتالي إلى غرب أوروبا (١٥٥) .

(١٥٥) بالنسبة رقم ٢٥ مملكة السلطان سليم الأول المماليك للبلاد في مدن
حواليه مصر - راجع الفصل الثاني وكذلك :
— Hymayim, Ibid, p. 185.

الفصل الرابع

السلع التجارية

أنواع السلع المتبادلة :

تعتبر الفترة الأخيرة من المصور الوسطى من أنجح فترات الازدهار التجارى بين الشرق والغرب ، فقد عمل المماليك فى مصر والشام وسطاء لأهم السلع التجارية من الشرقيين الأدنى والأقصى ، وهى التوابل ، والعقاقير الطبية ، والمبيد ، والمنسوجات ، والصينى ، والأحجار الكريمة ، والأخشاب ، وجميع السلع التى يكثر طلب الغرب الأوروبى لها . ولعبت الطرق البحرية والبرية عبر مصر والشام دورا هاما فى هذا المجال ، كما ارتبطت ثروة البلاد وقوتها العسكرية وهيبتها فى العالم بتجارها الشرقية ، وظلت فترة الازدهار باقية مابقى الاتصال مباشرة مع الهند والصين ، وانتهت وأنت معها دولة سلاطين المماليك بعد أن تحول الطريق حول أفريقيا على يد وسطاء جدد من غرب أوروبا . وفى أوائل المصور الوسطى كانت التوابل والأفاويه الشرقية هى غذاء الأغنياء فى غرب أوروبا ، كما كان البحور الشرقى من متطلبات الكنائس الغنية ، حتى الملابس المطرزة كانت لا ترد لهم الا عن طريق الشرق ، بل يقال ان الأشراف ورجال الكنيسة كانوا من المولعين بالطعام المتبل . وفى عصر النهضة أولع الشعب بهذه الطريقة فى الطهو ، بعد أن اعتاد استعمال التوابل فى الأطعمة منذ

الحروب الصليبية (١) . وفي العصور الوسطى المتأخرة زاد الانحسار في طلبها حتى أصبحت هذه السلع الشرقية جزءا لا يتجزأ من حياتهم وهي عندهم ضرورة لتحسين الطعام ولصنع النبيذ وحفظ الأطعمة لكثرة وطول الصيام عندهم ، كما كانت تدخل في صناعة العقاقير الطبية (٢) . وقد اكتفى المماليك خلال فترة حكمهم الأولى حتى القرن الخامس عشر بتسهيل استيراد هذه السلع من شرق آسيا والهند ، وتسهيل ورود الأجانب لعملاها الى أوروبا ، مع تسهيل لقائهم في المصادق ، ومصحهم كل التيسيرات ، وكان لكل هذا رسوم تجبيها خلاف الرسوم الجمركية على الوارد والصادر . وسيطر على هذه التجارة جماعة الكارمية الذين قاموا بالبصء الأكبر في استيرادها من الشرق الأقصى وتسويقها ، حتى أن اسم الكارمية كان يطلق على كل من يعمل في تجارة البهار والفلفل ، وأصبح « لرئيس الكارمية » صلة معترف بها لدى السلاطين . ولثرائهم من احتكار هذه التجارة كانوا يقرضون السلاطين كلما اضطرتهم ظروف الى ذلك (٣) . ولكن في القرن الخامس عشر عندما بدأت القوات العثمانية تزحف حثيثا نحو الغرب اضطربت الطرق البرية من وسط آسيا وآسيا الصغرى حتى أعقلت في عام ١٤٥٣ بسقوط القسطنطينية وتركز جلب هذه السلع على طريق البحر الأحمر ، وتنه سلاطين المماليك الى ذلك ، والى أن دولتهم قائمة فعلا على أموال

(١) اشهد الطيب على التوابل أواخر العصور الوسطى في أوروبا أما لقيمة البهر أو لتبيل الطعام وحفظه أو لاستعماله كطارد طبع ، وكان الأوربيون يطيبون لهم أكل المسجق بخليل والفطائر الخبلة ، كما أن سلعات الهند الطويلة كدور الـ لـجـساء لـنجان من شراب مروج بخليل من البهار والتوابل كالجنزبيل وجوزة الطيب والقرنة والقرنفل .

— توفيق اسكندر ، بحث في التاريخ الاقتصادي (مترجم) ص ١١٠ .

— Sonia, In Quest of Spices, pp. 13-14.

— Sonia, Op. Cit. pp. 19-20.

(٢)

— Clerget, Le Caire, pp. 343.

— Clive, A History of Commerce pp. 79-80.

(٣) سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والقيام ص ٢٩١ .

القرينى : السلوك ج ١ ص ٨٩٩ طائفة ٢ + ج ٢ ص ٨٢٧ طائفة ٣ .

التجارة بالاصاغة الى أن الوضع اختلف في هذه الفترة من فترة حكم الماليك البحرية ، إذ تطرق اقتصاد الى النظام الاقطاعي الذي اعتمدوا عليه في فترة تكوينهم الأولى ، ولم يعد يسد حاجتهم المالية والمادية بوجه عام لذا اتجهوا نحو الاشتغال بالتجارة واتبعوا سياسة احتكار السلع التجارية الشرقية لتعويض النقص المادي الناجم عن إلغاء النظام الاقطاعي . فأقصوا الكارمية عن التجارة ، واقتصر عملهم على تسويقها ونقلها من مصادرها ، ثم ما لبث السلاطين أن أقصوهم نهائياً عنها واحتكروها احتكاراً كاملاً (٤) . وقد أضر هذا الاحتكار بالتجارة فارتفعت أسعار التوابل ارتفاعاً فاحشاً الأمر الذي أنزل الضرر بالتجارة الأوربية وتعدى الأمر الى تحديد أسعار التوابل الحرة وأسعار التوابل السلطانية أو الشريفة مع احبار التجار على شرائها وأحجم التجار الأحاب أحياناً عن الشراء ، فكانوا يلاقون المصنف من عمال السلطان . وبطل الأمر كذلك حتى فصل البعثات لايجاد حل مرضي للطرفين . ومع هذا زاد الرواج التجاري في السلع الشرقية في بلاد السلطان المالكي حتى أن سفن البلدية وحدها ، وهي العميل الأول لتجارة التوابل في مصر ، كانت تحمل سفنها سنوياً من موانئ مصر والشام سلماً تقدر بحوالي ٣٠٠٠٠٠ دوكات من المعادن الثينة والقود دهباً وفضة وأقمشة (٥) ، برغم قوانين « التعريبات الباقية » التي جذرت ،

(٤) سعيد عاصور : المصدر السابق ص ٢٦٥ .

(٥) في الفصل الثاني فصل الملاحات التجارية الخارجية توضيح لموضوع التوابل السلطانية . والواقع أنه منذ أواخر عهد قايتباي وعهد النوري بدأ رسيد الذهب يقل في خزائن الماليك . وعلاجاً لذلك جاء السلاطين في زيادة ، الاهتمام بالتوابل المعرولة باسم « التوابل الشريفة » أو السلطانية أو المسيرة . وفرضوا على البنادقة شراءها على أن تدفع القيمة نقداً وبالذهب مع بقاء صلاحتهم مع الأفراد حرة في الالتجاء للتجارة أو الشراء بالمال ، إلا كان البنادقة حتى ذلك الوقت ملوك الذهب في العالم المسيحي نظر ترفيق اسكندر : نظام لقايشة ص ١٣ - ١٤ .

وقد طبق هذا النظام على البنادقة فقط في مصر والشام ولا تردعت شكواهم حدثت لجهة التوابل السلطانية المفروضة عليهم بتسمية معينة في السلع الأخرى وهي « حمل من »

التعامل بين المسيحيين والعرب عامة وماليك مصر والشام خاصة . وكان هذا القانون الذى أصدره البابا نقولا الرابع سنة ١٢٩١ موضع عناية وتأيد البابوات المتعاقبين . وهدف القانون الى تدمير تصارة الممالك فتضعف دولتهم ويسهل هزيمتها . ولم يكن التحريم فى الواقع أمرا قاطعا أو دائما بل اقتصر منذ أواخر القرن الرابع عشر وحتى القرن الخامس عشر على المواد التى يمكن أن يستفيد منها الممالك فى بناء السفن وعمل الأسلحة كالأخشاب والحديد والنحاس والبارود وخلافه . وإذا كان إصدار هذه القوانين وإطاعة البنادقة والجنوئين وغيرهم لها تقليد جرت عليه الأمور حتى القرن الرابع عشر ، فإنه فى القرن الخامس عشر ضرب التجار بهذه القوانين عرض الحائط ، فهم تحترم نظريا وتنقض عمليا ، والعرب يرفضون تماما مدى احتياجات الغرب الأوربي الى السلع الشرقية الواردة عن طريقهم ، كما أن الأوربيين لم يتقيدوا بحرفية قوانين التحريم ولاحظ البابوات ذلك ، كما أن حاجة أوروبا أخذت تزداد يوما بعد يوم للسلع الشرقية ولا سيما السلع الخاصة بالكنيسة ، فكان لابد من مسايرة الواقع وتعديل قوانين التحريم - واحقا للواقع عدلت القوانين ، وخلال السنوات الأخيرة من القرن

العرايل من كل الب دوكة من السلع الأخرى ، ثم حدها نهائيا بعدد معين يسمر من أحبال العرايل ستويا ، وهي ١٠ أحبال يسمر لا يزيد على ٨٠ دوكة للحبل الواحد . الحبل الإسكندري = ٥٠٠ رطل فرلورى ، وقد لى هذا الاجراء الى قيام نوع من الحسلب الجارى بين الخزينة السلطانية وحيطة تجار البنادقة التى كانت مدينة باستمرار من هذه سنوات خلت وظل هذا الاجراء حيا حتى عام ١٥١٦ وان كانت البندقية قد سارعت أكثر من مرة الى سمر هذه الصلقة الاجبارية التى سبق تسجرتها . انظر

توليق إسكندر : المسمر السابق من ٤٤ ملاحظة (١) .

ـ فى عام ١٤٩٦ حصلت سطر البندقية من ميناء الاسكندرية ما قيمته ٢٠٠٠٠٠ دوكات ومن بيروت ١٢٠٠٠٠ دوكات وفى عام ١٤٩٧ حصلت من الاسكندرية ما قيمته ٣٠٠٠٠٠ دوكة ومن بيروت ما قيمته ٦٠٠٠٠٠ دوكة . انظر شارل ديل البندقية جمهورية لوستراطية ص ٥٩/٥٨ .

الحامس عشر صار تجديد القوانين على بنودها المعدلة (١) ومن السلع التي نقلها التجار الأجانب لمصر والشرق ، علاوة على منتجات المناجم ، الأخشاب والأسلحة والجوخ والشمع والعنب الطازج والمجنف والقراء والصوف والزعفران والمرجان والمصطكى والبندق والموالح . أما النبيذ فكان محرماً تعاطيه في مصر بحكم الدين ، ولكن السادة المماليك كانوا يسمحون لأنفسهم أحياناً بشرب بعض أنواعه ، وكان يستورد لحسابهم من كرم خفية . وأسواق القاهرة كانت تزخر بأنواع مختلفة من الأقمشة الأوربية . فأرواب السادة المماليك تصلهم من البندقية وفلورنسيا ودول شمال أوروبا ، ويجد هذا النوع من الأقمشة الصوفية والجوخ رواجاً في الأسواق العربية لجودة نسجه ، وإن شابه أواخر العصور الوسطى الكثير من الغش ، وظهر هذا في شكل احتجاجات في المأهلات بين المماليك والبندقية (٢) . نرى أن لذكر أن للسلاطين المماليك تجارة خاصة بهم ، وهي تجارة الصقور أو الباز ، فكان السلطان المماليكي لا يخرج للصيد إلا ومعه رمزه الباز ، وكانوا يدفعون في الباز الواحد من الأنواع الممتازة ما لا يقل عن ٣٠٠٠ دراهمة ، أو ما يوازي ١٥٠ قطعة من الذهب ، ونصف هذا الثمن للبار

(١) من بين السلع التي استثنت من التحريم (الذهب) إلا كان احتكاراً للبابوية .

القر ١ : سبيد هاندور : المصدر السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

قيصر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (مترجم) ج ٢ ص ١٢٦ حاشية للدكتور

زياد +

فكرت البابوية بعد وفاة عكا ١٢٩٦ في اضمحلال المماليك عن طريق حرمانهم من المواد اللازمة للحرب كالنبيذ والخشب والقطار والكبريت وكذلك عدم شراء التجار منهم حتى يبور وتضخم ديونهم لذا أصدروا (قوانين التحريم البابوية) ومن بين السلع التي ضلها المتع الرقيق الذي اعتمد عليه المماليك في تكوين جيوشهم .

— Parnaud, Les Villes Marchandes, pp. 30, 31.

— Heyd, Op. Cit. T. II. p. 440.

— Depping, Op. Cit. T. II. p. 170.

— Day, & Hist. of Commerce, p. 79.

(٧)

— Poston, Camb. Med. Hist. of Commerce, Vol. II. p. 332.

الذي يموت في الطريق . وكان الياقة هم المتعهدين ويجهدون في الحصول على أفضل الأنواع (٨) .

ونقاء هذا كانت مصر تصدر من إنتاجها الخاص للقرب : السكر من أحسن أنواعه والتمر والمواالح والكبر والبسم والقطن والكتان والشب والصبغات . وأكثر الموانئ استقبالا للتجار للحصول على السلع المحلية والشرقية هي الاسكندرية حتى ان السلطات خصصت بابا في منطقة الجمرع عرف باسم باب البهار وشارعا له نفس الاسم (٩) ، وقد احتجرت تجارة التوابل في مصر مجموعة ضخمة من التجار ووكلاء البيوتات التجارية في أوروبا ، يتولون عمليات التسويق والشحن وحسابات الجمارك وأحيانا هم الممثلون السياسيون لبلادهم في بلاد السلطان المالكي وكان من صميم أعمالهم فرز التوابل لابعاد التالف (١٠) . ومذ أن صارت هذه التجارة حكرا لسلطين المالكي ، والشكوى تردد عن غشها وخطئها بمواد غريبة وأتربة ، وأنها تغربل ببرايل مصممة الخروق . وفي الملاحظات المتأخرة من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر نص على نقاء هذه التوابل ، وبص كذلك على مراعاة عدم غش الحوخ والألسجة الأوروبية التي ترد لمصر (١١) .

— Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 442, 443.

(٨)

(٩) تولى اسكندر نظام القايضة في تجارة مصر الخارجية — بحث في المجلة التاريخية من ٤٦ ملاحظة (٢) ويذكر في البهار في تجارة الاسكندرية الخارجية كان يعور الأصبة التي تمرزها الآن تجارة الشاي والقهى الخام والتبغ والسكر والقاباكا لكوبا . ويأتي في الأصبة من البهار القرفة وجوز الهند والرنجيل وحطب الساج والماج والجواهر والاسجار الكريمة .

(١٠) خصصت السلطات المالكية وكالات للبهار وأسواق تحمل اسم اسطاري لا تزال ، بالاسكندرية اليوم كالم صرحت طبع فنادق لتجار هذه السلع لاقامتهم خلال وجودهم بمصر .

(١١) تردد في ملاحظات فايشاي مع الهندية وكذلك ملاحظات القوي شكوى تجار =

وعلى رأس قائمة السلع التي كانت تلقى رواجاً في أوروبا في
 العصور الوسطى : التوابل والأفاويه وهي من أسباب ثراء مصر في
 عصر المماليك ومن أجلها دار البرتغاليون حول أفريقيا في بداية الحركة
 كشف جغرافى واسع نقل العالم من العصور الوسطى إلى العصور
 الحديثة ، كما أنها كانت سبباً فيما عرف في التاريخ بحروب التوابل
 والبحار . وكانت مدخلا لحركة الاستثمار الحديث في الشرق الأدنى
 والأقصى . ومن أهم هذه السلع : التوابل والبحار والأخشاب الطيبة ،
 والصبغات والصمغ والبخور والعطور والأخشاب والمعادن والأحجار
 الكريمة والمسوحات، وتدفق تيار هذه المتاجر إلى أوروبا من شرق البحر
 المتوسط حتى أقصى مؤرخو العصور الوسطى ٣٨٦ نوعاً من
 التوابل (١٢) . وكان أبرزها وأهمها وأكثرها طلباً في أوروبا الفلفل .
 وقد اشتدت الرغبة في الحصول عليه أكثر من أى تابل آخر على الرغم
 من ارتفاع ثمنه . ومصادره الهند والشرق الأقصى وشرق أفريقيا .
 والفلفل له ثلاثة أنواع الطويل وهو غير مستكمل النضج ، والأبيض
 الذى لم تصهره الشمس بعد ، ثم الأسود الناضج بعد تعميمه وهو
 أحسنها كلها ، وهو حريف المذاق ذو رائحة طيبة ويشتد وجود الماء
 بكثرة في جذوره وثمرته تشبه المناقيد ، وإذا اشتدت الشمس وارتفع
 حرها تنضم أوراقها على عناقيدها ولا تحرق الفلفل قبل أوان

البلغم والالام من نفس التوابل ويذكر المصريون من نفس الجرج الوارد من أوروبا ونس
 في المباحثات من مراعاة ذلك من الطرفين - بالمعنى نفس المباحثات رقم (٢) و (١٢) ب

- Clerget, Op. Cit. pp. 343, 344, 345, 346, 347.
- Poston, Op. Cit. T. II. p. 351.
- Clève, Op. Cit. p. 79.

(١٢) الميرزى : الفلفل - ج ١ ص ١٢٠ وما بعدها .

- Hyzayin, Op. Cit. pp. 35-38.
- Poston, Op. Cit. Vol. II. p. 351.
- Lopez, Med. Trade pp. 109-114.
- Day, Op. Cit. p. 79.

ادراكه (١٣) . والنوع الذي ينمو في شرق افريقية يصدر عن طريق ميناء مقديشو وتنمو أشجاره على أميال طويلة على مدى البصر. وشجرته ذات عناقيد تتدلى منها كعناقيد العنب وتعطي ثمرها ثلاث مرات سنوياً وتظهر زهور الفلفل في شهر مارس ، وبعد أن تتلون تقطع وتفرس في الشمس لتجف وتأخذ لونها أشهب ويتم ذلك في شهر مايو ، أما الأنواع الأخرى فبعد أن تجف يصبح لونها أسود . والأهالي هنا يستخدمون الفلفل في طعامهم وشرابهم ويقال انهم يصنعون البيران تحت الشجرة لكي لا تقترب منها الثعابين كما يقال انهم يضعون الثمار في القرن لكي لا يعاد بذرها في بلاد أجنبية (١٤) . وهناك نوع آخر لا يجلب من الشرق الأقصى ولا الهند ولا شرق افريقية وشاع استعماله في مدن مونتبييه Montpellier وملقه Malaguetta وكان الايطاليون يتعاونونه من شمال افريقية . أما مصدره الأصلي فلم يكن معروفا حتى عصر الأمير هنري الملاح عندما نقله بحارته معهم في عودتهم من جنوب غرب افريقية . وأنواعه تفضل كثيرا أنواع الشرق الأقصى وعلى درجة كبيرة من النقاء ، اذ أن فلفل الهند داخله الفس في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر بعد وصول البرتغاليين للهند ، وبنشوب الصراع على التوابل بينهم وبين العرب قل الوارد ولجأ الباعة الى غشه لعدم وجود رقابة كافية بعد احتكار الدولة لهذه السلعة فكان يضاف اليه أنواع رديئة وأتربة مما أدى الى تكرار الشكوى من تجار البندقية

(١٣) ابن اياس : ندى الأبحار (مخطوطة) ورقة ١٧٤ .

الجزري . نسخة المصاحف (مخطوطة) جاز الكتب رقم ط ١٧٤٤ ورقة ٤١٢ و ٤١١ .

ابن بطوطة : المسافر السابق ج ٢ ص ١١٢ .

— Von Harff, Op. Cit. pp. 169, 170, 171.

« بناء الاعتقاد في الصور الوسطى أن الفلفل ينبت في جنوب التوفال في وجم الشمس وتكون على مرسته البساتين والحدائق وعندما ينضج تشعل النار في أشجاره ليسود بعد أن يكون أبيض » .

— Sonké, Op. Cit. p. 19.

— Harff, Op. Cit. p. 171.

وعملاتهم تجار الفلاندرز والألمان ووجد بعضهم للاسكندرية لاعلان ذلك ومراقبة البيع ونص على نقاء هذه السلعة في معاهدة قايتباي ودوج البندقية عام ١٤٨٣ ومعاهدات العوري والباقدة وخاصة المعاهدة الشاملة (١٥) . والمثل الشائع في أوروبا في العصور الوسطى « ان شيئاً ما عال كالفلل » ، ومنشأ ذلك أنه كان للفلل قوة شرائية يتعامل بها في ظروف معينة فكان من المعاداة الشائعة بين رؤساء الكنيسة الفرنسية أن يتقاصوا العشور توابل ، فللأول أو جزئياً كما كان العبيد يشترون حررتهم بأحمال من الفلل ، ويفرض على اليهود جزية صرائية قوامها الفلل والحنزبل والشمع . نظير السماح لهم بحق حيازة مدافن لموتاهم ومدارس لأبنائهم « وفي انجلترا كانت له قوة شرائية مثل العملة تماماً لندرته وغلوه بل انه كان يقوم مقام المال في الايجارات الزراعية ومهور الرواج » . (١٦) وساحل المالابار هو مصدر أوروبا من هذا التابل في العصور الوسطى وتزرع منه كميات كبيرة كذلك في كلكتا وسيلان والهند الصينية وإنه كانت مدن ساحل مالابار أوغرها اتاجا . وعندما شدد البرتغاليون قبضتهم على الهند كان الفلل يهرب الى مكة ومنه الى أوروبا كما أن بعضه كان يصل للصين (١٧) . وكمية الفلل المرسلة الى أوروبا تصلها عن طريق مصر والبندقية حتى احتل البرتغاليون مناطق اتاجا فصارت لشبونة مركز تصدير لأوروبا (١٨) .

(١٥) بالملاحق معاهدة قايتباي والعوري الأول برقم (٢) والثانية برقم (١٦) راجع

إلى

— *Sonia, Op. Cit. p. 72.*

— *Heyd, Op. Cit. T. II, pp. 658, 659-662-664.*

(١٦)

— *Sonia, Op. Cit. p. 20, 21.*

(١٧) هناك أنواع أخرى الفل نية تأتي على ما يذكر من الأيو والهند الغربية وتكثر صورة التركيب الصينية بعد أسباب الفلل التي كانت تحملها وفي عام ١٥١٥ كان ما حملته السفن الى الصين من الفلل من جزيرة سوطرة حوالي ٦٠,٠٠٠ طنار ليماء تصديره للغرب . «

— *Hymyria, Op. Cit. p. 205.*

— *Heyd, Op. Cit. p. 662.*

(١٨)

والقليل ميلان سمعة طيبة الا ان سيطرة البرتغاليين على تجارته في الهند وسيلان في مطلع القرن السادس عشر حجب وصوله لمصر وأوربا عن طريق البندقية ووصل بدله عن طريق جزر الهند الشرقية والهند الصينية . وحقل سومطرة من النوع الطويل ، وكان قبل ذلك نادرا ما يصل لمصر والغرب لبعده مصادره ولكفاية ما كان يصل من الهند (١٩) . وليس معنى ذلك أن الصين لا تزرع القطن ولكن الثابت أنها كانت تزرع كميات هائلة منه بالإضافة الى ما يرد لها من جزر الهند الشرقية والملايو ليعاد تصدير الكل على السفن الواردة من الهند ومن البحر الأحمر لأن موانئ الصين تستقبل السفن الضخمة (٢٠) . ولهذا كان سعر القطن الذي يساوي أربعة جنيهات على السفن المتجهة مباشرة من الهند الى البحر الأحمر يساوي بعد خروجه من الصين حوالي ١٥ دوكات (٢١) . ومن أهم استعمالاته لدى الأوروبيين تأثيره القوي في علاج بعض الأمراض وادخله في صناعة النيذ وحفظ الطعام (٢٢) . وإذا كان القطن قد استخدم بكثرة في الأطعمة المتبلة وفي بعض حالات العلاج

— Heyd, *Ibid.* p. 665.

(١٩)

(٢٠) : ان كل شحنة مركب واحدة خاصة للهند أو الاسكندرية أو أي مكان آخر أو متجهة للمناطق المسيحية كان يأتي مئات أمثالها وأكثر الى ميناء ديتون بالصين .

— Hyazzyia, *Op. Cit.* p. 205.

— Georges, *Op. Cit.* p. 343.

(٢١)

— Heyd, *Op. Cit.* T. II. p. 663.

(٢٢) للقليل تابع قوى كعلاج للأمراض فهو عند مرجه يورق النار بله في حالات لدغ الكائنات السامة وعندما يصرج بالزيت يكون مرصا مطبولة قوى التأثير وإذا أضيف الى النيذ اللاد في الثروات القلبية والتهاب الرئة وهو يستخدم كثيرا في تنشيط الجهاز الهضمي وحفظ اللحم والافذية لمدة طويلة .

— Sonia, *Op. Cit.* p. 20.

ديتول الجوزي المصدر السابق ورقة ٤١٣ و ٤١٤ انه حار يابس جدا وفيه جنب لأصول البندم ويسكن العصب ويطلق الاغذية الغليظة ويهضم الطعام ويسبب طمسة البصر .

الطبي ، فان الشرق أنتج محاصيل عديدة اقتضرت الافادة منها على صنع العقاقير الطبية .

ولفظ العقاقير الطبية يعيد معنى الأدوية بمفهومها الآن ، وهو يتصل اتصالا وثيقا باقتصاديات المدن في العصور الوسطى وكانت القاهرة سوقا رائجة لتجارة الأعشاب الطبية وصناعة الأدوية من الأعشاب الواردة من الشرق وكانت معروفة لأهالي القاهرة وللعرب كافة وإن عابت عن أفهام الأوروبيين في ذلك الوقت . وقد مهر المصريون منذ القدم في معرفة جواهر العقاقير الطبية والتوابل الشرقية وبيع من هذه الأعشاب مالا يقل عن ٦٠٠ قطار تبلغ قيمتها حوالي ٣٠٠٠ جنيه تصاعفت الى خمسة أمثالها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر بعضها للاستهلاك المحلي ، والبعض الآخر للتصدير لأوروبا بعد أن بدأ الأوروبيون يقدرون قيمتها العلاجية . هذه الأعشاب الطبية هي التي طورت طب العصور الوسطى الى الطب الحديث القائم على العلاج بالعقاقير حتى انه يقال « ان علم الكيمياء الحديث قد قمى على تجارة مصر وثرائها في الأعشاب والعقاقير الطبية » (٣) .

ومن بين مئات السلع التي استخدمت كعقار طبي القرفة — القرنفل — الخننجان — الزنجبيل — الورد — شمرق — وخيار شمر أو شبر — والراوند — والعنصر — والمن — والبلسم — والكافور — وعرق الكافور — والعود الهندي — والحبان — وحرزة الطيب — والزعفران — والتوتيا .

والقرفة أو الدارصيني من بين السلع التي دخلت في صناعة العقاقير الطبية ولم تعرف في أوروبا الا منذ القرن الثامن الميلادي ، وخاصة في فرنسا ، اذ كانت تصل مع العطور والبحور كهدايا للملوك والأمراء ، ثم عرفت عن العرب كمادة طبية تستخدم في صناعة

— Claret, Op. Cit. pp. 348, 350 & 356.

المقاير (٢٤) . والقرفة اسم يطلق على لحاء شجرة القرفة ويعرفها العرب منذ العصور الأولى ، وتستخدم مطحونة في حفظ الأطعمة والنبذ كما كانت معروفة في موانئ شرق البحر المتوسط . وتأتي القرفة من ملقا وتصل القاهرة عن طريق البحر الأحمر . وفي فارس تعرف باسم « خشب الصين » نسبة إلى مصدرها القديم حيث كانت تتوافر في جنوب الصين كما أنها تنمو في الهند الصينية وعرفها الفريون باسم أوراق الهند وقد نقل البرتغاليون منها كميات ضخمة أواخر القرن الخامس عشر حيث اتخذت عنصرا هاما من عناصر الدواء (٢٥) . ولم تذكر المصادر العربية أهمية سيلان في زراعة هذا التابل ، وإن ذكرته الكتب الغربية ورحلات الغرب منذ القرن الرابع عشر ، وهو في حوائث المطارة في مصر سلعة من الهند وسيلان ، ويبادل أهالي ساحل كرومالل ومالابار القرفة بالملابس أحيانا (٢٦) . وهناك نوع آخر ينمو في اليمن (٢٧) . وشجرة القرفة تشبه شجرة الصفصاف إلا أنها تفوقها ارتفاعا وتنمو أفقيا لا عموديا ، وأجود ما فيها لحاؤها وأغصانها . ولحاء الساق سميك ، أما الأوراق فأكبر من أوراق شجرة النار وإن كانت

(٢٤) تذكر مصادر العصور الوسطى شجرة القرفة باسم *Cassia* وأحيانا *Cassia* ال *Cinnamon* أو *Cinnamon* والاسم الحديث هو *Cinnamomum* وهو أقل جودة من النوع الذي يسمى *Cinnamomum*

- Heyd, Op. Cit. II. pp. 595-596.
— Clerget, Op. Cit. p. 343.

(٢٥) يذكر ابن البيطار في الجامع للمرات الأدوية والأغذية ج ١ ص ٨٢ و ٨٤ .
١٠٤ هـ أن أصله من الصين لذا عرف باسم النار صيني وأقل أنواعه يعرف باسم نار صومر ويسمى قرفة القرغل أما *Cassia* فيسمى الخشخاش فهو الخشب وفيه حرارة ، وطعمه حاريل لا يابس مع خلوة ثم مرارة والقروح الرديء ، وتيق وصلب يسيل للسواد يلبس الممدد ويولد البصر ويذهب البرد ويستخرج منه دهن يصلح كمنقح .

الكروزي : المصدر السابق ورقة ١١٤ .

- Heyd, Op. Cit. T. II. p. 598. (٢٦)
— Seale, Op. Cit. pp. 18-19. (٢٧)

تشبهها ، وثمرتها مثل ثمرة حبة القار ويستخرج منها زيت قوى يستعمله اليهود مرهما للجروح والحروق ومتى جردت اشجرة من لحائها وثمرتها استعملت وقودا (٢٨) . وقد أدرك البرتغاليون منذ دخولهم الهند أهمية القرفة في التجارة ، كما أدركوا أن قرفة قاليقوط أقل جودة من قرفة سيلان ، لأن سيلان تعنى بزراعتها وتوليها أهمية خاصة وتعنى باقتناء وغرس الأشجار المختارة . لذا كانت أسعارها في سيلان قدر أسعارها في قاليقوط حوالي أربع مرات تقريبا (٢٩) . وأجود أنواع القرفة ذات اللون الأحمر الضعيف والطعم القوي الحريف (٣٠) .

ومن بين الأفاويه التي كثر استعمالها في الأغراض الطبية هي المصور الوسطى القرقل وقد ورد ذكره بكثرة كذلك في الكتب التي تتحدث عن حفظ الأطعمة وبخاصة الأسماك في طعام المسيحيين في أوروبا خلال صيامهم الطويل كما تستخدمه الطبقات البرجسوارية في تبيل اللحوم أكثر من طبقات الأمراء . ومنذ الحروب الصليبية كثر استعماله بعد أن جلبت كميات كبيرة منه لأوروبا عن طريق موانئ شرق البحر

(٢٨) لا تستعمل القرفة لظن لحائها ولكن كذلك لزهرها وتحتوى أوراقها على زيت طيب طيار ذو رائحة عطرية يلبس في لرباطي الأسماء كملين ومرهم .

ابن البيطار : المعجم السابق ج ١ ص ١٠٤

— Heyd, Op. Cit. T. II, pp. 599-600.

— Senie, Op. Cit. p. 72.

(٢٩) كان فردي البرتغاليين من حطيم الأولى على سيلان هو الحكم والاستعلاء على تابل القرفة (البارصيني) المزروع بالجزيرة والتي بها لهم أنه أفضل من المزروع في ساحل مالابار وأقل منه تمنا . ومع ذلك لم تكن سيلان حروقة بزراعتها ، وكان يظن أنه يأتي من الصين . وتنتظر القرفة في سيلان يسلمى ما قبله خصب وأصناف مثيله وأحيانا يصل إلى أربعة أمثال منه في مدن ساحل مالابار . وشجرة القرفة متوسطة الحجم والطول والبرتغاليون هم الذين اكتشفوا أن سيلان أفضل أنواع القرفة .

— Dence, Op. Cit. Vol. II, pp. 113-114.

(٣٠) برثيلة رقم ١٧٥ ص ٢٤٨ من راجوزا عام ١٤٥٨ في نفس السجل ومصالح للمختبرين .

— Lopez, Op. Cit. p. 349.

المتوسط ، وكان ثمنه ضعف ثمن الفلفل حتى أوائل القرن السادس عشر لا سيما بعد أن دخل الصينيون كتجار له بالأسواق ، ثم انخفض السعر بعد ورود كميات ضخمة منه على يد البرتغاليين بعد أن داروا حول إفريقيا ولا تكاد تحيط صسيدلية في العصور الوسطى من القرنل (٣١) . وأواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر بلغ ثمن حمل القرنل الذي يزن ٧١٥ رطلا بموازن البندقية ٢٥ دوكا تسليم ملقا وجاوة للتجار الوطنيين وما بين ١٢/١٠ دوكا للأجانب ، أما في قاليقوت فلم يقل سعره عن ٦٠/٥٠ قطعة ذهبية ومن هنا عرف سب ثراء تجار هذا التابل من الوطنيين والأجانب على السواء (٣٢) . وقد ظل مصدر تصدير القرفة إلى أوروبا مجهولا فترة طويلة ولم يعرف إلا أن الصين مصدره ومنها أخذ الاسم وإن العرب هم وسطاء نقله من الشرق عبر الخليج الفارسي أو البحر الأحمر ، ولكن ذكر مؤرخو الغرب أنه من زراعات الهند والأرجيل الهندي وجزر ملوك وجاوة وسيلان (٣٣) . ولكن هذه الجرر في الواقع لم تكن أكثر من محطات تجارية على الطريق لغرب آسيا (٣٤) . وفي عام ١٥٠٤ كان الرحالة فاريما أول أوروبي يضع أقدامه في جزر ملوك وشاهد بنفسه قرون القرنل على أشجارها ووصفها والقرنل المعروف الآن هو براعم الشجر (٣٥) . وينحني هذا البرعم بساقه وحزته الأعلى المستدير

(٣١) — Heyd, Op. Cit. II. pp. 603-604.

(٣٢) أين البيطار : المصدر السابق ج ٢ ص ٨/٧ .

— Drpping, Op. Cit. 2. p. 44.

— Sonia, Op. Cit. pp. 18-19.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 655.

(٣٣) أين البيطار : المصدر السابق ونفس السلطات .

الجزري : المصدر السابق ورقة رقم ٥٢ .

(٣٤) — Heyd, Op. Cit. II. p. 605.

(٣٥) اسم نبات القرنل المسمى Eugenia Caryophyllata

وبعد جمعه يعرض للشمس ويجفف ويعرض للبيع، ويشترط أن يحتفظ بلونه الأحمر القاني دليل نقاوته ويحق للتجار رفضه اذا كان على درجة من الاحمرار أقل من ذلك أما أوراقه ففيها عطر طيار مثل الموجود فعلا في قرون الترفل (٣٦) .

أما تابل الطلجان فهو من المواد كثيرة الاستعمال في الطب وشجرته تعرف باسم « حسرودار » ولها عروق متشعبة ذات عقد لونها بين السواد والحمرة وتورد من الهند وقد استعمله العرب الأوربي في العصور الوسطى في الطب والطهي ويستورد من موانئ بيروت والاسكندرية وعكا . وفي الطب يميزون بين نوعيه الكبير وهو الأحمر القاني ويرد من الهند والصين البني الخفيف ويرد من الصين (٣٧) .

واعتبر الزنجبيل في العصور الوسطى من أكثر التوابل شيوعا وتداولها ولا يقل في استعماله عن القرفة والبهار وهو يطرح في الأسواق على صورتين اما أخضر واما مخلوطا بالسكر ويدخل في صناعة المقاقير الطبية والطهي وحفظ وتحضير الخمور ويزرع بكميات كبيرة في الهند والصين وسرقند وبعض البلاد العربية

وزنجبيل بلاد العرب والهند هو الذي يصل الى أوروبا والنوع الهندي ثلاثة أنواع الحبلى والبلى والدلى ، ويزرع الأول والثاني

(٣٦) ابن بطوطة : المسافر السابق ج ٢ ص ١٥٥ .

يذكر ابن بطوطة « ان ما يجلب لبلادنا هو نور الترفل وهو الذي يستعمل من زهره ويقبه زهر القاريج ونور الترفل هو « جوريرا » المعروف في بلادنا باسم جزء الطيب أما الزهر للكون منها فهو « البسياسة » .

— Heyd, Op. Cit. II, p. 607.
— Lopez, Op. Cit. p. 349, DOG. 173.
— Ferrand, Instructions Nautiques

(٣٧) الجزري : المسافر السابق ورث ٢٦٥ .

ابن البيطار : المسافر السابق ج ١ ص ٨٠/٧٦ .

يليد الطلجان في علاج امراض الكلى والمعدة والقصة الهوائية .

— Heyd, Op. Cit. II, p. 617.

على الجبال وان كان الأول أفضل من البلدى ويكثر زراعتها فى
قاليقوط حين يزرع الصنف الثالث على ساحل كافانور (٣٨) .

وهناك نوع آخر ينسب الى مدينة كولام (٣٩) ، والرطل منه
يساوى اذ ذاك مايوازي الآن عشرة هرايكات لكل ١١ أوقية صافى
ويرد لأسواق مكة زنجبيل مدغشقر وزنجبار ، ويباع بضعف سعر
الزنجبيل فى كولام (٤٠) .

ومن العقاقير الطبية الشرقية التى نالت شهرة عظيمة فى العصور
الوسطى فى الشرق والغرب على السواء « البلسم » انتاج شجرة
البلسان . وتكثر زراعة أشجاره فى حدائق المطرية بالقرب من القاهرة.
ولهذه المنطقة شهرة روحية عميقة فى مصر ، ومنذ العصور الوسطى
المبكرة وهى موضع احترام الناس على اختلاف أديانهم من مسيحيين
ومسلمين . وتقول القصة الدينية أن السيدة مريم فى هربها بالطفل
يسوع المسيح من طغيان هيرودس الحاكم الرومانى لبيت المقدس ،
زلت والطفل ، ويوسف التجار ، هذه الناحية وجلست لتستريح على
الأرض والطفل فى حجرها بعد أن نال منهم التعب والعطش وهنا
حدثت المعجزة ، فقد أخذ الطفل المقدس يحرك رجليه كما تفعل الأطفال
عادة ، ولامس كعباه الأرض فتجبرت عين ماء فى ذلك الموضع وروت

(٣٨) Heyd, Op. Cit. T. II. pp. 619-620-622, 623. (٣٩)
— Socin, Op. Cit. p. 29.

(٣٩) هناك نوع يعمل من بلاد المغرب وأرض صلبان ويغيبه فى طعم الطفل ويعمل
فى إيطاليا فى ثوانى خفيفة ويستعمل فى العلاج الطبى للأمراض ، القصبة الهوائية ،
الصدر ،

(٤٠) البيطار : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

— زنجبيل كولام يعرف باسم زنجبيل كولبيدو وهى غير عاصمة سيلان .

(٤١) يذكر الجزوى نفس المصدر والورقة ان أجوده الصينى الكافى للصبرة ويشبه
الطفل فى ملامحه .

أهمعشها وغسلت له ثيابه. وحدث أن سقطت بعض البذور من شجرة
البلسان حيث الماء المتعجر وامت أشجاره وازدهرت وأصبحت مزارا
للمسيحيين من جميع الأقطار بعد عودتهم من بيت المقدس للتبرك
بالشجرة المقدسة كجزء مكمل لحجهم . وقد نالت المنطقة وأشجار البلسم
بها رعاية حكام مصر على اختلاف طوائفهم (٤١) .

وتذهب الروايات الى أن البلسم المذكور معجزة من المعجزات وأن
أفضله لا ينبت بمكان ما على الأرض الا بالمطرية . وفي رأيهم أن هذا
قد يكون لقداسة المكان أو لطيب أرضه وصلاحيته لنمو هذا النوع
من الشجر . وتجري عصارة الشجرة في موسم معينة من السنة فتضخم
الشجرة وفروعها بشكل ظاهر ويمد عمال الحديقة الى احداث الشقوق
في لحائها متقادين خشب الشجرة نفسه وأحيانا ينزعون الورق فيسيل
السائل السحري ويجمعونه في أوان وقدور خاصة ويلاحظ ضرورة
سد الشقوق بعد فترة مناسبة حتى لا تموت الشجرة لكثرة ما قد ينزف
منها من عصارة ، والسميد من قال قطرة على قطعة قطن مسدوفة
والعصارة المجموعة توضع في قدور في وهج الشمس ويطفو الزيت
وتعبط الشوائب ثم يؤخذ ويغلى على النار فيكتسب لونا أحمر جذابا
ويعتبر هذا من أرقى الأنواع . ومحصول العام الواحد يزيد على ٦٠
رطلا في أو في الأعوام (٤٢) .

(٤١) « نالت الأشجار والمنطقة لزراعة بها شجرة ماقية ودينية كما أن طريق الحج
غير مستاء يمر بهذه القرية التي تبعد عن القاهرة مسافة ٤ فراسخ » .

- Farf, Op. Cit. p. 127 & R. 2.
- Herd, Op. Cit. T. II. p. 575.
- Clerget, Op. Cit. p. 592.
- Souss, Op. Cit. p. 15.
- Depping, Op. Cit. T. I. p. 73.

ابن أبياس : نقش الأملح ورقة ٢٦ و ٢٢ .

(٤٢) يذكر ناصر خسرو في رحلته « أن حب البلسان لا ينبت حيفا يزرع ولا ينبت
في غير مكانه فلا يخرج زيتا ، وشجرة مثل شجرة الأسى ويشذرون غصونها بالصلح حين
تكبر ويربطون زجاجة عند موضع كل قطع فيخرج منه اللصم ، كالصمغ وحش ينقد ما قربا »

والبلسان احتكار سلطان مصر وتراقب عملية جمعه مراقبة شديدة
ثقله الناتج وكثرة الطلب عليه وغلاء سعره . ويبيع المحصول لحساب
السلطان فهو صاحب المزرعة ، لذا سورت منطقة أشجاره ووضع عليها
الحرس ليلا ونهارا ويحضر السلطان بنفسه جمع المحصول وتقديره
ويصنه في كتوس من القصة (٤٣) . ويتولى اهداءه هبات وهدايا
الى ملوك وأمراء ورؤساء جمهوريات الدول المسيحية في أوروبا التي
تتعامل معه وملك الحبشة ، كما كان يمنع منه هدايا للشخصيات الدينية
الكبيرة المارة ببلاده ويذهب جزء آخر الى المستشفيات لعلاج المرضى
وما يتبقى منه يباع لحساب السلطان بأسعار عالية . وكانت بعض

من ضمن الحب ويحمل البستانيون محصولها الى المدينة ويبيعونها . ولما زما ثمن وعنه
كالنور حين يلفر وينبت في جذعها اخصان في السنة التالية فيميلون بها كما عملوا في
السنة الفائرة . (لم يلحق ناصر خسرو عصر الماليك الذين احتكروا إنتاج الأشجار
المذكورة وفي القرن ١٥ أصبحت المزرعة ملكا لملاطيمهم) انظر دكي جسر الرحالة
المسلمون في العصور الوسطى - رحلة ناصر خسرو ص ٥٦

— Heyd, Op. Cit. T. II, p. 575.

— Sonke, Op. Cit. p. 15.

(٤٣) البغدادي الاثارة والاعتبار ص ١٠/٩ . ان اشجار البلسان في حين قس
محافظة في مساحة سبعة اذنة ، واولهاج شجرة الياسم نحو ذراع أو أكثر من ذلك
وعنيد لفران الأجل أحمر خفيف والأسفل أحمر قهبي . وإذا طغى ظهر في الفم منه مادة
دمنية ورالحة عطرة وورقه عقبه ورق السذاب ويحلى منه منذ طلوع الصبى . بان
يصفى الساق بعد ما تجف عنها كل أوراقها وشمسها يكون بطر بحجر يصب يقطع القمر
الأمل ويشق الأسفل شقا لا ينطد للخشب . فلذا لاذ للخشب لم يخرج منه شيء . وإذا
صفى كما أسلفنا أهل ديشا يسيل لثام من المود فيصبح ياصبع في قفاني زجاجية ويصنع
منه سرفيا ٢٠ وملا . (يقول حايه ص ٦٠) وتؤخذ القفاني خلط في الزيت والسر
الشديد لم تباد الى الشمس وتلتفد كل يوم ويكثر الدهن ويقلب لم تباد لانها للشمس
ولا يزال كذلك حتى لا يبقى فيها شيء ثم يؤخذ الدهن ويطبخ ولا ينطع أحد على طبخه لم
يرفع الى خزانة الملك ويصل جملة المصوع الثمن عشر الكنية) .

أما الجزى - المصير السابق ورقة ٤٨١ فبذكر طذ شجرة البلسان أو الياسم نفسه
الأسى . ويقال ان السيد المسيح عليه السلام الغسل في هذا البئر . وهو يقام في الثاني
والعشرين من طوبة ويسقى الى آخر حاتور - ويستخرج دهنه بان تفرط الأصناف يفسرط
من حجر وكذلك الجدد ويجمع ما يخرج منها بالظفر في الأصناف والخواير وتدفع الى
رجل نصراني يصف طبعه ولا يملكه الا لولده . وهو أثمن دهن في الدنيا .

— Sonke, Op. Cit. p. 16.

الشخصيات التي تحصل عليه هبة تباع ما يهدي اليها للأجانب للحصول على حاجتهم من هذا الزيت المقدس عند المسيحيين ، إذ أن ملوك الفرنج كانت تتعالي في شراء هذا البلسم بثقله ذهباً لأنه لا يتم عندهم التنصر إلا بعد وضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية ويغمسون فيه ، ويستخرج الدهن من الشجر في شهر برمات من كل عام ^(٤٤) « وما يصرف منه باذن السلطان يكون بمرسوم عال ويرسل كذلك لمسلوك الحبشة ^(٤٥) » . ولكثرة حاجة المسيحيين لهذا الزيت يعتمد بعض التجار الى تزيفه ، فكان السلطان يعاقب بشدة كل من ثبت أنه باع بلسماً مهدى للأجانب أو بلسماً مفشوشاً ، وعمال الحديقة هم الذين يتولون عملية النش إذ تترك لهم فروع هذه الأشجار فينالون بقاياها ويتولون بيعها لحسابهم الخاص بعد عصرها ، والدهن المستخرج نوع رديء غير نقي مختلط بمصارات أخرى من أشجار مختلفة ^(٤٦) ومع ذلك كان يباع

(٤٤) ابن اياس : فتاوى الزهور (طبعة كالة) ج ٢ ص ١٤٩ حوادث في الحبشة

٩١٤ هـ .

— Harff, Op. Cit. pp. 127, 128 & R. L. p. 127.

يذكر حارب « أنهم يقطعون أطراف الشجرة في شهر مايو من كل عام ، ويتركون السائل الذي هو مصارها ليميل في أول سنة لذلك ، وعنده هي تفل البلسم ويعلقون ذلك ثلاث مرات ، وقاله فطحة الفضل من الغانية وعنده الفضل من الأول (خطأ حارب في هذا والعكس هو الصحيح) ويرسل السلطان أجود الأنواع هدية كل عام الى بابل واورشليم وملكها وسلطان تركيا وعال السج و«سراطور المصبة» (وكان يقر أنه ليس يوسنا) وملك الهند » .

في وثائق تارخ السلطان قايتباي افريقيا من ليرس للبندوة رسالة من السفير البندقي للمرج من أحوال مصر عام ١٤٨٩ م وموجودة بالملحق رقم (٤) من ملح السلطان للمحمود البابوي كنية من البلسم هدية لفترة (١) وهي ترجمة الأستاذ الدكتور توفيق فاسكندر .

— Scusa, Sacrae Indiv. ٢٥ 30-33.

(٤٥) ابن اياس : فتاوى الزهور (مطبوعة) جزء ٢٢ .

— Heydenbach, Les Saints Pèlerinages, p. 39 & N. 2 p. 45. (٤٦)

يذكر برايندياج « أن البلسم المختار لا يوجد الا في منطقة مصر ، وله مركز ممتاز في العالم المسيحي ، ويدير موانئ الحديقة أربع قرى لكن تروى بحصة دائماً ، و«النش البلسم يكون به الورود » .

— Heyd, Op. Cit. T. ١٢. pp. 575-580.

بأسعار خيالية . ولما كان المستخرج لا يكفى عمد التجار الى خلطه
بأنواع رديئة مستوردة لتقليل الثمن وسد حاجة السوق مما قلل قيمته
الشغانية للأمراض (٤٧) .

ولم تكن المطرية بمصر هي التي تحتكر وحدها زراعة البلسان ،
وان كانت تحتكر بالفعل أفضل أنواعه فقد وجدت أنواع أخرى أقل
قيمة كانت تختلط بالنوع النقي لسد حاجة السوق ووجدت في الشام
وفلسطين واليمن (٤٨) . وان كان قد قل إنتاجه في القرنين ١٣ و ١٤
واقصر على ما تنتجه مصر وحدها . وعلى أى حال فإن البلاد العربية
تصدر الناتج هذا الزيت بدليل أنه لما أهملت في مصر في أواخر القرن
الخامس عشر، صار تجديدها بعد ذلك بأشجار من البلاد العربية . فمنذ
وفاة السلطان قايتباي ومطقة المطرية لا تحوز اهتمام الحكومة،
وأهملت الماية بالشجرة وانهار محصوله وتجارته ثم دمرت خلال
الصراع على السلطنة بين الناصر محمد بن قايتباي وقانصوه خنيساية
١٤٩٧ م (٤٩) . واقطعت زريقته من أرض المطرية حتى ولي السلطنة

— Depping, Op. Cit. 2, pp. 73-74.

(٤٧)

— Heyd, Op. Cit. 11, pp. 576-577.

— Sadeh, Op. Cit. p. 15.

(٤٨)

(٤٩) يرى تميم منطقة زراعة البلسان بالمطرية الى قانصوه خنيساية الذي عزل
السلطان محمد بن قايتباي وتولى السلطنة بعده ولكنه لم يثبت عليها سوى ثلاثة ايام
نصر بعدها السلطان المنزول مرة ثانية . والرحالة حارث طاهر حنب الأحداث وراى بنفسه
الصراع على السلطة . فأعلى قانصوه نفسه سلطانا على مصر بعد أن عزل السلطان محمد
ابن قايتباي على أنه من الماليك المقصود وليس من أولاد الناس الذين لا يحق لهم اعتلاء
العرش مثل ابن قايتباي وكانت المادة أن يستل الحكم ابن السلطان المنزول ويبقى به حتى
يستقر الأمر على سلطان من الماليك المقصود . ولاحظ حارث أن هذا الأمر لا يهم
الوطنيين بل يهم الماليك وحدهم وإن كان القرب والصار بصبيان الأمايل . وسد ثلاثة
ايام استطاع محمد بن قايتباي أن يسترد السلطة وفر قانصوه ليلا وتسلل وأهوانه الى
المطرية حيث مزعة السلطان من أشجار البلسان وروثها في آية قاتلج أمراه الشجر
الصغير ودمروا المرافق وذبحوا الثيران وسروا الأرض في المنطقة المقدسة ، وشاغلتها

قائمه العورى ، وتكدر السلطان لذلك ولا يزال يحصن أمره حتى
 أحضر اليه بلسان يرى من بعض أماكن الحجاز وهو في طيته غزره
 بالمطرية في المكان المشهور به فتج وطلع لما سقى من ماء تلك البئر
 التي بالمطرية وطلع ما كان قد بطل أمره من مصر فعد ذلك من محاسن
 الملك الأشرف النورى (٥٠) ثم حدث بعد ذلك أن بعض المخربين
 جردوا الحديقة من أشجارها مرة أخرى ونسبوا ذلك لبعض الأجانب،
 وبدأ الناس يقطعون أشجارها ويستعملوها للحرق حتى استولى
 الأتراك على مصر فاعتنوا بها وبدأ ظهورها مرة أخرى ، ولو أن لونه
 أصبح أشهب ، ويعرف الجديد باسم طسم مكة لأن شتلاته منها (٥١)
 ومصر وحدها هي التي كان ينمو بها شجر البلسان الأثني ، أما الشجر
 الذكر فينمو في إيران وبلاد العرب وأنتاجه أقل من الأثني ولونه
 أشهب (٥٢) وكان الكيميائيون في أسبانيا والصيدلة في القرن الخامس

عاش بنفسه على هذا الوضع الخائن وسجل احداها مع ويقول ان الأعلى اجوده بأنه لم
 ينمو باسم مكة الآن بل غير معروف لانه .

— Harff, Op. Cit. pp. 104, 105-107, 128.

— Heyd, Op. Cit. T. II. p. 578.

— Dapp, Op. Cit. p. 30.

(٥٠) انى ايلي المصدر السابق بدائع الزهور ج ١ ص ١١٩ حوادث ذي الحجة

١١٤ هـ .

— Heyd, Op. Cit. T. II. p. 578.

— Dapp, Op. Cit. pp. 29, 30.

(٥١) من الرحالة الأجانب الذين شاهدوا آثار التبريد عرفت ده يوم جازي

Martin De Buns Garten وبيج مارتير دا انجليا Pierre Martin D'Angiers

— Heyd, Op. Cit. T. II. p. 579.

— Clerget, Op. Cit. p. 352.

(٥٢) البلسم الذي يكون الذهب والفضة وضع في ماء حامض لفتح والوانه الاخرى.

شبهه بالفضة وفي (٦١) صورة (٦) .

— Lopez, Op. Cit. p. 349. DOC. 175.

— Day, Op. Cit. p. 79.

عشر يعرفونه باسم «حب البلسان» وعرفت هذه الأنواع فيما بعد في منتصف القرن السادس عشر (٥٢).

ومن أنواع السلع التي كثر استخدامها في صناعة العقاقير الطبية هي العصور الوسطى الكافور وعرق الكافور ، وترجع معرفة العرب له إلى أيام فتوحاتهم الأولى في فارس ويرد إليها من الهند وجزر الهند الشرقية ويحصلون عليه بعد أحداث شق في الشجرة فيسيل السائل في أواني وأحيانا يحصلون عليه من قلب الشجرة نفسها ، ويرد للتجار العرب خاما أو تقيا وله أنواع وألوان وخواص شتى حسب مصادره . وأفضل أنواعه مايرد من سومطرة والصين وجزر بورنيو ، ولم يتبه الأوربيون لكافور هذه الجزيرة إلا بعد وصول البرتغاليين إليها وكان كافورها يصل قبلا للهند عن طريق ملقا (٥٣) . ويذكر المؤرخون العرب ورحلاتهم أن تجارتهم بالهند ضخمة حتى أن الواحدة منها تظلل مائة رجل وأكثر ولا يوجد بها السائل الكافوري إلا في أوقات معينة من السنة حيث يثقب وسط الشجرة وتملأ منه الأواني ثم تسد ، وأجود أنواعه ما يسمى باسم المقاصيري (٥٤) وهناك نوع آخر في سيلان وجزر الهند الشرقية والصين وسبوفاله يعرف باسم الرياحي الأبيض (٥٥) أما القرب الأوربي فكان يحصل على الكافور في

(٥٢) استعمل الرحالة بيلون Belon عام ١٥٤٦ من نوع حب البلسان Grala de Bentr لعرف أنها زبابة من نصف قرن تقريبا على من أصول من مكة والمدينة .

— Heyd, Op. Cit. II. p. 579.

— Heyd, Ibid. II. pp. 592-593. (٥٣)

(٥٤) الجزري : المصدر السابق ورقة ٤١٧ و ٤١٨ . يذكر أنه يبيد في القوية للإصايب والقنط وقنطد ويصحب الرطوبة .

(٥٥) ابن البيطار : المصدر السابق ج ٤ ص ١٢ و ١٣ . ويذكر نوع منه باسم الرياحي نسبة إلى أول من عرفه .

— Fernand, Op. Cit. II. p. 112.

المصور الوسطى من اليابان وجزر فرمورا ويستعمل العرب كافور بوريو ، وقد قلت كمية الكافور في المصور الوسطى بسبب سوء استعمال الأهالي للشجرة وترك السائل ينزف منها دون سد ثقبها . وتستخدم الهند كميات كبيرة منه في تحييط الجثث وتعطير ، المعابد والتماثيل ، كما كان يصدر بعضه للبلاد العربية وأوروبا وسعر الكافور يتضاعف عند نقله خارج موطنه لمصارف النقل والجمارك وبخاصة في القرنين ١٥ ، ١٦ م حيث كثر الطلب وقل المعروض ، وعمد تجارته إلى غشيه ، وأصبح النوع المتداول لا يمي بالأنغراض الطبية المطلوبة (٥٧) ويشترط في الكافور أن يكون أيضا نظيفا غليظ القوام (٥٨) . ويذكر مع الكافور عرق الكافور ويورد للغرب من شرق البحر المتوسط وياع على أنه الكافور الوارد من الشرق الأقصى والهند ومصدره كذلك سنغافورة وجاوة (٥٩) .

ومن هذه السلع أيضا ثمرة دات نواة من نوع قواكه الخوخ والبرقوق وهي الهند شعيرة المعروفة باسم الاهليج وتمثل في المصور الوسطى إحدى السلع التجارية كثيرة الاستخدام في الطب ، ويذكر الرحالة الشرقيون والعربون خمسة أنواع لها (٦٠) . ومصدرها الهند

(٥٧) كثر استعمال هذا النوع في الطب وكثر وجوده في حوائط الصيدلة في المصور الوسطى « السطاري » في مصر ولوريا وعرف الغرب خواصه عن العرب واليونان بالكثرة استعماله في عياداتهم .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 394 & ff ;

— Samia, Op. Cit. p. 27.

— Depping, Op. Cit. I. p. 143.

(٥٨)

— Day, Op. Cit. p. 80.

— Lopez, Op. Cit. p. 349, DOG. 175.

Heyd, Op. Cit. II. p. 676.

(٥٩)

(٦٠) يذكر الجزري المصدر السابق ورقة ٤١٧ « أن القردف منه أربعة نكهات : الأسفر وهو الفج ، والأسود وهو البالخ ، والكايل الأكبر ، والنصيني الرقيق ، وأحسن الأنواع الشديد الصلابة الضارب للخطرة ، وهو يلبد في علاج أمراض المعدة والأمعاء والبصر ، ولتحضيره كعلاج طبي يبرجون ٣ أنواع منه يطلق عليها اسم **Triphala**

وأفغانستان وحرامان وأكثر أماكن نموها ، ساحل الملايبار بالهند وخاصة منطقة كولام . وفي الشمال تمتد مناطق زراعته حتى كابل في أفغانستان ، ويحصل العرب الأوربي على حاجته من هذه المادة من أسواق الاسكندرية التي يصلها من قاليقوت ومنجاولور . ويحب الهنود هذا التابل لمقدرته على الهضم وشفاء أمراض المعدة والأمعاء . وظل الأهليج هذا لفترة طويلة على رأس قائمة عقاقيرهم الطبية (١١) ولما كثر استعماله ارتفع ثمنه حتى أمكن الاستغناء عنه بعقاقير أخرى أكثر استجابة من هذا النوع في شفاء الأمراض . وفيما بعد اقتصر استخدامه على الصيغات (١٢) .

وهناك سلعة عقاقيرية أخرى اقتصر استعمالها في الشرق هي « حيار شنبر أو حيار شبر » . وقد أتيح لتجار الغرب المارين بالاسكندرية أن يروا هذا النبات مزروعا في حدائق الاسكندرية وحول المدينة ، وهو نبات عرب عنهم وتستهمل الأجزاء العليا من ساقه حتى البراعم وتدخل في صناعة العقاقير الطبية (١٣) . وتباع في أسواق القاهرة والاسكندرية ودمياط كما تجود زراعته في جميع أراضي مصر (١٤) . ويذكر رحالة المصور الوسطى هذا النبات كأحد أشجار

(١١) Heyd, Op. Cit. II. pp. 640-641.

(١٢) Heyd, Ibid. II. p. 643.

(١٣) يستعمل في الطب كثير البصراء وتسمى الأم الأورام وخبيث الصدر كما يلبس في الأم الفاسل .

الجزري : المصدر السابق ورقة ١١٦ .

ابن البيطار : المصدر السابق ص ٨٢ .

(١٤) يذكر ابن البيطار : المصدر السابق ج ١ ص ٨١ أن هذا الشجر بالريف ويعرف في الاسكندرية ويصل إلى الشام والبصرة .

ويذكر الجزري : المصدر السابق ورقة ١١٦ أنه لا ينبت إلا بأرض مصر وأجود ساقه البراق الأبيض النضرة .

— Heyd, Op. Cit. II. p. 602.

الهند ، وبخاصة في كانابور وغاليقوت وجاوة . ويساورنا الشك الكثير في وصول (خيار شمبر) الى أوروبا عن طريق مصر من الهند لتوافره في مصر والواقع أن وصوله للعرب من الهند كان بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح واتخاذ الطريق البحري من البحر الأحمر ومصر (١٥) . وحجم شجرته قدر حجم شجرة الجوز وورقه كورقة الا أنه أصغر قليلا وزهره يظهر في شهر سبتمبر (١٦) .

ويمثل الراوند أحد السلع الرئيسية في صناعة العقاقير (١٧) . ويعرفه العرب من قديم الزمان ويرد بكثرة من الصين كما يوجد كذلك في جبال أورال وتزخر به مناطق واسعة من وسط آسيا ويصل منه لأوروبا أنواع عدة منها الرومي والتركي والصيني وأنواع من خراسان والتبت والهمالايا ، وطريق البحر الأحمر هو طريقه الطبيعي وهم يفضلون في أوروبا النوع الصيني ويجمعه الصينيون من صحراء بلاد التار وكانت البندقية تتلقى كميات كبيرة منه من البحر الأسود (١٨) .

وهناك نوعان آخران من السلع التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وكثير الطلب عليها في الشرق والغرب وهي الفصص والمن .

(١٥) يذكر البغدادي : المصدر السابق ص ١٧ د انه يشبه شجر الخروب ، النامي زهره أصغر كبير ذو رائحة يهبة فانا حلة تدل لمرارة كالتراخ . والليل أبراهه المنيك والليل ولا تحدث بذرة صولا عند معكها ويجب ان يكون ساقها كالقلا رالا يتغير نعالها .

— Heyd, *Ibid.*, II, p. 803.
— Lopes, *Op. Cit.*, p. 349, DOG. 175.

(١٦) ابن البيطار : المصدر السابق ج ١ ص ٨١ .

(١٧) الجزري : المصدر السابق ورقة ٤٦٧ يذكر أن « من أنواع الصينى والفرسانى ويوجد في أمراء الهند والكتب والكل ولونه أخضر كالزبرجد لى القصب ويتكون من سيقان الفصص ومن حبيب لونه ابيض مصفر يصفاء الجوز ويتكون بكثرة » .
ابن الجوزي : شريعة الجبال وحرقة التراب ص ١٢٠ .

— Day, *Op. Cit.* p. 80.
— Heyd, *Op. Cit.*, II, pp. 666-667.
— Depping, *Op. Cit.*, I, p. 145.
(١٨)

ويتكون الأول عندما تنقب حشرة فرع شجرة القرو أو أى شجرة أخرى من أشجار الصبغة من نفس العائلة ولونه أحضرعاقق نوعا وأسوأ أنواعه الأشهب ويأتى به من اليونان وآسيا الصغرى كما يصل الى الاسكندرية من بلاتيا Palatia وجاليوبولى ومسلاتيا وكاندالور (١٩) أما المن فمن حاصلات بلاد العرب وما جاورها وهو أجود الأنواع المعروفة ، ويفضلون النوع الذى يسقط على الحجر ومركز نجسه فى مكة وتنسب وثائق الغرب الحديثة تسميته الى مكة لذا يعرف باسم ماكيا Machina كما أثبتت البحوث الحديثة الطبيعة أن أجود أنواعه هو المكى ومن شبه جزيرة سيناء حيث يجمعه الأهالى ويصدرونه للقاهرة والاسكندرية وأوروبا . وهو يعتبر سلعة عابرة لأوروبا من القسطنطينية وفاماجوستا ومصر والشام . ولا كان يرد معظم كميّاته من الشام فقد ساد الاعتقاد أنه احدى حاصلاتها . وعلى أى حال فإن سيادة وأطباء الغرب الأوربي ألحوا فى طلب المن العربى وفى فترة القطاع الصلة مع العرب ، كان الغرب يحصل على حاجته منه من جزيرة صقلية (٢٠) .

ومن بين الغلات الطبيعية الشرقية التى كثر تداولها فى الغرب وبخاصة للأغراض الطبية « العود الهندى » المعروف بالصبر الكندى وأحيانا يطلق عليه اسم العود فقط أو الصبر فقط . وهو ينمو طبيعيا فى جزيرة سقطرى على مشارف الطريق من الهند الى شرق إفريقيا والبحر الأحمر ، وهو ثلاثة أنواع ، كل نوع له لون يتميز به وبخاصة فى الطب تختلف عن الأخرى، فمنه نوع يسيل لونه الى الأصفر الليمونى المشوب بالحمرة، والنوع الثانى لونه أصفرغامق، والثالث لونه أصفر

— Heyd, Op. Cit. 12. p. 644.

(١٩)

— Clerget, Op. Cit. p. 353.

— Heyd, Op. Cit. 11 : p. 633.

(٢٠)

كالح . وأعطيت الأولوية في التجارة العالمية للعود الليموني الأصفر المشوب بالحمرة، ويصرف في كتب الطب القديمة ولدى الصيادلة بالعود الرقيق . أما النوع الثاني الغامق فيرد ذكره بكثرة في كتب المصور الوسطى المختصة بالتجارة والرحلات ، ويرد ذكره كذلك في الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بالجمارك ورسومها مع الكثير من السلع المحددة رسومها لأهميتها التجارية ، وأحياناً يؤخذ اسمه من لونه فيقال له « العود الكبدى » تمييزاً للونه عن غيره . أما النوع الثالث ذو اللون الباهت فيندر ذكره لقله قيمة وندرته استعماله (٧١) . وأشهر مناطق إنتاجه علاوة على جزيرة سقطرى وحضرموت في بلاد العرب ، وفي كمبای والنجال بالهند . أما في الغرب الأوربي فقد وجدت أنواع منه في أسبانيا وجزر اليونان وجنوب إيطاليا وإن كانت أقل جودة من النوع السقطرى . وهذا النوع يرد ذكره بكثرة في كتب رحلات جغرافى المصور الوسطى العرب والأجانب ، وامتاز عن سائر الأنواع بالجودة ورخص السعر . وقيل وصول البرتغاليين إلى الهند كان يصل لأوروبا عن طريق مصر وسوريا وقبرص وعرف باسم عود سقطرى (٧٢) .

(٧١) يذكر هايد : أن النوع الأصفر الليموني أحسن الأنواع وأشهرها وأكثرها استعمالاً .

— Heyd, Op. Cit. II, pp. 563-564.

كما أن تويبر يذكر أن (العود الكبدى) وهو النوع الثانى من حيث اللون والصف أحد الأنواع وخاصة إذا كان حالياً من اللوانب الجلدية وهو غامق لون الكبد ، وأحياناً يكون كلون القار الأسود لاسماً ، كما أن اللون الينسجى دليل الجودة .

— Lopez, Op. Cit. p. 348, DOC. 175.

(٧٢) يذكر الجزرى المصدر السابق ورقة ٣٣٢ و ٤٦٥ : أن السجى السقطرى مأخوذ من الزعفران ورائحته كالزجاج والعود الهللى منه يغيد طيباً في أمراض الصدر وسقوط الظفر .

يذكر ابن بطوطة المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٥ : أنه يشبه شجرة البوط وأوراقه كأوراقها ولا تترك له وقودته دقيقة وصيدانه وورقه غير عطري .

— Heyd, Op. Cit. II, pp. 560-561.

— Fermed, Op. Cit. II, p. 447.

ومن السلع التي استخدمت كثيرا في الطب والطعام الجبهان وجوز الطيب والأول من المواد المتداولة بكثرة في العصور الوسطى في أوروبا كدواء وعرفت فوائده عن العرب ، والفرس كما أضيفت إلى الألفية كتاب لحفظها ، وخاصة في العرب المسيحي لطول الصوم عندهم . ويصل لأوروبا عن طريق الاسكندرية . وفي التجارة يفرقون بين ثمرة الجبهان الخشبية ، وتلك التي تجلب من الحدائق ، ولا تزال هذه الميزة موجودة حتى الآن . ويرد الجبهان من الهند الصينية وكاماتور وقالقوت وأجوارهما (٣) .

أما جوزة الطيب فتابل معروف من قديم الزمان في التجارة الشرقية ومصدرة الهند وجزر الساحل الشرقي ، وثمرته لها قرون مثل قرون القرقل وأحسن أنواعه ما يرد من جاوة وسومطرة وبورنيو وجزر الهند الشرقية . ويرد لبغداد من أسواق سلطانية وسمرقند ويصل لأوروبا من الهند بطريق البحر الأحمر وعدن ويستخدم في الأغراض الطبية والطهي وتضميد الضمور ، وزادت أسعاره أواخر القرن الخامس عشر فقللة المعروض منه في مصر وأسواقها حيث بلغت أثمانه عامي ١٥١٠ و ١٥١١ ضعف ثمنها قبل ذلك . وفي سجلات البلاط الفرنسي في ذلك الوقت أن نصف الرطل من جوزة الطيب يساوي ١٢ ديناراً (٤) .

ولا تذكر الجواهر الطبية في العصور الوسطى دون الإشارة إلى مادتي التوتيا والزعفران . فالتوتيا حجر له ألوان عدة منها الأخضر والأصفر والأبيض ويجلب من الهند ، وأجسود أنواعه الأبيض ثم الأصفر ثم القستقي وهي معروفة عند العرب ، وعنهم عرفها العرب ، ويذكر حجر التوتيا دائما مقرونا بالاسكندرية ، وإن كان مصدره إيران

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 601, 602.

(٣)

— Day, Op. Cit. p. 80.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 644-645-646-647.

(٤)

وخاصة كرمان وأصفهان ، كما يوجد كذلك في الهند والصين . ففي
أحوار أصفهان توجد مناجم الزنك وهي التوتيا الطبيعية ، وشبه جزيرة
ملقا غنية بهذا الحجر بصورته الطبيعية وبها مصانع لتنقيته واستخلاصه ،
ويصل لأسواق فارس نوع معين منه يعرف باسم « حجر الصين
الحديدي » وفي الهند أمام كمباي توجد جزيرة بها حجر التوتيا ،
ويرسل كميات كبيرة لمختلف الأقطار الإسلامية . وتستخدم التوتيا
بعد تنقيتها في تحضير سوائل العلاج لأمراض المبيسون كما أنه نافع
للقرح السرطانية (٢٩) .

أما الزعفران أو الكركم فقد عرف في أوروبا من مصادر في شرق
البحر المتوسط وإيران . ويزرع منه نوع في أسبانيا جلب بثوره العرب
بعد فتح الأندلس ، وبذلك توفر في أسواق أوروبا دون الحاجة إلى
حلبه من الشرق وكانت مصر وقبرص أحيانا تستوردانه من أوروبا .
وزعفران أسبانيا يفصل عن غيره ، وله كان زعفران إيران أميز منه ،
ويعرف في أسواق أوروبا باسم زعفران أصفهان ، وزعفران همدان
وزعفران حلوان . وأطباء العرب يعرفون الزعفران من قديم الزمان
ويستخدمونه في العلاج الطبي ، كما أنه أطباء المصور الوسطى كانوا
يصفونه كثيرا كمقار طبي (٣٠) . واستخدم كذلك في الطهي والعطور
والوان الرسم لتعدد ألوانه بعد خلطه بغيرها (٣١) . وكثير وثائق

(٢٩) الجزري : المصدر السابق ورقة ٧٨٤ .

ابن البيطار : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٥ .

بزرگ : عجائب الهند جزء واحد ص ١٧٧ .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 674-675.

— Ferriand, Op. Cit. p. 586.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 668-669.

(٣٠)

— Cavigli, Op. Cit. p. 343.

— Clive, Op. Cit. p. 82.

(٣١) = يستعمل الزعفران الأصفر النقي والزعفران العربي المسحوق في الووص . في

البلويز . وهو يشبه المسحوق ويكثر باليس . وكانت جبال اليبس تعمل الزعفران إلى
الشمال فيصير لونها بنّاء لون أشعالي من الكركم .

العصور الوسطى المتأخرة الى كثرة عش الزغران (٧٨) .

ومن السلع - ان صح أن تسمى سلعة - التي كانت تلقى رواجا في شرق البحر المتوسط وخاصة في دولة السلاطين المماليك - الرقيق - الأبيض والأسود . ويصل للقاهرة من أسواق آسيا الصغرى وأوربا وأفريقية ، وقد لجأ المماليك الى شراء الرقيق الأبيض من مواطنه في الشمال منذ منتصف القرن الثالث عشر لتكوين جيوش محاربة منهم بالإضافة الى رغبتهم في تزويد قصور الحريم عندهم بالعنصر النسائي وتجديدهن من حين لآخر . ويرد مبعوثو المماليك كل الأماكن التي يستطيعون الحصول منها على الرقيق من البسجين حتى من البلاد المسيحية ، ثم يعتقون الاسلام ، وان كانوا أحيانا كثيرة يفضلون الرقيق من الأقطار الاسلامية في وسط آسيا (٧٩) . على أن أهم مصادر هذا النوع من المتاجر ، ان حق أن يقال انه سلعة تباع وتشتري ، هو بلاد الأعرق (٨٠) ، وحول بحر قزوين ، وأرمينيا ، ومناطق البحر الأسود ، وفارس ، وآسيا الصغرى ، وبلاد ما بين النهرين وبلاد التتار ، وبلاد القوقاز والجرس . ومن عادة قبائل هذه البلاد بيع الآباء لفلذة أكبادهم وخاصة الفتيات اذا أعوزهم الجوع وتهدت

عن : جليسر السابق (هرجم) ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٧٨) كثرة التفكير اواخر العصور الوسطى في عش الكرم وقد لعبت مناطق مجلس مولهبييه رسالة كرم وفرة في القلوبيا وقرروا انها منقوشة وغير صالحة للبيع ، انظر :

— Lopez, Op. Cit. pp. 270-271. DOG. 141. Chap. 17

(٧٩) مسيد جليسر - المجتمع المصري في عصر المماليك ص ١١ وما بعدها .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 555.

— Clive, Op. Cit. pp. 78.

(٨٠) وصل منهم الى السلطة خليفهم الرومي ٨٦٥/٨٧٢ هـ ١٤٦٧/١٤٦٨ وتبريد

في جماد أول - وجب ٨٧٢ هـ - ١٤٦٨ م .

— Depping, Op. Cit. II. p. 298.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 556.

عليهم الضرائب . ولم يلق رواجاً منهم سوى سليمى البنية أو جميلى
القسمات ^(٨١) ، وتركزت تجارة الرقيق فى مينائى « كاهنا وتاقا » على
البحر الأسود ويخصصان للجمهوريات الايطالية التجارية، لذا كان اتجاه
وكلاء سلاطين مصر الى هذين الميناءين وخاصة الأول مهما حيث
خصصه الجنويون المسيطرون عليه لتجارة الرقيق وحده . ومارس
الجنويون هذا النوع من التجارة لحساب السلاطين المماليك منذ
القرن الرابع عشر وحصلوا على الرقيق من الشركس والقوقاز والروس
والأمم الأخرى المجاورة وباعوهم بأسعار مرتفعة ^(٨٢) ولما بدأت تجارة
جنوة تنهار بعد ضمها لفرنسا وانتقلت تجارة الرقيق الى البندقية
تولى تجارها شراء العبيد بأسعار رخيصة وباعوهم للسلاطين بأسعار
مرتفعة وربح مجز وكان هذا النوع من التجارة من عوامل ثراء البندقية
وخاصة فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر حين ازداد الطلب من
السلاطين المماليك للعبيد لتزويد فرقتهم وجيوشهم بهم ^(٨٣) . وكثيرا
ما هدد السلاطين المماليك البنادقة والجنويين بشمير تجارتهم اذا
امتنعوا أو تلاعبوا فى توريد الرقيق ^(٨٤) . وبعد عودة العثمانيين من

— Depping, Op. Cit. II p. 298 (٨١)

— Heyd, Op. Cit. II p. 556

(٨٢) نصت المصاحف بين السلطان برسباى والجنويين عام ١٤٢٦ على ان تقوم جنوة
بتزويد السلطان بالعبيد وتنقلهم على سفنها الخاصة . وقد وصل الى كاهنا شخصية جنوة
كبيرة . وكان مقبلا بالاميرة ليترجم هذه الرسالة بتسهيل جمع ولعل السيد المر .
— Dopp. L'Egypte Au Commencement Du 15ème Siècle Fo. 39
pp. 64-65.

— Depping, Op. Cit. II p. 308.

— Heyd, Op. Cit. II pp. 557-558. (٨٣)

— Depping, Op. Cit. I p. 56.

(٨٤) حدث خلال حكم السلطان برسباى ان حاول الجنويون التفتك فى هذه التجارة
فصالحهم بما رأى من برسباى حدوث انحراف بالنسبة للسلطنة لفرقى فرائد خدمته
وحدد جدير وكالاتهم فى بلاده وبلغت الفرائد حوالى ١٦٠٠٠ ذك .

— Heyd, Op. Cit. II p. 558.

أوروبا عام ١٤٦١ إلى آسيا الصغرى على عهد السلطان محمد الثاني
عثماني، واستيلائهم على الولايات والامارات التركمانية في شمال
العراق وأرمينيا، وما نتج عن ذلك من سد الطرق والمنافذ للتجارة
— ولا سيما بعد سقوط امبراطورية طرابزون وموانئ
التجارة على البحر الأسود في يدهم حيث مراكز تجصع الرقيق ثم
سقوط ولايات كرمان ودلفنادر ومرعش وغيرها على عهد
السلطان بايزيد الثاني العثماني وبسليم الأول العثماني، وهي طرق
مرور العبيد إلى الشام — قل ورودهم إلى مصر. وكان هذا على رأس
أسباب الجفوة بين المماليك والعثمانيين^(٨٥). ولما سيطر العثمانيون على
هذه المناطق والطرق المؤدية إلى مراكز جلب العبيد، تحككوا في
تجارعتهم واشترطوا ألا تحبل السفن رقيقا من المسلمين، ورفضت جنوة
من جلبها نقل العبيد من المسيحيين ووافقت على نقل المسلمين منهم
على سفن مؤجرة لحساب سلطان مصر. وعلى مسؤوليته ويقتصر عملهم
هنا على الشراء فقط. وبالرغم من ذلك وصل إلى القاهرة أعداد كبيرة
أحيانا من الرقيق المسيحيين والمسلمين على السواء^(٨٦).

على أن التجارة في الرقيق عامة والمسيحيين منهم بصفة خاصة كان
مثار سخط ومعارضة البابوية في روما واتهم البابا يوحنا الثامن

(٨٥) مثل العثمانيون منذ استيلائهم على امبراطورية طرابزون عام ١٤٦١ على منع
لورد الرقيق للمماليك حتى لا يقرى جانبهم، كما أنهم كانوا يحصلون في الوقت نفسه
على تزيده جيوشهم بمهاجمتهم من الإنكشارية من هذا المصدر وعلم المماليك بما فعله
العثمانيون الذين تمكنوا كذلك بجميع واحة فتح بيع الرقيق من المسلمين مما أدى إلى
مشاكل بينها على عهد السلطان بايزيد الثاني وسليم الأول اللذين ولما نصب ابيشيه
حرم المماليك من هذا المصدر الذي يقرن به القوم.

— Vanthema, Les Voyages De. , pp. 17-18 & R. 3.

(٨٦) كان الجنويون يحصلون كثيرا إلى القديمة والتمايل فيحصلون على سلعهم رقيقا
من المماليك ولكن يجرون هذه السلى للمصريين حتى يتفادوا سخط الاتراك المارة في
موانئهم أو في طرقهم البرية، وسخط حكومتهم التي خرجت القاهرة في الرقيق للمسلمين.
وكان للمماليك أسطول خاص بالرقيق المصروح به والحرب. وذكر في جنوى عام ١٤٥٥
ومر Partholomi Parete أن جنوة أجرت سفنا للمصريين تحبل رقيقا مسلمين ومسيحيين.
— Heyd, Op. Cit. II. p. 558.
— Depping, Op. Cit. I. p. 208.

والعشرون تجار جوة وحكومتها بأنهم بهذا النوع من التجارة يعززون قوة العرب العسكرية ضد المسيحيين الغربيين (٨٧) وأدلى اليهود بدلوهم في هذه التجارة فكافوا يشترون العبيد الروس والمغوليين والشركس من كافا ويبيعونهم بسعر يبلغ عشرة أمثال ثمن الشراء للمسلمين في أسيابيا ، واضطر هؤلاء الرقيق إلى ترك دينهم مما جعل البابا يعلن حرمان من يقوم بهذه التجارة الشائنة من رحمة الكنيسة ، وأمر بترقيم ملابس اليهود المتهمين بممارسة هذه التجارة (٨٨)

ومن مراكز تجارة العبيد البيض أيضا تركيا نفسها وبخاصة في جاليبولي ومنهم الألبان والسلاف والصربيون (٨٩) . وشملت هذه التجارة كذلك رقيقا من إفريقية ، ولصلة البرتغال الوثيقة بإفريقيا فانه منذ عهد الأمير هنري الملاح وتجارة الرقيق العبيد تأخذ طريقها إلى أوروبا برغم التحريمات البابوية ، وبرر ملوك البرتغال هذا العمل منهم بأن الرقيق وثيرون ، وأنهم يعملون على تحويلهم إلى المسيحية (٩٠)

وإذا كانت هذه التجارة قد قامت على أكثاف البنادقة والجنوئين فإننا قليلا ما نجد هذه السلعة ضمن قوائم تجارة بيزا وبلورنسا لشدة تعلقهم باليابوية ، واتباعهم نصوص تحريماتها . وفي البندقية كثر عبد الرقيق ، حتى أنهم مارسوا التجارة والصناعة المحلية في البندقية ذاتها ، ومنهم الشركس الذين اتخذوا صناعة العلوي مصدر رزقهم وبلغوا أقصى أعدادهم عام ١٤٦٣ م (٩١) .

(٨٧) وما لالة اليابوية إلى هذا المجال ، ان التجارة في العاس عند المسيحيين والتربية

المسيحية .

— Fernand, Op. Cit. p. 30.

— Depping, Op. Cit. I. p. 179.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 358.

— Dapp, Op. Cit. pp. 14-15.

— Day, Op. Cit. p. 79.

— Scobie, Op. Cit. p. 68.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 362.

(٨٨)

(٨٩)

(٩٠)

(٩١)

والقاهرة والاسكندرية من أكبر مراكز تجمع الرقيق ، فيضلون
عن طريق دمياط والاسكندرية في أعداد ضخمة ، وتختلف أسعار العبد
تبعاً لحاله الصحية أو سنه أو مصدر جلبه أو وسامته اذا كانت فتاة،
وكان أحمرهم وأعلامهم سمرا الترى حيث كان يصل سعره ما بين ١٣٠
و ١٤٠ دوكا ، ويليهِ الشركسى من ١١٠ و ١٢٠ دوكا ، ثم الاغريقى
ابتداءً من ٩٠ دوكا ، والألبان والسلاف ما بين ٧٠ و ٨٠ دوكا —
والعبد الأسود يصل سعره ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ درهم . وقد يصل الى
١٢٠ دينار أحياناً ومن له مؤهلات أخرى كالجمال أو القوة أو الفناء
أو المهارة بألوانها فيصل ثمنه الى ٤٠٠ دينار . والشبان أكثر طلباً
من الرجال والفتيات أكثر طلباً من النساء . وفى القرن الخامس عشر
كان يصل للقاهرة سنوياً ما لا يقل عن ٢٠٠٠ عبد (١٧) . أما العبيد
الخصيان فكثر انتشارهم فى العالم الاسلامى ، وفى دولة سلاطين
المماليك ، ومعظم من كان يصل منهم من السودان والوجه القبلى كان
يخصى (١٨) . وبالقاهرة وكالة خاصة باسم الجلالة وهى مركز تجمع
الرقيق حيث يستطيع أى فرد أن يشتري ما يشاء من الرقيق الأسود.
وخانهم بالقرب من جامع قايتباى ، أما البيض فكان موطنهم فى وكالة
كشك وخاند جعفر، وكانت أسواق القاهرة عامرة بهم، ويتولى المحتسب
مراقبة حركة البيع والشراء وكذلك استخدامهم (١٩) . ويحصل
التجار المصريون على عمولة شحن عن نقل الرقيق وخاصة السود منهم
وبالإضافة الى أسواق القاهرة كانت هناك أسواق رئيسية فى الشام

— Clerget, Le Caire, pp. 340-341, 342.

(١٧)

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 358-362.

— Ency. Of Islam, Art. «Abde».

— Hakluyt Society, Vol. V. pp. 274 & Vol. VI. pp. 26.

— Clerget, Op. Cit. p. 242.

(١٨)

— Journal Asiatique, T. xvii pp. 30-37.

(١٩)

وفلسطين وآسيا الصغرى (٩٤) وكان المسيحيون يتمتعون من شراء العبيد من المسلمين أو استخدامهم (٩٥) ومنذ أن تشدد العثمانيون في مرور شحنات العبيد عبر بلادهم إلى ممالك مصر ، وهذه السلعة تقل في أسواق مصر والشام ، كما أنها أصبحت تجارة محلية وتحت إشراف المماليك مباشرة ، فكان للسلطان المالكي أمراء طبلحات مختصون بشراء المماليك بأنفسهم ، ومنهم جاهد بردى التاجر على عهد السلطان العورى ، وقد غضب عليه السلطان لتأمره مع غيره من الأمراء للتخلص من السلطان العورى وقبض عليه ونفى إلى الواح ثم عين « الأمير نوروز أعات أزدير الدولدار » وأقره بدل الأمير المغضوب عليه (٩٦) . ويبدو من هذا الخبر الذى أورده ابن إياس أن كل شيء فى مصر المالكية فى أواخر سنيها قد أصبح احتكارا حتى العبيد الذين تزود منهم السلاطين ولجأ المماليك لهذا الاحتكار بسبب حيز العثمانيين للرقى . ويقال أن من أسباب الحيز اضاف المماليك ورغبة السلاطين

(٩٤) ينشد التتار في غزلهم بالإسكندرية سولا فائدة حيث يباع الرقيق من الرجال والسيدات والأطفال وتختلف أسعارهم حسب قيمة العبد وصحة ومصدره . في حدود ١٤ - ٢٠ - ٣٠ ذكوات . وقبل شراء الرقيق يفحصون جيدا من أظفارهم لئلا يكون سلالة بناتهم ثم يزايجون على أبنائهم ، وهذا بمثابة بورصة أسرار فائدة طول العام فى فندق التتار - وزار - حارب حلال وجوده بالإسكندرية سوق العبيد بها ، وسجل ما شاعره في جلسات الزاد .

- Clerget, Op. Cit. p. 343.
- Hakluyt Society, Op. Cit. Vol. V pp. 275, 276 & Vol. VI p. 27.
- Von Harff, Op. Cit. p. xcii.

(٩٦) حاول أحد رفقاء الرحالة غابريى الذى زار الإسكندرية وسوق العبيد بها ولندق التتار وهو الكونت سولز Solms أن يشتري عبدا مسلحا من الإسكندرية وحاول حبل هذه المحاولة لي زيارتها للقاهرة حيث كان يتوفر العبيد للمسلمين والمسيحيين من الجنس ولكن إدارة السوق رفضت لأن القريضة والتتارون هنا يحرمون بيع العبيد المسلم للمسيحيين وإن كان الكنى مقبولا بها .

- Fabri, Op. Cit. III. pp. 164-165.
- Harff, Op. Cit. p. 95, R. 3.

- (٩٧) ابن إياس جملة الرخود ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ حوادث ربيع آخر ٩١٢ هـ .
- Hayd, Op. Cit. II. p. 302.

من آل عثمان في الحصول على حاجاتهم من الانكشارية لتقوية جيوشهم لمواجهة أعدائهم المسيحيين في أوروبا ، والصغريين في إيران والماليك في مصر والشام (٩٨) .

ولم تقصر التجارة على التوابل والعقاقير فقط إنما شملت كذلك العطور والبحور ومن أنواعها : عود الند ، والمسك ، وخشب الصندل ، والعبير ، والبخور ، واللادن ، والمصطكي ، والبان الجاوي ، وقد ورد معظمها من أسواق الشرق الأقصى ، وفارس ، وبلاد ما بين النهرين في العراق ، وتصل للقاهرة عن طريق البحر الأحمر والشام ، ومسوقها رائجة في القاهرة وروث تجارتها المصريون أبا عن جد (٩٩) . وعلى رأس قائمة الأخشاب العطرية الشرقية « عود الند » ويرد ذكره أحيانا كثيرة في سجلات نخارة الشرق والمرب في العصور الوسطى ويصل منه للمرب قليل لكثرة استهلاك الشرق له . وأشهر أسواقه ميناء زيتون بالصين إذ كان الصينيون يكثرون حرقه في مصابدهم أمام الآلهة . وفي الهند يستعمل لنفس الغرض ، كما أن بعضه يذهب لخزائن الأمراء ، والبعض الآخر للأسواق ، ورغم أن الغربيين لم يقبلوا على عود الند ، كعطر من العطور ، مثل ما فعل الشرقيون في العصور

(٩٨) يبدو أن فتح المغنابيين للربيع من الماليك كان سببا لاضطرابهم كقوة لغزو مصر وكذلك لشد حاجة جيوشهم من الانكشارية وقد وضع هذا في خلال رسالة السلطان سليم الأول السطاني للسلطان المالكي اللوري الذي كتبها عن طريق حابر بك - وفيها يقول لللوري : أنت والدي وأسالك السماء ... وأي ما ذهبت على بلاد علا الدولة الا بذلك ... أما القجار الذين يجلبون الماليك والجراكمة فاني ما منهم أما هم اضربوا من معاملتكم في الذهب والفضة فامتنعوا من جلب للماليك اليكم وان البلاد التي أخذتها من علا الدولة أعيدوا اليكم . وجيب ما تروته فلتداه .

— ابن أبياس : المصدر السابق ج ٥ ص ٥٨ - ٥٩ حوادث ٩٢٢ هـ .

على أن الحوادث أدلت على أن هذا الكلام نطقت من سليم الأول وخيالة من حابر بك قصد بها التسمية .

رياسة : نهاية دولة سلاطين الماليك من ٩١٦ هـ .

الوسطى حتى المتأخرة منها ، فإن البد كان يدخل كذلك في القوائم ضمن المواد المطلوبة للمعاقير الطبية ، كما كان يدخل في صناعة الأثاث الفخم ، وكانت أهم أسواقه في القسطنطينية البيزنطية والعثمانية ، وهي القاهرة ، ودمشق ، والإسكندرية ، وبيروت ، وفاماجوستا بقبرص ، حيث توافر فيها بكثرة حتى أن أحد الرحالة لاحظ وجوده في دكن عطار بكمية تزيد على حمولة « خمس عربات كبيرة » (١٠٠) أما مصادر هذا العطر الفخم فيذكر رحالة العرب وحفرايوهم أنه من إقليم « كمروني Kamrony بين الهند والصين ، ولعلها مملكة الهند القديمة . وهذا النوع هو أجود الأنواع على الإطلاق ، وذكر أن مصادره من آسام القريبة وهي لا تزال ليومنا هذا تنتج هذا العطر ، كما أن جزيرة سيلان تنتج أنواعا منه لا تقل أهمية وجودة عن عود بلاد آسام . ولد جارة أغضر الأنواع على الإطلاق ، ويحصل على ظهر الأسيال لمراكز التصدير ، وعرف هناك باسم خشب كاكولا Bois De Kakoula وهو وعلى كل حال فقد نقله العرب من مصادر إنتاجه في جزر الهند الشرقية وسيلان والهند الصينية إلى مصر والشام والغرب الأوربي ، وشاهده البرتغاليون في نفس هذه الأماكن وأطلقوا عليه اسم Kalam Bouk وهي إحدى مناطق الهند الصينية (١٠١) .

ومن المطور النفاذة الزكية الرائحة : المسك وهو إنتاج حيواني يؤخذ من الحيوان المعروف باسم قط الزباد (١٠٢) . ويوجد المسك

— Heyd, Op. Cit. 11. p. 581.

(١٠٠)

(١٠١) من فوائد علوة على استعماله كمطر ذكي الرائحة . انشائه للتبيد فيند في عهد الاتصالات النفسية والأزمات القلبية .

— Heyd, Op. Cit. 11 p. 581.

— Sonia, Op. Cit. p. 25.

(١٠٢) هذا الحيوان نوع من الظباء ويسكن في الحبش واليمن ويرعى الغنم وله لاجان صوفان كانياب الخيل ويعرف باسم .

Moschiferus — Musculus — Musc Male.

في عدة في بطن هذا الحيوان عند مرته ، فإذا ما حكها في الحجر
انفجرت وأفرغت ما بها ويخرج التجار يجمعونه من رائحته العيقة
الزكية . وأحيانا تصاد غزلان المسك بعد أن تنصب لها الشباك حيث
توجد في المنطقة الممتدة بين التبت والصين . ومسك التبت يعصل مسك
الصين لعنى مرعى التبت ، كما أن مسك الصين كثيرا ما يعش . وتوجد
أنواع أخرى في سيلان وجاوة وجزر اليابان . ويرد كثير من تجار
العرب إلى الجزء الشرقي من الهند سعيا وراء أفضل الأنواع المقيمة
وينقلوه إلى أوروبا سواء أكان ثقيا أم منشوشا (١٠٦) . والعرب والفرس
يكتثرون من استعمال المسك ، ويصل مسك الصين لغرب أوروبا وآسيا
برا وبحرا ، ولطول المسافة يفقد جودته أحيانا . أما مسك التبت فيصل
بطريق البر وأحيانا بطريق البحر — وعدن سوقه الطبيعي . والمسك
الذي يصل لفارس يمر أولا بالتركستان وبنفخ حمولة في الخليج
الفارسي في ميناء دارين Darin بالقرب من البحرين ، لذا كان
يحمل اسم المسك الداريني Muse Dariny (١٠٧) . وكميات المسك
التي تصل لعرب أوروبا عن طريق غرب آسيا تسلك سبيل القوافل
والطرق البرية والبحرية التجارية وقد امتلأت أسواق المدن على هذا
الطريق بالمسك الزكي الرائحة (١٠٨) . ومع وجود البرتغاليين في
الهند إلا أنه كان يصل عن طريق موانئ مصر ويروت كذلك ، فينقل
أولا إلى ملقا ومنها يعاد تصديره إلى عدن ، فالاسكندرية أو الخليج

(١٠٦) الجزري : المصدر السابق ورقة ٢١١ .

(١٠٧) ابن البيطار : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٥ (يذكر فوائد الطبية) رينود .
سلسلة التواريخ ص ١١٠ - ١١١ .

— Ferrand, Op. Cit. II. pp. 463-464.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 637.

— Depping, Op. Cit. I. pp. 41, 42.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 638.

(١٠٨)

(١٠٩) ابن البيطار : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٥ .

الفارسي وبيروت ومناطق أخرى كانت تتبع الطرق البرية
إلى هرمز (١٠٦) .

ويحمل العرب خلال رحلاتهم الطويلة - تحارا أو رحالة - قطعا
من مادة صلبة ذات لون رمادي تشبه الشمع لها رائحة زكية عطرية تزداد
إذا ما احترقت وهي التي تعرف باسم العنبر ، وتحتل مكان الصدارة
بين أنواع العطور المتأخر . وقد اختلفت الآراء حول مصدرها .
فكثيرا ما كان يشر عليها بين أمواج البحر وعلى الشواطئ ووسط
الصخور والأعشاب وفي أجسام الأسماك (١٠٧) . ويذكر بعض
الرحالة العرب أنه يوجد في قاع البحر وتلقظه الأمواج على شواطئ
عدن ، ويذكر آخرون أنه ينمو في قاع البحر كالاسفنج ويلقيه الموج
على الشاطئ ، ويكتفى البعض بالقول بأن العنبر من مستخرجات
السمك . ويذكر آخرون أنه موجود أصلا في الأسماك (١٠٨) . والعنبر
لدى العرب صنفان : أحدهما جيد والآخر ردي ، وتختلف درجة الجودة
والرداءة بالنسبة لجزء الجسم الذي وجد فيه العنبر في الحيوانات
البحرية ، ويؤكد سكان جزر الملديف واللاكديف من مجموعة جزر
ألدان ونيكوبار أن العنبر هو إفراز طائر ضخم وأنه رالحتة ترجع
لنوع الأعشاب التي يلتصق بها هذا الطائر ، ويظل جزء منه في هذه الجزر
وهو الجزء الأفضل والباقي تحمله الرياح والأمواج إلى الشواطئ .
الأخرى ، وجزء ثالث تبتهله الأسماك فتعذب لها عمر هضم وتقيؤه ،

— Heyd, *Ibid.*, II, pp. 639-640.

(١٠٦)

(١٠٧) الجزري : المصدر السابق ورقة ٢٢٥ - يذكر الجزري « أنه يبيت في بحر
الهند ويأكله السمك ثم يطير فيصطاده الصيادون بالكلاب إلى الساحل ويأخذون العنبر
من جوفه » انظر كذلك :

ديفود : سلسلة التاريخ ص ١٢ .

— Heyd, *Op. Cit.*, II, p. 372.

(١٠٨)

وهو أودا الأنواع (١٠٩) . ويذكر مؤرخو العرب قائمة طويلة للبلاد التي تنتج العنبر وتتاجر فيه ومعظمها في المحيط الهندي على خط طول يبدأ من الشاطئ الشرقي لأفريقية عند بربرة والزنج وينتهي في الصين وتشتهر جزر الساحل الأفريقي بأشهر وأضخم أنواعه . أما مناطق إنتاجه العبية في إقليم سوهار على شاطئ بلاد العرب الجنوبي حيث كان الأهالي يستعينون بالجمال وضوء القمر على اكتشافه ثم جزر كوربا موربا والملائيف واللاكديف وجزر نيكوبار على شاطئ كروماندل شرقي الهند (١١٠) . وهناك نوع آخر يرد من سيلان يعرف باسم Verzin ويعرفه العرب باسم برسيلا (١١١) . ويصل العنبر لأوروبا بطريقتين : أحدهما البحر الأحمر من المحيط الهندي ، ومركزه في عدن وجدة ، والثاني الخليج الفارسي حيث كانت تزخر به أسواق بغداد والبصرة . ويحصلون على أنواعه الفاخرة كذلك من أسواق الاسكندرية وفاماجوستا وبيروت والقسطنطينية (١١٢) . ولا يقتصر وجوده على البحار الشرقية ، إنما يوجد كذلك في البحار الغربية في أسماك المحيط الأطلسي وشواطئ البرتغال وإسبانيا وبحر البلطيق وإن كانت أنواعه غير ممتازة ، ويصدر لجميع البلاد حتى مصر نفسها (١١٣) . ويحضر العنبر في صورة التجارة على هيئة قطع

(١٠٩) ابن البطريق : المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٤ - يقول ابن البطريق : إن العنبر روث دابة بحرية ، ويبيت في قاع البحر وتأكله بطر دواب البحر ، فإذا امتلأت منه تلتصق بعضها على الراس . وأجود أنواعه الأصهب القوي السلاطي ، ثم الأزرق ، ثم الأصفر وهو أردق . وذكر مثل ذلك ابن الأثير الجزري ٧٨٢ هـ ولكن ابن البطريق يسبقه ٦٤٦ هـ .

— Depping, Op. Cit. I. p. 141.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 572.

— Depping, Op. Cit. I. p. 141.

— Dopp, Op. Cit. p. 69.

— Depping, Op. Cit. II. pp. 311, 312.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 573.

— Dopp, Op. Cit. p. 69.

(١١٠)

(١١١)

(١١٢)

(١١٣)

صغيرة منتظمة الشكل وعلى هيئة المسبحة ، وهو يستعمل في الطب ،
 إذ أنه عطر الرائحة مقو للقلب (١١٤) . كما استخدم في شتى الأمراض
 بكثرة في العصور الوسطى في الشرق . أما صنعه كمطر فكان هوايه
 كبار الشخصيات في أوروبا ويوضع في جدران حاصصة أو أكياس أو
 صناديق ، وفي الشرق تصنع منه العقود والمسابيح والأزرار والتبائيل
 كما كان يطعم به الخشب المحفور في بيوت الأمراء (١١٥) .

ومن أحشاب المطور التي شاع استعمالها بكثرة في العصور
 الوسطى وخاصة في الشرق الأدنى ، خشب الصندل الذي يحتوي على
 عطر طبيعي نفاد . وتذكر المصادر من العصور الوسطى ثلاثة أنواع له:
 منه الخشب الأحمر والأبيض والليموني ، والنوع الأخير هو المطري ،
 لذا كثر استعماله في الشرق وخاصة في البلاد التي تتبع طريقة حرق
 جثث موتاهها ، فكانت تحرق بالخشب المطري في أثناء الاحتفال الديني
 وتمطر بها الأجسام صحن ما يوضع بها من عطور وروائح ، ولذا غلا
 ثمنه وقل غشه ، وخاصة المصدر منه للغرب إذ كان على رأس قائمة
 المطور الواردة من الشرق . وتزخر به أسواق ميراف بالخليج الفارسي
 وكالة بالهند وخاصة أنواعه الممتازة . ويذكر تجار ورحالة العرب أن
 أصله من جزر المحيط الهندي ، وبعد وصولهم للملايو وجدوا جزر
 تيمور تزدهر بهذا النوع من الأشجار المطرية كما وجدت أماكن أخرى
 ينمو بها مثل جاوة وسومطرة وملقا والهند الصينية . وأنواع خشب
 الصندل الثلاثة من أصل واحد ، وفضل الأوروبيون النوع الأحمر حين
 يفضل الشرقيون النوع الليموني (١١٦) .

(١١٤) ابن البيطار ، المصدر السابق ج ٢ ص ١٢١ .

— Heyd, Op. Cit. II, p. 573. (١١٥)

— Heyd, Op. Cit. II, pp. 585-586-587. (١١٦)

— Clerget, Op. Cit. p. 362.

ومن أنواع المطور كذلك البخور ، وهو العصير الأبيض الذي
يميل عند أحداث شقوق في لحاء أنواع معينة من الأشجار ، وتقدر
جودته بدرجة نقائه وبياضه ، لذا يميز الرديء بخلطه بلحاء الشجر
والتراب ، وأحسن أنواعه من بغداد وآسيا الصغرى أما بخور
الاسكندرية فمن نوع رديء وليس معنى ذلك أنه من إنتاجها ، ولكنه
يرد لها ويغمر أسواقها ، وتصل أحسن أنواعه إلى القرب عن طريق
ميناء لاجاسو وقبرص . ويقترب اسم البخور دائما بجنوب بلاد العرب
والصومال في المنطقة المواجهة لبلاد العرب ، وأحسن مناطق زراعته
المهرة وشير جنوب بلاد العرب ، وكان لارتباط هذه البلاد بالعراق
بقوافل التجارة أثره في غمر أسواقه بهذه الأنواع من البخور . وفي
اليونان كانوا يخلطونه ببعض أنواع أخرى ويبيع تحت اسم البخور
اليسوثامي (١١٧) .

واللادن أحد أنواع البخور ولا توجد هذه المسألة في الشرق
الأقصى ، كما أنها غير معروفة في شرق البحر المتوسط ، ويكثر نموها
في جنوب أوروبا وسواحل آسيا الصغرى وكان يظن أنها من قبرص
ولكن ذكر التجار الوافدون لشرق البحر المتوسط أنها من محصولات
كرت Caudle وهو أفضل أنواعه وكذلك من بلدة أكبرا Akbara
في آسيا الصغرى ، وتعطي شجرته عصارة لونها بني داكن وهو اللادن
ثم ينقى ويجفف ويستخدم في الطب وفي تطهير جثث الموتى (١١٨) .

ومن أنواعه كذلك المصطكى ويحصل عليها من جذع شجرة يكثر
زراعتها في بعض جزر البحر المتوسط وأهمها جزيرة خيوس ، لذا يعرف

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 615, 616.

(١١٧)

— Day, Op. Cit. p. 80.

(١١٨) بلدة أكبرا المذكورة في آسيا الصغرى هي بلدة Balı Kestri على الطريق

الذي يربط في يردية (ملاحظة من ٦٦٦ من حايك)

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 630, 631, 632.

هذا النوع باسم المصطكى الخيوسى نسبة اليها . ويعرفها الرحالة العرب باسم جزيرة المصطكى ، ويكثر نمو هذه الأشجار فى جنوب الجزيرة عند رأس Cape Nastice (١١١) . كما يوجد فى هذه الجزيرة كذلك عشب له نفس الرائحة والطعم يعرف باسم Pistacia Lintiscua وتؤخذ مادة المصطكى بعد أحداث شقوق فى لحاء الشجرة الا أن المادة المتجمدة على الشجرة نفسها أحسن وأفضل من النوع الذى يسقط على الأرض . ويصدر منها كميات وفيرة لبلاد شرق البحر المتوسط نفسها أحسن وأفضل من النوع الذى يسقط على الأرض ، وكذلك الى الشرق الأقصى للأغراض الدينية والطبية (١٢٠) . وله أسواق رئيسية فى القاهرة ودمشق والاسكندرية وقيرس ورودس وأرمينية واليونان ولا يمر سائح أو رحالة بهذه الجزيرة الا ويعمل معه بعض المصطكى ذى الرائحة الزكية العطرية (١٢١) .

ويميزون من بين أفضل أنواع البخور « اللبى الجاوى أو عسل اللبى » وتكلم عنه مؤرخو ورحالة العرب كما ورد ذكره فى سجلات الجبارك والمؤلفات التجارية فى العصور الوسطى ، ويرد ذكره فى تعرفه جبارك بيزا عام ١٥٠٣ حيث كانوا يحصلون عليه ضرائب كثيرة . وحمل البرتغاليون كميات كبيرة منه الى أوروبا من الهند ، وكان قبلا يصل لأوروبا عن طريق الاسكندرية ، ولقيته العالية استعمل فاسكودى جاما من أسطوره بالاسكندرية ثم أغرق أسواق أوروبا منه . واللبان الجاوى ضمن منتجات سومطرة والهند الصينية ويوجد فى

— Heyd, Ibid, II, pp. 633-634.

(١١١)

(١٢٠) انظر البطار : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

الجزى : المصدر السابق (ورقة ١١٦) .

— Foster, Op. Cit. II, pp. 93-94.

(١٢١)

— Dapp, Op. Cit. pp. 71, 72.

أسواق كلكتا وهرمر . وفي مصر يصدى للأمراء والملوك (١٣٢) .
ويستخدم في العقاقير الطبية ويؤخذ من الشجرة بعد شق جذعها فيسيل
منها ويحمل في أوان نظيفة (١٣٣) .

ومن السلع التجارية التي استخدمت في الأغراض الصناعية وهي
الطوب كدلك الصبوع ، ومنها الصمغ وصمغ اللك والصمغ نوع من
المصارة تخرج من بعض النباتات عند لحداث شقوق في لحائها ، أو إذا
انشق لحاؤها طبيعيا ويتجمد عند تعرضه للهواء وتكثر أشجاره في
اليونان ، وتركيا كما تشتهر شبه جزيرة المورة بنوع يعرف باسمها
ويكثر وجوده في أسواق أوروبا ، ولكن أفضل الأنواع على العموم
هو النوع الذي يرد من آسيا الصغرى إلى أوروبا عن الطريق المار بمدينة
سميرنا . وفي القرن الخامس عشر كانت أهم مراكز تجارته في آسيا
الصغرى ، كما اشتهرت به أسواق قبرس والاسكندرية . وأفضل
أنواعه تصل من السودان ، ويصدر عن طريق مصر إلى آسيا الصغرى
وأوروبا ، ويصل للقاهرة في الربيع وهو من أنقى الأنواع ، ويزرع في
گردغان ويستخرج من شجر الأكاكيا . ويصل مصر كذلك أنواع من
آسيا الصغرى والهند الصينية وفارس . وصمغ بلاد فارس يصل لمصر
عن طريق البحر الأحمر ومواليه ، وعن طريق سينا وموانئ الشام
ويصلها في الخريف ، وهو أقل جودة من صمغ السودان والصمغ على
وجه العموم يستخدم في بعض العقاقير الطبية كعلاج كما يستخدم في

(١٣٢) كان من شملهم حيايا السلطان من هذا الطريق ملكة قبرس ١٢٩٠ م .
كاترين كورتارد . ومن قبلها دوق باسكول مالبيرو عام ١١٦٠ ثم دوق يارباريجو عام
١١٧٦ .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 580, 582.

— Day, Op. Cit. p. 80.

(١٣٣) يزود في شهرينو الراهمري كتاب عجائب الهند جزء واحد . ص ١٧٠ .

تخصير مواد الصبغة وخاصة في حالات تثبيت الألوان (١٢٤) .

أما صمغ اللك فهو من إنتاج الهند والهند الصينية ويخرج من الشجر عندما تحدث فيه حشرة المن تقوياً . ولونه أحمر ، ويتجدد حول الفروع منطياً حشرة المن ذاتها ، وكان معروفاً في الماضي كنوع من أنواع الصبغة ، ومشهور الاستعمال في المصور الوسطى وله ثلاثة أنواع ، ويصل للأسواق في صورة الطبيعية ومختلطاً بفروع الأشجار أو مسحوقاً بعد تنقيته من الشوائب بالتسخين وأنواعه هي : الصمغ الأخضر والصمغ الأحمر العاقي ، والنوع الثالث وسط بين الأحمر والأخضر . ومصدر هذا النوع من الصمغ ، قاليقوت ، وكمباي بالهند ، وساحل كروماندل ، وحوض الجانج ، ولكن أعظم مناطق إنتاجه هي منطقة الهند الصينية ، وبورما ، وسيام ، وسومطرة ، ومعظم جزر الهند الشرقية ، وما يرد منه لأوروبا من الهند يصل عن طريق عدن والبحر الأحمر والاسكندرية ويكثر استخدامه في الطب والصبغة والأغراض الصناعية (١٢٥) .

ومن المواد التي كثر استخدامها في الأغراض الصناعية عامة على اختلاف مراحلها وأنواعها مواد الصبغة . ومن أشهر المواد التي استخدمت في الصبغة في الشرق والغرب القز ، والنيلة ، ودودة القرمز ، والشب والتوتيا ، والقطران الطبيعي . وتزرع القز في أوروبا كما تصل بعض أنواعها لأوروبا من الاسكندرية وقيرس وبلاد العرب . وفي أواخر المصور الوسطى كان يصل لأوروبا أنواع من جنوب شبه الجزيرة العربية وعدن ، وتصدر للهند وفارس كذلك ، ويصدر من

— Heyd, Op. Cit. II, pp. 623-624.

(١٢٤)

— Clerget, Op. Cit. p. 337.

(١٢٥) راجع ما ذكر عن حشرة المن في هذا العمل .

— Heyd, Op. Cit. II, p. 626.

أقليم جورجيا أنواع أخرى إلى الهند حيث يؤمنون منها لونا أحمر للصباغة لا يختلف كثيرا عن اللون القرمزي الذي للمرة (١٢٦) .

ومن مواد الصباغة كذلك النيلة ، وتكثر بأسواق بغداد ، وتعطي لونا أزرق غامقا والنيلة الواردة من الهند لها لون فاتح عن تلك التي ترد من فارس ، وتصل للغرب الأوروبي عن طريق البحر الأحمر ومدن وموانئ شرق البحر المتوسط ، وقد لاحظ التجار العرب وجود النيلة بكثرة في كولام ، وجوجيرات ، وكامباي ، وكابول ، وجنوب شرق إيران ، حيث يقوم أهالي كرمان برعايته . كما يزرع في هرمز بكميات ضخمة تصدر عن طريق الخليج الفارسي ولونها قاتم وبمائل نوع كرمان . وتصدر النيلة الواردة من الهند وكابل برا عن طريق بغداد وموانئ الشام إلى أوروبا . وفي قبرص يزرعون نوعا من النيلة أقل حودة من الأنواع الشرقية ، كما يزرع في واحات مصر ، وإن كانت أنواعه أقل من السابقة (١٢٧) .

وبذكر الصبغات لا يفوتنا ذكر أهمية الثب كعنصر رئيسي في الصباغة في المصور الوسطى ، وغير صحيح أنه لم يعرف في أوروبا إلا في أواخر المصور الوسطى ، والواقع أنه عرف منذ زمن بعيد ، وكان يصدر لأوروبا من مراكش والجزائر منذ القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولما استولت جنوة على جزيرة خيو من القرن الرابع عشر

— Heyd, *Ibid.* II, p. 618.

(١٢٦)

(١٢٧) يباع في مدينة كابل وما حولها من هذه المادة ما يبلغ ألفي دينار سنويا كما يزرع فلسطين في بلدتي زعر وبيسان بالقرب من البحر الميت - ومن أنواعه الطيبة ما ينمو بمصر ويكثر في الأرض ثلاث سنوات ، وفي السنة الأولى يسقى كل عشرة أيام ، وفي السنة الثانية ثلاث قطرات ، وفي السنة الثالثة أربع قطرات - راجع مقال المصور السابق ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

— Heyd, *Op. Cit.* II, pp. 627-629.

حتى عام ١٤٥٥ ، اتخذها الجنويون أكبر مراكزهم لاحتكار تجارة
 الشب وأقاموا في شمال الجزيرة مدينة بنفس اسم الجزيرة وصاروا
 من أهم مصدري الشب لأوروبا نظرا لشدة الطلب عليه في صباغة
 الصوف ، وكذلك في شرق البحر المتوسط وشمال افريقية (١٢٨) .
 وفي إيطاليا ظهر هذا النوع من مواد الصباغة في تولفا Tolfa
 واستعمل مناجمه البابا بولس الثاني لصبابه وبواسطة اخصائيين جنوبيين
 لخبرتهم فيه ويصدر بكميات ضخمة للبندقية وفلورنسا والفنلندرز
 وقد سمح البابا للتجار بالاتصال بالشرق للتجارة فيه مستثيا اياها
 من قانون التحريم الكنسي البابوي مع المسلمين . وفي عام ١٥٠٦
 أصدر البابا يوليوس الثاني قرارا بتجديد الاستثناء مع الترخيص
 للتجار بالاتصال بمراكز انتاجه في بلاد السلطان العثماني . وكان
 الأتراك العثمانيون في توسعهم بأوروبا بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣
 قد سيطروا على مناجم الشب في فوكيا Phocaea وأجوار سيرمي
 ومناطق أخرى على البحر الأسود وفي كوتاهية بآسيا الصغرى . وقد
 سهل التجارة في هذه المناطق، قرب مناجم الشب من موانئ التصدير ،
 وكانت مصر الإيطالية ترد مناجمه في فوكيا ويحمل تحار جنوة منه
 سنويا مالا يقل عن ١٤ مليون كيلو . ومن أفضل أنواعه كذلك
 المستخرج من مناجم « قره حصار » التي استولى عليها العثمانيون في
 النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، والانتاج هنا لا يقل عن عشرة
 ملايين كيلو سنويا . وفي كوتاهية حوالي ١٢ مليون كيلو ويصدر
 عبر بحر ايجه (١٢٩) . أما الشب المستخرج من أشباه الجزر والجزر
 الاغريقية فهو من النوع الطيب ويكثر تداوله في أسواق الاسكندرية

— Fernand, Op. Cit. pp. 57-58.

(١٢٨)

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 665-666.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 505.

(١٢٩)

— Depping, Op. Cit. II. pp. 221 & N.P. 342.

واستامبول وبيروت . وكان بالاسكندرية مخازن للشب الوارد لها من الوجه القبلي ومن بلاد العرب واليمن وباب المندب وجزيرة سقطرى ومنتجات هذه الأقاليم معروفة في أوروبا منذ أوائل العصور الوسطى حتى ظهر شب أوروبا بكميات كبيرة واستعاض به عن شب الشرق . وفي حلب عرف نوع آخر جيد مصدره الرها (١٣٠) . وفي السودان استخرج نوع من الشب حول بحيرة تشاد وهو رأسمال هذه البلاد ويتجول به السودانيون حتى ينتهوا الى مصر والمغرب الأقصى (١٣١) . وفي مصر كان الشب احتكارا للدولة ويستخرج من أسوان والواحات ويعمل الى قوص وأحميم والبهنسا لينقل الى الاسكندرية حيث يصبدر للخارج (١٣٢) . ويتدرج الشب في أنواعه من النوع الممتاز الذي يشبه الثلج في لونه وان شاته أحيانا بعض الألوان الباهتة كالأحمر والأخضر . أما شب الدرجة التالية فيختلط به بعض الصخور ، والنوع الثالث هو شب الحفر الذي بعد تنقيته يصير شبه بلورات صافية ويوجد في شمال افريقية وهو نوع غير نقي مختلط به بعض الصخور بنسبة ٢ - ٥ (١٣٣) . وفي بعض الأغراض الطبية يستخدمون نوعا من الشب السكري وهو نقي مصهور مع ماء الورد وبياض البيض . وكثر ذكره في سجلات العصور الوسطى (١٣٤) . ويستخدم كذلك في تثبيت الألوان والصبغات على الثياب ، فيكسبها لمعانا شديدا كما كان يستخدم في الرسم والتذهيب والصبغة ، والدباغة في العصور

— Day, Op. Cit. p. 82.

(١٣٠)

— Heyd, Op. Cit. II. p. 567.

(١٣١) مر ١ المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٥ .

(١٣٢) القلقشندي : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٨ و ٤٥٩ .

— Blochet, Hist. de L'Egypte Du Makiel, p. 143. N. 2.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 568-569.

(١٣٣)

— Lopez, Op. Cit. p. 353. Doc. 176.

— Heyd; Ibid, p. 570.

(١٣٤)

الوسطى . وزادت أزمة الشب خلال حروب البزنطيين والعثمانيين وان
انقرجت بعد ذلك ، حتى انه السلطان العثماني كان يدخل خزائنه
سنويا مالا يقل عن ١٠٠٠٠٠٠ قطعة ذهبية من بيع الشب الذي كان
يشرف على اتاجه الايطاليون (١٣٥) .

ومن أنواع الصبغات كذلك خشب البرازيل ذو اللون الأحمر
ويرد من جزر الهند الشرقية ويعرف باسم شجر البقم وموطنه الأصلي
الملايو ولونه يشبه لون الفحم المتوهج وعثر عليه فيما بعد غابات
البرازيل بأمريكا الجنوبية ومنه حصل على اسمه الحالي . وقد عرفه
الايطاليون باسم *Berzi* أو *Barzi* وأحيانا *Verzi* (١٣٦) . وخشب
البرازيل على أنواع عدة حسب نوع الشجر الطبيعي أو المزروع منه
— كما أنه يختلف حسب البلاد التي يزرع بها . وهو على ثلاثة أنواع:
الأحمر الفاتح — والأحمر الغامق ، والأحمر المشوب باللون الأصفر،
وهو يقسم هكذا لتميزه عن خشب الصندل الأحمر. أما مناطقه فهي في
كولام بالهند ، كما يوجد كذلك في غابات كلكتا وساحل ملابار
وهناك نوع منه ينسب الى جبل العمري في جنوب الهند في مواجهة
جزيرة سيلان وكان ينمو بكثرة مدهشة ، كما يوجد بجزيرة سومطرة
وخاصة في غربها في مواجهة الهند وأفضل أنواعه يرد من الهند

— Heyd, *Ibid.* p. 571.

(١٣٥)

(١٣٦) يذكر ابن البيطار أن خشب البقم (أو خشب البرازيل) شجر عظيم وورقه
مثل ورق اللوز الأنقر وسنكه والمانه حمر ، ولهاجة بلوق الهند والزنج . يوقف الدم
المنبسط من أي عضو ويطفئ الجروح .

ابن البيطار : المصدر السابق ج١ ص ١٠٣ .

— Perraud, *Op. Cit.* T. I. p. 246.

وأطلق عليه الايطاليون اسم *Verzine* أصلا من كلمة « ورينه » العربية التي كانت
تطلق على الرصفران اليمني الذي يشبه السمسم كما استخدم في الصبغات والصبغات
« راسع ما كتب عن الزعفران » ص ٣٦ : المصدر السابق ج٢ ص ٣٦٠ .

— Clive, *Op. Cit.* p. 81 ;

الصينية ، وملقا ، كما أنه ينمو بالصين وخاصة في منطقة تناسيرين Tenasserin ، ويستخدم هذا الحشب في الصبغة ويصل للأسواق العرب على هيئة كرات صلبة ثقيلة ، وبعد نزع قشرتها يؤخذ قلبها وتستخرج منه الصبغة بعدة وسائل . وهي تستخدم في صبغ الملابس والرسم الدقيق وخاصة الرسوم التي ترين المعطوطات في العصور الوسطى ويكثر الطلب على النوع الأحمر الوردى كما يدخل في صناعة الآثاث (١٣٧) .

ومن مواد الصبغة كذلك دودة القرمز ، وهي حشرة ذات لون بنفسجي تعيش في جماعات وتجمع وتقتل ثم تصدر أو تباع لمادة الصبغة . وهي معروفة في العصور الوسطى وإن كانت مجهولة المصدر الحيواني ، وعرفت في أوروبا في لانجندوك بفرنسا واسبانيا والبرتغال وكامت تصدر إلى الشرق . وفي شرق البحر المتوسط وجدت أنواع من دودة القرمز تصل عن طريق البندقية لأوروبا ولها سوق رائجة في اليونان واسبانيا والبرتغال ونالت جزيرة كريت بعض شهرتها من تجارة دودة القرمز في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وبالجزيرة لجنة من الخبراء لفحص السلعة واستبعاد الفاسد منها ، كما كان يصنع من أحوار كورون باليونان أجود أنواعه . وتذكر وثائق فلورنسا من القرن الخامس عشر أن أفضل أنواعه يرد من المغرب واسبانيا والبرتغال ، وسعره مرتفع كما تذكر الوثائق نوع آخر رديء ، وإن لم تقطع بمصدره ، كما أنها تمت أنه من شرق البحر المتوسط . ومن أرمينيا يخرج نوع ممتاز يصدر للهند وشرق البحر المتوسط ويجمعونه من سفح جبل أرارات بأرمينيا بكميات ضخمة ، وتستخدم عندهم في

— Quatremere, Mémorial Sur L'Egypte. p. 285. (١٣٧)

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 527-590.

الصباغة ، وتصل هذه الأنسجة المصبوغة لأوروبا عن طريق بنّداد ويعرف
باسم الحرير القرمزي (١٢٨) .

ومن السلع التي كان يصدرها الشرق للعرب في العصور الوسطى
العاج وقد تضاربت الأقوال فيما يختص بمصدره ، فمن قائل أنه من
أفريقية ، ومن قائل: أنه من الهند وكتب العصور الوسطى التي تذكر
العاج ومصنوعاته أعطت ذكر مصادره . وقد حطت به أسواق شرق
البحر المتوسط في الاسكندرية وقاماجوستا وبيروت ودمشق وورد لادن
من أفريقيا والهند والمواصلات بين عدن وشرق أفريقيا سهلة وميسرة
وقصيرة كما ورد من أفريقيا كذلك ليراف ، وإن كان هذا الميناء أقرب
إلى الهند على أن مصادر العاج في العصور الوسطى المتأخرة كانت
من أفريقيا وبالذات من إثيوبيا إذ أن عاجها يفوق عاج الهند ، وهو
أطول وأثقل ، ومع كثرته في الهند إلا أنهم يستوردون أجود الأنواع
من إثيوبيا . ويقل صيد الأفيال في الهند لأن بعض الطوائف تقدسه .
ويشتد الاقبال على العاج في الصين وخاصة الهندي ، لذا بدأ يقل في
أسواق مصر وبالتالي في أسواق أوروبا ، حتى أصبح مصدره الوحيد
أفريقية . وقد استخدم الماليك العاج الوارد لهم من الحبشة والهند
في التلميم والترصيع ، وخاصة في حشوات المنابر في المساجد، وصنع
قطع الأثاث الفخم ، كما صدرت إيران تحفا منحوتة من عاج منسوبة
إلى مدينة الري وبها تحفة عبارة عن حشوتين من العاج محفوظتين
بالمتحف البريطاني ، عليهما رسوم آدمية فوق أرضية نباتية .
والمصنوعات العاجية الدقيقة ترد من أسواق الشرق العربي ومن الهند

(١٢٨) من كلمة قرمر العربية عرفت الكلمة الأوربية «Karmelein or Carmine»

متر : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

— Clive, Op. Cit. p. 81.

— Heyd, Op. Cit. pp. 608- 609.

والصن ومنه تصنع نصف المعابد والكائنات والسمايل وأيدي المقاعد
والعصى ويقال : انه يطن وينخل في بعض العلاجات الطبية (١٣٦) .

ويذكر السكر كأحد محصولات الشرق التي تصدر للعرب ،
والتي نقل العرب زراعتها خلال وجودهم في اسبانيا وهو من حاصلات
الهند والهند الصينية ، وقبل أن تنتشر زراعتها في الغرب كان عصيره
يجفف على النار ، لأن صناعته لم تكن قد عرفت بعد على الوجه العالي
في المصور الوسطى . وعرفت صناعته بطريقة بدائية في مدني وجزر
الخليج الفارسي بعد أن كان يزرع في خورستان كما كانت له مصانع
في الأهواز وبغداد . ويرجع الفضل في تصنيعه أصلا للعرب وعنهم
انتقل للشرق والغرب ويصدر الاتاج هنا للغرب الأوربي . وإن كان
استهلاك الغرب من السكر الهندي والصيني في النصف الثاني من
القرن الخامس عشر قد قل لأن الغرب أصبح يحصل على حاجته منه من
مصر وسوريا وقبرص وشمال افريقية والأندلس التي يرجع الفضل
للغرب في ادخال زراعتها الى هذه المناطق وكذلك زراعتها . ومصر أكثر
الدول في انتاجه وأفضل أنواعه منها وخاصة سكر الصعيد ، ويكثر
الطلب عليه في أوربا حيث يعرف باسم السكر المصري الأبيض (١٣٧) .
وهناك نوع آخر من السكر الغير تقي ولونه وردي أو بنفسجي ويرد
من بغداد ويطلق عليه اسم « البغدادي » ويرد ذكره بكثرة في سجلات
الجمرك (١٣٨) . ويبيع السكر على أشكال مختلفة منه البلوري
والمسحوق ، وهو في إحدى مراحله قبل التنقية يعرف باسم المسسل

(١٣٦) السمرقاني : مروج الذهب ومناهل الجواهر ج ٢ ص ٨ .

جز ١ : قصص السابق ج ٢ ص ٢٧٩ .

ذكر محمد حسن : فنون الاسلام ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

— Poston, Op. Cit. II. pp. 93-94.

— Depping, Op. Cit. I. p. 140.

(١٤٠)

— Clave, Op. Cit. p. 80.

(١٤١)

الأسود ، ويصنع أطباء العصور الوسطى مرضاهم باستخدامه لأمراض الصدر ، وهو بين المولد المقاتلية لدى صيادلة العصور الوسطى وإن كان ثمنه إذ ذاك ، مرتضيا (١٤٢) . وتنتشر زراعته وصناعته على نطاق واسع في قبرص ويعمل به ما لا يقل عن ٤٠٠٠ عامل ويصدر الانتاج كله الى أوروبا بواسطة تجار البندقية (١٤٣) وهي آسيا الصغرى أنتج الأهالي نوعا من السكر الفاخر توافر في أسواق متاليا ولاجاسور ودرعت أنواع منه هي رودس وكريت ويحصل العرب على حاجته منه خلال فترات الانقطاع عن أسواق شرق البحر المتوسط (١٤٤) .

ومن السلع التي اشترك الشرق والغرب في انتاجها الخزف والبورسلين ، والاختلاف ها يرجع أساسا في نوع الطينة التي يصنع منها . وأفضل أنواعها ما يرد من الصين ، ويعمل نفس الاسم وهو على درجات من الجودة والشفافية واللون والوضوح ، ويلاقي الانتاج الصيني رواجا في أسواق الشرق والغرب على السواء . وتحفل به أسواق دمشق وحلب وبيروت والاسكندرية ورغم ارتفاع أسعاره فإن الطلب يكثر عليه في أوروبا ويعمله اليها تجار البندقية وخنوة ، ويهدي سلاطين مصر أنواعا متازة منه للملوك وحكام أوروبا . وقد أتت مصر في العصر الاسلامي أنواعا متازة من الخزف لا يقل روعة عن ما أخرجه الصين وإيران من هذه الأنواع وإن كان يقل جودة في نوع المعينة . وينسب للعصر المماليكي أنواعا منه ذات ألوان بيضاء وزرقاء وعليها رسومات زهور وطيور تقليدا للأنواع الواردة من الصين . ومن

— Heyd, Op. Cit. II, p. 690. (١٤٢)

(١٤٣) جورج بطروب : أثر الشرق في الغرب (مترجم) ص ٩٢ .

— Dapp, Op. Cit. folio 39, pp. 66-67. (١٤٤)

— Poston, Op. Cit. II, p. 281.

— Heyd, Op. Cit. II, p. 281.

أشهر خزافي العصر عيسى التورجى ، وغزال ، والمصرى ، وابن الملك وغيرهم . إلا أنه في النصف الثاني من القرن الخامس عشر غزت أسواق مصر أنواع ممتازة من الحرف الصيني البديع الصنع والرسم ، ولغلاء أسعاره لم يعد سلعة شعبية ، وحل محله أنواع محلية من فناجين وسكرات وصحون أقل جودة من المستورد من الصين ، وفقد الخزافون المصريون سوقا رائجة لصناعاتهم ، فقل إنتاجهم وابتكارهم وعبدوا إلى التقليد غير المتقن مما يشهد بتدهور هذه السلعة وضياع أسواقها في الداخل والخارج . وقد عرف المصريون كذلك صناعة القاشاني لكسوة جدران المنازل من الداخل ، ومآذن المساجد ، ومعظمها من لون موحد ، وعليه كتابات بيضاء على أرضية زرقاء ، وعجينة هشة ورسوم غير متقنة وتنتج أوروبا أنواعا ممتازة وإن اختلفت في عجيتها عن الإنتاج الصيني ، وكثر تداولها في القرنين ١٥ و ١٦ م . ومعظم الإنتاج الشرقي والغربي يتواجد في أسواق شرق البحر المتوسط (١٤٠) .

وشملت قوائم السلع المتبادلة بين الشرق والغرب المنسوجات على اختلاف أنواعها ، فاستورد العرب من الشرق المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية والمطرزة بخيوط من الذهب والفضة ، أما الشرق فقد استورد من الغرب المنسوجات الصوفية من ألمانيا وإنجلترا عن طريق فلورنسا وجوة والبندقية ، وكذلك المنسوجات الكتانية وإن كانت أقل قيمة مما يصنع في مصر . وقد لقيت صناعة النسيج وتجارته في الأقاليم الإسلامية المختلفة تشجيعا ورواجا عظيمين . وفي فترة النشاط التجاري الذي عم العالم الإسلامي في العصور الوسطى وخاصة المتأخرة منها كانت المنسوجات القطنية والتيلية والحريرية

(١٤٠) ذكرى محمد حسن : فنون الإسلام من ٢٢٢ إلى ٢٢٠ - ٢٢٧ .

— Clerget, Op. Cit. p. 370-371.

— Depping, Op. Cit. I. p. 59.

— Poston, Op. Cit. II. pp. 93-94.

تصدر من مصر والشام وإيران إلى سائر الأقطار الإسلامية وأوروبا والشرق الأقصى ، والهند . وقد أنشأ المسلمون عديدا من مصانع النسيج وخاصة مصانع الحرير ، وبعض إنتاجه يعمل أسماء أماكنها فمنها الحرير الدمشقي Damaskas « الدمشقي » والموسلين Muslim من الموصل . ونوع آخر يعرف باسم جرينادين Grenadine من غرناطة بالأندلس . ومعظم دور النسيج كانت حكومية وتعرف باسم « دور الطراز » والدور الخاصة تعمل للخليفة ورجال بلاطه والأمراء ، وتعطى منه هدايا للأمراء والملوك الأجانب . أما الدور العامة فتنتج لأفراد الشعب . ويصنع بالدور الخاصة كذلك كسوة الكعبة الشريفة واشتهرت بذلك تنيس والاسكندرية ودمياط وديق وأخميم وأسيوط والفيوم . وأمراء الممالك يفضلون الأصواف والأجواخ الواردة من أوروبا على المصنوعة محليا ، كما أن التدقيق وردت لأسواق شرق البحر المتوسط وخاصة في مصر وسوريا أنواعا فضة من الحرير والتيل والأنسجة المطرزة . ولما زاد ثراء الممالك في النصف الثاني من القرن الخامس عشر بعد سقوط القسطنطينية وتحول التجارة إليهم من البحر الأحمر ، لم يعودوا يهتمون بالإنتاج المحلي ، واقتصر استخدامهم للألبواب المستوردة التي ترد بكثرة وإنتاجها ممتاز . وترد من القلندر وشمال أوروبا ملابس جند الممالك . ومن الهند يرد أنواع فضة من المناديل والقطنيات والحرير ، والشيلان الكشمير ، وترد كلها بطريق البحر الأحمر . وقد برع الأوروبيون في نسج الصوف والكتان وتصديره للخارج ، وخاصة إلى أقطار آسيا وإن كان إنتاجهم من المنسوجات القطنية والكتانية قليل ، برغم ازدياد الطلب عليه لحاجة رجال الدين ويرد القطن والكتان الخام لأوروبا من شرق البحر المتوسط . وقبل نهاية العصور الوسطى تمت صناعة الأنسجة الحريرية بكثرة في إيطاليا ، وصدرت منها كميات كبيرة إلى الشرق العربي ، والشرق

الأقصى ، كما صدرت أوروبا إلى الشرق عامة الصوف والأنسجة
الكثافية الرائعة المنسوجة في إنجلترا والفلاندرز (١٤٦) .

وفي القرون الأولى للمصور الوسطى كانت الكنيمة تعرم التزين
وليس الحرير وتدعو للتمتع والحرمان ، ولكن بمرور القرون أصبح
هذا التحريم حبرا على ورق ، وكان رجال الدين هم البادئين ، فارتدوا
الحرير وتزينوا بالجواهر . وامتلات حوائت ومتاجر غرب أوروبا
بواردات الشرق من هذه السلع ، وعليها رسوم غزلان وسباع وورقات
ووحوش وأشخاص ، ومعظمها كان يرد من الهند والصين وليس من
أقطار مسيحية أو إسلامية ، إذ أنهم لا يميلون إلى هذا اللون من
الرسوم على الملابس (١٤٧) . على أن المنسوجات الحريرية كانت ترد
إلى أسواق أوروبا عن طريق الشرق المسيحي وإن لم تكن مصنوعة فيه
فوردت من القسطنطينية البيزنطية ، وإن كان هذا لم يمنع وصولها من
القسطنطينية العثمانية ومن الاسكندرية كذلك ، مع ازدهار صناعته
بالأندلس بعد حكم العرب فيها أواخر القرن الخامس عشر . وكثر
الطلب في أوروبا على حرير الشرق المعروف باسم البروكار ، والذي كان
يجلب من الاسكندرية وطرابلس ودمشق وأنطاكية وقبرص وآسيا
الصغرى والصين وإيران وإن كان الاتصال بين الأسواق الأخيرة وأوروبا
قليلا لبعد المسافة . وعن الصين عرف الغرب تربية دودة القز وكذلك
صناعة نسج الحرير ، واشتهر بها أهل صقلية والأندلس ، ومع ذلك
ظل الشرق هو المورد الأساسي لهذه السلعة التي لم يكن يصارعه

(١٤٦) ذكرى محمد حسن : فنون الإسلام من ٢١٧ - ٢٥٠ - ٢٦٦ - ٢٦٧ .

— Clerget, Op. Cit. pp. 532-539.

— Clive, Op. Cit. p. 82.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 696.

(١٤٧)

عينا أي تمبيج آخر (١٢٨) . ومن مصادر الحرير كذلك حول بحر قزوين ، وطبرستان ، ومحمود آباد ، وجورجيا ، ووصل الجرميون في بحثهم عن حرير الشرق الى شيوان في القرن الخامس عشر قبل العزو العثماني ، وحظفهم فيها البنادقة بعد انهيار تجارة جنوة الشرقية (١٢٩) . ووصل لأوربا من بغداد أنواع من الحرير المطرز ، وحاول الأوربيون تقليده ، ولكن أفضل الأنواع كان يصل دائما من موانئ شرق البحر المتوسط . وحتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر لم ينقطع تبادل المنسوجات الحريرة بين الشرق والغرب وإن قل استيراد العرب لأنواعه الشرقية نظرا لوفرته واتقانه صناعته في مدن أوربا . ووصل للشرق مناديل حريرة وأثواب فخمة مطرزة من البندقية ، كما صدرت فلورنسا كميات منه الى تركيا العثمانية ومصر . ولدى وصول البرتغاليين للهند لاحتوا وغرة الأنسجة الحريرة الفخمة الواردة اليها من دمشق وسوريا عامة ومن أوربا كذلك ، ومنذ بداية القرن السادس عشر أخرجت المصانع في أوربا أنواعا فخمة من الحرير أجود من الشرق ما لبثت أن غزت أسواق الشرق (١٣٠) .

(١٢٨) عرف العرب وسكان جزيرة قبرص عنهم صناعة المنسوجات المرولة في النصور الوسطى باسم د البروكار ، وتصنع من خيوط رفيعة من الكتان ومطانة بطيلة رفيعة من أسماء الخراف (والغنم في قبرص) ومطانة بقلعة من اللصع وعطر بها اللباس العربية ، وهرت كذلك في جنوة حيث أنتجت مصانيعها أنواعا مبتكرة مرتكبة الأصباغ مما جعل الحكومة تضمها تحت الحراسة الصديدة حتى لا يشار بسببها الطبقات للترسوة والغيرة لدرجة كثرة الطلب وبالتالي النخال في أسرارها كما أن يطمى المصانع لجأه إلى تقليدها وتزييف بطى الأنواع المكشاة . وللبندقية وميلان لسيهما المصايد .

— Heyd, *Ibid*, ix. pp. 694-695, 677-678.

— Depping, *Op. Cit.* i. p. 58.

(١٢٩)

— Clerget, *Op. Cit.* p. 356.

— Poston, *Op. Cit.* ii. pp. 351, 352.

— Day, *Op. Cit.* p. 82.

(١٣٠) ذكرى حسن ، ملون الاسلام من ٢٦٩ إلى ٢٧٨ .

— Heyd, *Op. Cit.* ix. pp. 709-710.

— Poston, *Op. Cit.* ix. p. 94.

واقترح أوربا من الكتاب يسد حاجتها من هذه السلعة ولكنها لم تستطع الاستغناء عن كتان مصر لأنه كان على درجة عالية من الجودة ، والكتان المصرى ينمو على ضفاف النيل وداخل الدلتا والجانب الكبيرة منه يستهلك محليا كما يصدر الى شمال افريقية وقبرص ، والملابس الكتانية أكثر الملابس شيوعا فى مصر بين الطبقات الوسطى والفقيرة ، ويتقنه النساجون فى مصر حتى يبدو وكأنه من الحرير ، ويبيع بأسعار مرتفعة (١٥١) .

وكان البابوات المتعاقبون فى العصور الوسطى وخاصة بعد سقوط القسطنطينية وعكا قد وضعوا القطن من بين المواد المحرم التعامل بها مع العرب ، ووجهوا نظر التجار الى وجوده فى أماكن أخرى كاسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية وكريت وأرمينيا ومالطة ، وقبرص . وهذه الأنواع من القطن الغربى كانت منخفضة السعر وخاصة قطن صقلية وأقل جودة من الأنواع التى تزرع فى شرق البحر المتوسط فى الشام ومصر (١٥٢) . ولها أنواع أخرى تزرع فى أرمينيا ولسوع ثالث فى قبرص وعكا واللاذقية . وفى القرن الخامس عشر وخاصة بعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ عادت التجارة لتزدهر مرة أخرى بين الشرق والغرب بطريق عدن وموانئ البحر المتوسط وكانت معالمة هزيمة عكا ١٢٩١ قد بعثت عن أذهان الأوربيين فخفف البابوات من شدة القوانين التى تحرم التعامل مع المسلمين ، وبدأ ينقل لأوربا الأنواع الممتازة من قطن مصر والشام . وفى القرن الخامس عشر انتشرت زراعته ، وخاصة الأنواع الممتازة فى مصر وإن كانت لم تذكر من قبل

— Clavier, Op. Cit. p. 358.

(١٥١)

— Clive, Op. Cit. p. 82.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 696.

(١٥٢) جورج يعقوب اثر الشرق فى الغرب وخاصة فى العصور الوسطى - ترجمة
فؤاد حسين على ص ١٤ .

لقلة ما كان يزرع منها والبنديقية سفن خاصة لنقل القطن ترد كل عام لموانئ صور وصيدا ، ولهم بها وكلاء لتسهيل شححه (١٥٣) .

ومى العصور الوسطى استخدم الشرق أنواعا من الخشب المعلى هى صناعة السفن وفى المبانى والأثاث ، ويصل منه الى مصر كميات كبيرة بالإضافة الى أخشاب القرب وله وكالة قرب النحاسين حيث يباع بالميزان بالإضافة لأنواع أخرى متنازة ترد لصنع أثاث المنازل أما خشب السفن فتصنع منه ألواح هياكلها وأفضل الأنواع هو خشب الساج أو جور الهند وأحيانا يعرف باسم خشب النارجيل ، وهو من نفس الأنواع من الأخشاب الشرقية وأمتها ، « ومتى تم اعداده فلا ينشق ولا يتقلص ولا يتغير شكله ويزيده العديد من متانة » . ومناطق نموه غابات فى جنوب الهند وبورما وسيام وجزر الهند الشرقية ، ويصدر كذلك الى مدن الخليج الفارسي لعمل السفن وبناء المنازل وخاصة أسقفها (١٥٤) . ومن أنواع الأخشاب الفخمة الأبنوس ، وأفضل أنواعه العبشى وهو أسود وليس فيه طبقات أو كسر وهو كثيف وبلدغ اللسان . ويرد من الهند أنواع أخرى فيها عروق ما بين أبيض وباقوتى . ولكن العبشى أفضله ، ويستعمل فى صناعة التحف والأثاث الفخم

(١٥٣) تزرع أصناف مصر بأنواع متنازة من الصنوبر الأيراني وخاصة فى مصر الكبرى تنسب الى مدن تبريز ومسلطانية وهرات ويزد وقلان واسطهان وخرقان كما أنشئت مصانع الطراد فى الإنجليس النجدة بها رسوم لجنية الشكل وأشرطة متداخلة كأنها بلاط قشاني - ويرد من تركيا وكذلك من إيران ألوانا متنازة من السجاد ذو الألوان المتناسقة أسوانها من الختام مقلد بريقها ونظافة أحوالها ويشتغل فيها بحرف من النصب والحريز واللغة .

ذكرى حسن : قرون الإسلام من ٣٧٨ - ٢٨٤ - ٣٦٢ - ٣٦١ - ٢٠٦ .

- Poston, Op. Cit. ١٢. pp. 93-94.
- Heyd, Op. Cit. ١٢. pp. 611-614.
- Day, Op. Cit. p. 82.

(١٥٤) حوراني : القرب والامانة والمحيط الهندي من ٢٤٤ - ٢٤٧ .

- Clerget, Op. Cit. p. 632.
- Ency. Britannica, Art. TEAK.

حيث يطمح به ويقال ان مسحوقه يدخل في بعض العقاقير الطبية لعلاج القروح وأمراض العيون (١٥٥) .

تقول الأمثلة العامة في العصور الوسطى « عظيمة هي فضائل التوابل ولكن أعظم منها الأحجار الكريمة » وفي ذكر الأحجار الكريمة لا يعطى الاعتبار لها لمصادرها من قاع البحر أو من بين حصى الأنهار أو من باطن الأرض والصحور ولكن قيمتها كما كانوا يستقدون « أنه اذا شرف جوهرها حلت فيه بركة الخالق العظيم ، وبالتالي عظم قدرها وقيمتها » . وطفى هذا الاعتقاد في العصور الوسطى على عقول الناس، حتى فهم أنه بعض أنواعها يطرد الأرواح الشريرة وأن البعض الآخر يضعى على الفرد سلامة الجسم والعقل (١٥٦) . وآسيا مصدر الأحجار الكريمة في العصور الوسطى واشتغلت مناجمها بصورة أوسع منذ وصول الأوروبيين الى الشرق الأقصى في مطلع القرن السادس عشر حيث تم استغلال مناجمها وخاصة مناجم جبال أورال . وفي مصر اشتهر صعيدها بوفرة مناجم الزمرد وصدر الى أوروبا وآسيا والمحيشة . وتقع مناجمه على الحدود بين مصر والنوبة في منطقة توازي الجبال بين النيل والبحر الأحمر ، وكان انتاج هذه المناجم ملكا للسلطان المماليك حتى سقوط دولتهم ونضب ممينها من كثرة ما استغلت (١٥٧)

(١٥٥) ابن البيطار : المصدر السابق ج ١ ص ٨ .

(١٥٦) — Soudy, Op. Cit. pp. 26-27. —

(١٥٧) ابن الوردي : المصدر السابق ص ١٢٦ يذكر « أن الزمرد اخضر شفاف يدخل في علاج من سقى السم والفضل أنواعه الدبابي » أما الفلقسندى المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٦ فيذكر ان اسفه ياتوق تعرض للسوداء ولعوامل اخرى فاصبح اخضر وهو على أربع أنواع الدبابي شديد الغبرة والريطاني نسبة الى لون الريطان والسلقي نسبة الى نبات السلقي في اللون والراج الصابوني نسبة الى الصابون الأحمر وأفضل أنواعه الدبابي ويرد من صعيد مصر . في جبل بين أسوان والسودان — راجع كذلك : ابن البيطار : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 651-652.

— Darnes, Op. Cit. II. pp. 225-226.

وهناك أنواع أخرى تأتي من ساحل أفريقية الشرقية والحبشة وبيع في أسواق الهند وخاصة قاليقوط ، ولربما منه تظهر فيه فقاعات هوائية ، أما النوع الممتاز فهو مضيء مرتفع الأسعار (١٥٨) . ويتكون من معدن الزمرد جوهر آخر هو الزبرجد ويستقد كثيرون أنه نوع منه ولكنه في الواقع أقل جودة ويستخرج من الآثار القديمة بالاسكندرية ، والجيد منه يمتاز بصفاء لونه وخضره والنوع الأقل هو الأصفر ويوجد في سيلان (١٥٩) .

ومن هذه الجواهر كذلك الفيروز ، ورد من كرمان وخراسان ونيسابور (١٦٠) . واللازورد من بلوخرستان ، والهند الصينية (١٦١) . أما الياقوت فيرد من مصادره في بلوخرستان والهند ، وأما من مرتفعة جدا وأجود أنواعه الأحمر الذي لا يتكلس بالنار بعكس الأصفر والأخضر ، ويحصن التقى منه بوضعه في الشمس فلا تظهر فيه أي شوائب ، ويرسل من الهند وسيلان خاما إلى مصانع سطفه وتهذيبه في قاليقوط ، ويكثر عليه الطلب في أسواق الشرق والغرب على السواء. وأفضل أنواعه ما يرد من سيلان (١٦٢) .

أما العقيق فمصادره الهند في جندهار وبشارور ولينادورا ، ولونه أحمر بأحجام مختلفة ويزداد مضاء وجلاء بإحاطته بالنار وبشكله الصانع المهرة حسب الطلب ويرصع به السيوف والخناجر والمقود

(١٥٨) حفر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

المستوفى : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٥٩) الفقهاني : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧ و ٢١٨ .

(١٦٠) حفر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٦١) — Heyd, Op. Cit. II, pp. 623-634.

(١٦٢) الجزري : المصدر السابق ورقة ٢١٨ .

ابن الوردي : المصدر السابق ص ١٢٩ .

الفقهاني : المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

— Dames, Op. Cit. II, pp. 217-218-219-220.

ونقل الى أسواق مصر والاسكندرية ليبيع للأوربيين. ونقل البرتغاليون
كميات كبيرة منه الى البرتغال بعد وصولهم للهند (١٦٣) . وتوجد
أنواع منه في أفغانستان وصنعاء باليمن (١٦٤) . وتذكر مراجع
المصور الوسطى أنواعا أخرى متنازة مصادرها من الشرق الأقصى
والأدنى ويكثر عليها الطلب في الشرق والغرب على السواء . وتجد
طريقها بسهولة للطبقات الغنية ، ويظهر الأوربيون لمصر وآسيا كمصدر
من مصادرها . ومنها الفيروز ، والمرجان ، والعين الهر ، والذهب (١٦٥) ومن
أظهرها اللؤلؤ ، ومما يند في المضيق الذي يفصل الهند عن سيلان
وفي الخليج الفارسي ، كما يوجد مخاض له في بحر عمان ، والبحر
الأحمر . وأفضل أنواعه الصيني والفارسي ، وأقله الهندي
والقزمي (١٦٦) وتدخل المراكب لصيده في مواسم معينة ويصدر
معظمه للخارج . وكان ملوك وأمراء الهند يعتبرون مخاض اللؤلؤ في
قاع المحيط من أملاكهم ، ولما وصل البرتغاليون للهند كانت سفنهم
تصل مرتين كل عام الى مضيق سيلان والهند لعمل اللؤلؤ ويقال ان
حصيلة كل ثلاث سنوات لا تقل عن حمولة ٤٠٠٠ قارب . أما لؤلؤ

(١٦٣) — Dames, *Ibid.* pp. 136-143-143 & N. I. p. 137. TL.

(١٦٤) من أنواعه ما يستخرج من أفغانستان واليمن ، وكان من أراد الطيق يشترى
قلية أرض بصنعاء فربما خرج له شبه حمرة أو أقل وربما لم يخرج له شيء .

الجبل : المصدر السابق ج ١ ص ١٥ .

متر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٥ .

(١٦٥) متر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧١ .

— Day, *Op. Cit.* p. 80.

— Ferrand, *Op. Cit.* II. p. 362.

— Dames, *Op. Cit.* II. p. 224.

(١٦٦) الجبل : المصدر السابق ج ١ ص ١٢ .

متر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٥ .

الكلبيدي : المصدر السابق ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ . يذكر ان أفضل أنواعه

ما يستخرج من الخليج الفارسي عند جزيرة سرخس بين قيس والبحرين .

— Heyd, *Op. Cit.* II. p. 648.

منطقة كولا ، فيصاد لحساب التجار العرب ويرسلون أحسنه لأمرأه الهند ويصدر الآخر للخارج (١٦٧) . أما المرجان فمصادره غربى البحر المتوسط على طول الساحل الأمريكى وهو من السلع التى يصدرها العرب للشرق وأفضل مناطق حيدته سبتة بالمغرب ومرسى الخرز قرب رأس بون فى تونس ، ومصادر شمال افريقية مشهورة منذ القدم ولا تقل جودتها عن مصادر سردينيا ، وكورسيكا ، وصقلية ، وتصدر أحياء الى أوروبا لتكمل أجزاء من المجوهرات ، وأكثرها يصدر للهند والهند الصينية فى مقابل علائقهم للفرب . ويهوى أهالى كشمير المرجان ويذكر البرتغاليون شدة ولع الهنود به . وتصله الى مصر سفن قطلونيا وفلورنسا والبندقية ومنها يصدر للشرق (١٦٨) .

وفى ذكر المعادن النفيسة لا يمكن اغفال ذكر الذهب والماس . فالذهب أكثر المعادن الثمينة شيوعا بين الناس غنيهم ، متوسطهم وفقيرهم ، وفى مصر توجد مناجمه بالصحراء بين أسوان وعيذاب . وأكبر مدن إنتاجه العلاقى ، ويتجول العمال ليلا فى الليالى غير القمرية ويعلمون المواضع التى يرون فيها شيئا مضيئا ، فإذا ما أصبحوا حصلوا أكوام الرمل الى الآبار لفصلها واستخراج التبر منها ، وتعمله قوافل السودان فى طريقها الى مصر (١٦٩) . أما الماس الطبيعى فمصادره فى العصور الوسطى الشرق الأقصى ووسط الهند ، وهو نوعان : البلورى وهو أفضله ، والديتى الذى يغالط بياضه صفرة ، ومن خواصه

(١٦٧) مز : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٩ .

ابن الوردي : المصدر السابق ص ١٢٩ .

— Depping, Op. Cit. I. pp. 146-147.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 649-650.

(١٦٨) مز : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٥ .

— Heyd, Ibid, II. pp. 662-663.

(١٦٩) مز : المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٧٠ .

أنه يقطع غيره من الجواهر ولا ينكسر . ويشطف لاستعماله في
التزين (١٧٠) .

وإستخدم النحاس الوارد في سك العملة وتفطية أبواب المساجد
وقصور الحلفاء والسلاطين وصناعة التحف ، كما عرفت صناعة التكفيت
بالبرونز والنحاس والذهب والفضة . وأكثر الممالك من صنع الأواني
والحلي من الذهب والفضة وزينوها بالكثير من النقوش والكتابات
واستوردت مصر من أوروبا أدوات حديدية وذهباً خاماً للسك والحلي .
ونقل الأوربيون عن المصريين الأواني المروقة باسم « آكوامانيل »
وهي أباريق كثر استعمالها في الكنائس والمنازل - كما اشتهرت بلاد
القوقاز بالصناعات الدقيقة من البرنز والذهب والفضة وتصدر كلها
لأسواق شرق البحر المتوسط وأوروبا (١٧١) .

وبلغت صناعة الزجاج والبلور أوج عظمتها في مصر والشام في
العصر المماليكي، وامتلات أسواقها بالتحف البلورية والزجاجية الموهبة
بالذهب والمينا والبريق المعدني وإذا كانت الزعامة في هذه الصناعة
لشام ومصر ، إلا أنها عرفت من قبل في العراق . ومن أبرز ما وصل
إلينا منها المشكاوات الموهبة بالمينا، وكانت تعلق في المساجد والمنازل،
وعطيا كتابات تاريخية ومنسوخة بخط من العصر المماليكي . ويرجع
أن صناعتها قامت في مصر اقتصاداً للنفقات وتجنباً لخطر الكسر عند
نقلها (١٧٢) .

(١٧٠) متر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢ .

القفصاني : المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(١٧١) زكي حسن : فتوح الإسلام ص ٥١٥ - ٥١٨ و ٥٥٢ - ٥٥٦ .

سيد حاشور : مصر في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية ص ٢٠٥ .

(١٧٢) زكي حسن : المصدر السابق ص ٦٠٧ .

الفصل الخامس

النظم التجارية

سبق الشرق في نظم التجارة ونقل الغرب عنه :

اتخذت النظم التجارية في المصور الوسطى صفة المحافظة على القديم واستمراره جنباً الى جنب مع ما يستحدث من نظم ، والقوانين التي نظمت التجارة في القرن الثاني عشر مثلاً ، استمرت سائدة وسارية حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الى جانب ما استحدث من النظم اذ دأب . وادأ أشارت الوثائق الى تعديل ما ، فهي تذكر القديم ومعه ما استحدث من تعديلات ، وعلى هذا فان الحياة الاقتصادية في القرن الخامس عشر استمرت على نفس النظم والقواعد السابقة (١) .

ويجب ألا يغرب عن البال ونحن نورد هنا بعض الوثائق الخاصة بالنظم التجارية أواخر المصور الوسطى أننا نتكلم عن عصر جامد تسوده التقاليد والمحافظة على القديم وعن فترة من التاريخ لم تطور الا بعد جهود حارة ، ففانون الملاحة البحرية التجارية مثلاً ظل كما هو دون تغيير منذ القرن الثاني عشر حتى أواخر القرن الخامس عشر،

(١) - Vaillat, J., Histoire Des Faits Economiques Des Origines Au XIXe siècle, p. 147.

وله ذكر مناسب هذا المثلث النص الاتي من ١٤٧ :

« La Vie Economique Continue au XVème siècle sur les bases antérieures. »

في حين أصبحت اليه تعديلات جديدة لم تفقده أصوله بقدر ما تعدلت لتلائم حركة الكشف الجغرافي التي اشتد ساعدها منذ منتصف القرن الخامس عشر بدخول رواد البحر الأوربيين بحار ومحيطات جديدة بالنسبة لهم ، بل ان بعضها لا يزال سائدا الى اليوم ، والقياس هنا مع الفارق بالنسبة لطبيعة الملاحة في القرن الخامس عشر وفي القرن العشرين (١) .

وقام بالشواطئ التجارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى تجار شرق البحر المتوسط وغربه ، اذ نقلها تجار شرقه من مصادرها في الشرقين الأدنى والأقصى ووزعها تجار غربه في أوربا . لذا كانت معظم القوانين والنظم التجارية من وضع حكومات وهيئات التجارة في المسطقتين ، كما طبق كلاهما نفس الأنظمة الى حد كبير وان اختلفت أحيانا في مظهرها الا أنها تشابهت في جوهرها ، ومظاهر الاختلاف هنا تعود الى تباين الحياة الاجتماعية في كليهما . (٢) ولتجار مصر والشام وكلامونديون في الشرق الأدنى والأقصى ولتجار الغرب مثل ذلك في شرق البحر المتوسط وبلغ النظام درجة راقية على يد القناصل التجاريين الغربيين في مصر والشام حيث طبقوا في وكالاتهم وفي فادقهم وعلى سفنهم في عرض البحر النظام السائد في أوطانهم مع عدم الاخلال بالنظم المحلية . ويبدو أن تجار الغرب قد عرفوا معظم النظم المالية والتجارية من الشرق ابان اتصالهم به للمتاجرة وتأكد ذلك

— Madlet Ibid, p. 138.

(١)

— Horn, Paul V. International Trade, Principles & Practices, p. 82.

(٢) مفهوم كلمة الشرق والغرب في هذا البحث وفي هذا الفصل بالذات هو شرق البحر المتوسط وغربه . وفي هذا المعنى انظر :

بداية الفصل الثاني والملاحظة بالهامش وكذلك توليف إسكندر بصوت في التاريخ الاقتصادي (مريم) البحث الخامس ، لروبرت لويز ص ١٤٢ ملاحظة (١)

خلال الحروب الصليبية ، قدمشق مثلا كمركز من أكبر مراكز تجارة شرق البحر المتوسط في العصور الوسطى .. « ارتقى أهلها بالصناعة الحرة فوضعوا قوانين الملاحة ، وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر كما شرحوا الكفالة المالية وأنشئوا المصارف ووضعوا السفائح المألوفة بل هم باعثو روح الحركة المالية في مصارف الشام الحديثة ، كما مهدوا الطرق وأنشئوا المدن ومراكز التجارة والمناقص والرباطات .. » (٤) وقد أدى هذا كله الى استحداث نظم جديدة فاعية من متطلبات الحياة التجارية في شرق البحر المتوسط وغربه (٥) .

بعض المشكلات التي واجهت تاجر العصور الوسطى :

ولم يكن الطريق أمام تاجر العصور الوسطى مبهدا سهلا ، بل كان محفوقا بالكثير من المخاطر والمتاعب ، أكثر بالطبع مما يلاقيه تاجر العصور الحديثة ، فوسائل النقل اذ ذاك بطيئة وقليلة ، وكثيرا ما آذاه أتباعه وعملاؤه ومنافسوه بالخيانة أحيانا والمعاملة السيئة أحيانا أخرى ،

(٤) محمد كرمه جل : خطط الشام ج ١ ص ٢٦٦ .

— Archer, The Crusades, pp. 438-439.

— Lopez, R. Med. Trade in the Mediterranean World pp. 231, 232
CHP. 12 DOC. 111.

— Depping, G.B., Hist. Du Commerce Entre Le Levant et L'Europe.
T. 1, pp. 81, 82, 83.

(٥) « الا كان الفرق الاقتصادي للغرب على الشرق لا يريد حصره على ١ سنة فان الفرق اعمل الفرق يرجع الى أربعة آلاف سنة ق.م ، فان لم يكن قبل ذلك » .
توليف استكندر : المرجع السابق ، المبحث الخامس ص ١٤٢ .

« ولا كان الفرق هو رائد التجارة عند العصور الوسطى المبكرة فانه يمكن ان يقال ان الفرق هو الذي مهد لاجتات التطور التي شبل العظم للتجارية التي سادت العالم منذ انتهاء العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة » .

— Maillet, Op. Cit. p. 136.

— Wiet, G., Précis de L'Histoire, T. 11, pp. 274-275.

— Clerget, La Gaule, Etude De Géographie... p : 309.

بل انه في كثير من الأحيان كان يلقي معاملة تسمم بالقسوة والخشونة من الحكومات والشعوب الأجنبية . وقد بذل جهودا جارية دون أي ملل أو كلل ولكنه كان ينتهي أحيانا بالفشل السريع المفاجيء ، وكثيرا ما كانت تصفى تجارته قيعا لقوانين التفاليس الصارمة ، ومع ذلك استطاع تاجر العصور الوسطى أن يتغلب على كثير من العقبات ويعوض خسائره بإبرام عقود التأمين ودافع عن نفسه وتجارته باستخدام تعود حكومته في التحصيف من أثر قوانين البلاد الأجنبية على تجارته وأرباحه (١) . وتتشأ المنازعات عادة بين التجار للأجانب والوطنيين والسلطات المحلية لأسباب كثيرة قد تتعلق بوجود السلعة ، أو سعرها أو العملة ، أو نحو ذلك . وفي مصر كان القضاء المحلي هو المسئول عن فض المنازعات بين التاجر الوطني والأجنبي ، ويفصل بينهما القاضي أو أمير المدينة أيا كان نوع النزاع . والقرار هنا بمثابة حكم محكمة الدرجة الأولى الابتدائية ، وللمتنازعين أن يستأنفوا الحكم وفي هذه المرة يكون الاستئناف أمام السلطان نفسه بالقاهرة أو من ينيبه عنه ويسافر اليه الطرفان المتنازعان . وإذا كان النزاع بين أجنبيين ففصلهما مختصان بفض هذا النزاع ولكن يحق لهما الاستئناف أمام السلطات المحلية وأمام السلطان نفسه . وقد نص على ذلك في المأاهدات المبرمة

(١) موضوع العلاقات بين التجار الأوربيين والسلطات المحلية في مصر والقيام لديهم لهم الاتصال التجاري بينهما - ولا يمر عام دون وصول بعثة دبلوماسية للعثمانيين في مسألة لطيف البورد على التجار الأجانب وحل مشاكلهم مع الهيئات المرفقة على التجارة بالمسار أو بخصوص الضرائب ومختلف الرسوم المفروضة ، وفي كل الحالات تحريبا كانت لتستجيب السلطات الحاكمة في مصر بما تقطع التجار . ونظف السيد فلاح على التاجر الأجنبي .

انظر الفصل الثاني : العلاقات التجارية الخارجية ، . Lopes op. cit. p. 238

بين السلطات المالية وحكومات التجار الأجانب (٣) . واختصر

(٧) المقرري السلوك لحرقة دول للوك ج ٢ ص ٤١٥ . تعتبر المحكمة العليا في عصر المماليك محكمة الاستئناف ونسب يرأسه السلطان يومى الاثنين والخميس في دار العدل أو في الديوان ومن أعضائها لافر الحصة في القاهرة أو في الدفر حسب موضوع القضية . وأعضاء المحكمة هم من بين السلطان يجلس لكلى الشافعية والمالكية ومن يشاره قاضى الحنفية والحنابلة ثم الورير وكاتب السر - أما قضاء السكر الثلاثة فيجلسون من بين المالكية وهم الشافعي ، الحنفي ، المالكي . ووكيل بيت المال . ثم المحاسب - وللاستدوية محاسب خاص بها .

وله طبعات للمعاملات لخصوصا بخصوصى القضاة كالتى ١

(١) بمساعدة بين سلطان مصر وملك لراغون برمباى ١٤٢٢/١٤٢٨ الفونسو الخامس ١٤٥٨/١٤٦٦ في رمضان ٨٢٣ - ٨٦٣ هـ .

(أ) لما كانت النصوص أو النزاع بين تاجر أراغولي وأخر مصرى . ورافى الخصمان أن يوافق بينهما الفصل ، كان لهما ذلك . ويمكن الفصل من أباء هذه الجهة القضائية ، وإذا لم يرضى أحدهما بذلك ، أصبح الأمر من اختصاص ملك الأمراء أو لافر الديوان . (راجع المادة فصل ٢٦) .

(ب) الجرائم والمنازعات التى تقع بين الراد البجالية الواحد الأجنبية والمرجع لهما ، لتصلهم وحده دون تدخل من السلطان أو من أمير الأمراء (راجع ٥٥ المادة فصل ٢٦) .

(ج) يحصل بين الأراغوليين والمصريين السلطان نفسه ، أو أمير الأمراء أو الدافى في الديوان . ومن حق التاجر الأراغولي أن يصل ال السلطان إذا لم يرضى بحكم الحاكم أو القاضى المحل لرفع دعواه ال السلطان نفسه أو أمام لاديه ، هل ألا يؤدى ذلك ال الانتقام منه أو التخصيص عليه أو لعقبه . انظر المادة فصل ١٦ .

المادة مشورة بين الميلة ٤٥ السنة الرابعة سبتمبر ١٩٦٠ ص ٤٨ وعدد ٤٩ : يناير ١٩٦١ السنة الخامسة ص ٨٣ .

٢ - بالمحق نص لالاقية تريغزالي/الورى ١٥١١ - ١٥١٢ من
M. Rehaud, Journal Asiatique, TOM. IV.

بخصوصى القضاة في بلاد السلطان . وخاصة في دمشق : وموافقة نائب السلطان عليها في دمشق (فقرة ٤) لا يحق لأى حاكم أن يعاقب البغلة أى عقاب من الأكل به أحد لأن من السلطان نفسه) .

٣ - بالمحق نص بمساعدة المساعدة مع السلطان سليم الأول بالقاهرة ١٤ من فبراير ١٥١٧/٢٢ من المحرم ٩٢٣ هـ المدة ٥ - الفصل دون سوء . هو الذى يشاره الشئون القانونية والقضائية لواقية ويثبت في الأمور لصلهم .

(أ) أما من يرضى الانصياع لحكم الفصل ويلجأ ال القضاء الوطنى ليرفض قانونا أو حكما أصدره الفصل فلا يسج له ولا يحق للقاضى استقباله .

— Wiet, Précis De L'Histoire D'Egypte T. III. pp. 96 ff.

التقضاء كذلك بنظر الدعاوى بين طوائف التجار الأجانب بصفة عامة شرقيين أو أجانب ، فقد حدث عندما انضمت ييزا الى فلورنسا أن طالبت الأخيرة بفندق البيزين في الاسكندرية ، ولكن السلطات كانت قد منحتة لطائفة التجار الأتراك ، ولما عرض النزاع على قاضي الاسكندرية حكم بعدم شرعية إعطاء الفندق للفلورنسيين بعد أن سكنه الأتراك المسلمون .

ومثل هذا الحكم كان نهائيا لا يقبل الاستئناف (٨) . ومعظم القضايا أمام المحاكم الابتدائية والمستأنفة بين الأجانب شرقيين وغربيين ، أو بينهم وبين الوطنيين كانت قضايا تجارية عن الخلاف في بيع التوابل أو السلع الشرقية والغربية وما قد يحدث خلال ذلك من خلاف على السعر أو النوع أو العمليات المالية والمعاملات المصرفية أو المقايضة أو بين التجار وهيئة الجمارك نفسها (٩) .

١٠ الملاحق لمعاهدة بين السلطان قايتباي ولوردنروميدفي حاكم فلورنسا ١٤٨٨ من — Ameri, I Diplomi Arabi XLV pp. 363-369.

١١ المادة (٥) في هذه خلاف بين تاجر من الفرنسيين وتاجر مسلم ولما كلفها الاستئناف أمام السلطان ليجب أن يفسر لها الأمر وفي حالة غيابها يتدرب هذا الحاكم أو نائبه أو الكاتب (كاتب الديوان) ١٠٠ والا يمنع أي شخص من القول أمام السلطان للمطالبة وخاصة من التجار الفرنسيين .

١٢ - وكذلك المعاهدة الشاملة بالتحق بين فلورنسا والسلطان قايتباي ٢٢ من فبراير ١٤٩٦/١٨ من ذو القعدة ٩٠١ هـ فصل ٢٢ و ٢٣ ، وكذلك فصل ٥ وفصل ١٠ بنفس المعاهدة . ويشير كذلك الى حق الاستئناف الممنوح كذلك للعبادة أمام السلطان ٥ ان كما بالأبواب القريبة أو النايب ، ثم الحبيب أو القباشرين بالتفرع .

— Ameri, Ibid, XL pp. 184-209.

(٨) انظر الفصل الثاني في جزء الملاحق بين السلطان اينال والفيلورنسيين بالملاحق التجارية الخارجية .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 488-489.

(٩) ابن ابيس يمانع الزخود في وقائع العمود ج ١ ص ٩٨ يذكر في حوادث شهر ربيع الآخر ٩١٢ هـ ١٠ وفيه وقع أن شخصا من الأتراك يسمى حاماي الداردي - ابن الأمير أبا يريد أحد القضاة - ضرب شخصا من تجار الأروام بسبب عثري بطل . فلما شربه سأل منه وتطلع التاجر وشكا الى السلطان لرسم لتقيب الجيني بالقبض عليه . فلما قبض عليه تقيب الجيني ضرب من عنده فصل على التقيب مالا خير فيه ١٠٠ =

نظام النقل البحري في التجارة :

ومن أهم ما كانت تهتم به الحكومات والهيئات الموكلة اليها الشؤون التجارية الخارجية هي « عمليات النقل البحري التجاري » . وقد نظمت هذه الهيئات والحكومات في شرق البحر المتوسط موضوع النقل البحري ، عدلت القوانين القديمة ووضعت القوانين الجديدة الثابتة لتتلاءم مع روح العصر . ويرجع قانون النقل البحري التجاري في العصور الوسطى الى أيام الحروب الصليبية حين بدأ واضحا مدى الحاجة الى قوانين تنظم نقل الحملات الصليبية ورحلات السفن التجارية للشرق . وظلت هذه القوانين بعد تعديلها سائدة حتى أوائل العصور الحديثة ، بل انها كانت « قاعدة للكثوف الجغرافية والتي احتضنها الأمير هنري الملاح في القرن الخامس عشر وأدت ثمارها أواخره وأوائل القرن السادس عشر ، وعندما اتخفت التجارة مظهرها الجديد بعد « داجاما وكولبس » انتهى أثر الحروب الصليبية بمعناها العام المعروف وهو « المعنى الديني » الى معناها الحقيقي وهو الاستثمار الذي شمل القرون من السابع عشر الى التاسع عشر (١) . وقد اتبعت الدولة البيزنطية ومن بعدها الدولة العثمانية والجمهوريات الإيطالية والهيئات التجارية البحرية التي لها مصالح في بلاد السلطان الماليكي ، وخاصة في موانئ مصر والشام قانونا بحريا لم يتغير كثيرا منذ القرن

« ويستطرد ابن اياس بأن السلطان لم يقبل الشفاعة في الهارب ولا في النقيب ومعلميه »
ورد الحق لصاحبه »

ويذكر القريري الخط ج ٢ ص ٣٦٠ « ان بعض تجار المجمع استأنفوا وظلموا »
للسلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون بدار المنك عام ٧٥٣ هـ من حكم القاضي
الحقاني جمال الدين عبد الله التركماني في خلافهم مع بعض تجار القاهرة ، ولما حقق
السلطان في القضية أمر بالإخراج عنهم ورد أموالهم »

— Archer, Op. Cit. p. ٤٥٨.

الثالث عشر مأخوذاً من قانون بحرى لجزيرة رودس (١١) التى كانت تمتلك اذ داك أسطولاً ضخماً له نظمته وتقاليده وقوانينه ، ومن أهم بنوده :-

١ - قوانين خاصة بملكية السفينة وطاقمها .

٢ - مسئولية قائد السفينة (القبطان) عن سلامة السفينة والركاب وودائعهم .

٣ - فى حالة عرق المركب فعلى صاحبها أن يدفع تعويضات لأصحاب السلع بما يوازى خمس القيمة من البضائع المحمولة اذا كان التعويض قضية ، والمشر اذا كان التعويض ذهباً ، والعمولات العادية البسيطة لا تعوض .

٤ - الادن باستثمار الأموال بطريقة عملية فى شحنات النقل البحرى عن طريق القروض البحرية التجارية . وبخصوص هذا البند نلاحظ أن الهيئات المختصة بالتجارة فى الحكومات فى المصور الوسطى فى البحر المتوسط كانت تسمح بهذه القروض البحرية ، وهذا

(١١) وهو معروف باسم «The Rhodesian Laws»

— Thénault, Voyage D'Ouvert Mer, p. 116.

- بخصوص رعاية السفن وقت التواجد فإنها ذكرت فى رسائل وبنماهاى .
المصور الوسطى .

— Senato Secreto, Reg XLIV. l. 92 V.

— Instructions à Donnicio Trevino Amhemedix Au Sultan 31-12-1511.

يذكر فى الفقرة (٩) طلبنا فى عدة مرات فى حالة طلائع الرياح لما ليلا أن يؤذن للسفن بأن تليجاً للبيداء ومنون استعدان وهو مطلب عادى ويمكن الحصول عليه المالح يرقم (٨) وبخصوص السلع الخارقة ه السلع التى تخرى للفرق يصير انطلاقاً وترد لأصحابها ابتداءً - أما السلع التى تملكها الأبراج للشاطيء بعد فرق السفينة فهى ترد لأصحابها -
المالح رقم (٩٥) مادة (١٠)

- Wiet, Op. Cit. II. pp. 274-275.

— Poston, H., Camb. Med. Trade, Vol. XL pp. 96-97.

النوع من النقل البحري مع فائدة تصل الى حوالي ١٦٦٦/ من
راسمالها وهو سعر أكبر مما كان يتبع في غرب أوروبا (١٦) .

وبخصوص القروض البحرية التجارية كاحدى النظم السائدة في
عمليات النقل البحري فان تاريخها كالقروض العادية يرجع في نظامه
الى العصور الوسطى المبكرة ، وربما الى عهد الرومان والاعريق .
وتنص عقودها على تعهد المقرض هنا في التجارة الحرة بسداد
القرض في حالة عودة السفينة الحاملة للمبلغ المقرض أو البضائع
المشتراة به سالمة ، والقرض البحري اما أن يكون لرحلة الذهاب
فقط ، أو لرحلة الاياب ، أو لهما معا . « ولا كان القرض البحري
يتضمن مخاطرة من جانب المقرض فانه في العصور الوسطى حتى
المتأخرة منها أقرت السلطات الدينية في بعض الحالات شرعية الحصول
على نسبة معلومة من الربح على القرض ، وهو ليس كفايلة بقدر
ما اعتبر تمويضا عن المخاطرة والمعامرة ولتفادي تحريمات الكنيسة تقرر
عدم ذكر أى ربح أو نسبة تعويض صراحة ، بل نسبة لضمان تمويض
المقرض بحيث لا يمكن الاعتراض عليه ولو ذكر مقدما » (١٧) .

(١٦) من نظام تاجر السفن القديمة للشرق انظر ايضا

— Lopez, Op. Cit. pp. 239-244. Doc. 123.

وبخصوص السفن الفارغة الزائد ذكرها في القانون فانه كان ينص في الممانعات
والاتفاقيات من العصور الوسطى على أن السلطات تنفذ السفن التي تترك للعفار في سياحة
وتترك أموالها لأصحابها أو للتفصيل الناتج له . وقد نص على ذلك في الممانعات مع السلطات
المباركة . وأصل ذلك انه كان يطلق عليه اسم *Jon Napteget* . أي طرح البحر ،
أو ما يطلق عليه البحار للشمال . ولم يكن في البداية قانونا بل هي عادة متبعة ، الا اذا فرقت
سفينة في بحر أو نهر لأن سلطات السلطة هي ملك السكان المحليين في المياه الإقليمية
للدولة التي اتخذت السفينة كقوة البحارة والجنود يلقون حريتهم . ولكن منذ القرن
التاسع اطلق حقوق نايل وحاكم ساحلهم على ملاقات هذا . وأيدى في ذلك البابوية لحماية
الملك والمسلم وكل ما يتعلق بالسفن الفارغة .

— Lopez, Op. Cit. p. 304 & 305.

(١٧) في هذا يذكر كويبر أن نسبة الربح صراحة برغم تحريمات الكنيسة موجودة =

ومن الأسباب التي دعت التجار الى استخدام عقود القرض البحري في التجارة ما كانت تتعرض له السفن التجارية والمعاملات التجارية البحرية من أخطار كثيرة وخاصة في القرن الخامس عشر بعد دخول العثمانيين البحر المتوسط منذ سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ واشتداد الصراع بينهم وبين الجمهوريات التجارية الايطالية وورسان رودس ، وكذلك منذ نمو القوى الوطنية في قشتالة وأراجونا والصراع بين هذه القوى وعرب الأندلس ، بالإضافة الى المواصلات والألواء والقرصنة والمصادرة في موانئ الأعداء ، لذا لجأ التجار الى نظام القرض البحري كوسيلة لنقل أموالهم التي تتعرض لهذه الخسارة والأخطار الى شخص آخر مسئول عن ضمانها في صورة قرض ، ثم حل محله بالتدريج منذ القرن الرابع عشر حتى المصور الوسطى المتأخرة عقد التأمين البحري ، وفيه يتعهد صاحب السفينة بنقل سلع لأحد التجار ، وضمن السلع قرضا للتاجر وعند وصول البضائع سالمة يرد التاجر القرض ، وإذا حدث أي ضرر جزئي ، يلتزم بالتصويض مع عدم ذكر أي اشارة عن ربح تفاديا لتحريسات الكنيسة ، وإن كانت هناك أنواع مستترة من الربح تدفع في صورة مكافآت (١٤) .

١٤ - ويعتبر بعض المؤرخين أن نسبة التصويض هذه ان هي الا شكل ابتدائي للتأمين ، لأنها تطلبت لها بعد أساسا للتصويض وخاصة في حالات التأمين البحري ، بالرغم من أن التأمين البحري لم يظهر الا في وقت متأخر من المصور الوسطى . ويص أحيانا على اعتبار جزء من البضائع المحملة بالسفينة والتي اختيرت بالقرض ضمانا لسداد هذا القرض .
— Lopes, Op. Cit. pp. 268-269, Doc. 72, p. 269.

(١٤) كان يص في عقود تأجير السفن على عهد بطلونها المستعجى لتفادح خسائر القرصنة ، ويص على حقوق وواجبات كالة البحارة وما يجب على أصحاب السفن من مساق دفاتر بضائهم كما يضم لهذه الأوراق بوالص القس ويذكر فيها أنواع السلع المحملة على السفينة وخطابات الجهة المخرجة اليها . ويصوص عقود التأمين فانها حتى ذلك الوقت المتأخر من المصور الوسطى الذي لم تتضح فيه الأفكار بعد بخصوص أساليب بوالص النقل البحري . فإن التأمين كان يعتبر نوعا من للتأمين والتأمين . وقد لجأ أصحاب شركات التأمين الى اشراك الكثيرين في التوزيع على الصفقات لضمان توزيع خسائر المتأخرات .

— Lopes, Op. Cit. pp. 239-247.

نظام سفن المدة في النقل البحري التجارى :

ويتصل بموضوع النقل البحري التجارى في البحر المتوسط نظام قوافل السفن الموسمية ، ولا تكاد تطور معاهدة من معاهدات العصور الوسطى من الاشارة اليها في مجال عددها ومواعيدها ونظمها وهي المعروفة في تاريخ البندقية التجارى البحري باسم نظام « المدة » ، وهو يقابل كلمة (قافلة) بحرية تجارية . ويؤدى التعبير الكثير الوارد في الوثائق والمعاهدات باسم « مراكب المدة » معنى « القافلة الدورية » أو قافلة الموسم ، ومن ثم اختفت كلمة « مراكب » وصارت كلمة « مدة » تعنى « القافلة الدورية » أو مدة القافلة ، وتطورت بعد ذلك لتؤدى معنى أوقات وصولها ورحيلها، فعدة سبتمبر مثلا تعنى القافلة التى ترحل من البندقية في هذا الشهر بحرا ومحدد لها مواعيد وصول للشرق ومواعيد عودة للغرب . وتطور التعبير فيما بعد ليشمل أنواعا من « السلع » التى تشحن في تاريخ محدد وتصل كذلك في تاريخ محدد أى من تاريخ شحنها حتى تاريخ وصولها ميناء التسليم . ومن ذلك قطن الاسكندرية الذى كان مسموحا بتصديره في مدة موحدة تبدأ من سبتمبر من كل عام وتنتهى في مارس من العام التالى وقد تمتد حتى ١٥ من أبريل . ومثل ذلك بالنسبة لقطن الشام ، فبدأ سفن مدته في الوصول في شهر أغسطس الى ميناء بيروت لحمل القطن ومواعيدها محددة وان توافقت في كثير مع مواعيد هبوب الرياح السائدة في المنطقة . ويحتفظ أرشيف البندقية بتفاصيل وافية عن نظام المدة في

- من ترك السلع لصاحب السفينة دون مصاحبة أو حراسة انظر Lopez, op. Cit. — Doc. 125 p. 245.

من (حراسة سفينة) انظر : Lopez, op. cit. — Doc. 126 p. 240.

في القاء اجير الشحن بسبب تخلف السفينة انظر : Lopez, Op. Cit. — Doc. 127 p. 247.

في استخدام اساليب قلف والبراق في ذكر الربح انظر Lopez, Op. Cit. — Doc. 136 p. 256-260. 261.
— Maillet, Op. Cit. p. 199.

تجارة العصور الوسطى ، وكان من أهم النظم التجارية البحرى
فى تاريخ البندقية ، وبالأخص فى تجارتها مع شرق البحر المتوسط .
ولما تشعبت مجالات تجارة البندقية امتعرت كلمة «المدة» لتعنى الطرق
البحرية التى تبدأ منها وتنتهى عندها طرق الملاحة والتجارة بين البندقية
ومناطق نشاطها التجارى . وهذه الطرق كانت مأمونة بفضل الأسطول
العربى البندقى ، وفى بداية الربيع تنزل سفن المدة محملة بالسلع
الغربية ومتجهة الى شرق البحر المتوسط حيث موانئ مصر والشام
والسفن خلال هذه الفترة تؤجر لشركات تجارية . وللبنادقة فى كل عام
سنة أساطيل تتكون من : -

١ - أسطول قفالونيا ويسافر اليها فى الفترة من ١٥ الى ٢٠
من يناير .

٢ - أسطول انجلترا والفلاندرز ويسافر اليها فى الفترة من
٨ الى ٢٥ من أبريل .

٣ و ٤ - أسطولا اليونان والبحر الأسود ويسافران اليها فى
الفترة من ٨ الى ٢٥ من يوليو .

٥ - أسطول الشام عامة وميناء بيروت خاصة ويسافر اليها فى
الفترة من ٨ الى ٢٥ من أغسطس .

٦ - أسطول الاسكندرية خاصة ومصر عامة وكذلك بلاد المغرب
ويسافر اليها فى الفترة من ٨ الى ٢٥ من سبتمبر .

وكان نامكان أسطول الشام وبيروت أن يمر على الاسكندرية .
كما أن أسطول الاسكندرية يستطيع السفر الى بيروت . وتحدد
الحكومة عدد ملاحى كل سفينة وحجم الهلب ونوع الشراع والعبال

وكانت تتجدد دائما خطا مينا للسفر ووقتا محسدا للشحن (١٥) .
 ووصول سفن المدة لشرق البحر المتوسط يتبع أحيانا موافيت هبوب
 الرياح في البحر المتوسط . وقد سجل ذلك الرحالة ابن جبير في
 رحلته (١٦) . وقد رتبت البندقية مواعيد سفر سفنها التجارية الى مصر
 والشام بما يتفق الى حد كبير مع أوقات هبوب الرياح ومع ترتيب عقد
 الأسواق ، الموسمية فيها . وامتطت رحلات سفنها في أربع مراحل ،
 فهي الرحلة الأولى تخرج السفن من البندقية في شهر يناير لتصل الى
 موانئ شرق البحر المتوسط في شهر مارس ، ثم تقوم من هذه الموانئ
 بعد توسيق سفنها في شهر أبريل لتصل للبندقية في شهر يونيو وبدي
 عودتها للبندقية تتجهز للرحلة الثالثة التي تبدأ في شهر يوليو وتصل
 لمقصدها في شهر سبتمبر ، وتعود في شهر أكتوبر لتصل البندقية في
 شهر ديسمبر ، وتتجهز للرحلة في شهر يناير ، وهكذا . أما وصول
 التوابع للاسكندرية فكان لا يتغير أبدا ، فهي تصل في شهر سبتمبر
 من كل عام حيث يسمع فيضان النيل يدفع السفن من القاهرة

(١٥) كلمة : مدة ، العربية أطلقت الى البندقية بلفظها *Muda* OR *Muddah*
 فتولى معنى الفترة أو المصود من السفن التجارية والسلع ومواعيد سفرها وعودتها وطرقها
 وخلالها والفرق هذا النظام بالبندقية بالذات في المصور الوسطى وسندلها مثلا لذلك
 — *Nuovo Archivio, Venice* XXXII, 1906, p. 106.
 من الدكتور توفيق اسكندر - الطر كذلك :

— Clot, *Hist. Economique*, pp. 115-116.
 — *Camb. Med. Hist.*, Vol. 1, p. 277.
 — *Depping* ; *Op. Cit.* I, p. 158 & T. II, p. 319.

(١٦) يقول ابن جبير في كتاب الرحلة : ان الرياح الشرقية لا تهب الا في
 فصل الربيع والخريف والسفر لا يكون الا فيها ، والتجار لا يتزلون في البلاد العربية
 الا في هذين الفصلين . والسفر في الفصل الربيعي من نصف ابريل وفيه تهب الرياح
 الشرقية وتطول مدتها الى آخر مايو ، والسفر في الفصل الخريفي من نصف اكتوبر وهذه
 قصيرة . والمسافرون للغرب ومكثية وبلاد الروم ينتظرون الرياح الشرقية في هذين
 الفصلين .

ابن جبير : الرحلة ص ٢٥٨/٢٥٩ .

ابن سائلي . قوانين الفوازي ص ٢٤٧ - ٢٤٨ (لفر عزيز سوريال عطية) .

للاسكندرية في فرع رشيد وقنا قوة (١٦) . ويستظر أهالي وتجار
 البندقية وأوروبا عودة قوافل المدة من الشرق بفارغ الصبر ، ويتفق هذا
 مع موسم الأسواق الكبرى التي تعقد في عيد الميلاد في أواخر ديسمبر
 وفي عيد الفصح في شهر أبريل . وأحيانا تتغير هذه الرحلات فتبدأ
 في فبراير بدلا من يناير وتأخر فيما لذلك باقى المراحل شهرا ، وفي
 هذه الحالة تقصر مدة بقاء السفن في موانئ الشرق . وتقدر مدة
 الرحلة من البندقية الى موانئ مصر والشام بحوالى مائة يوم ضمنها
 فترة البقاء في الاسكندرية أو بيروت التي قد تستمر ثلاثة أسابيع .
 والسفن التي تصل قبل المدة الى الاسكندرية لا تجد مطلبها من السلع
 الشرقية وعليها الانتظار لوصول التوابل من القاهرة والمواعيد هنا
 لا تتغير أبدا . وكثيرا ما كانت سفن البندقية تمول محلة بالبضائع
 من الاسكندرية وبيروت تاركة ما يزيد على حمولتها ووجدت أخيرا حلا
 لهذه المشكلة دون أن تترك هذا الفائض للمدة التالية ، ودون أن تخل
 بحقوق أصحاب السفن وحقوق الدولة ، فكانت ترسل مراكب خاصة
 مع مراكب المدة لحمل هذا الفائض تعرف باسم مراكب فائض المدة ،
 وهذه السفن بحمولتها تخضع لصرائب خاصة ، وقصدت البندقية من
 ذلك اخراج هذا الفائض من مخازن الاسكندرية حتى لا يفسد
 أو يصادر لحساب السلطات المحلية اذا حدث أى نزاع ، وكذلك
 حتى لا يدفع عليه أرضية ضخمة وسفن الفائض تؤجر لفترة محدودة
 لترافق سفن المدة (١٧) .

(١٧) انظر الفصل الثالث - الطرق والمراكز التجارية - وكذلك

- Poston, Op. Cit. II. p. 332.
- Heyd, Op. Cit. II. p. 447 .
- Dopping, Op. Cit. I. p. 160.

(١٨) شارل ديل البندقية جمهورية أرستقراطية (مترجم) ص ٢٨ و ٢٩

- Heyd, Op. Cit. II. p. 447.

انظر مراكب فائض المدة في الفصل الثاني .

وموضوع الاعتداءات على سفن التجارة في البحر المتوسط كان مما أولته المدن التجارية في العصور الوسطى اهتماما خاصا ولا سيما البندقية لدرء خطر تهجم القراصنة واعتداءاتهم على الركاب ونهب السفينة وما عليها من سلع لذا لم تخرج سفن التجارة ، دون حراسة ويقوم بالحراسة الأسطول الحربي ، كما لجأت أحيانا الى تزويد السفن بأساليب الدفاع عن نفسها ضد أي اعتداء ، ومن ثم أصبحت مسألة حماية المدة اجراء عادي تمارسه الحكومات وتجهز حملة الحراسة مع كل مدة ، فكل أسطول تجاري أسطول حربي وسفنها تحصى بكل بحر وتحتاط لكل نوع من المواقف المعروفة أو الرياح السائدة . والأساطيل التجارية الأهلية غير الحكومية كانت تدفع للسلطات ضريبة خاصة بالحماية أنفقت في بناء السفن الحربية والترسانات والأبراج والحصون . وفي حالة الحرب أو تهديد الحرب يصير نقل السلع على سفن الحكومة وحدها التي تحرسها الأساطيل الحربية ، أما الأفراد فيدفعون ٥/١ ، وأحيانا ٧/١ رسم حماية ودفاع . ولشدة مراس الأسطول البندقي كان يمنع القراصنة من دخول مياه قبرص للتأمين قبل أن تبشرف البندقية على الجزيرة اداريا ، وظل هذا قائما بعد اشراقها عليها منذ عهد السلطان قايتباي (١٩) .

ولم تقتصر وظيفة الحكومة هنا على تنظيم وحراسة سفن المدة بل هيئت لكل أسطول تجاري قنصلا محريا يرافقه ، من وظائفه فض المنازعات التي قد تنشأ على ظهر السفن كما كان بعض هؤلاء القناصل يقوم بعمليات مسك الدفاتر وعمل حسابات السفن وحسابات السلع وحسابات التاجر بدلا من أصحاب السفن لأمكان تقدير الضرائب

(١٩) من جوار لهم السرى البيضاء انظر سعيد طنبورج أوروبا في العصور الوسطى

ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦

— Fourn, Op. Cit. II, p. 332.

— Dipping, Op. Cit. I, p. 156, 160, 163, & II, pp. 314-315.

انظر كذلك ملاحظة رقم ٢١٢ بسند وثيقة رقم ١٠٦ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ من لوبيز

المطلوبة ، وعهدت اليهم الحكومات والهيئات المشرفة على التجارة ملاحظة المطالبات على ظهر السفن وتوقيع الجزاءات والغرامات التي تبلغ أحيانا ربع أو ثلث الحمولة ، كما أن القنصل وأعوانه يكونون ما يشبه البوليس العربى البحرى على ظهر السفن . ويبدو أن وظيفة القناصل البحريين كانت معروفة لدى شعوب البحر المتوسط منذ القرن الرابع عشر ، وزاد الاهتمام بها فى القرن الخامس عشر لاتساع نطاق التجارة وخاصة فى مصر والشام (٢٠) .

نظام النقل التجارى البرى :

ولم تكن النظم التى وضعت لكى تختص بالتجارة البحرية فقط بل وضعت نظم أخرى تختص بالتجارة والنقل التجارى على الطرق البرية . ولم يقدّر لهذا النوع من النقل الازدهار الذى حازه النقل البحرى فى القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، نظرا لما ساد منطقة آسيا الصغرى ، وشرق البحر المتوسط فى الشام من اضطرابات بسبب الحروب والصراع بين البيزنطيين والعثمانيين ، ثم بين هؤلاء والمغول والتركمان والصغويين ثم الماليك ، وإذا أضفنا الى ذلك انتشار قطاع الطرق ، فإن كل هذا انطبع على الطرق والتجارة ولم تعط الحكومات وحامى العشاية اهتماما بالتجارة لاصرافها الى الفتح والتوسع وتأمين أطرافها . على أن بعض هذه الطرق كان يقع تحت سيطرة حكومات قوية ، وكان معروضا بالجند المحليين أو الجند المرافقين للقوافل التجارية منها طريق القاهرة/السويس ، والطور أو القلزم ، وطريق قنا/القصير أو عيذاب . كما أن التنافس الشديد

— Lopez, Op. Cit. p. 246 & DOC. 126.

(٢٠)

— Depping, Op. Cit. II. pp. 335-336.

بين الأسواق دفع الحكومات الى تحسين وسائل المواصلات البرية وطرقها ، وعملت بالتالى على تحسين البنى التحتية والمكوس المختلفة وتشديد الحراسة تشجيبا لارتياحها وبالتالى ازدهار تجارتها (٢١) .

وازاء كل هذا فصل تجار الطرق البرية اتباع نظام المشاركة في التجارة ، والسخول في الشركات التجارية ، كنوع من أنواع الحماية وتقادي الأخطار ، وكذلك لما امتازت به الطرق البرية بعمرائها بالمدن والأسواق مما يزيد فرصة المتاجرة والربح ووجود وكلاء للشركات والتجار على طول الطرق لتسهيل العمليات التجارية والمالية ويشترك التجار مما في تمويل التجارة برعوس أموالهم ، كما يشتركون في الادارة والسفر والاقامة ، ويتحمل كل شريك نصيبه في الخسارة والتضحية ، أو ينال نصيبه في الربح مثل باقي الشركاء (٢٢) .

ونظام الشركات الذي ساد مصر في العصور الوسطى المتأخرة امتد اليها من القرون السابقة ، والقاعدة هنا أن الظم لا تبطل انما تستمر مع ما استحدث عليها فقد عرف مبدأ المشاركة لأكثر من واحد في التجارة ، وعرف الشركاء باسم « المضاربين » والمضاربة أو القراض أو القراضية نوع من أنواع الشركات ، وفيها يدفع الشخص مالا لآخر ليتاجر فيه ، ويتضمن عقد الشركة نصا على أن يكون الربح بينهما حسب المقد والخسارة على صاحب رأس المال . وقد يكون الربح النصف أو الثلث أو الربع للتاجر ويصير رأس المال هنا أمانة لدى التاجر الذي هو في نفس الوقت وكيل صاحب رأس المال وعقد الوكالة بينهما غير ملزم، فيستطيع أحدهما أن ينسحب من الشركة بعد حصوله على حقوقه . وأحيانا ينص في العقد على أن يكون الربح أو الخسارة

— Poston, Op. Cit. 22. p. 333.

(٢١)

— Jacob, Legacy of Middle Ages, p. 444.

(٢٢)

— Poston, Op. Cit. pp. 334.

كلها لصاحب رأس المال ، والوكيل أو التاجر هنا ليس سوى أجير بالراتب والمعمولة . وقد استمر هذا النظام قائما في مصر حتى نهاية العصور الوسطى (٣٣) .

ولم تكن العمليات التجارية بالشركات والعقود مقصورة على الوطنيين فيما بينهم ، بل شملت كذلك الوطنيين والأجانب ، بل إن تجار الكاريم أنفسهم كانوا في وضعهم التجاري أحيانا وكلاء لشركات ووكلاء بالمعمولة والمشاركة في الأرباح ومن أمثلة هذا عقد شركة بين تاجر كارمي وتاجر فرنجي ، ونص في العقد على أن يكون ثلاثة أرباع رأس المال للتاجر الكارمي والربع للفرنجي وتشفيل المال للفرنجي والربح بنسبة رأس المال مع عمولة للفرنجي (٣٤) .

وكان لهذا النظام مثيل في أوروبا عرف باسم العقود الشخصية والعقود الثنائية. وأساس هذا النظام التجاري وجود شريكين أو أكثر أحيانا ، أحدهما متجول والآخر مستقر . والفرض من هذا النوع من النظم التجارية هو تسهيل العمل على التاجر الذي قد تمنحه ظروف

(٣٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار العرفين ج ١ ص ٢٠٢ يذكر عن ابن الأثير ١٠٠ خرجت سبلن من مصر والقمام فأتخذ الفرنج في اللاتية مركبتين مفودتين بالأممعة ، وكان لوالدي في المركبة تجارة مع شخصين فلما أعلوا للناس أموالهم لم يصل إلى كل إنسان إلا القيسر ، وكان يصل الخناج . فكلف من إكلن اسمه عليه أو حل غيره أخذه وكان في الناس من يأخذ ما ليس له وكان أحد حليزتي الخطارين فيه أمالة . وكان نصرانيا فلم يأخذ إلا ما عليه اسمه وملائته .

الجزيري : تاريخ الفقه على المذهب الأربعة ج ١ ص ٤٣ .

— Lopez, Op. Cit. p. 215. DOG 105. & p. 216. DOG. 106.

(٣٤) حاييم التاجر الأفرنجي السلطان بسطة عشر ألف دينار ودفعها له الكارمي ودمتروعا فيما بعد من السلطان ٥ ثم دفع الأفرنجي أربعة آلاف ليصير رأس المال للشركة ٢ ألف وتصر في العقد على أن ثلاثة أرباع رأس المال للكارمي والربع للأفرنجي مع حق تصفيل واستثمار الخبالغ والربح بالنسبة المصيبة .

الجزيري : السلوك ج ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ص ٢٠٤ .

مختلفة من القيام بالرحلة بنفسه ، ثم تطور الى نظام يتضمن استثمار الأموال بدلا من تركها عاطلة في التجارة الخارجية ، ولدى عودة الشريك أو الشركاء ببضاعة قومت ويصت لتقسم الأرباح بينهما حسبصوص الاتفاق . ويحدد في هذا النوع من الشركات مدة « مصاربة » أو استقلال رأس المال في مدى طين أو ثلاثة أعوام ، وكفى النقد بعيد الشريك رأس المال مع نصيب الأرباح ويلغ عادة النصف ، ويحصل المستثمر الحسارة التي تنقص من رأس المال ، والتاجر المتنقل يحصر اتعابه أو المكافأة إذا لم تنتج التجارة ربحا . وفي بعض عقود الشركة المذكورة في هذا النظام ينص على أن رأس المال يكون مشتركا والمسئولية بالتضامن بين الشركاء وهذا النوع من الشركات عرف باسم الشركات التجارية البرية *Societas Terrea* (٢٥) وقد اشتق من النظام المعروف في الشرق .

ومن أنواع الشركات أيضا « الشركات الأخوية *Fraterna Compania* » والتعاقد هنا يضم أعضاء الأسرة الواحدة الراغبين في الاشتراك برؤوس أموالهم في التجارة كما ضمت في بعض الأحيان من لهم علاقة بالأسرة عن طريق النسب والزواج وقد استخدمت المدن الإيطالية هذا النوع من الشركات في تجارتها في البحر المتوسط في الملاحة البحرية بعد أن نصح في نظام التجارة البرية (٢٦) . وتطورت بعد ذلك لنماذجها لتضم أغرابا عن الأسرة في شركة تعرف باسم « شركة التوصية المساهمة *Commenda Compania* » وينقسم أفرادها الى قسمين قسم يشترك برؤوس الأموال وهو *Commendator* ، والقسم الثاني يشترك صهده وهو *Tractator* . أى الفئة العاملة وينص في

— Lopez, Op. Cit. p. 16. DOC. 99. p. 189.

(٢٥)

— Lopez, Ibid, pp. 185-186. DOC. 91. pp. 197-198.

(٢٦)

— Fosses, Op. Cit. II. pp. 324.

— Jacob, Op. Cit. p. 443.

المقد بأن يكون ربع الربح للعاملين وثلاثة أرباع الربح لأصحاب رؤوس الأموال (هذا النوع هو الذي تحدث عنه المقرري) . وتطور بمرور الوقت الى أن الشريك العامل يستطيع أن يبقى نصيبه من الربح ليتجمد ويصير مهنيا ضخما يضيفه لرأس المال فيصبح حينئذ مشتركا في الشركة برأس مال وتصور له وظيفتان ورسطان . وكذلك حرية أكثر في توجيه رأس المال . ويستطيع أصحاب رؤوس الأموال أحيانا أن يشتركوا في عدة شركات ويوزعوا أموالهم على هذه الشركات ، لأنه في اعتقادهم أن وضع رأس المال كله في صفقة واحدة وعلى سفينة واحدة يعرضه للضياع اذا ما أصيبت السفينة بكارثة أو اذا أفلست التجارة ، ولذا نرى صاحب رأس المال يوزعه على عدة شركات لضمان عدم ضياعها كلها (٢٧) .

وتطورت الفترة المتأخرة من المصور الوسطى تطورا في أنواع الشركات يهدف الى تكوين اتحاد من مجموعة شركات متجالسة تتاجر في نوع واحد من السلع تعاديا للمضاربات الضارة بين الشركات المتفرقة ، وقد عرف اذ ذلك باسم « اتحاد الشركات » وظهرت أهميتها في تطور التجارة بازدياد حجمها وتنظيم المنافسة بين الشركات المتجانسة لنوع واحد من المتاجر . وكان من مصلحة هذه الاتحادات أن ترسل سفنها متجعبة في أسطول واحد وفي حراسة واحدة ليسهل الدفاع عنها ضد القراصنة ، ويتحققون على المنافع والفوائد ولهم مقاييس ونظم لضمان حقوق الأفراد المساهمين ، كما أن الاتحاد مسئول عن أعضائه وهم بدورهم ينضمون لنظامه فيضحمون بجهودهم وأحيانا بحريتهم على مذبح المصلحة العامة للاتحاد (٢٨) . وكلما زادت

— Cf. Op. Cit. pp. 116-117.

(٢٧)

(٢٨) - كان من قوالي هذه الاتحادات أن افرادها لا يكون كلهم في مكان واحد ولا يسافرون كلهم الى مكان واحد ، وخاصة في التجارة البحرية . ويلحق الاتحاد أحد الأعضاء العاملين بالسفن ويصاحبه مطبق والتج مثل ذلك في التجارة البحرية الصغيرة -

وموس الأموال في الشركات المتحدة زادت فرص المتاجرة وبالتالي
فرص الربح . وقد صاحب ظهور هذا النوع من الاتحادات التجارية
تطور المصارف (٢٩) .

نظام تجارة العبور في مصر والشام :

وحتى نهاية المصور الوسطى ظلت مصر والشام منطقتي عبور
للتجارة الشرقية والغربية وعرف هذا النظام باسم « تجارة العبور
أو التراسيت » فتصل السفن الأوروبية لموانئ شرق البحر المتوسط
الماليكية حيث تجد تجار المنطقة وقد جلبوا المتاجر الشرقية من
الهند والشرق الأقصى ووسط آسيا وأفريقية فيتولون نقلها الى
أوروبا . والقناصل التجاريون ووكلاء الهيئات التجارية يقومون بعملية
تسهيل تجارة العبور وتجيى السلطات المالية والتجار الأوروبيون من
هذا النظام أموالا طائلة كل عام (٣٠) . هذا بالإضافة الى أرباح التجار
الوطنيين .

- أما في التجارة البحرية البعيدة فكان خروج الأعضاء جعله لضمان المراسلة من موانئ
التراسيت .

— Fieone, Hist. of Europe, p. 383.

— Clive, Op. Cit. p. 115.

(٢٩) تطور بنك سان جورج في جنوة ولرومه في آسيا الصغرى وبحل البحر الأسود
وفي الشام والتبطينية ومختلف مراكز التجارة بالبحر المتوسط - نتيجة لهذا النوع من
الاتحادات والشركات - بصورة واضحة للتوسع المالي والتجاري المصري في المصور الوسطى
القاهرة ، وإن كان تكوينه نتيجة لأعمال مالية شرائية أخرى - (وهذا النوع من الاتحادات
لا يثارن ما حدث بعد ذلك في القرن السابع عشر وما بعده من قيام شركات التجارة المتحدة
الهولندية في الدنيسيا والإنجليزية في الهند فهو في المصور الوسطى كان نظاما محدودا
على نطاق ضيق وإن كان قائمة لظهور الاتحادات المذكورة فيما بعد) .

— Jacoby, Op. Cit. pp. 444 & 445, 450.

(٣٠) ليس أدل على هذا المبنى من أن هيئة التجار الأخاب في مصر وعلى رأسهم قنصل
البندقية ، استطاعوا بنهاج الفاضل من تجارة التراسيت أن ينفقوا ١٠٠٠٠٠ جنيه
قديمة لجانوس ملك قبرص عندما أسره للماليك . - -

ولم تكن موانئ شرق البحر المتوسط هي وحدها التي تقوم بمعاملات التجارة العابرة ، بل ان موانئ مصر على البحر الأحمر كانت تقوم بهذه العملية كذلك فتناقصت موانئ ومدن الطور والسويس والقلم والقصير وعيداب ودهلك وسواكن وجدة في جذب البضائع اليها ، وان كان محرما على الأجانب ورود هذه الموانئ ، ولكن كان مسموحا بذلك للمغرب والمصريين . ويقوم بمعاملات تجارة العبور تحار النكارية منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر السلطان قايتباي ، وتحصل جمارك الموانئ على ذلك رسوما عالية ، يضاف اليها عشر قيمة البضائع أحيانا (٣١) . ولأهمية هذه التجارة بذل السلطان الفوري منذ توليه السلطة جهودا جبارة ضد البرتغاليين في بحر الهند ومنح البحر الأحمر الجنوبي عندما أدرك خطورتهم على التجارة عامة والعابرة خاصة ، اذا أنها كانت تمثل برسومها مصدرا رئيسيا من مصادر ثروة البلاد (٣٢) .

على أن جميع جمارك الدول التي تمر بها التجارة الشرقية الى

— سعيد عاشور ، قبرسي والحروب الصليبية من ١١١ - ١١٥ .

ابن حجر ، ألباء القس ، ٢ (مخطوط) ورقة ١١٢ .

— Maurice Schemel, *Le Caire*, p. 185.

— Atiya, *The Crusades*, Op. Cit. p. 115.

(٣١) لين بول ، سيرة النكارة (مترجم) من ٢١٦ .

• لم تكن الجمارك وحدها هي مصدر ثروة مصر في العصر المالكي ، بل كانت رسوم تجارة المرور ، وخاصة لسلع الغرب اللامعة للشرق الأقصى أو لفصريف في بلاد المالقة .
— Ziaja, *Foreign Relations*, p. 209.

(٣٢) • نالقه للورنسا على عهد السلطان خشقدم عام ١٤٦٥ امتيازاً لم يمتد لغيرها من المدن الفطرية بموجبه أعطيت سافتها من التفتيش ورسوم رسوم العبور الا حصلت سلما لبلاد أخرى ولم تفرغها في موانئ السلطان وكانت السلطات المالكية تفرض رسوم عبور في مثل هذه الحالات • راجع الفصل الثاني وكذلك :
— Ziaja, *Ibid*, p. 245.
— Clive, *Op. Cit* p. 99.

انظر كذلك سياسة السلطان قايتباي وللورنسا ١٤٨٨ عن عدم دفع رسوم للسلع الخارجة ولا تفرض في موانئ السلطان .

العرب أو العكس كانت تستفيد من تجارة المرور فيها ، وتشمل هذه الفائدة تاجر الجملة والوسيط ، وتاجر التجزئة اذ تزداد الأسعار بعد كل رسم ترانزيت (٣٣) . وكانت القسطنطينية من أكبر مراكز المرور لسلع الشرق الأقصى والبحر الأسود وبلاد الروم ، والصقالية الى غرب أوروبا ، وكذلك سلع غرب أوروبا وشرقها والبحر المتوسط للشرق الأقصى وفي فترة اسكماش الامبراطورية البيزنطية بسبب اندفاع الشماليين نحو العرب نقلت السلطات مهمة الاشراف على تجارة العبور للوكالات التجارية الايطالية كالبندقية وجنوة نظير رسوم اضافية . وقد توقفت تجارة العبور خلال الحروب التي انتهت باستقوط القسطنطينية ١٤٥٣ م ، ثم استؤنفت مرة أخرى ، وان كان من طريق أرمينيا وموانئ الاسكندرونه وإيلاس في فليبية الشرقية . ومنذ عام ١٤٦١ بعد أن اتجه الشماليون لاختضاع الجيوب الباقية على البحر الأسود والتجار يتجهون بأعداد كبيرة الى مصر والشام لتركز «تجارة العبور» فيهما حتى نهاية دولة سلاطين المماليك (٣٤) .

(٣٣) « فرغت حكومة المماليك شرائب عدة على النوايل التي تمر بالعبور في طريقها للشمال ، ومنها شرائب العبور وتجبى في مصر وحسن والمقبة وجسر الحسي » . ابن شامس . زبدة كتاب الممالك ص ١٠٨ .

والا وصلت الى موانئ صيدب أو الطور أو السويس أو القلزم أو القصير حيث عليها الحكومة مكمسا أخرى للعبور في شرائب البصائر وكندر ليمتها على ما كانت عليه في العصر الأيوبي » .

الفلستيني : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

القرنيزي : المختلط ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٩ .

وقد حدد المماليك لراتب الشرائب في دولتهم على أساس تجارة المرور التي كانت ترتفع بالتدريج بما لاحتياجات الدولة من المال وعلى قدر طلب الغرب للتوابل ومقدار ما يورد منها لأسواق مصر والشام .

القرنيزي : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٩ .

— George Dober, A Hist. of India, Vol. 2, p. 152.

(٣٤) « فرغم السلطان يرميها ١٤٢٨ م على تيجار الشام أن يمدوا قبية للكوس على بهارهم الحابر من مكة الى الشام ٢٧٠ دينار من كل حمل ، واعطاء ما يصلونه لمصر » .

المنشآت والمرافق التجارية :

ويخدم التجارة مجموعة من المنشآت والمرافق الحكومية والأهلية منها الأسواق والوكالات والقماريات والخانات والبنادق .

الأسواق :

ونظام الأسواق في شرق البحر المتوسط خضع الى حد كبير لتطورات السياسة والحرب والتقلبات الاقتصادية في المنطقة . فعند أن أعلنت القوات العثمانية الطريق التجاري البري من وسط آسيا عبر آسيا الصغرى الى أوروبا والشام ، وللأسواق على هذا الطريق ينصب معينها من السلع الشرقية شيئاً فشيئاً فتبعه الأعمال العسكرية المتصاعدة ، كما قل مرور قوافل التجارة على مدنه وموانئه لتزايد أخطار الحرب . وظل الأمر كذلك فترة بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ حتى هدأت الأحوال لتفتح الأسواق أبوابها من جديد ولكن لم تدم هذه الفترة أكثر من سبع سنوات ، اذ ما لبث القتال أن تجدد مرة أخرى حين عملت القوات العثمانية على إخضاع الجيوب التركمانية والرومانية الباقية في شرق آسيا الصغرى وعلى البحر الأسود . ومنذ ذلك الحين والأسواق تهجر ويتجه تجارها بأعداد هائلة الى مدن ومناطق أخرى أكثر أمناً واستقراراً ، وهي أسواق الشام ومصر . والواقع أن الصراع في أسواق القسطنطينية ومدن طرابزون وأماستري وبروسة وأطنة وغيرها من مراكز التجارة في آسيا الصغرى وعلى البحر الأسود كان صراعاً بين استمرار التجارة من ناحية ونجاح الجحافل

• بالغات ، وإن كان يتجهل منهم مكان آخر في دمشق إنما يمكن ملاحظة رسم عبور
إلى المشرق : العجم الزائرة ج ٢ ص ٦٢٨ (طبعة كالجورنيا)
— Poston, Op. Cit. II. p. 95.
— Heyd, Op. Cit. II. p. 384.
— Lane Poole, Hist. Of Egypt in The Middle Ages, Chap. IV. p. 153.

التركية المتقدمة نحو العرب حتى عام ١٤٥٣ ونحو الشرق عام ١٤٦١ من ناحية أخرى ولم ينته الصراع إلا بعد أن تم للأتراك العثمانيين النصر وخضعت المنطقة كلها لهم ، وبدأوا يستقبلون الأعضاء القدامى للأسواق من جديد ولكن في ظل سيد جديد .

وهي مصر والشام ركز المماليك جهودهم على ازدهار أسواقهم واستعدوا فعلا لنتائج الحدث الذي شل حركة الأسواق في مدن وموانئ العثمانيين عام ١٤٥٣ مدعوا الأمن والاستقرار والحراسة في الأسواق وعملوا على توسيع نطاق التجارة فيها لتمكن استقبال أكبر عدد ممكن من التجار الأجانب ومنح طوائفهم الامتيازات ، كما أبقوا على ما كان فيها من نظم تجارية اعتاد عليها التجار ، وأحاروا النظم المستحدثة في نطاق مصالحهم التجارية والمسكينة . ونتيجة لذلك امتلأت أسواق مصر والشام بهؤلاء التجار الأجانب الذين تاجروا في ظل حكومة قوية وأسواق منظمة وموانئ آمنة . وأعطيت التعليقات لعمال الموانئ والجبارك بحماية الأسواق ورعاية التجارة والتجار الأحباب خاصة ومع النش أو نهب التجار . وكان العقاب الشديد يقع على الوطني الذي يثبت أنه استغل الأجنبي استغلالا سيئا ، ويلحق بالمباشرين للأسواق عقاب مماثل ، ونص على هذه التعليقات في كل المعاهدات (٣٥) .

والواقع أن الأسواق هي أقدم أشكال النظم التجارية ، وهي ثلاثة أنواع : أسواق محلية وموسمية ، ومسنوية ، ومعظم أسواق الشرق الداخلية محلية ودائمة ، ولها أيام معينة في الأسبوع ، وإن

(٣٥) — Guyot, Le Commerce, Hist., Du Commerce, T. II p. 310.

الخلاصة : صبح الأمل ١١ ص ٤٢١ و ١٢ ص ٤١ وما بعدها - راجع ما كتب من هذا الموضوع في الفصل الثاني .

— Thebaud, Voyage D'Orient Noir, p. 122.

كانت في وقت مبكر من العصور الوسطى قد اتخذت صفة التخصص ببيع أنواع معينة من السلع ، هذا سوق البزائين ، وذلك سوق المطارين ، وسوق الفرائين ، وسوق الحريرين ، وسوق العنبرين. ولكن لما اشتدت حركة التجارة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر لم يعد هذا التخصص يحترم وإن كان سوق العطاريين بالإسكندرية اقتصر على التوابل وحدها ، وشمل كل سوق أنواعا مختلفة من السلع . وتجار هذا النوع من الأسواق إما مستقرون لهم حوانيتهم ومخازنهم ، وإما متفلون يقفون بالسوق لفترة متأخرة من النهار ثم يارحونه ليعودوا إليه ثاني يوم . ومراقبا السوق المحتسب والجهيز ينهيان عملهما برحيل هذه الطائفة من التجار عن الأسواق (٣٦) وللاهمية الفائقة للسوق في نظم التجارة كآخر مكان تستقر فيه البضائع والسلع الشرقية المصدرة للغرب أو العكس ، كان لا بد من نظام ضبط وربط دقيقين للأسواق منعاً للتلاعب في الموازين أو الأسعار أو جباية الرسوم أو غش السلع ، وقد أوكل هذا العمل للمحتسب وعماله . ويسير نظام الحسبة والقائمين عليه في الأسواق وفق قوانين عامة وثابتة وقوانين متطورة حسب ما يستجد . والمحتسب

(٣٦) المقرري : الفرائط ج ٢ ص ١٠٢ و ج ٢ ص ٢٦ - ٢٦ و ٥١ و ٥٢ .

المقرري : المجلد ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ .

سيد عاكور : العصر الفاطمي ص ٢٩٦ و ٢٩٧ .

سيد عاكور : المجمع المصري لفر عصر الفاطميين ص ٨٦ .

متز : الحضارة الإسلامية (مترجم) ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

— Clerget, Op. Cit. pp. 307-317, 322.

• ولعل التخصص هذا كان من أبرز عيوب الأسواق الفاطمية التي يريد عدة أستاذ أن عليه أن يطلع المدينة كلها طولا وعرضا حتى يقف حاجته ، لأنه لن يجد في السوق الواحدة سوى نوع واحد من السلع ، وفي نفس الوقت كان لهذا النوع من التخصص عيبه فلا يستطيع التاجر أن يرفع سعر السلعة حتى لا يفقد بذلك من أسعار التجار لأن منافسيه كل مقربة منه ، كما أن المشتري إذا لم يجده سعر السلعة يستطيع استطلاع أن يجد ما يريد بسهولة عند غيره .

وأعوانه يشرفون على عمليات البيع والشراء والصفقات الكبيرة بأنفسهم ، وبالإضافة إلى باقي مهامهم فهم يقومون بجمع صريه « المشاهرة والمجاعة » من الأسواق (٣٧) . ويراعى المحتسب كذلك التسمير الحيرى والأسعار التى تحتص بأنواع معينة من السلع لا يحق التغالى فيها - والتفتيش هنا يكون ليلا ونهارا . ويختار المحتسب من دوى الرأى والمهارة ورعاية شئون الناس والا يقع عليه العقاب (٣٨) .

أما الأسواق الموسمية فكانت تعقد فى مواسم ورود التوابل من الهند والصين لأسواق مصر والشام وجدة ومكة ، وتخصص فى ذلك لمواعيد هبوب الرياح الموسمية ، وتصل فى مواعيد سنوية لا تتغير ، وهى نفس الوقت تصل السفن الأوروبية من الغرب لحملها فى مواعيد ثابتة وتعقد فى ذلك الوقت المزادات . وفى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ترددت شكوى التجار الأخاب من اجبار عمال الجمرى لهم على الرحيل قبل شراء كل ما يلزمهم وطالبوا بمد فترة المدة الموسمية ، وقد أجيروا إلى طلبهم ، ونص على ذلك فى كل المعاهدات من المصور الوسطى والمتأخرة (٣٩) .

(٣٧) المشاهرة والمجاعة لغربية لم تاجه وقتما تفرض وتبيع يترك المحتسب ورجاله الرقابة عن الأسواق فيرفع التاجر الأسعار لا يمكن التصديق على ما يخلعه . ولما أليت هذه الرقابة تالية ويبلغ ما جمع منها على عهد السلطان قايتباى حوال ١٠٠٠ دينار شهريا وعن عهد السلطان التولى حوال ٣٧٠٠ دينار شهريا .

أجر المحتسبين : يتألف الزمور ح ٢ من ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ .

عن المحتسب الظر - القرى : المخط ح ١ من ١٦٣ و ١٦٤ .

ابن خلدون : المقام ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

المبرى : الشريف بالمصطلح الشريف ص ١٢٢ - ١٢٥ .

سميد عاشور : العصر المالوكى ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣٨) وكما حدث للمحتسب دهر الدين مرمره الذى وقع عليه السلطان قايتباى العقاب لفصله فى نظام التسمية التى فرض على بخر السلع ولم يقبله الناس وارتفعت الأسعار .

ابن ايلس : يتألف الزمور ح ٢ من ٢٢٦ (بولاق) .

(٣٩) انظر منه من اجراءات الموالىة بشأن التجارة .

والنوع الثالث من نظام الأسواق هو الأسواق السنوية وقد كانت محلية وعالمية واشتهرت بها مدن وموانئ العصور الوسطى عامة في الشرق والغرب ، وتعقد في مناسبات معينة . ففي مكة وجدة كانت تعقد في مواسم الحج حيث يصلها أعداد كبيرة من تجار الشرق والغرب العربي . ووقت تجار أوروبا في البداية مواسم ورودهم لشرق البحر المتوسط بمواعيد هذه الأسواق في الأعياد الإسلامية ، ولكن لما زاد الطلب حددوا وقت ورودهم بنظام السنة ، لأن نظام الأسواق السنوية في الأعياد كان يختلف تبعاً لمدار السنين ، وهو ما لا يتفق مع مواعيد أوبتهم ورحيلهم ومواعيد أسواقهم في أوروبا عامة وإيطاليا خاصة . وقد تطورت هذه الأسواق لتصبح نصف سنوية وربع سنوية ، وتعقد في هذه الأسواق صفقات البيع والشراء والمبادلة بالنقد والمقايضة والحساب الجاري والبيع المؤجل الدفع ، وتخضع حركة التجارة وتفاذي ما قد ينجم من مشاكل من التعامل المالي ، وكذلك لا مكان حساب مطلوب الحكومة من الموائد وضرائب تجارة المرور (٢٠) .

== وبخصوص الأسواق الموسمية كانت تعقد بها مزادات محلية ، في العصر المملوكي كان ورود التوابل بكميات هائلة سبباً في اتساع نطاق البيع بالمراد المسمى وهو نوع من أنواع المبيعات التجارية . ومن أهم مراكز المزاد المسمى سوق خان الخليل ولقد ازدادته يوم الخميس واللاتين في كل أسبوع منذ الصباح الباكر وينتهي السوق بعد الظهر ويختم البيع اندلال ظهر صولة لحصيل من صاحب المزاد وهو مكلف بالإعلان في السلع وارتداد من يريد الفراء إلى مكان البيع .

— Horn, Op. Cit. p. 79.

— Clerget, Op. Cit. p. 39.

(٢٠) بخصوص البيع المؤجل الدفع ، انظر أبو الحسن حوادث العمود في مدى الأيام والشهور (مخطوطة) بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٦٧ تاريخ المجلد الأول الجزء الأول حيث يقول «امتد تجار مصر التعامل بالأجل مع تجار الشام وهم يصرون هذا النوع من التعامل التجاري باسم «الجديت» وقد فُرض على هؤلاء أسعار يرضى الاقضية كالقماش المملوكي والزموط . وهكذا يرضى المالك السلطانية من ذلك إلى السلطان فكلم هذا الشيخ على النجس والحسب وأغلظ عليه ما جعل الحسب يتفادى ، فقلعت التجار حوائثهم أياها وكتب =

وأسواق مدينة القسطنطينية في مصر العثمانية منذ عام ١٤٥٣ كانت على نسق أسواق مصر والشام في كثير من مميزاتهما ، وهي أسواق واسعة ورائجة منذ أن كانت للبيزنطيين ، ومن أشهرها سوق « البازستان » ، وهو مبنى بالحجارة وتفتح أبوابه في ساعات معينة من النهار وفيه أقدم تجار المسلمين وأغناهم ، وتباع به جميع البضائع الشرقية والغربية ، كما أن لكل سلعة وكنا خاصا . والسوق منظم ليسهل مراقبة حركة البيع والشراء فيه ، وقد وصل هذا النظام للعثمانيين من البيزنطيين وبقي كما كان عليه من الدقة والنظام بعد أن آلت المدينة للعثمانيين . وتزدحم السوق طول العام وإن كان يقل التعامل في فصل الشتاء بسبب سدد الجليل للطريق من تراقيا لأسيا الصغرى (١١) . وبقيت كذلك الأسواق في سالونيك عاصمة بعد الفتح العثماني لها حتى أن سوقها كان من أكثر أسواق شرق البحر المتوسط ازدهارا وحرارا طوال القرن الخامس عشر وفترة من القرن السادس عشر وأسواقها موسمية بالنسبة للتاجر الشرقية وسنوية للسلع الغربية والدائمة ويحضرها طوال العام التجار المسلمون لبيع الحرير الدمشقي والقطن المصري ، ويحضرها كذلك الإيطاليون للشراء (١٢).

واشتهر كذلك من بين الأسواق السنوية سوق مدينة ليون بفرنسا ، وكان لويس الثاني عشر قد أعلن في سوق المدينة في عيد الفصح من عام ١٥١١ عن وصول رسالة السلطان التوركي له بفتح أسواق بلاده في مصر والشام للتجار الفرنسيين ومنحهم تسهيلات

= عليهم المحاسب لسالم أنهم لا يسترون القبطكي من تجار الشام بالجديدة (يسرى بالأجل في الفصح) لذلك يسأل التجار لأجله وورقه رقم ٣٣٢

— Lionelle Clot, Hist. Economique, p. 202.
— Horn, Op. Cit. p. 20.

(١١) ساييلان خليل بن جاورجي النحلة العلية في تاريخ القسطنطينية ص ٤١ - ٤٢

— Poston; Op. Cit. 22. pp. 97-98.

(١٢)

واعفاءات جديدة وتسهيل وصول حجاجهم لبيت المقدس (١٢) .

ولا تقل أسواق الهند وقاليقوت خاصة ، وأسواق الصين ، وعلى الأخص خاتو عن هذه الأسواق ، وإن كانت تفوقها في بيع السلع الموسمية في نطاق واسع ونظام الأسواق هنا أدق وأحكم نظرا لضخامة ما كان يباع كل عام من التوابل وغيرها (١٣) .

ويؤدي مهمة الأسواق كذلك الوكالات والقيساريات والخانات والرماع التي فوقها ، ثم الفنادق والأحياء التي تحصل اسم المستعمرات . وترجع أهمية الوكالات في التنظيم التجاري الذي ساد المصور الوسطى بشرق البحر المتوسط إلى طبيعة عمل القاطنين فيها سواء في التجارة المحلية أو الدولية . ومعظم العاملين في هذه الوكالات من الشباب الذي هجر وطنه بحثا عن الثروة من التجارة واكتساب الخبرات (١٤) . ومعظم مؤرخي المصور الوسطى من العرب لم يفرقوا كثيرا بين الوكالة والخان والقيسارية والفندق ، إذ لم يجدوا بينها فروقا واضحة ، ولاحظوا أنها تشابه في وجود حوش في وسطها وخول الحوش ممر يصل إلى المخازن ، وقد تكون دورين ، كما أن بها دكاكين ومساكن لكل مفتاح خاص . وبمقتضى المقرري في هذا الموضوع وخرج بنتيجة أنه لا فرق يذكر بين الوكالات والخانات

(١٢) انظر الفصل الثاني وكذا .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 539-540.

(١٣) انظر الفصل الثالث من الطرق والمراكز التجارية .

(١٤) « كان البدو يملكون نظامهم بالتجارة الرجل إلى شرق البحر المتوسط لأنهم عادوا كانت الثروة والسمعة في دكاكينهم ولطول ترددهم على الأسواق والوكالات لم يمهدهم ذلك مرور للفترة بينهم وبين الوطنيين في مصر والإسكندرية . فهم يملكون بهم كثير يملكون لمساكنهم وصالح لهم بالفرد ونشاطات التوسيع » .

— Poston, Op. Cit. II. p. 308.

و كما أن تيار الكارمية كانوا يملكون أينما هم يملكونهم الخفلة والمستقرة . لاكتساب الخبرة حتى أصبحت تجاربهم تجربة أسرية » (انظر بحثه عن الكارمية) .

والمادق والقيساريات ، وأما جميعا : مساحات ومؤسسات تقوم بجانب مهمة البيع والشراء ، بمهمة النزول ومصل الإقامة والحازن للواردين من التجار وحفظ أموالهم ، كما أنها تؤدي مهمة البيع بالجملة بجانب البيع بالتجزئة ، فتوزع ما يرد إليها من الأسواق . وقد جرت العادة أن يبنى فوق هذه المؤسسات رباح تجر لطوائف معينة من التجار اقتصر على المسلمين فقط (١٦) . ومن الوكالات الوطنية وكالة قوصون حيث يخزن التجار المورعون الزيت والسمن والصايون واللوز والجوز والحلويات وكل أنواع السلع ، وبها محال تجارية وفوقها حبرات وهي التي جعلت المقرضى لا يفرق بينها وبين الخان والفندق لتشابه نظامها . ووكالات القرن الخامس عشر شملت قصور الممالك القديمة والمهجورة وبقي منها حتى أواخر القرن الخامس عشر وكالة بشتاك ووكالة قايتباي ووكالة الأمير ماماي والحبرات فوق الوكالات هي « الرباع » وبلغت حبرات وكالة قوصون حوالي ٣٥٠ حجرة (١٧) .

وقد تطورت الوكالات من مراكز للتخزين والبيع والشراء الى مجموعة أبنية تؤدي مسمى المي أو المستعمرة وخاصة بالنسبة للتجار الأجانب الغربيين ، وفي بداية ظهورها كان عدد القاطنين بها قليلين . ولما زاد عددهم وكثرت قطارهم ، وأقاموا في الفنادق وأصبح للجالية

(١٦) الفريزي : المخطوط ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها .

— *Claude Le Cat, p. 309.*

(١٧) يذكر الفريزي أن عدد سكان رباح وكالة قوصون كان حول ١٠٠٠ نفس فيه رجل وامرأة وصغير وكنية .

الفريزي . المصدر السابق ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها ويقول قد ساس في تملكه على رحلة الهندى بأنه يطلع وضع كلمة لوكاكة هنا اسم الربع ، كما يمكن أن نستبره قديما طروشا *Hotel Garul* ويستندوا ليقول لا انه ليس هناك أى مجال للمطابقة بين الفنادق المروضة الحالية ومثيلاتها في القصور الوسطى . وأن الربع يمثل المي الروماني القديم المعروف باسم

— *De Sacy, Silvestre, Relations De L'Egypte. pp. 309-402. 402.*

الواحدة حتى خاص بها وأشهر الجاليات التي كان لها هذا البنادقة ولهم حتى في الاسكندرية يصمم وكالتهم وفنادق وحماما ومضرا وكنيسة وهي في مجموعها تعرف باسم المستعمرة . ويحتفظ فيها التجار بسلامهم ويدفعون عنها رسوما للحكومة ويمارسون حياتهم فيها بحرية أوسع . والتشر هذا النظام في مصر والشام وأسبانيا الاسلامية وآسيا الصغرى وإيطاليا (١٨) .

والفندق كمشاة تجارية ومؤسسة لخدمة التجار هو قمة ما وصلت اليه طاقة المشروعات التجارية في مصر والشام في العصور الوسطى حتى نهايتها وفترة من العصر العثماني . كما أنه دروة ما وصل اليه اجتهد القوامين على التجارة حكومة وتجارا، وطنيين وأجانب (١٩) والقنادق في مصر المالية والشام هبة من الحكومة للتجار الأجانب، وينص على ذلك في المعاهدات ، وتستطيع الدولة أن تستردها وقتما

(١٨) يطلق على مجموع المباني اسم المستعمرة في على الاصغر والتصغير وليس بطورها الخارج الآن . وربما لأدى كذلك نفس ما يمنع الآن للمستطارات الأجنبية من وجهة النظر الدولية إلا تظهر هذه السفارات جزءا من دول السفارة يمارسون فيها حريتهم وكان للايطاليين هذه المستعمرات في الشام والاسكندرية وعلى البحر الامود . وكذلك في السلطانية حتى سقوطها واستمرت بعد ذلك تصل على نفس النظام ، ولكن تحت الرقابة وفي ظل قيود القولة العثمانية .

— Poston, Op. Cit. II. pp. 307.

(١٩) اسم الفندق مأخوذ من الكلمة اليونانية Pandolion وتنته إلى اللغة الإيطالية لتدل على المبنى الذي أسطه مخازن وأغلة خيرات نوم لسكنى الأجانب . — من المصنوع السابق ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

وفي آسيايا والبرتغال عرف باسم *Pedach or Alhondighe* ويطلق الآن على مخازن الدلال ولا تزال مستعملة حتى اليوم في ريف المغرب .
انظر : المجلة عدد يناير ١٩٦٦ ص ٩٠/٨٩ .
كما ذكر الاسم في مخطوطة سورية قديمة .

— Wiet, *Proche*, II. p. 274.

— صبيح ليبب - التجربة الكثرية وتجارة مصر في العصور الوسطى ص ١٢
المجلة التاريخية المصرية - مايو ١٩٥٢ - وتعرف في مصر باسم فندق وفي بعض الأحيان وكالا وفي سوريا باسم الفان وكذلك في تركيا .
— Theodor, *Voyage*, p. 28 L. I.

تشاء (٥١) . وتتبع هذه الفنادق ادارة الجمارك بالموانئ ، ويشرف على الفندق موظف يعرف باسم « الفندقى » وتقتصل الدولة مسئول عن الفندق وعن تسديد رسوم التجار للسلطان يرصد جزء منها للاصلاحات والصيانة للمبنى وفنص على ذلك أيضا في المعاهدات (٥٢) . وفي الاسكندرية كانت توزع الفنادق كالاتى : اثنان للبنادقة ، وواحد لكل من الجنوبيين والبيرويين ، وبما بعد سمح للملورنسيين بالحصول على فندق آخر ، وآخر لتجار انكوتا ولالرمو ونابلى بالاشتراك مع تجار جايتا .

أما الفرنسيون فكان لكل من مرسيليا وفاربون وراجورا ومعهم قطالويا فندق خاص بهم وفندق لتجار كريت رغم أنها كانت مستمرة للبنادقة . وقبل سقوط القسطنطينية كان لافريقيا فندق بالاسكندرية ، وآخر للقبارة ، وثالث للألمان سكان السواحل ، كما كان للأتراك فندق ، وكذلك للممارة ، ثم التار ، اد كانوا يتاجرون في العيد ويعقدون صفقات يمه في فندقهم (٥٣) . واتصفت فنادق الاسكندرية بمبانيها المربعة ، وبعضها أكثر من طابق ، كما أن لكل فندق حوشا داخليا سماويا ويفتح عليه الطابق الأرضى حيث توجد المخازن ، ويستخدم في حزم وتفريغ السلع . أما الدكاكين فهى مقبية وتستخدم كمخازن كذلك . وهى المحررات العليا حبرات متعددة لإقامة التجار ، ويحيط بالفندق حديقة يزرع بها التجار أشجارا من أوطانهم تعطى

(٥١) المجلة : مقال طاهر أحمد مكي من ٩٠/٨٩ عدد يناير ١٩٦٦ .

نص في كالة الممانعت بفتح الجاليات الاجبية لفندق واعطى لهم حق مبادعة «استمارها» ومن حق الحكومة استرداد الفندق في أى وقت كما حدث لفندق بيروا الذى فتح للأتراك ورفض قللى الاسكندرية منه للملورنسيين .

— Heyd, Op. Cit. II. p. 341. (٥١)

— Zieda, Op. Cit. p. 213. (٥٢)

— Heyd, Op. Cit. II. p. 433.

مسطرا فريدا الفوه في بلادهم ، لذا كان المبنى كله يعتبر قطعة من الوطن الأم يجدون فيه الحرية والأمن والحماية لهم ولأسلمهم . ويحرم عليهم شرب الخمر وجارا وإن سمح لهم بذلك في الفندق (٥٣) .

والفندق ملك للسلطات المحلية ولكن يسمح لبعض الفنادق أحيانا ببيع الألبان المارين بمصر أو الاسكندرية أو الشام أو الحجاج بيت المقدس وسيناء لبعض ليالى نظير أجر معلوم يدفعون جزءا منه للحكومة ويسرى على هؤلاء ما يسرى على القاطنين فيه (٥٤) . وعلى عهد سلاطين المماليك كان يحرم على الأجانب داخل الفندق مبارحته ليلا أو يوم الجمعة وقت الصلاة ، وإذا جرى الليل أغلق الفندق من الخارج ببوابات ضخمة فتقطع الصلة تماما بين سكانه وبين المدينة ، ويحذر الأجانب من التأخر أو الوصول بعد غلق البوابات . وتلقا السلطات الى هذا الاجراء حشية حدوث أى تصرف من الأجانب قد

— Parnaud, Les Villes Marchandes Ann XIVe — XVe (٥٣)
 Stocles, p. 46.

— Heyd, *Op. Cit.* II, pp. 433-434.

— Parnaud, *Op. Cit.* II, pp. 22 N. L.

كان يسمح لهم بفتح البور واستعمالها في فنادقهم فقط ، وإذا ضبط أحدهم خارج الفندق يحبس الحبس أصغر وأكبر ، ومن ذلك ما كان في شحات في عام ٨٢٢ هـ (١٤١٩م) اجتمع الغرام بالاسكندرية وحاجوا أماكن الفرج وكسروا لهم ٢٠٠ بنية حفر ثملها منهم ٤٠٠ دينار ، ثم أزالوا ما وجدوه من الخمر في أماكن الفرج الأخرى ، ابن حجر أنباء الحبس (مخطوطة) ورقة ٢٥٥ ج ٢ .

ولى عام ٨٢٠ هـ (١٤٢٦ م) صدر قرار منع الفرج من حمل البور من بلادهم ثم بعد مدة عادوا به الى البلاد النمامية والمصرية فصدر أمر السلطان بإزالة البور وحده في ذلك . وكتب به الى البلاد النمامية وغيرها . وكتب الى الاسكندرية بالرام الفرج بعادة ما يجلبه من الخمر الى بلادهم .

ابن حجر أنباء الحبس (مخطوطة) ج ٢ ورقة ٤٤٧ و ٤٥٣ .

(٥٤) كان خلق لا يربون لول من قسم حكمة ايوان الحجاج لبيت المقدس والتجار .

المايرين يصريح من السلطات المحلية نظير ومنه من .

— Harff, *The Pilgrimage Of ...* p. 93.

— Soria, *Op. Cit.* p. 99.

— Heyd, *Op. Cit.* II, pp. 431-433-434.

يتأق مع عادات وتقاليد الوطنين او يؤدى شعورهم وقت الصلاة
 مما قد يؤول فى غير صالح الأمن بالمدينة ، كما أن حجزهم داخل
 الفندق منذ العروب كان لامنهم من جانب ، وحوفا من تعذيب حدود
 المتاجرة من جانب آخر (٥٥) . وعندما ازداد نطاق التجاره بشرق
 البحر المتوسط أواخر العصور الوسطى ، واعتبر الفندق قطعة من
 الوطن الأصلى حيث يجتمع مواطنو كل بلد على حدة ، مارس التجار
 وسكان الفندق حياتهم بحرية ، وامتلا الفندق بالتاجر الغربية والشرقية
 ومنها أصواف وأجواخ الفلاندرز وإيطاليا والحرير من شامبين بفرنساء
 والفراء من أقصى شمال أوربا والبلطيق والقرم والبحر الأسود ،
 والعنبر من شواطئ روسيا (٥٦) . أما السلع الشرقية المشتراة من
 أسواق الاسكندرية والقاهرة فيسير حزمها فى أفنية الفندق ثم تنقل
 الى الميناء لتقدير رسوم الجمارك وتنشحن بعدها الى السفن استعدادا
 للرحيل (٥٧) وبالفندق قاعة عامة تستخدم كديوان لعقد الاتفاقيات
 الخاصة بالتجارة مع الوطنين والأحباب كذلك ، والصفقات التى تعقد
 بهذه القاعة تتخذ الصفة الرسمية اذا ما أبرمت داخل القاعة باعتبار أن
 الفندق قطعة من الوطن الأم للأجبنى المتفاوض مع الوطنى أو الأجنبى
 مثله . ولذا كان الفندق يعتبر بمثابة بورصة تجارية فى مواسم
 التجار (٥٨) . وتذكر وثائق العصور الوسطى وخاصة الغربية منها أن
 سلاطين الممالك سمحوا باقامة يوم فى الفنادق للصلاة رعاية من
 السلطان للشئون الدينية والروحية للتجار ، وإن لم يمنع هذا وعود

— Fernand, Op. Cit. p. 47.

(٥٥)

— Poyton, Op. Cit. II. p. 307.

— Fernand, Op. Cit. pp. 48-49.

(٥٦)

— Soale, Op. Cit. p. 99.

(٥٧)

Barfi, Arnold von, The Pilgrimage Of ... Syria,

(٥٨)

Egypt... 1495-1499 p. 98.

— Fernand, Op. Cit. p. 47.

كنائس في الشام مثل كنيسة القديس نيقولا للبريين وكنيسة القديسة ماريا للجوريين وكنيسة القديس ميشيل للبنادقة ، ويعين البابا كاهنين يرافقان القنصل الداهب الى الشرق وينص على ذلك في المصادقات ، كما كان للبنادقة كذلك كنيسة بالاسكندرية وحجاة لدفن موتاهم وسمح لهم بالدفن في جبالات البحاقبة الوطنيين (٥٩) .

ولم يكن للأجانب فنادق بالقاهرة ، والحالة الوحيدة التي سمح فيها بإقامة فندق كان لتجار بيزا عام ١١٥٤ ، كما كان للسباح والحجاج المسيحيين المارين بالقاهرة وكذلك التجار خان حاص لميتهم ، وليس فندقا بالمعنى المعروف بالاسكندرية ، وبه مكان لأمتعتهم وسلعهم وقلة هذه الأبنية للأجانب بالقاهرة ترجع الى أن السلاطين كانوا يحرمون عليهم شراء التوابل والسلع الشرقية من أسواق القاهرة ، لذا لم يكن هناك داع لوجودهم فترة طويلة بالقاهرة ، وإن كان مبعوثوهم السياسيون يمشون فترات متفاوتة طولا وقصرا حسب مدة البعثة . وميتهم في الخان المذكور أو فندق بيزا (٦٠) . أما الأجانب من العرب والشرقيين فكانت لهم فنادق في القاهرة ، وهي أجزاء من وكالات أو خانات ، وأهلبها : فندق الملك السعيد بدار الرمان وتعلوه

(٥٩) يذكر معاينة أن القنصل كان يقوم أحيانا بمراسيم الصلاة ولكن هذا أمر مشكوك فيه لأن صلاة القديس مقصورة على الكاهن فقط .

«Le Consul pourra faire officier à l'église ou dans sa maison»

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 462-463.

كان الكاهن أن وجد يلزم بصفة دائمة في الفندق ويذكر «برايدنياح» أن لما من رهبان برشيم «L'Ordre des Freres Prachi» أقيم قسيسا بفندق البنادقة في ٢٥ من أكتوبر ١١٨٣ م أثناء وجوده بالاسكندرية .

— Heydenbach, Les Saintes Peregrinations De... pp. 67-69 & pp. 73-75. & N. 1.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 340-341-344

— Depping, Op. Cit. II. pp. 47-49.

— Zinde, Op. Cit. pp. 212-213. 215. II. 1. p. 214.

— Heyd, Op. Cit. II. p. 435.

(٦٠)

رباع واسعة ، وفندق عمارة حيث ينزل تجار الشام ، وفندق دار التماح لتجارة التجارة في ملح الفاكة الواردة من الشام والتي تصله من وكالة قوصون . وحوايت الفنادق مسقوفة (١١) . وكذلك فندق سرور وظل باقيا حتى أواخر العصور الوسطى (١٢) . وللتجار الكارمية فندق بالقاهرة على شاطئ النيل تجاه القسطنطينية حيث ترسو مراكبهم المحملة بسلع الشرق ، وقد أوقف الفندق لسكنائهم ، وكان عاملا من عوامل انتظام نشاطهم التجاري بمصر (١٣) .

ومن المنشآت أيضا « الحان » وهو مبنى ضخم يحتوي على مجموعة من الحوايت الكبيرة والصغيرة ومستودعات للبضائع ، ويتوسط الخزان فناء ضخم في هيئة رواق مفتوح حيث يحفظ التجار بضائعهم ، ويجدون في الحان المأوى لهم ولدوابهم خلال رحلاتهم . وحتى القرن الخامس عشر تمددت هذه الخانات وكثرت وأصبحت من أهم مؤسسات التجارة الداخلية والخارجية . وكان كبار رجال الأعمال والتجار وأمرأه المالك يتبارون في بناء المنازل والقصور الفخمة الضخمة يحولونها الى خانات ووكلات وقياسر ويؤجرونها للهيئات أو للتجار بالحجرة بأسعار خيالية وبداخل الخانات مساحد صغيرة ، وخزينة عامة . ويؤدي الخان وظيفة حي قائم بذاته وتزودهم طرقاته وحاراته الضيقة بالأسلحة خلال مزادات التجارة ، ويتكون الخان

(١١) التقرير : المجلد ٢ ص ١٠٢ .

ابن دقنق : الانتصار بواسطة ملك الأمصار ج ٤ ص ٢٠ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بني تارون ص ٢٢٦ .

(١٢) أبو الحسن : التيجان الزاهرة ج ٤ ص ١٢ (طبعة القاهرة) .

(١٣) يرجع أصل فندق الكارمية هنا الى عهد علي الدين صر بن اخ صلاح الدين الأيوبي الذي نزل حكم مصر بالنيابة عن أخيه ١١٧٩/١١٨٢م وهو الذي بنى للكارمية - أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٠٩ .

ابن دقنق : الانتصار بواسطة ملك الأمصار . المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥ - ٤

أحيانا من ثلاث طباق (١٤) . أما « التجار الصابرون » ، فقد كانت لهم منشاتهم من فنادق وحانات خارج المدن على الطرق التجارية ، وهي الحانات الأصلية التي أخذت عنها الحانات الداخلية وانتشرت بكثرة في القرن الخامس عشر وازدهرت في القرن السادس عشر في العصر التركي العثماني . وهي في مظهرها ليست أكثر من خان وفندق مما ، والفرق الوحيد أنها خارج المدن لكي تلائم العرض من بنائها وهو إيواء التجار بسلمهم ودوابهم وعرفت في العصور الوسطى في الشرق باسم « فنادق مييت القوافل Caravanserai » حيث يستريح التجار ودوابهم . ومن هذا النوع خان يلاصق جامع برفوق وآخر عند بركة الحاج على طريق السويس القاهرة ، وكذلك خان البريد وبه مسجد صغير وبوسطه نافورة وأحواض للمياه وسوق صغيرة يوجد فيها المسافر ما يحتاج إليه ، فضلا عما يلزم عماله من غذاء (١٥) .

وإذا كانت فنادق الاسكندرية قد شملت قاعات واسعة لعند الصعقات التجارية والمعاهدات والاتفاقيات فإنه في القاهرة كانت الحانات تؤدي هذا العمل . وأصبح الخان في القرن الخامس عشر محط رجال الأعمال الوطنيين والأجانب الشرقيين الوافدين في تجارات

(١٤) الخان كلمة في الأصل فارسية استعملت بكثرة في عصر الشام وذكرها المؤرخون العرب في عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك . وكان السلاطة أسبق إلى بناء نوع من المباني على جانبي الطرق في آسيا الصغرى نوع يسمى الرياط وهو فندق المسافرين . والثاني يسمى الخان وبني على أطراف المدن وعلى الطرق الرئيسية للبريد أو لاستراحة التجار ثم استعملت لغرض ما تؤديه الفنادق في الخوانم بالنسبة للأجانب الغربيين .

١- تاريخي : المخطوط ج ٢ ص ١١٩ - ١٥٢ .

٢- تاريخ : عصر الإسلام ص ٤٤ وما بعدها .

— Wiet, Precis, 11. p. 273.

(١٥) ابن دقاق : المعجم السابق ج ١ ص ٤٠ .

— Clerget, Op. Cit. pp. 315-316.

— Wiet, Precis, 11. pp. 270-271.

— Wiet, Ibid, 11. pp. 273.

العيور والاستيراد كما أن الطائفة أدت أعمال المصارف في القاهرة فأودع التجار ما يملكونه من ذهب وفضة لدى أمين الخان ومن أشهر الخانات التي قامت بهذه العمليات التجارية والمصرفية « خان بلال و خان سرور و خان الخليلى » (١٦) .

ومى الشام ، و جنف خانات فى معظم مدنه وموابه ، وأشهرها خان البطقية بدمشق ، وهو - علاوة على استقباله التجار بسلهم - كان يستقبل الحجاج ، وهو مثل فنادق الإسكندرية ، وله مفتاح وباب يفتح على مكانه ليلا وأوقات الصلاة يوم الجمعة (١٧) .

ومى القسطنطينية كانت خانات التجار الواعدين والدارين مجابية، وشجعت الحكومة وصول التجار لتنشيط التجارة ، وهى مبنية من الصخرة ، ولها أبواب حديدية (١٨) .

ومن الأبنية التى شاع استعمالها فى مصر للأغراض التجارية كذلك القيساريات ، وهى فى العصر المالىكى من المنشآت التى يسها الأمراء الممالك وقياسر التجار للكسب واستثمار الأموال ، وتعلوها الرباع للتجار والصاع ، كما أنها مقوفة ، وهى غير السوق الذى.

(١٦) فريب : مصر الإسلامية ص ٤٦ .

فى خان سرور الصغير كانت تقام مزادات لبيع المبيد .

— Matrice, Op. Cit. pp. 187-188.

وفى خان الخليلى وجدت مكاتب لوكالات التجار الأجانب ووجودهم كان مؤثرا ويتركزون وكلاء منهم من الوطنيين - ويؤلف الخان مكان خاص للتجار المسيحيين والوالدين . ومكاتب لوكالاتهم الدائمى بالقاهرة والوكلاء من الوطنيين لفئة الصياريج للأجانب بالوصول للقاهرة ، لما كان خان الخليلى بمثابة بورصة الصور الوسطى القبرى الخط . ص ٣

ص ١٥ وما بعدها

— Dopp, P.H., L'Egypte Au Commencement Du XVIe Siècle p. 98.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 465.

(١٧)

— De Sacy, Op. Cit. p. 303.

(١٨) صليمان خليل بن جاورى : المصدر السابق ص ٤١ .

لا يشترط فيه أن يكون مسقوفا (٧٩) . وفي القياس تنتشر المصانع الصغيرة ، وإن كانت كذلك تعرض السلع للبيع بالجملة ، ولكل فئة من التجار أو الصناع مكان معين وقد ظهرت في الشام قبل مصر . ولعلها مأخوذة من كلمة فيصرية Cesarie (٨٠) ومن أشهر القياسات حتى ذلك الوقت المتأخر من المصور الوسطى . قياسارية الشرب ، وقياسارية الفاضل ، وقياسارية بيرس ، وقياسارية بكتمر (٨١) .

حوائف التجار :

وفي القرن الخامس عشر تطورت النظم التجارية تطورا كبيرا في مختلف مروع التجارة ، وكانت هذه التطورات قد بدأت منذ الثورة التجارية الكبرى في القرن الثاني عشر . ومن بين من تناولهم التطور ، حوائف التجار . وهي مصر كانوا يؤلفون طبقة مقربة إلى سلاطين الممالك الذين أحسوا بأن التجارة أصبحت المصدر الأساسي الذي يمدهم بالأموال وتدل جميع الشواهد على أن التجار تمتعوا في عصر الممالك بثروات ضخمة ، وهذا أمر طبيعي في عصر كانت مصر فيه حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، ومركزا للنشاط التجاري ، وإن كان الثراء قد جعلهم دائما مطمح سلاطين الممالك الذين طالما صادروا ثرواتهم فصلا عن انغالهم بالرسوم والضرائب منذ أواخر القرن الخامس عشر ، لذلك لم يطمس التجار في عصر الممالك أحيانا على أموالهم

(٧٩) القريري : المخط ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ .

(٨٠) De Sacy, Ibid, pp. 303-304. (٧٠)

— Wies, Precie, II. p. 274 & pp. 269-270.

يذكر فييت أن سوق القيسارية سبأى لم يخطى يسكن السوق الذي يشترط أن يكون مغطى . وقد سأل يذكر تالا عن البغدادي أن القيساريات لابد أن تكون مسقوفة أما التي لا يبنى فوقها مساكن فتكون مكشوفة ورأى البغدادي لسوب ويؤيد ذلك القريري في المخط ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ ويؤكد أنها مسقوفة .

(٧١) القريري : المخط ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ .

وتجارتهم وكثيرا ما كانوا يطلبون « أن يعرفهم الله حتى يستريحوا »^(٣٣) .
مما هم فيه من الغرامات والخسارات .

وبالرغم من وجود طوائف عديدة من التجار إلا أن الساحر
المتجول كان عماد التجارة . وظل كما كان يمارس عمله متجولا في
الأرض أو في البحر في رحلات طويلة أو قصيرة قد تستغرق أحيانا
سنوات عديدة . ثم ما لبث هذا النوع من التجار أن اقتصر عمله على
ورود أسواق شرق البحر المتوسط لجلب السلع الواردة من الشرق
الأقصى ونقلها إلى الغرب الأوربي ، بمعنى أن حياته أصبحت أكثر
استقرارا عن ذي قبل بعد أن كان يصل بنفسه إلى وسط آسيا عن
طريق آسيا الصغرى ، وقد أثرى من ذلك ثراء عظيما^(٣٤) . ثم
ما لبث هذا النوع من التجار أن استقر بوطنه ليقوم غيره بعمله
السابق . وباستقراره ظهرت طبقة جديدة من التجارة هي طبقة
البرجوازيين وهذه الطائفة من التجار هي عماد عصر النهضة الأوربية
التي ازدهرت بصورة واضحة في القرن الخامس عشر وخاصة في
نصفه الثاني ، والتي أسهمت بنصيب وافر في نقل العالم من العصور
الوسطى إلى العصور الحديثة^(٣٥) .

(٣٢) ابن خلدون : القسمة ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ .

القريني : السلوك ج ٤ ص ١٤٤ .

سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٣٦ .

سعيد عاشور : العصر المملوكي في مصر والبلاد ص ٣٦٢ .

(٣٣) ابن خلدون : القسمة ج ١ ص ٣٦٦ .

— Clive, Op. Cit. pp. 113-114.

(٣٤) تخصص هؤلاء التجار في أنواع معينة من السلع كنسج تجار البهار ، وتجار

الزرا ، وتجار الفلسف ، وتجار الصوف ، وتجار الألبان الكريمة .

ابن خلدون : المصدر السابق ص ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ .

— Clive, Op. Cit. pp. 114-115.

— Maillat, Op. Cit. p. 153.

والواقع أن فرص الكسب والربح إنما تكون في صف التاجر المتقل ، لأن كل جهده له أكثر من التاجر المستقر الذي قد ينقص ربحه بقدر راحته . والتاجر المتقل يدير بنفسه مشروع تجارته وكل من يكل له ببعض ماله لتشغيله أن يوافق على قراراته دون مناقشة وهو يتمتع بمفرده بمكاسب أمواله التي لا تقل عن ٢٥٪ ، وكذلك أرباح المشاركة في المشروعات الأخرى (٣٥) . أما التاجر المستقر في ظلّه فيدير تجارة خارجية واسعة عن طريق فروع شركته ووكلائه ويستعمل العقود والتسهيلات المصرفية ويوفر على نفسه المال الذي يتقاضاه التاجر المتقل من ربح وعمولة ومن هؤلاء التجار التاجر الفرنسي « جاك كير » الذي كان لشركته فروع في كافة موانئ ومدن شرق البحر المتوسط وغربه (٣٦) .

على أن ظهور طبقة البرحوارين من التجار المستقرين المتخصصين أتت معه بفئة جديدة من التجار الذين عرفوا بالتجار الدوليين والذين تاجروا برءوس أموال غيرهم ورءوس أموالهم ورءوس أموال الشركات ، ونقلوا مختلف السلع بين الشرق والغرب وأدى ذلك إلى ظهور أنواع جديدة من النظم التجارية والمعاملات المالية لتسهيل التجارة ونقل الأموال وتحويلها . ولما ازداد نفوذ التجار الدوليين وسيطروا على تجارة الشرق والغرب انتهت الحكومات المحلية إلى خضوعهم على التجار المحليين ، وصار من واجب الحكومات حماية التجار الوطنيين ،

(٣٥) يقول إيرن غيلسون في المقدمة بد ١ ص ٣٩٦ وما بعدها وكذلك فإن لكل السلع من البلد البعيد المسافة أو في حصة الخطر في الطريق . . . يكون أكثر فائدة للتجار وأهم رهبا . . . لأن المسافة المنقولة تكون قليلة مسوعة ليمد مكانها لذا نجد المسافرين من بلادنا إلى الشرق ليمد المسافة أيضا يملكون بسرعة . . . نلاحظ أن تاجر الكارمية كان في بداية عمله تاجرا متقللا بين مصر واليمن والهند انظر بسم من التجار الكارمية .

— Peronod, Les Villes, p. 27.

— Poston, Op. Cit. pp. 335.

(٣٦) انظر ما كتب من التاجر « جاك كير » في الفصل الثاني وكذلك

— Poston, Ibid, 12. p. 335.

وخاصة من لا رأس مال له ، وصدرت التواصيات التي تمنع التجار الدوليين من المتاجرة في القطايع وترك ذلك للوطنيين (٣٧) . وهي مصر تنبذت حكومة سلاطين المماليك لهذا الخطر ، فقضت ورود التجار الأجانب من هذه الفئة على الموانئ والمدن الساحلية الشمالية دون دخولهم القاهرة وغيرها من المدن الداخلية ، وكذلك مدن وموانئ البحر الأحمر لهذا السبب ولأسباب أخرى تتعلق بالأمن وبالنواحي الدينية وخاصة منذ الحروب الصليبية ، وذلك حماية للتجارة ولتجار الوطنيين ، وإن كان يسمح للقلة منهم بدخول القاهرة بتصاريح مؤقتة لمدة ساعات أو أيام قليلة وتمت المراقبة (٣٨) . وكان على التاجر أن يعمل تجارته لمواطنيه ولا يبيعها في الطريق وإن أباحت الدولة أحيانا بيع الجملة لبعض السلع والتاجر الدولي كالتاجر المتنقل كان يستطيع أحيانا الاستقرار في الإسكندرية أو موانئ الشام مدة قصيرة قد تصل لثلاثة شهور لتصرف ما معه من سلع أو تسويق ما يريده من سلع الشرق وفي البداية لم يكن بإمكان التاجر الأوروبي التعامل مع المصري إلا إذا كان له رصيد من المال في مصر وخاصة في حالة شراء « التوابل الشريفة » ولكن بتوالي السنين ومن كثرة تردد التجار الأجانب على مصر أصبحوا معروفين للمصريين ، حتى أن التاجر المصري كان يقبل أي ضمانات تضمن له أمواله عن سلمه المباحة وزادت الثقة بينهما لطول التعامل (٣٩) .

(٣٧) انظر كذلك الملحق برقم (١١ - جزء ١٠) من ترك بيع القطايع لمواطنيين.

درن كبار التجار والأجانب .

— Maillet, Op. Cit. pp. 129-135-136.

— Harff, Op. Cit. pp. 102-103.

(٣٨)

(٣٩) من مظاهر هذه الثقة قيام شركة مقايضة بين التاجر الكرمني والتاجر العربي.

في حدود ٢٠ ألف دينار . انظر - القرينزي : السلوك ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

أي حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠٢ .

بخصوص المعاملات المالية للتجار الأجانب في مصر . أنه أواخر القرن الخامس عشر لم يكن

وفي بعض دول أوروبا ومذها التجارة لم يكن يسمح لبعض طوائف التجار بممارسة العمليات التجارية المختلفة إلا بعد دراسة وموافقة كافيه ، بل ان أهالي جوه والبندقية كانوا يرسلون أبناءهم في صحبة التجار المتقنين ليتعلموا منهم أصول الحرفة وأسرارها حتى اذا ما شبوا كانوا في عداد التجار اليارعين . وتطلبت العمليات التجارية التي مارسوها أنواعا من المكاتبات والمراسلات فكان التاجر في القرن الخامس عشر يرسل تعليماته الى وكلائه في الخارج كتابة ويمسك عليهم سجلا ، وفي امكانه كذلك أن يستخدم خطابات تحويل مالية قابلة للصرف من أوروبا الى موانئ ومدن البحر الأسود وآسيا الصغرى وشرق البحر المتوسط وقبرس ، ولتجارته علامات مميزة ، كما اتسع نطاق التعامل في البنوك والبيوتات المالية (٨٠)

وفي القسطنطينية اختلف نظام فئات التجار بها عنه في شرق البحر المتوسط ففي القسطنطينية كانت المتاجر تصل برا بطريق البر يجرسها تجار من مواطني الدولة صاحبة المتاجر ، وهناك فئة أخرى تذهب بنفسها لشراء وتقل هذه المتاجر ومنهم تجار الشام وطائفة من البلقان وحده تجارها - في مدينة سالونيك وفي القسطنطينية كذلك - مجالا طيبا لبيع سلهم ومنتجات بلادهم ، وخاصة «المنظفات النقاية» The Guild Organization «الموحدة هناك» ويدفع للتجار الأجانب

== السلاطون على تجار البندقية شراء لدر معين من ثوابل النسيجة المخرقة بنسبة معينة الى السلع الأخرى (حمل من الثوابل في كل ألف دوكة من السلع الأخرى) وقد أدى هذا الاجراء الى قيام نوع من المصنوب المسمى بين الخزينة السلطانية وهيئة التجار البنادقة التي كانت مدينة باستمرار عن عدة سنوات خلت وظلت على هذه الحال حتى عام ١٥٠٦ م

انظر توفيق اسكندر نظام المكافحة - المجلة التشريعية مجلد ١٩٥٧/٦ م ص ٤٤ م ٦٠

(٨٠) انظر قبلة ملاحظة ٤٥ في هذا الفصل بخصوص تمرير التجار لابلهم على التجارة .

- Fernand, Op. Cit. pp. 27-28.
- Poston, Op. Cit. p. 308.

الرسوم الجمركية ، ويعمى منها التجار المحيطون الواقدون للجمارك
للشراء أو البيع . واستمر هذا النظام معمولاً به في العصر العثماني
حتى عام ١٤٥٣ م ، ولقى طائفة التجار الروس معاملة خاصة لأهمية
مجاتهم وتمنوا بالسكن والمأوى المجاني والحمام - وإن كان سكنهم
في حي خاص بالمدين - ونفوا كثيرهم من التجار الأجانب تحت رقابة
الدولة (٨١) .

أما عنات التحار الشرقي فيرى المؤرخون أن انتشار الإسلام من
شرق البحر المتوسط الى الشرق الأقصى ثم الى جنوب وجنوب غرب
أوربا ، كان عاملاً من عوامل زيادة التجارة ، فقد عمل الفرس والعرب
وسطاء تجاريين بين أوربا واهريقية وآسيا ، قبل الإسلام وبعده ، وهذه
الصلة بين الشرق والعرب التي قامت على اكتاف المسلمين أوجدت
نوعاً من الوحدة أنقذت التجارة العالمية من الانهيار فكان بإمكان
التجار المسلمين السفر من الأندلس الى الهند دون أن يشعروا بأنهم
يخترقون بلاداً غريبة عنهم ، كما أن الحاجة الملحة للتوابل والطور
والهار كانت مدعاة لسمو التجارة حتى أواخر العصور الوسطى على
بد هؤلاء الوسطاء غير مباينين بالمخاطر والصعوبات التي قد يتعرضون
لها في الطرق الخارجية أو في البحار ، وهذه الصعوبات في نظر بعض
المؤرخين المحدثين كانت جديرة بأن تدمر التجارة في أوربا الكاثوليكية
ولكن كانت تزيد من تصميم العربي في محاطرة التجارة (٨٢) .
ومن بين الطوائف الشرقية المذكورة :

١ - فئة التجار المصريين ومنهم تجار الكارمية الذين اعتبروا من

— Poston, Op. Cit. II. p. 96.

(٨١)

(٨٢) يبدو أن كلمة Risk المتخذة في اللغة الإنجليزية مشتقة من الكلمة العربية
Risk والتي تدل على المسمى في طلب العيش والرزق بالإضافة الى ما كان يفتنه
من الخطر في البحر أو لطاع الطرق أو عند بعض الحكومات . انظر

— Georges, Op. Cit. p. 320.

— Poston, Op. Cit. II. pp. 284-285.

أمهر وأكثر التجار دراية بعملهم ، ويسافرون للشرق الأقصى والهند ، ولهم وكلاء في اليمن وموانئ الهند ، أما التجار المصليون فلا يسافرون بل يتاجرون في السلع الاستهلاكية محليا ، وإن كان لهم عملاء في الخارج ويبيعون الجملة والتجزئة (٨٢) . وقد أتى مصر بوساطة التجار الكارمية أن تحتل مركز الزعامة والصدارة في العالم الإسلامي في العصرين الأيوبي والمماليكي ، فقد كانت طائفتهم التي أطلق عليها المؤرخون اسم المصريين هم دعامة البناء الاقتصادي في مصر في العصور الوسطى ، كما لا يمكن اغفال دورهم الدولي القيادي في التجارة بين الشرق والغرب وخاصة في جلب المتاجر الشرقية من الهند والصين إلى اليمن ومصر وأوروبا . وكان مجال اتصالهم في البداية من قوس القاهرة عن طريق ميناء عيذاب والقصير على البحر الأحمر ، ولهم مستودعات ضخمة وفنادق وخانات في موانئ البحر الأحمر وعدن والهند ، ولم يثبت وجود صلة مباشرة لهم بالهند الصينية إلا عن طريق الوكلاء ، وحط ملاحتهم الرئيسي من ساحل الملايار وكروماندل إلى الخليج العربي والبحر الأحمر ، وهم الذين جلبوا إليها البهار والعبر والبحور والتوابل والعقاقير والأصباغ والجواهر وجوز الهند وخلافه . من الشرقيين الأدنى والأقصى ، حتى إن كلمة تجار التفلل وأسفار والتوابل كانت لا تطلق إلا عليهم ويبدو أنهم في القرن الخامس عشر لم يمدوا يدهم إلى الهند ، إنما كانت تصلهم المتاجر على سفن الهنود والصينيين عن طريق وكلائهم (٨٣) .

— Mopp, Op. Cit. p. 98.

(٨٢)

(٨٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٢١ و ٢٢٢ و ج ٢ ص ٢٢ - ١٨٧

القريري : المسوق ج ١ ص ١٢٢ و ١٢٣ .

ابو المطبق : التيجان الزاهرة ج ٥ ص ١١٧ - ١٢١ و ٥٧١ (كاليفورنيا)

— Walter, Journal Of Economic and Social History of the Orient, Vol. 11. p. 161-162.

ووصلت رحلاتهم التجارية كذلك الى شاطئ ارفية الشرقى حتى
 مورمبيق ، ولهم بموانيه وكلاء ومنطوبون محليون ، وليس هناك
 دليل على أن هؤلاء التجار الكارمية كانوا يناقشون بعضهم بعضا بل
 الواضح أنهم كانوا يكونون رابطة وطلاقة تحتكر التجارة الشرقية
 المعجزية لتوربدها عبر بلاد شرق البحر المتوسط الى غرب أوروبا (٨٥).
 وحتى القرن الخامس عشر كانت التجارة الشرقية احتكارا لهم ، حتى
 ان البحر الأحمر كان يعتبر بالسبة لهم بحيرة اسلامية بعد أن مع
 التجار الأحاب عن الوصول اليه . وكان هذا من عوامل نمو واتساع
 تجارتهم ، وكان كذلك بإمكانهم ممارسة التجارة تحت حماية الممالك
 أنفسهم مع اليمن ودمشق مما جعلهم ينفون القصة حتى الربع الأول
 من القرن الخامس عشر مما أتاح لهم فرصة التدخل في الشؤون
 السياسية والمالية لدولة سلاطين الممالك (٨٦) . ومن مراكزهم في
 اليمن كانوا يطلقون بالسلع الواردة من الهند الى البحر الأحمر ،
 ولهم مواعيد منتظمة معينة تتفق مع مواعيد الرياح وكذلك مواعيد

— Götze, S. D., New Light On The Begining of The Karim (٨٥)
 Merchants, Journal of the Economic. .. Vol. I. p. 179. B. 4.

سم تكن هيئة تجار الكارمية في البداية شركة تقوم بسفيرة مبادلة البضاعة ولكنها نوع
 من الهيئات البحرية أو البضاعة التي تتولى نقل سلع خاصة بالتجارة تحت رعاية من اصحاب
 الماسر أو وكلائهم كما كان يحدث تماما في سفن الناجاه التي لا يمتلكها الكارم ثم مارسوا
 العمل التجاري بأنفسهم .

— Moreland, M. Indian Shipping, p. 74.

يذكرهم مورلند بالقرن مرة والمصريين مرة أخرى وهو يقصد الكارمية ، ويقول ان
 لهم وكلاء في الهند على ساحل المرفئية الشرقية ويكونون وحدة في شركة بالصفة متساوية
 وهو نوع من الشركات المساهمة في التصود الوسطى .

(٨٦) عينت حكومة سلاطين الممالك عمادة خاصة بجوار الكارمية لكثرة مصالحهم معهم
 وإنشأت في اجلهم وظيفة « نظر البحر الكارمي » انظر بدء في هذا الفصل من الهيئات
 التي اشرفت على التجارة في التصود الوسطى وكذلك .

المستشرق : صبح الأمتى ج ١ ص ٢٢ - ٦٢ وماجما .

الفريرى : السلوك ج ١ ص ٢٣٦ خلاصة (٩) نظر ريادة .

— Fischer, Walter, Journal, Op. Cit. T. II. pp. 160, 161.

وصول السفن الأوربية للاسكندرية ، إلا أنه مد الربع الثاني من القرن الخامس عشر انتقلت أهمية ميناء عدن الى جدة ، وكان هذا مقدمة لنقل احتكار التجارة من الكارمية الى سلاطين المماليك (٨٧).

وكان للكارمية أسطول بحري وهوى خاص بهم ، وذكر في مؤلفات العصور الوسطى عبارة « مراكب الكارمية » وذكر كذلك قيام السلطات المحلية في مصر بحماية سفنهم وتجارتهم من القراصنة (٨٨) . وهذه الحماية كانت لقاء رسوم يدفعها الكارمية للحكومة عن طيب خاطر ، وهذا يفسر لنا نمو تجارتهم في البحر الأحمر (٨٩) . وكانوا يدفعون الركاة وكل ما يطلب منهم عن طيب خاطر مما يدل على عظم ثرائهم وتقديرهم لرعاية السلطان لهم ولمصالحهم التجارية ، بل انهم كانوا يقرضون الملوك والسلاطين في اليمن ومصر كلما طلبوا منهم ذلك (٩٠) .

وقد حرص الكارمية كطائفة تجارية ترتبط مصالحها ارتباطا تاما بمراكزها في الهند واليمن ومصر على أن يكونوا على علاقة طيبة مع حكام هذه المناطق ، وكانوا يتعاشون الدخول بالتأييد لأي الطرفين في النزاع الذي طالما نشب بين أمراء اليمن وسلاطين المماليك بل على العكس شاركوا في حل الأزمات السياسية والاقتصادية ، وكان سلاطين مصر يختارون سفراءهم لليمن من بين كبار تجار الكارمية الذين رحبوا

(٨٧) الكنتاندي : صبح الأمل ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٧٠

— Heyd. Op. Cit. I. P. pp. 67-68.

(٨٨) الكنتاندي : صبح الأمل ج ٢ ص ٢٦٤ و ج ٤ ص ٢٢١

— Fischel, W., Op. Cit. II. pp. 162-163. Vol. 1.

(٨٩) ابن خلدون : المعبر وديوان البحار ج ٧ ص ٤٠٦ .

— Göken, (Journal) Op. Cit. II. p. 102. (Vol. 1.)

(٩٠) القريري : السلوك ج ١ ص ٧٢ و ٧١ و ج ٢ ص ١٠٢ .

ليت : مصر الإسلامية ص ٦٦ .

بهذا التكاليف حماية لتجارتهم (٩١) . وأكثر الكارمية عنى ومقاما كان يتولى رئاسة طائفتهم ويخضع له كل تجار الكارمية حتى أكابرهم وكان « في بلاط الملوك والسلاطين مركز مرموق ويلى رئيس الكارمية وظيفته على قدر ما يقدمه من خدمات للسلطان والدولة (٩٢) .

أما التجار المحيطيون المصريون فهم عدة فئات ، وكل فئة تتاجر في سلعة معينة ، ومن بينهم فئة بائعي البخور والعطور وفئة تجار الشمع واصباون ، ولكل منهم سوق معينة . وتراقب الحكومة أسواقهم وموارثهم ومكائيلهم بوساطة المحتسب وأعواله ، ثم تجار خيوط العزل والتوابل وكل أنواع السلع الشرقية والعربية . وفي عصر المماليك كان تجار التوابل والنسيج من الطبقات الثرية التي تماثل الطبقات الراحوازية المستقرة في أوروبا وإن كانوا قبل تجارا متنقلين (٩٣)

٢ - والعنة الثانية هي فئة التجار المارية من سكان شمال افريقية ومسلمي الأندلس حتى عام ١٤٩٢ م ، وكانوا من أكثر الفئات اتصالا بمصر ، وموتوا أسواقها بسلع شمال وغرب ووسط افريقية ، وأحيانا من أوروبا ويطلبون كذلك الذهب وبه يدفعون أثمناء مسلمهم (٩٤) .

(٩١) الفيلسفي : مسيح الاثني ج ٨ ص ٧٦ - ٧٦ .

القريري : العصر السابق - السطور ج ٢ ص ٧ .

(٩٢) ابن حجر : اتداء التمر ج ١ ص ٢١٦ و التمر الكاملة ج ٢ ص ٢٨٧ .

سيد عاشور : العصر المملوكي ص ٢٩١ .

- Heyd, Op. Cit. II p. 59.

(٩٣) القريري : المراتب ج ٢ ص ١-٢ .

القريري : المخط ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٦ .

سيد عاشور : المجتمع المصري في عصر المماليك ص ٨٦ .

سيد جمال الدين سرور : دولة بني لادون ص ٢٢٦ (انظر بحثه في الذهب والسياسة النقدية)

- Poston, Op. Cit. pp. 109-385.

- Noppe, Op. Cit. p. 98.

٣ - والفئة الثالثة تشمل تجار أوروبا المسيحيين وعلى رأسهم البادقة والجويون والفلورنسيون ، وتاريخهم مع شرق البحر المتوسط قديم ولهم قنصل ونواب قنصل لتسهيل أعمالهم ويمارسون وظائفهم بموافقة السلطات المالكية بموجب معاهدات واتفاقيات ويستفرون وصول السلع الشرقية ليقلوها إلى أوروبا ، ووصولهم كان مشروطا ومقبدا بالمذيق الساحلية فقط ولهم وكالات وفنادق وأحيانا كنائس خارج الفنادق غير كنائس الفنادق. وكان للشئون السياسية والعسكرية دخل كبير لما يلاقونه أحيانا من معاملة (٩٥) .

٤ - والفئة الرابعة هي فئة المسلمين الشرقيين من الأتراك والفرس وعرب شبه الجزيرة والسوريين والعراقيين والسودانيين وكلهم فئات كانت القاهرة معتادة رؤيتهم والتعامل معهم ولا يحظر عليهم ما كان يحظر على الأوروبيين ، كما أن لهم خانات وقياسر ، ومدة بقائهم بالقاهرة مفتوحة ، بل أن بعضهم أثر الاستقرار في القاهرة وأصبح من فئات التجار المستقرين البرجوازيين واتسمت تجارته . ومنهم أيضا اليمنيون والهنود (٩٦) . ورتب هذه الطائفة التجار العرب الذين سافروا إلى الشرق الأدنى ، وكان لانتشار الإسلام في الهند والصين أثره في تنشيط المشروعات العربية فيها ، وقد تبلورت الجهود العربية في المياه الشرقية لأقصى طاقاتها حتى نهاية القرن الخامس عشر وحذب هذا النجاح أعدادا كبيرة من الشعوب الأخرى من غير العرب كالإغريق والترك والجراكمة وبعض فئات من شرق البحر المتوسط ، ثم الأوروبيين حين تم لهم الوصول للهند بحرا في أواخر القرن الخامس

(٩٥) القلائد ص ١١ من ١٢١ و ١٢ من ٢١ .

- Heyd, Op. Cit. II, p. 411.

- Clerget, Op. Cit. pp. 323-324.

(٩٦) التقرير السلوكي ١ من ٤٤٥ .

- Clerget, Op. Cit. p. 322.

- Nopp, Op. Cit. p. 91.

عشر وعرف الإجابة في الشرقيين الأدنى والأقصى باسم الروم . لذا
 من الماسعين للبرتغاليين في الهند لم يكونوا جميعا من العرب الخالص
 من شبه الجزيرة العربية انما بعضهم ممن عرفوا باسم الروم . وان
 كان البرتغاليون يطلقون عليهم جميعا بلا تمييز اسم المغارية Moors
 وهؤلاء بالإضافة الى الهنود والمصريين هم الذين قاوموا الغزو البحري
 للهند أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، وان
 حصنوا لهم في النهاية (٣٧) . ولم يكف العرب بالمتاحرة فقط بالشرق
 الأقصى ، بل ان فئات منهم استقرت بحزر الهند الشرقية وفئات أخرى
 استقرت بالصين حيث قولوا فيها بالترحاب وسمح لهم بأباطرة الصين
 بإقامة مراكز تجارية لهم وأجبا لطوائفهم وسبيدا منهم يحصل في
 المازعات بينهم ويدير شؤونهم وهو بمثابة الفصل في شرق البحر
 المتوسط . وظلت تجارة هذه المنطقة حتى القرن الخامس عشر وفترة
 من القرن السادس عشر احتكارا لفئات من التجار العرب . ولدى
 وصول البرتغاليين الى قاليقوط هجرها منظم تحارها من العرب
 والأفارقة متجهين الى ملقا التي أصبحت سوقا للسلع الشرقية المصدرة
 للعرب ، ولم يلبث البرتغاليون أن عروها هي وسيلان ليخرج منها
 العرب نهائيا (٣٨) .

٥ — والفئة الخامسة هي فئة تجار الأرمن والاعريق والقبط ،
 وهم مسيحيون شرقيون ، وصلوا في التجارة ، ومنهم مهرة الصانع ،
 وقوافلهم تحوب البلاد العربية من حلب ودمشق وعبان وبيروت كما

— Camb. Med. Hist. 2. p. 37.

(٣٧)

(٣٨) ابن خردلاہ — کتاب المسالك والممالك ص ٧١ .

(القدس) — الحسن التتاسيم ص ١٢٨

ابن بطوطة — صياح ١٩١٢ ج ٢ ص ١١٦ .

مجل : الحضارة العربية في القرن ١ هـ (مترجم) ج ٢ ص ٢٠٥ — ٢٧٦ و ٢٧٧

— Camb. Med. Hist. 2. p. 38.

— Steiger, Hist. Of The Orient, pp. 215-216-217

تاجروا في سلع أرمينيا وجورجيا وفارس ، وكان لهم دور كبير في
تجارة الهند قبل وصول البرتغاليين . ولكثرة ورود التجار الاغريق
لمصر منحوا حق وجود قنصل لهم بالاسكندرية لرعاية شئون
التجارة (٩٩) .

٦ - والفئة السادسة هم مجموعة التجار اليهود الذين أسهموا
بصيب كبير في تجارة مصر والتجارة الدولية في العصور الوسطى
المبكرة ، وكان بمصر منهم عدد كبير من المعروفين «بالطائفة الرداية»
وبدأوا تجارتهم مع ظهور الاسلام وانتشاره في فارس ، وكان طريقهم
التجاري من دمشق للقاهرة والقيروان وطبقة وتاجروا في الأسلحة
والتوابل والفراء والحريز والعييد ، كما وصلوا الى البحر الأسود .
بل يقال انهم تاجروا مع مدن الخليج الفارسي حتى ان مياه سيراى
كان يحكمه في وقت ما يهودى (١٠٠) . كما اعتنق كثير منهم الاسلام.
وما لبث السوربون والمصريون - بعد قيام الدول المستقلة في مصر
والشام - أن سيطروا على التجارة التي تحكم فيها اليهود فترة ،
كما أنه في الغرب الأوربي قل عمل اليهود بعد أن ألقوا المسيحيون
الغربيون الصلية التجارية ، وكانت البابوية قد أصدرت تعليمات
متعددة مع كل بابا يلى كرسي روما الدينى ، يتحدد فيها أنواع التجارة

(٩٩) ابن جرير طبقات النصارى ج ١ ورقة ٢٢٢ (انظر قبله ملاحظة رقم ٩٧)

— Mogg, Op. Cit. p. 99.

(١٠٠) ابن خردادبه من ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ ويذكر انهم في العصور الوسطى
المتوسطة كانوا يركبون البحر الفارسي (البحر الأحمر) من القرم الى البصرة وبعدها ثم يذهبون
الى الهند والهند - انظر كذلك (مسجد مكنوز) أوروبا في العصور الوسطى ج ٢ ص ٩٤
ويذكر أن تاجرا كان يهودى مسلم يهودى (Judea — Mercator)

— Pouton, Op. Cit. II. p. 287.

— Clerget, Op. Cit. p. 320-321.

ويسمى ابن خردادبه كذلك باسم الرداية من بلاد الفرات الغربي . ويذكر كمرجه
انهم ينتسبون لهيئة الرى Rai = Bagha بالقرب من طهران (انظر السابق نفس
الصفحات) .

إنطاصه التي يمكن لليهود أن يمارسوا العمل فيها ، إلا أن اليهود ما لبثوا أن اتجهوا نحو التوسع في أرباح السلف ، بعد أن حرمت الكنيسة الكاثوليكية هذا النوع من التعامل المالي ، وأصبحوا مقرضين أموال بأرباح عالية . ومع هذا كانوا في مركز مرغزع ، لأن القانون لا يسمح الحماية ، كما أنهم كانوا معرضين للنهب من الأمراء الأقطاعيين (١١) . وقد شاع بين بعض الكتاب المحدثين أن فئة التجار الكارمية من اليهود (١٢) ، ولكن حقيقة الأمر أن طائفة الكارمية كانت هيئة متماسكة حملت الاسلام أساس وحدتها وعصبيتها فلم يوجد بين الكارمية أي يهودي ، وإن لم يمنع قبولهم للتاجر اليهودي الذي يعتنق الاسلام ويتوارثه عنه أبناؤه كما يتوارثون التجارة . وليس أدل على ذلك من أن فنادقهم كان بها مساجد تحصل أسمائهم وينمقون عليها من جهدهم الخاص (١٣) .

وقبل أن نهي موضوع الفئات المشتغلة بالتجارة في العصور الوسطى ، وخاصة المتأخرة منها ، يبدو أن من المفيد عقد مقارنة بين جهود التاجر الكارمي صاد التجارة في الشرق والتاجر الايطالي عماد التجارة الأوروبية في البحر المتوسط في العصور الوسطى ، فكما كان الايطالي مفعرة الحركة التجارية الوسيطة في البحر المتوسط ، فإن التاجر الكارمي في البحر الأحمر ، وفي المحيط الهندي كان أكثر فظارا واجتهادا . ولقد شق كلاهما طريقه في عصر امتلا بالكثير من

— Clava, Op. Cit. pp. 117-118. (١٠١)

— Clerget, Op. Cit. pp. 317-321-322. (١٠٢)

(١٠٣) النيريزي : السطور ج ٢ ص ١٢٦ .

ابن سببر : السور الكلمة ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

النيريزي : نهاية الأرب ج ٤ ص ٦٢ مخطوطة برقم ٥٩٢ مطبوع طاعة بدار الكتب

أبو الحسن : المعجم ج ١٠ ص ٥٦٤ (كاليغروبيا) .

— Fischel, F., Op. Cit. (Journal) p. 163, 166.

المصاعب ، فمن تحمس ديني ملا المصور الوسطى شرقا وغربا ، وطرق
تتهدها الأخطار برا وبحرا ، الى حكومات يتزايد جشعها للمكوس
والضرائب ، ومع ذلك فقد وصل التاجر الايطالي الى شمال أوروبا بحرا
وبرا ووصل بعضهم الى الصين (ماركويولو) . والتاجر الكارمي
كذلك سيطر بتجارته على البحر الأحمر والمحيط الهندي ووصل الى
الصين وتعمق في افريقية حتى بلاد التكرور ومع ذلك ظلت فقط ارتكار
الايطالي في البحر المتوسط والكارمي في البحر الأحمر . ولا نعدو
الحقيقة كثيرا اذا قلنا ان الايطالي والكارمي سواء آكالا متنقلين
أو مستقرين أو دوليين — فهما دعامة تجارة المصور الوسطى بين
الشرق والغرب (١٠٤) .

نظام الهيئات المشرفة على التجارة :

ومد تطور مركز مصر الدولي في التجارة بين الشرق والغرب
في المصور الوسطى حتى أواخرها ، تطلب هذا التطور ظهور نظم
جديدة في التجارة أظهرها نظام « المراسد » التي هي قوائم الأسعار
والضرائب على الصادرات والواردات . وقد سادت هذه النظم مدن
مصر والشام وموانئها في البحرين الأحمر والمتوسط ، وأنشئت لذلك
العمارة في موانئ جدة والقلم والسويس والطور وعيذاب والقصير ،
وقوص وبولاق على النيل ، ودمياط والبرلس والاسكندرية ، على
ساحل البحر المتوسط المصري وفي بيروت وصور وصيدا وعكا
وطرابلس على ساحل البحر المتوسط الشرقي (١٠٥) . وديوان العمارة

(١٠٤) صبحي كبيب : المصدر السابق ص ٢٨ و ٢٩ .

— Heyd, Op. Cit. II, pp. 429-430.

(١٠٥) ابن جبير : الرحلة ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

ابن حالي : قوانين الدولة ص ٢١٩ .

— Gierges, Op. Cit., p. 330.

على هذه الموانئ، أهم الهيئات المشرفة على التجارة الخارجية ، وحصيلة أمواله من التجارة المارة والمصدرة والمستوردة ، ولما زادت الأعباء المالية في العصر الماليكي ، واحتاج السلاطين إلى المزيد من المدد لمواجهة الأخطار للحرب مع الممولى ثم العثمانيين ، والتوسع الاقتصادي والعمراني الذي شمل مصر والشام في عهدهم وانقص المال الذي نتج من افلاس النظام الاقطاعي في القرن الخامس عشر ، كانت رسوم الجمارك واحتكار توزيع السلع الشرقية هما المصدران اللذان اعتمدوا عليها . ورفع المالكيك الرسوم الجمركية على هذه السلع ، فكان رسم الجمارك بالاسكندرية على قوارب الهند يساوي خمسة أمثاله في قايقوط ، ثم ان سعر النقل زاد ثلاث مرات قدر ما كان عليه سابقا ، ودفع مرافقو قوارب مكة رسوما عالية عن أنفسهم وعن كل جمل رسما يتراوح ما بين درهم ، وثلاثة دنانير . ورسوم جمارك جدة من التجارة الهندية ١٠٪ / زيدت على عهد السلطان برسباي فتحوّل المتاجر عنها إلى عدن فاضطر للقنوع بالعشر ولكن كانت تتضاعف رسوم الجمارك اذا ثبت أن السفن مرت قبل دخولها جدة بعدن وأطلق على جمارك جدة اسم « شاد جدة » وراحت هذه الضرائب على بعض السلع إلى ١٥٪ من أثمانها وفي أواخر الممولى الوسطى بلغت حوالي ٣٥٪ من أثمان السلع (١٠٦) .

وجمرك الاسكندرية أكبر جمارك مصر على البحر المتوسط (١٠٧) .

(١٠٦) ابن أبياس : ممالك المغرب ج ٢ ص ٦٠ .

— Thomad, Op. Cit., p. 27.
— Clerget, Op. Cit., pp. 332-333.
— Dopp, Op. Cit. pp. 45-46.

(١٠٧) تزعمت تونس وعيناب وجماركها النعاط التجارية الاسيوى والافريقى على حين ان دمياط والاسكندرية وجماركها تزعمت امتياز البحر الادريه وجزر البحر المتوسط ، وخولا من رسوم حلة صليبية على مصر من دمياط فقد تم عدم مخرج النيل عند لم بحر دمياط ، واصبحت التي رسوم يمين ، وتبقى التي القيلية (المخيرة نقل =

ويقع خلف بابها الشمالي الذي يفتح للميناء في أكبر أحياء المدينة ، وهو مهبط التجار من وطنيين وأجانب وبه فنادقهم . وللمدينة ميناءان ، وبالتالي جمركان : والميناء الأول هو مرسى البرج ، وأخذ اسمه من برج على صحرة للمراقبة ، وترسو فيه سفن التجارة الأوربية ، كما تنفخه سفن تركيا وجزر البحر المتوسط للمتاجرة وللإحتماء من الأنواء ، أما الثاني فهو مرسى السلسلة ، وتدخل إليه سفن بلاد المغرب وخاصة تونس وجزر البحر المتوسط (١٠٨) ورسمت إدارة الجمارك بالإسكندرية رسوما معينة في كل حمرك ، فهي في جمرك البرج العاص بالأوربيين الميحيين ١٠٪ ، وفي حمرك السلسلة الخاص بالمعارة المسلمين ٥٪ (١٠٩) . ويشيد الوطنيون بالإسكندرية من التجارة الأحيية المسيحية والإسلامية ، ولكن معظم أموال جماركها يذهب لخزائن السلطان ، وكان القنصل يذهب نفسه للقاهرة لحمل رسوم الجمارك للسلطان (١١٠) .

• البضائع . وهي تم انجبرت الإسكندرية لتحل محل ميناء . وأصبحت منذ ذلك الحين . أكبر موانئ البحر المتوسط .

القائلي : صبيح الأملاني ج ٢ ص ٤٠٤ .

سميث عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٢٦٠ .

— Leo Africanus, The History and Description of Africa, (١٠٨) Vol. I, pp. 361, 362 & R. II, p. 908 R. III, pp. 907-908.

(١٠٩) كان المغاربة يدفعون لكسبهم مكوسا على سبيل أن الفرنج يدفعون المقر ولا شك المغاربة للسلطان كاسر فرج ١٤١١ م أمر لا يؤخذ من المغاربة إلا المقر . ابن حجر : ألباء الفجر ج ٢ ورقة ٢٨ .

ويذكر Thénoud أن السلطان كان يحصل سنويا على حوالي ٢٥٠٠ ألفي رسوم جمارك على السلع التجارية في جمارك الإسكندرية وتصل رسوم الجمارك أحيانا إلى ١٠٠٪ من مشروعات الأجانب مما حدا ببعضهم إلى الرجوع دون شراء أي شيء . — Thénoud, Op. Cit. p. 27.

Depping, Op. Cit. : p. 62-63 & I, p.p. 160-161. (١١٠)

الاجراءات الجمركية التجارية في ميناء الاسكندرية

وخصصت السفن التجارية لنظام تفتيش دقيق في جمرك الاسكندرية واهراءات حكومية عدة ، ومنحت ادارة الجمارك لجمهوريات ايطاليا التجارية مخازن كبيرة بالاسكندرية ، وهي مطارن مستقوفة يحمل القفل مفتاحها وتتولى هيئة الجمارك حراسة السلع الموجودة بها نظير رسم معين يدفعه التاجر للحكومة ، وللتاجر الحرية في أن يترك بضاعته أو يحملها معه الى الفندق . أما تجارة المرور عبر مصر فكان رسم الجمارك عليها يتراوح ما بين ٢ - ٢ ١/٢٪ (١١١) . ولدى وصول السفن الغريبة الى الموانئ المصرية يصعد اليها عمال السلطان ويبدون في مباشرة أصنافهم وهي على ثلاث مراحل :

الاجراء الأول : (١) معرفة جنسية السفينة (٢) احصاء بعدد المسافرين عليها (٣) كتابة قائمة بأسمائهم والسلع التي يحملونها (٤) . تبين كل هذه المعلومات للأمير الاسكندرية الذي يتولى بدوره تبليغها للسلطان في القاهرة بواسطة الحمام الزاجل (١١٢) .

الاجراء الثاني : بعد أن تدخل السفينة الميناء ترفع عنها أشرعتها وودفتها وتحفظ لدى السلطات المحلية لعين التحقق من بياناتها ودفع ما عليها من رسوم ثم السماح للقطان والركاب بالنزول للميناء بعد

— Heyd, Op. Cit. II, p. 451

(١١١)

(١١٢) القائليني : صبح الأعلى ، ج ١٤ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

القريري : الخط ، ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

ابن شامي : رحلة كتب الملك ص ١١٦ .

سميد عافور : العصر المالكي ص ٢٦٣ .

نبيت : مصر الاسلامية ص ١٤ - ١٥ .

— Heyd, Op. Cit. p. XXIII.
Heyd, Op. Cit. II, p. 429.

أخذ ابن أمير المدينة . وفي حالة العداء بين الفرنج والماليك يتشدد عمال السلطان في التفتيش خوفا من وجود الأسلحة (١١٣) .

الاجراء الثالث . تبدأ جباية الرسوم المقررة وهي (١) جزية الرأس دوكتان لكل فرد وخمسة ادا كان من الحجاج . (٢) رسم دخول يساوي $\frac{2}{3}$ من قيمة السلع المحمولة ومحاولة المراوغة هنا من الأجانب كان مصيرها العقاب الصارم (٣) $\frac{10}{100}$ للجمرك من قيمة السلع (١١٤) . وبالجمرك موظف سلطاني يقوم بتحديد ما تريد الحكومة شراؤه من سلع غريبة كالحشب والقطران وغير ذلك للمتجر السلطاني في القاهرة (١١٥) . وموظف آخر يتولى استجواب التجار أو الوافدين والعابرين عن الحالة العامة في أوروبا والظروف السياسية التي تمر بها كما يسألهم عن وظائفهم ، فان كانت له صفة دبلوماسية استجوب عن مقاصده وعن أمراء وملوك أوروبا وعن حملات صليبية جديدة (١١٦) . فإذا تمت كل هذه الاجراءات سمح لهم بدخول المدينة للبيت في فنادقهم وفرض عليهم ، وكانت السلطات المالية لا تسمح الا لفنصل.

— Harff, Op. Cit. p. 84-92.

(١١٣)

— Heyd, Op. Cit. II. p. 430.

« يذكر حروف ان الأكرمة والدخا لا تسلم الا بعد استيفاء رسوم الجمارك لم يصرح للسفينة بالرجوع . ويقول كذلك امراء فرجها آخر وهو ان تجار الاسكندرية وفرصونهم الحام الراجل ويحصلون مائة من رسائل لكي يعرفوا نوع وكمية السلع الواردة للاسكندرية وبعد السفن حتى ينظروا عملية التفراء ثم يسيروا الملاح سراج الحام ليكمل رحلته للقاهرة » .

— Harff, Op. Cit. p. 182.

(١١٤) فييه : مصر الاسلامية من ٤٠ .

Zlata, Op. Cit. p. 211.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 428, 430.

— Depping, Op. Cit. II. pp. 303-306-307.

— Harff, Op. Cit. p. 92.

— Sonin, Op. Cit. pp. 97-98.

(١١٥) ابن مباتي : تراجم المؤلفين من ٢٢٧ نشر عزيز موريل مطبعة .

— Harff, Op. Cit. p. XXIII

(١١٦)

— Sonin, Op. Cit. p. 98.

هرسا بمرافقة عمال السلطان في عمليات التفتيش (١١٣) .

أما ميناء السلطنة فيمر منه تجار ومساغرو المغرب والقيانات
الأخرى الشرقية من أتراك أحيانا وبميين وهنود وفرس وتجرى معهم
الاجراءات الآتية :

- ١ - يصعد عمال السلطان للسفن لفيد كميات وأنواع السلع
- ٢ - استحصار جميع من بالسفينة من المسلمين واحدا واحدا
وكتابة أسمائهم وصفتهم وأسماء بلادهم .
- ٣ - سؤال كل فرد عن حيازته من سلع أخرى ليؤدي عن
الجميع زكاة دون أن يسأل هل حال عليها حول أم لا (١١٤) .
- ٤ - من كان منهم ذا صفة سياسية طيف به على المسؤولين تحت
الحراسة للقاصي وأهل الديوان وحاشية السلطان وفي كل مرة
يستجوب ثم يطلق سراحه .
- ٥ - انزال السلع للديوان وتفتيشها لتقدير الجمارك عليها

(١١٧) ليبيك : عصر الاسلامي ص ٤٠ .

(١١٨) هـ هذا في الواقع ليس زكاة بل هي ضرائب وثالث صفة الزكاة الواجبة على كل
مسلم وللتنيل هل ذلك عدم اهتمام السلطات بمرور حول على الزكاة السابقة أم لا انظر
ابن جبير : الرحلة ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

مثل هذه الاموال كانت تعير حكوما غير شرعية لا سدد لائوي لها ، لم تكن من اجتناب
الماليك بغير ما كانت مررولة في عبور سائلة ، ومنها نفوس المراكب ، وهو ما يؤخذ من
كل مركب وزكاة الدولة وهو ما يؤخذ من الريل من زكاة ماله ولو عدم ، ولذا جاء يلاحظ
عن ذلك : انظر - التقرير المواعظ ج ١ ص ١٠٦ طبع بولاق وكذلك .

سعيد عاشور : العصر الماليكي ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

كما تحصل للحكومة من حجب الكرومية في أي مدينة زكاة معلومة كلما حال عليه
البحر ولم يصعد للزوارح الماسرون فية هذه الزكاة ومنهم القلقليدي الذي ذكر ، انها
تجرى مجرى سائر متحصل الاسكندرية الباقرة وغيرها .

القلقليدي : صبيح الاعلى ج ٢ ص ٢٦١ وكذلك :

القرلاي : السلوك ج ٢ ص ٥١٠ و ٥١١ حاشية رقم (٢) للدكتور زياتة .

٦ - أحيانا يدل (اقرارات الحياة) بصير استطلاعهم بالقسم
المعظم هل عندهم غير ما وجد .

وفى كل موانئ وجسمارك مدن مصر والشام تتم الاجراءات
هذه (١١٩) .

الا ان هناك بعض اجراءات اضافية كانت تتبع منها :

١ - عند تقييم حمولة السفينة لمعرفة قيمة الضرائب المقررة عليها
تدفع السفينة رسما اضافيا للقنصل .

٢ - تتعدد الضرائب بتعدد السلع وتزيد احداها على الأخرى،
حسب أهميتها ، كما أن الضرائب تتفاوت تما للملاقة مع دولة
التجار .

٣ - في الجمرك يوجد موظف أجنبي شابة قنصل تجارى
تعيه حكومته بموافقة السلطان ويقتصر نشاطه على دائرة الجمرك
ويراعى أن مواطنيه التجار لا يدفعون في السلعة أكثر من ثمنها ومرة
واحدة ، ويمسك سجلا للمبيعات والمشتريات لمواطنيه لمقارنته سجل
السلطات المحلية ويسأل أحيانا كضامن للتاجر من مواطنيه الذى قد
يترك المدينة وعليه ديون للجمرك أو له أو عليه أموال للتجار الوطنيين..

٤ - تحديد حمولة السفينة وأماكن الترافقات بها لتحديد كميات
السلع التى يمكن أن تحملها فى حدود امكانياتها حتى لا تعرض
للغرق والتاجر الغربى هنا لا يجبر على شراء أو بيع أية سلع اذا لم

(١١٩) تحصل الضرائب أحيانا ٢٠ و ٣٠ ٪ وتقل من ذلك بالنسبة للمسلمين من المنارة
والاندلس = التاريخ ص ٢١٦ : المصدر السابق ص ٣٣٦ - ٢٤٩ .

الكتاب ص ٤٦٤ : صبح الاعين ج ٣ ص ٤٦٤ .

ابن جبير : الرحلة ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

— Seeley Op. Cit. p. ٩٨.

ان اجراءات التفتيش كانت تسرى على الأجانب والوطنيين الوافدين للمعجزة الخارجية
وكذلك من المنارة المسلمين ومن من حقوق السيادة للدولة .

يجبه السعر وإن كان يجبر في أواخر المصور الوسطى على شراء
« توابل الفخيرة الشريفة » (١٢٠) .

٥ - في أغلب صفقات البيع كان يوجد مسمار ومترجم .
ويتقاضى المسمار عمولة معقولة يحددها القانون حسب نوع السلعة
وجسدية البائع ، كما كان للمسامرة نقابة تتولى شؤونهم ونظام
المسامرة كان معروفا في وكالات القاهرة .

٦ - لم يكن الجمر ك هو المنطقة الوحيدة التي تتم فيها عمليات
البيع والشراء في قاعاته التي تشبه إلى حد كبير بورصات العصر الحاضر ،
وسكن كان يحدث التعامل أحيانا على ظهر السفينة وفي الفنادق في
قاعات خاصة بذلك . وفي كل هذه الحالات كانت القوانين الوضعية
هي القوانين السائدة .

٧ - إذا تم البيع خارج دائرة الجمر ك على غير ما يوافق البائع
حق له أن يلجأ للقضاء الوطني ، وكثيرا ما لجأ التجار الأحاب للقضاء
الوطني إذا ما أهينوا أو أضرروا بسبب تأثير ذوي النفوذ من رجال
الإدارة والجمارك . وتعتمد إدارة الجمر ك أحيانا إلى شراء السلع
لحسابها ثم إعادة توزيعها على التجار مع ربح معقول (١٢١)

— Zieda, Op. Cit. p. 213.
Pernoud, Op. Cit. pp. 48-49.

(١٢٠)

(١٢١) التلخيص : صبح الأمنى ج ١ ص ٢٧ .

القريري : السلوك ج ٢ ص ٤١٥ .

ابن أبيس : مدافع الزمور ج ٢ ص ١٢٩ .

— Pernoud, Op. Cit. p. 47.

— Harff, Op. Cit. p. 93.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 451, 452.

انظر كذلك الملحق من اتفاقية التجارة بالإسكندرية لفترتي ٢ و ٤ (يتصل من
البراشي ١٠ بمسورة و ١١) الا جلت كثير . في السوق المر ١٠ % متصلة بين المسمار
والترجيمان . في البيعة الصغيرة ٤ % لكل ١٠٠ دوكان للمسمار . ومثلها للترجيمان
بصرف الانتهاء من البيع نهائيا .

٨ - فيما يختص بسلع الشرق الأقصى جعل الممالك جمارك مينائي جدة والطور لها ، أما الاسكندرية فقد اختص جمرکها بسلع أوروبا والمغرب الواردة والمصدرة لها وفي دمياط اختص جمرکها بضرائب الصادر من السكر الوارد من الحطب من أوروبا وآسيا الصغرى والشام وقبة الضرائب على الحطب وصلت الى حوالي ربع الثمن (١٢٢) .

٩ - سمح للقنصل بالاسكندرية بتحصيل ٤٥٪ من الرسوم المتحصلة لصالح القنصلية و ٢٪ على الوارد ومثلها على الصادر للقنصلية أيضاً و ١٪/٤ لصالح القنصل نفسه . وفي القرن الخامس عشر بلغ جملة ما يحصله القناصل لأنفسهم ١٪ في الاسكندرية وفي دمشق ٣٪ بحيث لا يزيد على ١٠ دنانير ، أى فلس لكل ١٠٠ دوكات تقريباً (١٢٣) .

وفي موانئ النيل النهرية اتبع في بولاق بالقاهرة نفس النظام من حيث التفشيح وتحصيل الرسوم على التجار ورسوم العباج (١٢٤) وفي جمرک ميناء منية بن خصيب كانوا « يقسمون الإيمان الحرجة » على ما بأيديهم وما عندهم وهي بديل « الاقرارات الجمركية » الحالية وان اتبعوا معهم وسائل قاسية أحياناً (١٢٥) . وفي عدن أظهر حکامها

(١٢٢) القريري : المخطوط ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٦ .

القلعبي : صبح الاعشى ج ٢ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

ابن شامس : زبدة كفت الممالك ص ١٠٨ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٤ .

— Depping, Op. Cit. II, p. 77.

— Depping, Op. Cit. II, p. 54.

(١٢٣)

(١٢٤) انظر الفصل الثالث - بخصوص ميناء بولاق النهرى وجمرکها ، فيواجه به

رجال الحكومة مصلحة دائماً لتحصيل الرسوم المستقة على التجار ولجمرکها بلب خاص ،

بالتسايرين للمصالحاتهم ويقترون ٢١٠ ما جاء : ودونتان للسائر المادى ، وحسب

للحاج .

— Thesard, Op. Cit. p. 121.

— Clouet, Op. Cit. p. 169-170.

(١٢٥) القريري : المخطوط ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ يصف عمال الجمرک السان ويقتضون =

تمسعا مع التجار في الجمارك ، ففرضوا عليهم الضرائب المتعددة .
وينزع عمال الجمر كقلاع ودقة السمن حتى يتم دفع الرسوم ، ويتم
التفتيش بدقة حتى النساء وجند عجوز تتولى تفتيشهن ، ولا يبارح
التجار المرفأ الا بعد التأكد من تصفية كل عملياته (١٢٦) . وقد أارجحت
رسوم الجمارك في ميناء عدن وجسلة تبعاً للتطورات السياسية
والاقتصادية ، فرفعت في جمر ك ميناء حدة الرسوم على السمن التي
يثبت أنها مرت بعدن في طريقها لعدة كما يدفع الصطاح اليمنيون لدى
عودتهم من مكة رسوماً عالية في عدن لديوان الجمر ك على ما يعملونه
من الحجاز (١٢٧) .

وجمر ك القسطنطينية به جهاز ضخم يعمل على التأكد من جنسية
كل سفينة ويقدر ما تستحقه من ضرائب ، وكان على السفن أن تدفع
مجموعة من الضرائب منها ضريبة على مساحتها وحمولتها ونوع
السلع التي تحملها . ويذكر عن هذا الجهاز من الموظفين أنه لم يسمع
عهم أنهم أساءوا أو ارتشوا نظراً للرقابة الشديدة عليهم ، وإن كانت
بعض الجاليات تحاول التهرب أحياناً من دفع بعض الرسوم الجمركية ،
ويحصل في جمر ك القسطنطينية ٢/١ رسوم مرور و ١/١ للقنصل . وبقي
هذا النظام قائماً في العصر العثماني بلا تغيير ، وإن كان قد اتخذ
شكلاً أكثر حزمًا نظراً للظروف العسكرية التي أحاطت بالمنطقة منذ
عام ١٤٥٣ م (١٢٨) .

٢٠ الركاب وسلمهم حتى (التمك بطريقه وصفها القريري (بطريقه قبيحة وفسحة) كما
يجسسون بسائلهم جميع ما يحملون من غنائم ويحل بالمسافرين والتجار والمهاجر من الملك
رسوم المماثلة مما لا يوصف .

(١٢٦) باصفره : تاريخ كثر عدن ج ١ ص ٥٨ .

(١٢٧) الظاهري : القصور السابق ص ١٢ - ١٤ .

ابن ابياسي : كفتى الأمل (مطبعة) ورقة ٨٢ .

— Lane Poole, Hist. of Egypt. p. 340.

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 445-446 & 500, 504.

(١٢٨) بعد أن أصبح العثمانيون سادة القسطنطينية لم سوريا و مصر والبرس .

ومن الجمارك التي كان لها اتصال بتجارة شرق البحر المتوسط
جمارك الصين والهند هي جمارك الصين وخاصة في جمرك مياء
حانفو (كانتون) كانت أسماء ربابة السفن الأجانب تقيده في ديوان
التجارة البحرية ، ويطلب الديوان بحق تفتيش المراكب قبل السماح
لها بإبرال ما تحمله إلى البر ، ويحصلون رسوم تصدير وتحميل .
وعار من المحظور تصدير الأشياء النادرة ، وكل من يعمد إلى
التهرب يسجن وربما تكون قد أنشئت في العصور الوسطى مكاتب
تجارية ، داخل دائرة الجمرك لتسهيل أعمال التجار المسلمين وتسهيل
تحصيل رسوم الجمارك للسلطات الحاكمة والرسوم تقدر بنسبة ثلاثة
أعشار القيمة للسلعة . ويستطيع السلطان أن يشتري ما يشاء شن
مجز (١٢٩) .

وفي الهند فانه لدى وصول السفن إلى مواهبها يصعد إليها
مندوبو الملك لكي يلقوا نظرة على البضائع الموجودة بها ويشمنون
حمولتها وفي ميناء قاليقوط يمين الملك من رجال الجمرك ثلاثة
موظفين لحراستها ، وعمل حساباتها هي الجمرك ، وتنظيم عمليات
البيع والشراء والضرائب والموجبات ورسوم الدخول والخروج ،
وثالث سمسار لتسويق ما يطلبه التجار من سلع محلية أو بيع ما لديهم

١٢٩ : الجمارك وحملوا وحملوا الرسوم بنسبة ٢٪ في قبرص والقسطنطينية و ٢٪ على البحر
الأسود ودمشق و ١٪ في بيروت للصادر و ١٪ للوارد وما بين ١ - ٦٪ في حلب ثم
دعوت رسوم الاسكندرية لتوازي جمارك الشام حتى يسكن التماثلها .

— Depping, Op. Cit. II. pp. 54 & 167.

— Poston, Op. Cit. II. pp. 102-103.

(١٢٩) معز : الحضارة الإسلامية (مترجم) ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ .

يذكر ابن بطوطة الرحلة : عجائب الأسفار ج ٢ ص ١٦١ : ان الجنود المسيحية
إذا ما بارحت الميناء يكتب القبطان القرارا منه بسند ركابها وحملها ويحارثها وسلمها .
إذا ما عاد يقدم القرارا يس كخلف : سائلا أو مينا - ولا يؤخذ فيه - ثم يقدم القرارا بالسلع
التي هي حوزته - وبعد ائصالها إذا ظهر أي اختلاف صار الجند وما فيه من مال وسنح منكا
للسلطات المحلية .

من سلع نظرا لمعرفة المصنوع وطباع أهلها وأسعار السوق حتى يطمئن التاجر تماما لمعادلة وصحة الإجراءات . ويدفع التاجر أو أصحاب السفن - ان كانوا هم التجار - مريات هؤلاء الموظفين بسطاء ، ولهم عمولة شراء ويبيع تبلغ حوالي ١٦٪ من مجموع المشتريات (١٣٠) . وتغير الرسوم الجمركية بتغير الحكام . ويحصل رسم حراسة قدره ربع قيمة المبيعات والمشتريات ولا تحصل عوائد اذا عادت السفينة دون مشتريات (١٣١) .

أما في حصارك غرب البحر المتوسط ، ففي البندقية كان التاجر الأجبي يراقب مراقبة شديدة ودقيقة ، ولا ترك له حرية اختيار مسكنه ، بل يوضع في فندق خاص بالأجانب ، وفيه يصير تفتيز سلع . وبالجمرك مركز ادارة الأجانب الوافدين . وتنزع كذلك منه أسلحته وتتمثل قائمة بما في حوزته من سلع حتى يمكن تقدير الضرائب الجمركية المطلوبة منه ، ويقوم بهذا العمل مفتش أو كشاف ، وهو يصادون التاجر في شراء لوازمه ويرافقه كظله لكي يتأكد من أنه لا يخالف القوانين ولا يتهرب من الرسوم الجمركية . ولا بد للتاجر أن يبيع ماله فيه ، لأن السلطات تحصل الرسوم على البضائع بيعت أم لم تباع (١٣٢) .

جملة القول أنه حتى نهاية المصور الوسطى لم يسمع عن حصارك مصر والشام ما يشين القائمين عليها ، وظلت الحصارك مثالا للدقة

— Darnes, The Book of Duarte Barbosa, Vol. II, p. 77-78. (١٣٠)

• يذكر برونزا أن عمولة هؤلاء الموظفين من أربعة لثمانين ذبييل لكل ٢٥ رطلا مشتريات ، أي حوالي ٢١٦٪ من قيمة المشتريات .

— Camb. Med. Hist., Vol. 2, pp. 25-26.

— Moreland, Indian Shipping, p. 198. (١٣١)

— Glan. Op. Cit. pp. 94-95-96. (١٣٢)

والأمانة ويلقى فيها الأجانب الأمن والرعاية . وليس أدل على ذلك مما ذكر عن قصة البرتغاليين الفونسو بايفا وكوفلهام مبعوثي ملك البرتغال لملك الحبشة في أواخر القرن الخامس عشر ، وكيف أن سلعهما ردت إليهما كاملة ، في الوقت الذي ظن فيه البعض أنها سرقت بفعل عمال الجمرük حين مرضا وبدا أنهما فارقا الحياة ولما انجلت عمتهما ردت إليهما بضاعتها . وشهدا هما بذلك ، ولقيا كذلك مثل هذه الرعاية والأمان في موانئ الهند « حتى أن التجار الأجانب يتركون بضائعهم في السوق دون أن يكلفوا أنفسهم عاء إعلان قيمتها المادية ، لأن حرس وموظفي الجمرük مسئولون عن حمايتها (١٣٣) .

على أن مسألة الرعاية في الجمارك تعدت كذلك إلى تخفيض الرسوم على بعض البجاليات دون غيرها لعوامل اقتصادية أو سياسية . وخاصة إذا كانت الحاجة ماسة لأدوات الحرب (١٣٤) إلا أن هناك رسوما إضافية لا ينالها التحصيل ، تدفع لصالح العمالين والسماصرة والمترجمين ولديوان القبان ، وهذه الرسوم سادت جمارك مصر والشام والهند والصين وبلاد المغرب (١٣٥) . ومنذ أوائل القرن السادس عشر وجمارك مصر تدهور بشكل ملحوظ وخاصة في مينائي جدة والاسكندرية ، ويمثل ابن أبياس ذلك « لأن السفن الأوربية (يقصد البرتغاليين) بدأت تتوغل في البحر الأحمر وتجاوز عتدها العشرين . وكانت تطارد سفن الهند المحملة بالسلع الشرقية وتصادر

(١٣٣) ابن أبياس : بساتين الزهور ج ٢ ص ١٢٩ .

سميه عاقور : المجمع المصري في مصر المالكية ص ٧٨ .

سميه عاقور : مصر المالكية في مصر والشام ص ٣١٧ - ٣١٨ .

— Souris, Op. Cit. pp. 97-98.

— Heyd, Op. Cit. 1. pp. 391-392.

(١٣٤)

(١٣٥) ابن مباتي : قوانين المولاة ص ٣٢٧ (نشر عزيز سوريال عطية) .

Mss Latine, Traites De Paix Et de Commerce, pp. 106-107.

ما تمسولى عليه منها » (١٣٦) . ولذا كان قد نسب لعمال الجمارك
اد داك التشدد فى جمع الرسوم وتحصيلها ، أو دقة التفثيش ،
أو التحقق من شخصية الوافدين ، فهذا يرجع لحالة الحرب بين مصر
والبرتغاليين فى المياه الهندية ، وليس هذا الا حرصا من الحكومة على
مصالحتها وأمنها (١٣٧) .

القناصل التجاريون :

ومن الهيئات المشرقة على التجارة الخارجية كذلك هيئة القناصل
التجاريين ، وقد ظهرت الحاجة الى هذه الوظيفة فى تجارة شرق البحر
المتوسط عندما اتسع مجالها شرقا وغربا وتركز القناصل فى مصر
والشام والقسطنطينية لتغطية تسويق وعبور المتاجر الشرقية والغربية .
ولما كانت ظروف التجار فى كثير من الأحيان تعتم عليهم الاقامة فى
المدن والموانئ التجارية العربية لفترة طويلة وممارسة التجارة فى ظل
القوانين المحلية ، لذا أصبح من الضرورى وجود هيئة تتولى الاتصال
بين هؤلاء التجار ، والسلطات المحلية . هذه الهيئات وأفرادها هم
« القناصل التجاريون » وأطلق عليهم أحيانا اسم « المندوبون
التجاريون » . وفى الاسكندرية كان يطلق عليهم اسم « مدير
المبيعات » أو « المندوب التجارى » . ولكل مجموعة تجارية بالمدينة
مندوب من هذا النوع يمارس مهام منصبه بعد موافقة السلطات
المصرية (١٣٨) . وقد عرف شرق البحر المتوسط نظام القناصل التجاريين

(١٣٦) ابن ابيس : جداول الزهور ج ٥ ص ١٠٥ .

ليبس : مصر الاسلامية ص ٤٦ .

— Poston, Op. Cit. II. p. 334. (١٣٧)

(١٣٨) ابن حجر : الياه النور : ج ١ ص ٢٢٢ (مستطوع) .

ابن شاهين : زينة كشف الغائب ص ٤٦ .

— Heyd, Op. Cit. II. p. 454.

— Depping, Op. Cit. II. pp. 20-21.

قبل الحروب الصليبية ، واستمر هذا النظام قائما حتى نهاية العصور الوسطى ، ولما كان من الصعب أن نجزم أي الموانئ الشرقية استقبلت قبل غيرها قناصل التجارة ومتى استقبلتهم . إلا أنهم كانوا في القرن الرابع عشر هيئة رسمية تعترف بها الدولة وتمارس أعمالها الاشرافية على التجارة (١٣٩) . وقد عرف العرب هذا النظام في الصين منذ انتشار الاسلام وازدياد التجارة بين شرق آسيا وغربها ، ولما زادت الحالة المربية في « كاتفو » عين امبراطور الصين هيئة من قنصل - حسب الاسم الذي عرف به فيما بعد - وقاض وكتبه ، لرعاية شئون هذه الجالية التجارية والمدنية والدينية (١٤٠) .

ويعاون القنصل في مهام وظيفته هيئة تتكون من موثق العقود وترجمان بمرتب سنوى ، وقد يكون من الوطنيين الذين يتقنون لغة الأجانب ، أو أجنبيا أتقن لغة الدولة التي يعمل بها ، ووكيلا للقنصل . ويحرم على القنصل الاشتغال بالتجارة لحسابه أو لحساب غيره أو يعمل مندوبا لدولة أخرى إلا باذن خاص من السلطات المحلية . ويرشح لوظيفة القنصل أفراد من الأسر الكريمة ، ولو أن هذه العادة تعدلتهم للتجار وحاصنة من كل له صلات قوية بالعرب أو من بقى بين ظهرانيهم سنوات عدة . وتوجد المدن التجارية قناصلها في شرق البحر

(١٣٩) يبدو أن نظام القنصل كان سائدا للحروب الصليبية بوقت قصير في مصر والعم . ولا سيما في حالة الفراغ بين الأوربيين وكان لا يجوز للقضاء الوطنى القنصل في مثل هذا الفراغ حسب الشرع . لما يرجح وجود مندوب من الجاليات الأوربية يتولى هذه العملية وعملية الاشراف التجارى على مواطنيه عرف فيما بعد باسم القنصل . ويبدو كذلك أن السلطات رحبت بمثل هذه الوظيفة لتسهيل عملية الاشراف على التجارة .

— Depping, Op. Cit. II. pp. 20-21.

(١٤٠) ابن خردادبة : المسالك والممالك ص ٦٩ - ٧٠ .

سلمان الفارسي : أيازيد السمرقاني : سلسلة التواريخ ، الكتاب الاول رحلة الى

الصين ص ١٢ .

ابن اياس : نقش الايام (مقطوعة) ورقة ١٢٨ .

— Pirenne, Mod. Citica, p. 128.

المتوسط عاماً بدء عام ، وقد يستقر القنصل في وظيفته ثلاث سنوات ،
 إذا زكاه مواطنوه التجار . وكانت بعض الجمهوريات التجارية الإيطالية
 وخاصة جنوة والبندقية ، ترسل لمراكز نشاطها التجارى ثلاثة قناصل ،
 بحيث يحل كل واحد مكان الذى تنتهى مدة خدمته ، وتهدف من هذا
 الى تفادي اشكالات الموت المفاجيء ، أو صعوبة المواصلات أحيانا ،
 وكذلك لزيادة مران القنصل في وظيفته (١٤١) . وفي العصور
 الوسطى المتأخرة صار القنصل ممثلاً لدولته سياسياً وتجارياً ، وسمح
 لهم بتحصيل رسوم اضافية على التجار لصالح القنصلية ولصالح
 القنصل نفسه (١٤٢) . ولدى وصول القنصل يقدم نفسه ومعاونيه
 للسلطان الذى يحدد لكل منهم عمله حسب خطاب الاعتماد ويتلقى
 تعليمات السلطات المحلية ، وعليه أن يطبقها بدقة (١٤٣) . ومنذ سقوط
 القسطنطينية ١٤٥٣ م ، عين قنصل عام للتسام وآخر لمصر ، والأول
 مركزه بيروت ، والثانى مركزه الاسكندرية ولهما فواب في المدن
 والموالي كافة ، وهو مسئول عن مواطنيه وعن رسم الجمارك (١٤٤) .
 المطلوبة للسلطات المحلية . ويختص القنصل ومعاونوه كذلك بنقض
 المنازعات التى قد تنشأ بين بعض الأجانب وبعضهم ، بل ان من بين
 هيئة القنصلية موطلاً يقوم بعملية الدفاع عن مواطنيه أمام القضاء
 المحلى ، كما يمثل القنصل مواطنيه أمام السلطان أو نائبه في قضايا

(١٤١) — Depping, Op. Cit. pp. 94 & pp. 39, 40-43

(١٤٢) انظر ليله من رسوم الجمارك لصالح القنصليات وكذلك .

المجلة : عدد يناير ٤٩ لسنة ١٦٦٠ ص ٩١/٩٠ .

— Zindag, Op. Cit. pp. 213-214.

(١٤٣) ابن خلدون : ريداء كشاف الممالك ص ١١ .

القرينى : السلوك ج ٢ ص ٦٩٤ .

ابن حجر : اجلة القصر ج ٢ (منظره) ورقة ٢٥٥ رورث ١١٧ رورث ١٠٣

— Depping, Op. Cit. II. p. 43. (١٤٤)

الاستئناف (١٢٥) . ويرفع طلبات مواطنيه ودولته للسلطان . وقناصل جنوة والبندقية وفلورنسا كانوا أكثر القناصل اتصالا بالسلطان في مصر ويتمتعون بميزة « أكثر الدول رعاية » (١٢٦) . وتحدد الوثائق ظهور قنصليات جنوة في شرق البحر المتوسط في القرن الثاني عشر في نفس الفترة التي ظهر فيها هذا النظام للبنادقة في الشام (١٢٧) . ولأهل بيزا في الاسكندرية وهي القاهرة (١٢٨) . وبدأت جنوة قنصلياتها التجارية في الاسكندرية في القرن الثالث عشر ، إلا أن قنصلياتها على البحر الأسود سبقت ذلك بقرون عدة (١٢٩) . وقناصل البنادقة في الاسكندرية من أبرز الشخصيات الأجنبية في بلاد السلطان المملوكي ، وبقيت قنصلياتهم حتى عهد السلطان المملوكي سليم الأول وقالوا منه امتيازات جديدة في معاهدة تجارية (١٣٠) . ولم يكن للبنادقة أو لغيرهم من الجاليات الأوربية قنصليات في القاهرة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (١٣١) . وتمتع قناصل فلورنسا في الدولة المملوكية بمركز ممتاز لهم ولمواطنيهم التجار ، ويعقد القناصل معاهدة تجارية كلما ولي السلطنة في القاهرة

(١٢٥) انظر ليل في القضايا التجارية بين الوطني والأجانب بعضهم من بطر ، والقضايا الاستئنافية في القانون .

(١٢٦) Heyd, Op. Cit. I. p. 391-392 & 411, 412 & II. p. 454.

(١٢٧) Dopp, Op. Cit. p. 76.

(١٢٨) Depping, Op. Cit. II. pp. 31-32.

(١٢٩) Soria, Op. Cit. p. 99.

(١٣٠) محمد كرد علي . خطط الشام ج ٤ ص ٣٦٧ . كان أول ما ورد اسم القنصل في مجلة التريال الجنوبية التي كانت في مكة . كان في أواسط القرن ١٢ م ومنها انصرف في سائر الأماكن وعرفوا بالقناصل .

(١٣١) Heyd, Op. Cit. I. pp. 392-393.

(١٣٢) Bosley, Dawn Of Modern Geog., II. p. 431.

(١٣٣) Depping, Op. Cit. II. pp. 33-36-37-40.

(١٣٤) انظر الملحق ومعاهدة البنادقة مع السلطان سليم الأول المملوكي - راجع الفصل الثاني العلاقات التجارية الخارجية .

(١٣٥) Heyd, Op. Cit. II. p. 436.

حاكم حديد (١٣٢) . وفي القسطنطينية شجع السلاطين الشايبون وصول التجار القلورنسيين وقنصلهم لبلاده ، بل أن معاوي ومستشاري السلطان كانوا منهم . ويتولى القنصل رعاية مواطنيه التجار ، والضرب على أيدي الصابئين منهم ، ويساعده في عمله مسجل العقود وثأبته (١٣٣) .

ولما كانت معظم المشاحنات الدولية في شرق البحر المتوسط تتعلق بالتجارة أو هجوم السفن الأجنبية وسفن القراصنة على بلاد السلطان الممالكي واعتصابها الأموال والأنفس — فإن الاجراء الذي كانت تتخذه السلطات إذ ذاك هو حبس كل التجار الأجانب ومصادرة أموالهم وحجز القناصل ، لحين عودة المأسورين ، أورد ما اغتصب ، أو تعرضهم عما لحقهم من أضرار . ومن هذا ما حدث على عهد السلطان قايتباي من غارة قراصنة البروقانساليين على ميناء الاسكندرية ١٤٧٦ وأسر تجار السلطان ومنهم ابن عليبة ، ولم يطلق سراحهم الا بعد عودة ابن عليبة الذي افتدى نفسه وزملاءه بأموال عدة (١٣٤) . وامتلا عهد القوروي ببثل هذه الحوادث ، وفي كل مرة كان يلقي القبض على التجار والقناصل حتى تنتهي الأزمة ويطلق سراحهم (١٣٥) وأحيانا كان السلطان يرسل بعثات دبلوماسية من كبار رجال الدين المسيحيين ، للتفاوض بالطرق الدبلوماسية على حل الأزمات (١٣٦) .

(١٣٢) بالملحق برقم (١٨) حتى رقم (٢٠) هذه من المعاملات خاصة بجمهورية القلورنسيا وامتيازاته لجوارهم .

— Heyd, Op. Cit. p. 344.

(١٣٣)

— Depping, Op. Cit. II. p. 40.

(١٣٤) ابن ايلس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٠ - ١١٥ (طبعة كالة) انظر كذلك ..

ابن الخاضن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٢٢ (طبعة بوز) .

(١٣٥) ابن ايلس : المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٦/٢٨ - ١٢٧/١٩١/٢٠٥ .

(١٣٦) — Depping, Op. Cit. II. p. 196. & T. L. pp. 79-80.

بخصوص هذا الموضوع انظر ابن فضل الله القزويني الرسالة ص ١٠/٩ .

والواقع أن الممالك والأجانب كان يطوهم أمل واحد هو المصلحة الخاصة لكل منهم ، فلا يكاد السلطان يحبس تجارهم وقنصلهم حتى يسارعوا بإرسال البعثات الدبلوماسية ، ولا يمر العام الا ويشاهد ديوان القلعة بالقاهرة وفود الدول الأجنبية ومبعوثهم جاءوا يشددون ود السلطان لحل المنازعات ويطلب معاهدة جديدة . والملاحظ أن أي عداء بين السلطان وملائمة من طوائف التجار الأجانب كان يقع عبءه على كل الأحاف وقناصلهم دون استثناء .

ومن الوظائف الإشرافية الأخرى على التجارة وظيفه « ماشرى الختم » ، وقد استحدثت الممالك هذه الوظيفة لضمان استيفاء الضرائب النوعية على السلع الصادرة والواردة ورسوم الجمارك وغير ذلك ، ولتحش السلع . وعامل الوظيفة يتولى ختم الحمولات من البضائع ، وانختم دليل على استيعابها الرسوم المطلوبة ، وأختام أخرى دليل على نقاوتها وأنها مرت على رقيب معصها . وجماعة مباشرى الختم يوجدون في الجمارك والأسواق العامة (١٠٧) . ومنها أيضا وظيفة ناظر الخاص وهي وظيفة قديمة ترجع لأيام الفاطميين وأن متوليها لم يبلغ من جلال القدر ما بلغ اليه في دولة المماليك الأتراك (الحراكية) . (١٠٨) وقد اتخذت هذه الوظيفة صفة هامة خلال حكم سلاطين المماليك المتأخرين، وصاحب الوظيفة هو الوزير المقرب للسلطان، وفي الشؤون التجارية المخارحة كان يوكل اليه السلطان أمر مراعاة مطالب التجار

١٠٧ خليل ابن شامس الظاهري : المصدر السابق ص ٤١ .

١٠٨ ابن حجر : أعيان البشر ج ٢ ورقة ٤٦٦ (مخطوطة) .

— Zinke, Op. Cit. pp. 213-214.

(١٠٧) القريري : السلوك ج ٢ ص ٤٣٩ .

(١٠٨) القريري : السلوك ج ٢ ص ٦٧٠ - ٦٧١ .

القريري : الخط ج ٢ ص ٣١٩ .

الأجانب وقناصلهم فيعطى تعليمات على لسان السلطان بمنع الأصرار بهم وتمكينهم من البيع والشراء بحرية والتخفيف من شدة القيود المفروضة عليهم وهو وعماله يجوبون الأسواق لمراعاة تنفيذ هذا. ويتبع «طر الحاص» وظيفة «طر البحار الكارمي» وقد ارتبطت هذه الوظيفة بالكارمية لكثرة مصالحهم مع دولة سلاطين المماليك وترتبط ارتباطا وثيقا بتنظيمهم الإداري وتجارتهم في البحر الأحمر ومصر. ولأهمية هذه الوظيفة فقد أضيفت لأشراف ناظر الخاص وأحيانا أخرى تنفرد عنها وذلك حسب ما يراه السلطان (١٠٩). ومن اختصاص هذه الوظيفة كذلك متحصلات مقايضات البهار ورسم البهار الوارد للطور من ميناء جدة (١١٠). ويقابل هذه الوظيفة في غرب البحر المتوسط وظيفة «هيئة قناصلة البحر في قفالونيا وفلورنسا والبندقية» وغيرها من الدول التجارية، وتحتص برعاية مصالح التجار العاملين في المجال الخارجي بحرا، وهي صلتهم بالحكومات، وكان لهذه تعار قفالونيا صفة رسمية ويعود إليها الفصل في إعادة العلاقات التجارية بين قفالونيا ومصر على عهد الملك التونسي الخامس ١٤١٦ - ١٤٥٨ والسلطان الأشرف ابنال المماليكي، بعد أن انقطعت هذه العلاقات منذ عهد السلطان برساي بسبب تهجم القراصنة على السفن والسواحل المصرية (١١١).

وعلى رأس الإدارات التي كانت تشرف على تجارة الكارمية إدارة عرف صاحبها باسم «مستوفي البهار والكاريم». وقد وضع المماليك هذه الوظيفة لتتناسب مع توسع الكارمية التجاري ولتنظيم جباية الضرائب منهم ورعاية مصالحهم، فمن واجبات صاحبها مراقبة واردات

(١٠٩) القلشندي : صبح الأعلي ج ٤ ص ٣٢ .

(١١٠) ابن شامس : زبد كشف للملك ص ١٠٩ .

(١١١) القلعة : المجلد ٤٥ ، سبتمبر ١٩٦٠ ص ٤٨ - ٤٩ ، المجلد ٤٩ ، يناير ١٩٦١

ص ٨٨ وما بعدها .

متاجر الكاريم من مستودعاتهم باليمن وعدن وجدة ، وكذلك الاشراف على فادقهم وتسهيل تعاملهم مع الوطنيين والأجانب (١٦٢) . وقد وجدت ادارات أخرى تختص بالاشراف التجارى على الكارمية ، منها وظيفة المراقب ، ووظيفه المفتش ثم موظف ثالث يختص بالزكاة من الكارمية والمراقب هو الاستادار الماليكى ويتولى هذه الوظيفة بجانب اشرافه على شئون بيت السلطان ومطابخه وغلخانه ، وهو أو من ينوب عنه يقوم بعملية مراقبة تحصيل الضرائب والموائد على الكارمية ، ومقابل ذلك يرعى السلطان مصالحهم فى البر والبحر (١٦٣) . ويبدو أن وظيفة المتحدث هى هبة الوصل بين الكارمية وبين السلطان وهو مسئول عن كل ما له صلة بتجارهم أيضا .

ومن الوظائف الاشرافية على التجارة وظيفة المحتسب فى الأسواق المحلية والأسواق الموسمية ، ويعمل المحتسب ورجاله على منع التلاعب فى الأسعار والموازين ، أو غش المبلغ . ويراعى فى اختيار المحتسب أن يكون ذا صرامة وخشونة فى الدين ، إذ أن سمعة دولة المالك فى الخارج تتركز الى حد كبير على سلامة التعامل فى الأسواق . لذا حرصت الدولة المالكية على ألا تتعارض مهام وظيفة

(١٦٢) لكل ديوان من الدواوين ناظر ومستوف ، والمستوفى من كتاب الاموال ويعاون الناظر وهو هنا يتولى استيفاء مخصصات الضرائب على البهار والضرائب الأخرى المختصة بجماعة الكارمية . بخصوص الدواوين المالكية عامة - انظر القلشنقى : صبح الامنى ج ٥ ص ١٦٦ وبخصوص وظيفة مستوفى البهار والكاريم انظر :
— Fischel, W., Journal, Vol. 2, Part 12, p. 167.

— Fischel, Journal, p. 168.

(١٦٣)

وظيفة الاستادار أساسا من وظائف إرباب السيوف ويتولى صاحبها الاشراف على بيت السلطان ومطابخه وغلخانه . ويبدو أنه قد عهد اليه عملية الاشراف على تحصيل ضرائب الكارمية وقد غنى الاستادار محمود على عهد السلطان يرقوق ولما ما استدانه السلطان من الكارمية لتجهيز حملة ملاقاته فيبولوك .

القلشنقى : صبح الامنى ج ٤ ص ٢٠ و ج ٥ ص ٤٥٧ .

ابو المحاسن : النجوم ج ٨ ص ١٢٢ دار الكتب .

ابن حجر : أبله الضر ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

الحسبة ونظامها مع القوانين والأصول التجارية المرعية ، وخاصة مع الأجانب الوافدين على أساس أن إيرادات الأسواق من التجارة الخارجية أصبحت مصدرا رئيسيا لمالية الدولة منذ افلاس النظام الاقطاعي المعتمد على الزراعة . وجرت العادة عند المماليك أن يولوا للوظيفة الرئيسية في هذا الجهاز التنفيذي أحد العلماء من رجال القلم وأحيانا يجمع بين الحسبة والقضاء . ولو أنه في أواخر العصر المماليكي ولى عليها أمير مهم هو « منكلي بما الشمسى » على عهد السلطان المؤيد شيخ « وحان بردى العرالى » زم « العورى » « وماماي المماليكي » خلال سلطنة « طومانباي الثاني » القصيرة (١٦١) .

نقابات التجار :

أما الهيئات الأهلية المشرفة على التجارة ، فهي هيئات مهنية تجارية على رأسها هيئة « نقابة التجار » ، وقد عرفت هذه النقابات في الشرق والغرب ، ففي عرب البحر المتوسط كانت « نقابة تجار القطن » لها الكلمة الأولى المسووعة في التجارة الخارجية ، وهي التي دفعت الملك الفونسو الخامس لاستعادة علاقاتهم التجارية مع مصر على عهد السلطان ايبال (١٦٢) . وفي جنوة والنقلية وفلورنسا وحدثت هذه النقابات ، ولعل أشهر نقابات أوروبا نقابة هيئة تجار الهالسا في

(١٦١) سيده عاكور - العصر المماليكي من ٣٦٨ - الفيلسفي - صبح الأمل ج ٤

ص ٢٧

القرينى : السلوك ج ٢ ص ١١٥ - القرينى : القبط ج ١ ص ٤٦٤ .

« عهد المحسبين في الدولة ثلاثة واحد للقاهرة والوجه البحرى وواحد للسلطان والوجه القبل والثالث حاسى بئر الاسكندرية ومحاسب القاهرة اعظمهم وله حق حضور جلسات الاستئناف العليا في دار العدل والديوان » .

(١٦٢) المجلة عدد سبتمبر ١٩٦٠ ص ٤٨ - ٥٦ عدد يناير ص ٨٨ .

— Heyd, Op. Cit. II. pp. 482-483.

— Drèping, Op. Cit. I. p. 26.

شمال وعرب أوروبا ودورها الهام في نقل التوابل من الهندية ثم مر لشبونة أوائل القرن السادس عشر . وأعضاء نقابات التجار هم التجار المحليون والخارجيون واقتصرت في بداية الأمر على تجار المدينة الواحدة ثم توسعت لتشمل تجارا خارجها . وأصبحت حتى أواخر العصور الوسطى الملة بين الحكومة وهيئات التجار ، وتطورت لتصبح صورة من صور العرف التجارية الحالية بمعناها المهنى ، وكذلك نواد تجارية واتحادات قومية تجارية . وقد بدأ ظهورها منذ القرن الحادي عشر وبتوالي القرون تطورت لتشمل خدماتها التجار والشركات وأصحاب رؤوس الأموال والحكومة نفسها (١٦٦) . كما أنها تسدد من التجار أموال الحكومة من صرائب ورسوم جمارك . ويحصص تجار الهيئة النقابية لقوانين الدولة التي يتعاملون معها يباعا وشراء ، كما أنهم أحيانا يقصرون أعمالهم مع التجار المهنيين مثلهم ولا يتعاملون إلا في تجارة الحملة تاركين القطاعي لصغار التجار غير المهنيين لهيئات مماثلة (١٦٧) . ويذهب البعض إلى أن نمو المدن وظهور طوائف الحرف المهنيين التجاريين صنوان . بل يؤكدون أن نقابات التجار هي وطوائف الحرف الأخرى كانت القاعدة في التنظيم الإداري والسياسي في الدولة وان لم تؤيد الوثائق بالدليل القاطع وجود علاقة بين طوائف الحرف

— Jacob, Op. Cit. pp. 444-445.

(١٦٦)

(١٦٧) «Merchants Guilds» أو نقابات التجار كلمة Guilds الإنجليزية التي تعني الدفع To pay استمرت في العصور الوسطى لتتل على الهيئة التي يقوم أفرادها بعمل معين في التجارة أو الصناعة والحرف في الشرق والغرب على السواء لتصبح الآن ما يعرف باسم « الحرف التجارية » . وكانت قبل هيئات منفصلة لا يسمح للأفراد بالانضمام لهيئات أخرى . كما حظى الناحر المهني العظيم للهيئة لرعاية الحكومة حتى لا يتهرب من الضرائب وحصرهم للانضمام للهيئة ما كانوا يحصلون عليه من امتيازات مالية والتصریح بالعمل في الخارج إلا لا تمنح الصاريح إلا لأعضاء النقابة

— Webster, Hist. of Civilization, Ancient & Mod. p. 498-500.

توفيق اسكندر/بحوث في التاريخ الاقتصادي - مقال لوبيز عن طوائف الحرف

التجارية والمجالس السيائية (١٦٨) . وفي مصر جمعت أحيانا طائفة التجار والصناع نقابة واحدة ، اذ كان الصانع يبيع ما يصنعه بنفسه ، مما أدى الى أن تمارس نقابة الحرف التجارية مهمة التفقيش لصالح الحكومة على الصناع . وعلى أية حال فإن هذه الطوائف اندمجت في اتحادات عامة ولم يبق للطوائف القديمة سوى ظل من الأثر وهذا الانتقال لم يأت عبثا ولكن تدرج تلقائيا ما بين القرنين ١٤ ، ١٥ م . ونقابة تجار الكارمية في مصر هي المصور الوسطى مثال واضح لهذه الهيئات الأهلية المشرقة على تجارة الشرق ، وهم يكونون اتحادا طائفا مطلقا يجمع أفرادهم ولا يقبل غيرهم . وسعوا الى تكوين هذا الاتحاد لأن فردا واحدا مهما بلغت قدرته لا يستطيع أن يقوم بهذا العمل بمفرده . كما أنها كانت تنظيما عائليا يعبر من الأب الى الابن وهم يدرسون أبناءهم على هذا العمل من صغرهم (١٦٩) .

ومن هذه الهيئات الأهلية كذلك « نقابة المنتجين » ، وهي تمثل اتفاقية بين بعض التجار لغرض التحكم في الأسعار العامة ، بالدفع أو التثبيت لتحقيق أعلى ربح ممكن للهيئة ولأعضائها ، ولو على حساب البلاد المنتجة والشعب المستهلك ، وهي التي عرفت باسم « هيئة الكارتل » ، وهي في الواقع نوع من الاحتكارات تتعد فيها عدة شركات لمصالح أفرادها . وظهرت هذه « الكارتلات » الانتاحية في فلورنسا وبين هيئة تجار « الهانزا » وشملت عملياتها التجارية المبحر والشب وقد أصاب هذه الهيئات التدهور في فترة الازدهار الذي نتج عن وصول السلع الشرقية كميات وفيرة ، بأسعار رخيصة لأوربا

— Webster, Op. Cit. p. 498.

(١٦٨)

— Henry, Higgs, Dictionary of Political Economy.
Vol. 14. Matter. «Gild & gild Merchants»

(١٦٩) (١٦٩) للريرى السلوك ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ - ابن جبر الدور الكلية ج ١

ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

Rischel, Op. Cit. (Journal) p. 164-165.

أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر بعد وصول البرتغاليين للهند بحرا (١٧٠) .

نظام الاحتكار التجارى :

لعل من أهم الأسباب التى أضرت بتجارة مصر الخارجية ما لجأ اليه السلاطين الجراكسة فى القرن الخامس عشر منذ عهد السلطان برسباى الى سياسة احتكار التجارة الخارجية بعد أن كانوا قد احتكروا بعض السلع فى التجارة الداخلية ، ويفسر هذا الاتجاه فى الاحتكار التجارى الى حاجة السلاطين الماسة الى المال لكثرة الحملات الحربية من حاب ولتعويض الخسائر المادية التى حلت بهم بسبب اختلال النظام الإقطاعى من جانب آخر . وكان على الدولة أن تعمل جهدها لتوازن ضعف إنتاجها الزراعى الذى كانت تعتمد عليه كعمول لماليتها ، فاتجه السلاطين المالكيك الى الاشتغال بالتجارة واتبعوا سياسة الاحتكار التجارى لتعويض هذه الخسائر . وبلغت سياسة الاحتكار أشدها منذ عهد السلطان برسباى ، اذ احتكر صناعة السكر وتجارته الداخلية ثم تجارة الخشب والمصنوعات المعدنية (١٧١) . ثم ما لجأ اليه السلاطين من المتاجرة الشخصية فيما عرف باسم «التجر السلطاني» وفيه تنافس السلاطين بتجارتهم أرباب الأعمال وتحكموا فى أوراقهم وعملوا لهذه التجارة ديوانا عرف « بديوان المتجر » (١٧٢) . على أن أخطر اتجاه اتبعته الدولة وأدى بها الى نهايتها المحتومة هو احتكارها للتجارة الشرقية مع عدم وجود الخبرة الكافية فى هذا المجال ، فاشتغل السلطان وأمرأؤه بالتجارة مع علمه بما قد يعرّض هذا من مخاطر على

— Jacob, Op. Cit. p. 449. (١٧٠)

(١٧١) ابن ابيس : بستان الزهور ج ٢ ص ٢٤٢ .

(١٧٢) القريرى : السلوك ج ٢ ص ٢٤٤ .

الدولة . وكان السلطان الأشرف برسباي قد أعزته المكاسب فتوسع في احتكار التجارة الشرقية ، وفي عام ٨٨٣٢/١٤٢٩ م « أمر السلطان بتجهيز مال إلى جدة ليشتري به ، وحجز على الفلفل أن يشتري لغيره ، وألزم جميع التجار ألا يتوجه أحد ببضاعته إلى الشام ، ولا غيرها ، بل إلى القاهرة ، ولا يباع إلا بالاسكندرية بعد أن يكتفى السلطان .. وألزم الفرنج بشراء الفلفل بزيادة ٥٠ ديناراً على السعر الواقع . فاشتري الفرنج شيئاً ورجعوا بالكثير بضاعتهم وما معهم من النقد إلى بلادهم ، فلم يحصل للسلطان مقصوده ، وحصل على التجار من الغلاء ما لا يوصف ، وتمادى الأمر على ذلك ، وظل يزداد في كل سنة شدة (١٧٣) » . ولم يلبث برسباي أن حذر الكارمية من بيع توابعهم إلا له ، بعد أن لاحظ التجارب بينهم وبين التجار الفرنج ، وهو ما يمكن أن يعسر بتجاوب بين البرجوارية الكارمية والبرجوازية العربية الممثلة في هؤلاء التجار ، وهو بهذا الحظر يجبر تجار الفرنج على شراء التوابل من متجره وبالسعر الذي يحدده (١٧٤) . ثم ما لبث أن أصدر مرسوماً أعلن في أسواقه الكبرى في الشام والحجاز والاسكندرية ، أن يبيعها لا يكون إلا في متاجر السلطان ، وعاد إلى التهديد بأجبار الكارمية بشراء التوابل فيما عرف باسم « الطرح » أو « التوابل الشريفة » (على عهد السلطان قايتباي) بسعر يزيد ثلاثين ديناراً للحمل من الفلفل عما اشتراه به منهم (١٧٥) .

(١٧٣) ينقله ابن خلدون هذا السجل من السلاطين . لأنه في هذا مضايقة للتجار وتكميل ذلك أن الرعايا متكاثرون في البسائر ومتكاثرون في مراعاة بطنهم بضاً ، وإذا راقهم السلطان في ذلك وماله عظيم . فلا يكاد واحد منهم أن يحصل حل فرفسه في شيء من حاجاته . ويدخل على النفوس من ذلك غم ولكل . ويستطيع السلطان أن يسيطر على السوق بماله . ولا يوجه من يخالسه في عمله . فيبغض من ما يقترنه ويرفع من ما يبيحه .

ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٢٨١ (طبعة بيروت) .

(١٧٤) صبحي لبيب : اقتصاد السابق ص ٤٥ .

(١٧٥) ابن حجر : أعيان البشر ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

على أن سياسة الاحتكار التي وضع السلطان برسباى أساسها، أضحت نظاما اقتصاديا صار عليه خلفاؤه من سلاطين الماليك ، حتى النورى . وبلغ سعر الحمل من « التوابل الشريفة » السلطانية احتكار السلطان ما بين ١٢٠ - ١٣٠ ديناراً ، بعد أن كانت تباع بالقاهرة بسعر ٥٠ ديناراً وفي الاسكندرية بشمانين ، مما صبح معه تجار العرب، واحتجت حكوماتهم ، وعادت سفنهم عدة مرات دون شراء ما يلزمها ، اذ أن عمال السلطان كانوا يجبرونهم على شراء « التوابل الشريفة » قبل حصولهم على حاجتهم من السوق الحر وهو أرخص (١٧٦) . وكثيرا ما كان يؤدي سوء العلاقات بسبب سياسة الاحتكار الى القبض على تجار الفرج وقناصلهم وحجزهم في فنادقهم ، أو حرهم الى ديوان الحمرق واجبارهم على شراء « التوابل الشريفة » أولا بالسعر الذى يحدده السلطان ، ويضطر القنصل وهيئة التجار الى الانصياع لرغبات السلطان ، ثم توالى البعثات الدبلوماسية والمفاوضات ، وفي عام ١٤٩١ م استقر الرأى على أن يباع قنطار الفلفل بشمانين دوكلات، ولص على ذلك فى كل المعاهدات (١٧٧) .

والواقع أن سياسة الاحتكار التى اتبعها الماليك لم تكن فى صالحهم ، ولا صالح الاقتصاد الوطنى ، فقد عجز الماليك عن تقدير الضرورة اللازمة لبقاء طبقة الكارمية فى مكابها ووظيفتها كوسيلة

= شارل ديول البندقيه ص ١٤٥

— Dunbar, Op. Cit. p. 151.

— Wiet, Histoire De La Nation Egyptienne, T. IV pp. 574-575 576.

— Morris Op. Cit. p. 185.

(١٧٦) أبو الفتح عنتربى من سلسلى المحرر ج ٢ ص ٢٤٧ .

توليف اسكندر نظام القابضة ص ٤٢ - ٤٤ وملاحقة ص ٤٤ (انظر الفصل الثانى) .
— Hoyd, Op. Cit. II. pp. 491-493 & pp. 525-526.

(١٧٧) انظر الفصل الثانى طالعلاقات التجارية الخارجية وكذلك بالملحق سماعات

تريفيروالى النورى وملاحقها برقم ١٢ ومايتبعها .

ضرورة للحفاظ على مكائهم واستقرار الاقتصاد المصري . ولم تسيء هذه السياسة الى الكارمية فقط بعد أن أبعدوا نهائيا عن هذه التجارة ليتولواها تجار السلاطين ، بل انها أساءت كذلك الى العلاقات بين التجار الأجانب والدولة المالية ، مما حدا بهؤلاء التجار الى البحث عن طريق آخر للتجارة الشرقية وتم ذلك عام ١٤٩٧م ، وإن لم يكن الاحتكار هو السبب الوحيد لاتجاه الأوربيين لطريق آخر غير مصر (١٧٨) .

الراسمالية في النظام التجارى

يرجع المؤرخون ظهور النظام الرأسمالى فى تجارة المعصور الوسطى الشرقية والحرية الى القرن الثالث عشر ، ورائده فى مصر التاجر الكارمى ، وفى أوروبا التاجر الايطالى ، وقويده هذا الرأى غنى تجار الكارمية الفاحش ، وموتهم للسلاطين فى تجريد الحملات الحربية

(١٧٨) سميح عاشور : مصر للملكى ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

سميحي نهيى المصدر السابق ص ١٢ .

عند عام ١٢٥٥ والتجار الكارمية لا يظهرون بكثرة فى الأسواق حتى أنهم عام ١٢٨١ لم تذكر المصادر عنهم شيئا وإن ذكر بعلوم بعض تجار السلطان ، مثل دابن عليه . سميح
أشرف الفرنج مع بعض التجار عام ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م .

ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٥ (طبعة كالة) وكذلك ص ٢٠٢ . والواقع أن الكارمية عند ذلك الوقت وهم مجرد موظفين لدى السلطان أو مندوبين له بالأسواق يكسبون عيشهم فى وكايه بعد التحكم فى مصرهم . واتجار السلطان بعلوم بعض أفراد من المائلات الكبيرة . الا أن جهودهم اقتصر على حدود وظيفتهم لكفالة حيرتهم ثم داهم مصر وصول البرتغاليين للهند ومنع جذب الرقيق بسبب حيز العثمانيين لهم وانزاع المنح على الأطراف الشمالية . واقتصر عمل التجار للسلطان على الأسواق المحلية ويبرز هنا ابن اياس فى وصف مصر قبل الفتح العثمانى من أن التجار أحد الذين أما تاجر الحوم يسمى ليجلها من البلاد للمندلة راما بالغ لها يفرها لسكان القاهرة مما يدل منه على انهيار مكانة التاجر المصرى .

ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٠ و ٢٢٩ و ٢٤٠ (طبعة كالة) .

واقراصهم بهم الأموال أحيانا (١٧٦) . وكانت فترة الحروب الصليبية بالنسبة للأوربيين أفضل فترات ثرائهم وظهور الرأسمالية البرجوازية بينهم ، وعاصرت ظهورها في مصر على يد الكارمية الذين بجهودهم حملوا متاجر الشرق ، والايطاليون يراعتهم نقلوها للغرب وكسود كلاهما من البيع والشراء ثروات ضخمة. والرأسمالية البرجوازية الغربية المثلثة في التاجر الايطالي كاصحت سياسيا ودينيا عداء البابوية لها ، وأعلن البنادقة صراحة أنهم تجار قبل أن يكونوا مسيحيين ، وفشلت جهود البابوية في أثنائهم عن التعامل مع مصر ، كما فشلت في أغراضها من الحروب الصليبية ، مما أكد لها أن قوة مصر دعامة لتجارتها ، وإن هذه التجارة تعتمد الى حد كبير على جهود الرأسمالية الكارمية . لذا استمرت سياسة أوروبا التجارية حتى أواخر العصور الوسطى قائمة على اجتلاب ود الممالك لاستمرار التجارة واستمرار الحصول على المزيد من الاعفاءات والامتيازات التجارية . ومن ناحية سلاطين الممالك فهم يستجيبون لهذا بالقدر الذي تبديه هذه الدول من حسن النية والرغبة في المتاجرة ، بل أكثر من هذا ظلت العلاقات ودية كذلك بين الكارمية كتجار والأوربيين وهيئاتهم التجارية ، بل قامت بينهما شركات مقارضة رأس المال فيها للكارمي والجهد للأوربي (١٨٠) . وقد صاحب ظهور

(١٧٦) «ذاكر المراجع العربية أسماء صفوات التجار الكارمية وأسس الغراء ، ملهم لاسر الدين صبه بن مسلم الذي بلغ رأس ماله عشرة ملايين دينار ومات وهو لا يعرف قنوجاد» .

(ابن دليمال : الانصاف بواسطة عقد الانصاف ج ٤ ص ٥٠ .

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٠٥ - ابن شاذي : روضة كشم الممالك ص ٤٦

ابن ابيس : جالغ الزجود ج ١٠ ص ٢٠٢ - ٢٢٩ - ٢٣٠ .

أبو الحسن : المعجم ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

القريري : السلوك ج ٢ ص ١-٢ .

(١٨٠) القريري : السلوك ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ - ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١

ص ٤٢ .

أبو الحسن : المعجم - ١٠ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

الرأسمالية في الشرق والغرب ونموها حتى نهاية العصور الوسطى
 أمرا - الأول تكديس رؤوس الأموال على شكل نقد وبيع ثم قيام
 جهود مطردة للتنافس وتحسين أساليب التعامل المالي في الأسواق .
 والثاني قيام حركات مضادة للرأسمالية البرجوازية التجارية في أوروبا
 ومصر (١٨١١) . ففي أوروبا وقعت البابوية موقف العداء الصريح
 للرأسمالية ، إذ طبقت الكنيسة تعاليم المسيحية بصورة دقيقة وحارمة
 ضد الرأسمالية ، فالبرجوازيون عندها يمثلون طبقة بيضة
 قد لا تقل نفعا عن طبقة الكتبة والفريسيين في عصر المسيح عليه السلام
 والذين طردهم من الهيكل قائلا : يبتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه
 مغارة لصوفس . وهي في نظر الكنيسة تمثل طبقة عباد المال بكل
 مساوئها ، كما أنهم طبقة نامية خطيرة بالنسبة لمركز رجال الدين
 السياسيين الذين خشوا منهم على مركزهم السامي بين أفراد الشعب .
 أما في الشرق فقد وقعت السلطات المالية موقف البهمة من تحارب
 الكارمية الذين يمثلون الرأسمالية البرجوازية ، ثم موقف المصالح
 الخاصة بعد أن انهار النظام الإقطاعي الذي قام عليه النظام المالي .
 وتطلع المالك إلى تجارة الكارمية واحتكارها مما أدى إلى فقدانهم
 مراكزهم وصفتهم ليندثروا في الربع الأخير من القرن الخامس عشر .
 ويؤرخ هذا أيضا بداية الانهيار في التجارة المالية الذي أدى في
 النهاية إلى إحياء الدولة نفسها بعد أن وصل البرتغاليون إلى الهند
 بحرا . إلا أن ظهور البرتغاليين في الهند والذي أنهى دولة المالك في
 مصر والشام والتي أنهت بدورها برجوازية العصور الوسطى قائلها
 غير ذلك في أوروبا . فإن النهضة الإيطالية وما صاحبها من ظهور
 القوميات في أوروبا وحركات الإصلاح الديني أواخر القرن الخامس
 عشر وأوائل القرن السادس عشر ، قد حد من سلطة البابوية الكبيرة

في الشؤون الدينية والسياسية وأوقف محاولاتها للقضاء على الطبقة البرجوازية الأوروبية الشطة التي لم تندثر بل ازدهرت لتبلغ أوجها في عصر الثورة الصناعية (١٨٤٦) .

المعاملات المالية في التجارة :

النظام المصرفي :

وقد اقتضى تطور الأعمال المالية والتجارية في العصور الوسطى ، تأكيد أهمية وجود المصارف في المعاملات المالية وكان لمعظم الجمهوريات الإيطالية التجارية في القرن الثاني عشر بنوك ضخمة لها فروع في كل أنحاء مراكز نشاطهم التجاري في الشرق والغرب ، عملت على تسهيل التعامل المالي والتجاري النقدي وغير النقدي بالسندات وخطابات الاعتماد بالشيكات والاستبدال النقدي ، ومارست البندقية وجنوة هذه العمليات منذ أواخر القرن الثاني عشر (١٤٦٦) . كما أسهمت أشهر عائلات البندقية البرجوازية بنصيب وافر في نمو الحركة

(١٨٢) الطبقة ان البرجوازية المسيحية الممتدة في التجار الكارمية في العصور الوسطى صارت من النطاق من طبقات أو الفئات في وجه انتزاع الفجوة منها ينكس البرجوازية الأدبية ويرجع ذلك لعدة عوامل أبرزها قوة المالك وتمكنهم في البلاد ونجاحهم الرائع في القضاء على متول الشرق وسلبى الغرب . وهم وان كانوا في الطبقة يدايمون في كتاباتهم وحياتهم ومصلحتهم الخاصة ، فانهم ضمروا بين يدهم الطريقة عندما أسسوا الحياة الرأبعية ينكس ما حدث في أوروبا التي استطاع برجوازيوها النطاق من أنفسهم ومصلحتهم ضد الامبراطورية والبابوية وسماهم في ذلك تطور الأحداث ونمو القوميات في أسبانيا والبرتغال التي بدأت تلتحق بغيرها لتكفل هذا الشرق بالوصول للهند بحرا والبحر تيار التجارة في البحر المتوسط للتحيط الأطلسي .

انظر : صبيح لبيب : العصور السابق من ٥٠ و ٥١ و ٥٢ .

(١٨٣) من ذلك أيضا ان البابا توسعت الرابع عهد ال بنك البندقية عام ١٢٦٤ في تحويل مبلغ ٢٥٠٠ ملوك فضة لأحد رجال الطبقة الوسطى البرجوازية في فرانكفورت .

— Depping, Op. Cit. II. pp. 175.

— Maillet, Op. Cit. p. 138.

الاقتصادية التي شملت العالم في القرنين الأخيرين من العصور الوسطى من بينها ييوت الأخوة مورسيني أكبر ييوتات التجارة في البندقية ، وعملت بنشاط مروعها في الشرق على تطوير عمليات للمصارف والتعامل المالي ، فكان لها فروع في قبرص وبيروت وحلب ودمشق (١٨٤) .

وأصبح الجويون واللومبارديون ، وكذلك الفلورنسيون في مصر والشام والدولة البيزنطية والدولة العثمانية في هذه العمليات المصرفية ، وهي الوظيفة المصرفية بنشاط وامر ، فكانوا يستبدلون الصلات ، ويتاجرون في التوابل والسلع الأوربية بالنقد والأجل ، ويتقبلون الودائع وصكوك «شيكات» الدفع ويتساهلون في منح القروض ، للعملاء (١٨٥) . واعتبرت عمليات الصياغة واستبدال النقد كذلك بداية الأعمال المصرفية ، حتى انه أواخر العصور الوسطى عرفت أنواع من الشيكات والحوالات المالية تسحب مقابل ودائع معينة من المعادن الثمينة (١٨٦) .

ولم تكن الأعمال المصرفية حدثا جديدا بشرق البحر المتوسط ، فقد عرفت منذ أن كان للمسلمين دول ، وفي الشام والعراق ومصر . فكان لبلاط الخليفة أو السلطان صرافان رسيان ، في حين أن النظام المصرفي في أوروبا لم يتطور الا خلال الحروب الصليبية بعد أن نقله الأوروبيون عن الشرق العربي (١٨٧) . وقد لاحظ الرحالة ناصر خسرو

(١٨٤) شارل ديبل البندقية ص ٦٥ .

— Jacob, Op. Cit. p. 443.

(١٨٥)

— Allan, Op. Cit. p. 279.

« في أشهر هذه المصارف في فلورنسا Bardì & Peruzzi وفي البندقية Tiepolo

وفي جنوا بنك St. George الذي كان اعظم بنوك العصور الوسطى للبلية وخاصة برونه على البحر الاسود »

— Hons, Op. Cit. p. 82, 83.

(١٨٦)

— Fischel, Jews in the Economic ... p. 82.

(١٨٧)

في القرن الثاني عشر حين أشاد بمدينة أصفهان أن بها ما لا يقل عن مائتي صراف رأهم في سوق لهم يسمى سوق الصرافين (١٨٨) . وكان التعامل المالي بها يجري على يد الصيارف ، فيعطى التاجر المذ للصراف ، ويحصل منه على صك بها دفعه ، وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك محولة على الصراف ، وهي ما تعرف الآن باسم «شيكات المحولة» ويبدو أنها كانت أرقى ما وصلت اليه المعاملات المالية في الدول والولايات الإسلامية (١٨٩) . وقد نقل الأوربيون هذا النظام ليتطور الى نوع من التعامل المالي الأرقى ، وفيها يضمن المعامل وصاحب رأس المال حقوقه بلا عناء ، ومن هذه الأنواع المستجبات المتطورة وخطابات الضمان والسندات وأذون الدفع (١٩٠) . كما أنهم كانوا يسجلون هذه الأوراق المالية لدى الموثقين العموميين في سجلات التوثيق ، والوثائق التي وصلت اليها من العصور الوسطى تعطيا فكرة عن نظامها ، فهي تارة بخط أصحابها ، وتارة بخط الموثقين . وقد لجأ أصحاب العمليات المالية الى الموثقين الرسميين لكتابة سنداتهم ، برغم معرفتهم الكتابة ، حتى تكون الصيغ القانونية خالية من الأخطاء ، وغير قابلة للطعن أو النقص (١٩١) . وقد عرف الشرق منذ وقت بعيد نظام دفاتر أو سجلات الحسابات ، بل ان القضاء الاسلامي اعتبر دفاتر المالين حججا على أصحابها من تجار وصيارف لاتقبل النقص (١٩٢)

(١٨٨) ناصر خسرو : الرحلة ص ١٢٨ .

(١٨٩) منز : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢١ .

(١٩٠) — Lopez, Op. Cit.

عن الكيالات وثيقة ١١٨ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ عن خطابات الضمان الانسانية وثيقة ١١٩ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ وعن السندات وثيقة برقم ١٢٠ ص ٢٢٤ وعن اذون الدفع وثيقة برقم ١٢١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ وثيقة ١١٧ ص ٢٢٩/٢٣٠ .

(١٩١) ص ٢٢٩ وثيقة ١١٥ ، وثيقة ١١٧ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

— Lopez, Op. Cit. pp. 229, 230, 231

(١٩٢) ابن حجر : انباء النصار ج ٢ ص ١٢٢ .

وقد ساد شرق البحر المتوسط التعامل بالسندات المالية والقرطيس، بعد أن بدا للناس أنها أفضل الوسائل لحماية أموالهم التي جنوها من التجارة وخاصة الشرقية. وكانوا يحشون في كثير من الأحيان مصادرات الولاة لهذه الأموال فيما عرف في العصور الوسطى باسم «مصادرة الربيع الخاص» وانتشر هذا النوع من المصادرة في مصر المالكية، وخاصة في القرن الخامس عشر، لحاجة السلاطين إلى الأموال للحرب أو لتقويم النظام الاقطاعي. فعند الناس إلى ابتداع أموالهم لدى كبار التجار للمتاجرة فيها، وهؤلاء التجار هم في نفس الوقت القائلون بالمعاملات المصرفية، ولهم مبان خاصة بهم هي المصارف. ويسكن المصرفيون دوائر خاصة بالعصبات الرسمية للحكومة وغير الرسمية للعملاء^(١٩٣) ومن أشهر صرافى العصور الوسطى في الشرق الاسلامي: اليهوديان يوسف بن قنيس وهارون بن عمران^(١٩٤). ومن هذه الأنواع أيضا نظام «السندات المالية المحولة للغير» التي اقترنت ظهورها بزيادة النشاط التجاري، وكان المسلمون أسبق من الغربيين في استخدامها وسدات هذا النوع قد تكون مؤجلة الدفع ولكن ترد دفعة واحدة. وقد تكون مقسطة وهنا تدخل ضمن نظام «خطابات الاعتماد الائتمانية» وردها مقسطة يتطلب استخدام الشيكات المصرفية المعروفة باسم السفتجات. وهذه الطريقة المالية - بالإضافة إلى صفتها المصرفية - فهي ضمن طريقة لحفظ المال من الضياع أو المصادرة، ويتولى هذه العمليات المصرفيون. وأصبح بإمكان التجار ابتداع مالهم لدى صيارف البنوك ويحصلون على سندات بقيمتها واجبة الدفع، للمكان القاصدين إليه. وللب اليهود في هذا المجال دورا هاما، بل أنها كانت في غالب الأحيان من أهم اختصاصاتهم

(١٩٣) ابن حجر: نفس المصدر السابقة، وكذلك انظر

— Lopez, Op. Cit. p. 213. Doc. 203.

— Fischel, Op. Cit. pp. 12-13-14.

(١٩٤)

لمعهم بالعملة الشرقية والغربية ، ثم مارسها عنهم العرب حتى أواخر
العصور الوسطى . وتعدت هذه العمليات النواحي التجارية الى
المعاملات المالية الشخصية (١٩٨) . وفي مصر استحدث تجار الكارمية
هذه الوسيلة في المعاملات المالية والتجارية ، وعرفوا التعامل بالنقد
والائتمان المصرفي في نقل الأموال ، وعقد القروض للسلطين في
مصر ، والملوك في اليمن ، وفي بلاد التكرور (١٩٩) . واستلزمت
عملياتهم المالية والتجارية ايجاد « مصرف عام » لهم (٢٠٠) . وعندئهم
بالقاهرة يقوم بهذه العمليات المالية ، كما كان فندق بلال يؤدي هذه
الوظيفة في حدود معينة (٢٠١) . كما كانت بنوك الكارمية تمنح
القروض للسلطين (٢٠٢) والأفراد (٢٠٣) . لقاء خطابات الضمان ،

— Fischel, Ibid, p. 37.

(١٩٨)

(١٩٩) أبو الحسن : المعجم ج ١٠ ص ٢٧١ و ٢٧٢ (دار الكتب) .

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٥ .

— Fischel, Journal, Op. Cit. p. 370.

— Fischel, Op. Cit. Journal, pp. 169, 170 & Ency. Of Islam, II, Art. Egypt. (١٩٩)

(٢٠٠) القريري الخطب ج ٢ ص ١٥٠ وما بعدها وبخصوص فندق بلال يذكر القريري
أن ارباب الأموال كانوا يودعون فيه سلعهم وأموالهم ويقولون كانت أدخل فيه فلان بداره
مئاديين مصطفة ما بي صنف وكبير ولا يوصل منها من الفندق سوى ساحة صغيرة بوسطه
تتمثل على مئاديين من الذهب والفضة ما يجعل وصفه .

(٢٠١) الرخص الكارمية « برهان الدين المحل » و « مهتاب الدين مسلم » و « نور الدين
الخرويري » السلطان برقوق مليون درهم لماله تيسور ذلك ١٣٩٤ واستثنوا من بيت المال
مئاديين ضمن بالتيالغ على حوزة الدولة على هيئة مئاديين أو مئاديين كتيها بقطعة وجسالة
الاستادار صغيرين على .

أبو الحسن : المعجم ج ٦ ص ٢٧٧/٢٨٦ (طبعة بربر (كاليغوريا)

القريري : المصنف ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ .

ابن حجر : ألباء القصر ج ١ ص ٣٦٦/٣٦٥ .

(٢٠٢) حيز السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ١٢٨٧/٦٨٧ م بطر اقرباء ،
دمشق الى القاهرة والزعمهم يطلع فراسات شعبة ورقض اطلاق سراحهم الا يسه الدفع ولا
كانوا لا يملكون المال المطلوب وحولوا من أن يودعوا الى دمشق ويتهربوا من الدفع مع
السلطان تجار الكارمية على دفع قروض ضمن بالتيالغ لهؤلاء التجار على أن يردوها لهم لدى =

كما تضمن هذه البنوك عمليات المقارضة بين الكارمية والأجانب (٢١) وعرفت كذلك عمليات التمويل التجاري بالسندات المالية « المؤجلة الدفع » على آجال طويلة أو قصيرة ، فعد لجأ التجار المصريون واثاميون الى هذه العمليات ، لاما كان استغلال جزء كبير من رؤوس أموالهم في التجارة ، ويتم التصديق في معظم الأحيان بعد البيع ، وقد اقتبسوا هذا النظام من تجار الغرب الوافدين الى مصر والشام ، ويرد التاجر أصل المال وربحه بعد البيع وضمانا لصاحب رأس المال المقرض ، فانه يسحب شيكات أو مفتحات على المقرض ، ويقوم بعملية تحصيل المبالغ المطلوبة الصياف لقاء مرتبات أو عمولة (٢٢) وهذا النوع من الشؤون المصرفية لم يقتصر على أفراد الشعب ، بل اتسع به رجال الدولة الذين لجؤوا الى المصارف وانتجار للاقتراض بآجال طويلة وبالقسط مع فائدة معينة ، وصاحب رأس المال هنا أيضا يعطى المصارف الأذونات ليقوم بتحصيلها لحسابه

• مردتهم لبلادهم • ودفع الكارمية المبالغ بعد أن حصلوا على حشوك بديورية نسالهم من مؤلاء التجار والأهم الثاني بكتابة هذه للسلفير بالمبالغ المقرضة خوفا من ألا يزدون ما أدخلوه بعد مردتهم •

(٢١) التقرير : السلوك ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ •

(٢٢) أبو الحسن حوادث الدهور (مخطوطة) ص ٢٢٢ انظر ما قبله ملاحظة ٤٠ •
— Maillot, Op. Cit. p. 242.
— Maillot, Op. Cit. p. 287.

المصري هو في الشرق الاسلامي الجعيد وجسما جهازة وهو غير المال ، والفجارة ما وهو يكتبه الشيكات والسفحات ويقتني على قيامه بالعمل المصرفي عمولة يحصل حزم لكل دينار ولسبيلها حوالي 7٦٦٦ ويرجع أن السفحات التي يكتبها الجعيد ، وتخصص بالبيع المزجل ، هي التي تعرف الآن باسم (الشك Skink) ومنها كلمة شيكات Cheques
— Poston, Op. Cit. II, p. 285.
— Fiechel, Jour. pp. 24-25.

يذكر الدكتور عبد الرحمن لهنى «الفرد العربية» ، ما فيها وحاشرها ص ٨٢ ان الظروف المالية استحدثت تملولا أسرع وأعظم للسلة لاجتاحت الأوراق المالية الخاصة يقيد ما للميل من حساب في المصارف credit وصار للهيئات مصارف للايداع والتسليف واستعملوا لذلك الحشوك الصك كلمة مربية من أصل فارسي أحاطا الأوربيون من الغرب لما أصبحت في الانجليزية باسم Check •

نظير جعل معين ويستفيد من هذه العملية المقرض والمقرض
والمصرفي (٢٠٣) .

وعرف كذلك في العصور الوسطى نظام ينوك الودائع للتسليف
على ودائع عينية وضامنها ويلجأ إليها التجار إذا احتاجوا إلى أموال
اضائية لتجارتهم . ووجدت أمثلة منها في برشلونة وجنوة وفيرونا
بإيطاليا (٢٠٤) . وفي مصر كان فندق بلال يقوم بهذه العملية إلى
جانب وظائفه المالية الأخرى ، ووظائفه التجارية والإسكانية (٢٠٥) .

وبخصوص الفوائد على المبالغ المقرضة للاستثمار التجاري
أو القرض بصفة عامة فإن قوانين الكنيسة كانت تحرمها في أوروبا في
العصور الوسطى ، إلا أن المتعاملين كانوا يتحايلون لتفادي قرارات
التحريم فضمنوا عقود الصرف أرباحا مستترة ضمن المال الواجب دفعه
كأنه أصل الدين ، وبهذه الوسيلة لا يمكن معرفة قيمة الفوائد . وزيادة
في الحرص كان يذكر في العقد الملغ الواجب دفعه خارج الوطن والمبلغ

(٢٠٣) فاسيفان الوزير العباسي في بن عيسى مبلغا من المال من بعض التجار على هيئة
قرض قيمته ١٠٠٠٠ دينار . وكان الضمان هو خطابات أو أدوات تحويل صليبيات
تبلغ في مواعيد محددة من كل شهر بمائة ١٢٪ من الفضة لكل دينار بحيث تصل الفوائد
شهريا إلى ٢٥٠٠ درهم وقد تم الاتفاق على ذلك بحضور اليهوديان المصرفيان الجبيلان
يوسف بن غنياس وهارون بن عمران صراني الفسر ودكلاهما ومدة القرض ١٦ سنة في
حياتهما وبعد موتهما .

— Fiechet, *Jews, Ibid.*, pp. 21-24-25-26.

— Ponsio, *Op. Cit.* II, p. 287.

(٢٠٤) بلغت أرباح القرض في فيرونا عام ١٢٢٨ م ١٢٪ وفي مودينا ١٢٢٧ م ٢٢٪

— Allen, *Hist. of Civilization*, p. 379.

وكذلك انظر على إيضاح وليقة رقم ١٠٣ من لوبيز ص ٢١٢ .

(٢٠٥) يذكر المقرري أن فندق بلال كان حرمًا للودائع كذلك — انظر قبله وكذلك

المقرري : المخط ج ٣ ص ١٥٠ وما بعدها .

ابدى يستحق داخل الوطن لتفادى ما يحدث عند تغير العملة ، وهي كلتا العالتين يستتر الربح أو الفوائد ضمن أصل المبلغ المطلوب رده (٢٠٦) . وفى الشرق الاسلامى تحرم الشريعة الحصول على فوائد للأموال المقرضة ، وإن كانت تجيز الربح المشترك فى الأموال المستثمرة فى التجارة ، وتحرم العقيلة تحريما قاطعا أرباح الربا مهما تكن أو التى يشتم فيها رائحة الربا المستتر . وقد ورد فى كتب بعض الفقهاء فى الدولة العربية الاسلامية أنه ليس عيبا أو محرما أن يدفع أحد الأفراد إضافة المال عليه بشرط أن يكون ذلك بمحض اختياره ، ولا يفرض عليه أى كتابة . ومع ذلك ظلت الاضافات قائمة على فوائد الأموال المقرضة ، وتشدد البعض ليشمل التحريم كذلك فوائد القرض المستثمر فى التجارة ، وإن كان الغرب المسيحي اعتبر أن ربح رأس المال المقرض للاستثمار التجارى أمر لا عار عليه ، وقال التجار فوائد لأموالهم ، فى حين أن اليهود لم يقيموا هذه الاعتراضات على المبالغ المقرضة سواء أكانت للأغراض الشخصية أم للاستثمار التجارى (٢٠٧) . وذكر مثلا أن أحد الأثرياء يعطى للتاجر مبلغا من المال ليتاجر به ، أو يعهد اليه بتجارته لتسهيل تسويقها ، ويكتب عليه الصك أمام الكاتب العمومى الرسمى (وهو يقابل الموثق فى الغرب) - وله صفة رسمية ، ويبدأ التاجر فى المتاجرة أو توزيع السلع المهدود اليه بها ، ويسر عليه صاحب المال يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، أو أى وقت

— Lopez, Op. Cit. pp. 162-163 & 169.

(٢٠٦)

ورقة ٧٥ من ١٦٥ ورقة ٧٦ من ١٦٦ ورقة ٧٧ من ١٦٦ ورقة ٨٠ من ١٧١ وكذلك

ورقة ٧٢ من ١٦٢ وكذلك ورقة ٧٣ من ١٦١

جزء : الفصل السابق ج ٢ من ٢٢٦ - ٢٢٠ .

— Poston, Op. Cit. II. p. 285.

(٢٠٧)

عند الغرب يباح ربح المتاجرة فى عقود المتاجرة أو القراض والتى فيها يطلع احداهما حالا ويحجر به الثانى والربح بينهما بالنصف لو الثلث لو الربح ويسجلون هذا فى عقود توصية ، أما إذا كان الربح كله لصاحب رأس المال والمتاجرة عليه فالتفريق بالبعد أجبر ، ولا تعتبر مقايضة ولا مضاربة . بل هو وكيل لصاحب رأس المال بالتأجير .

الجزرى : تاريخ اللغة على الفقه الاثرية - ج ٢ من ٢٢٣ .

يحدد في الصك ليحصل على نسبة من الأرباح ، وكانت تراوح أحيانا ما بين ١٢ر٧٪ من أصل رأس المال ، وعند توافر المبلغ يرد لصاحبه نقدا أو مؤجلا بأقساط المفتجات (٢٠٨) .

وبخصوص الأموال المقرضة للاستثمار التجاري ، فقد انتشر نظامها في شرق البحر المتوسط وعربه في العصور الوسطى وهو ثمرة التطور البطيء في النظم التجارية والمصرفية الوسيطة وعرف نظامها باسم نظام « عقود التوصية » وعقد التوصية يحصل في طياته معنى « الشركة » ، وان كان أقرب ما يكون للقروض العادية ، والملاقة بين الطرفين تشبه الملاقة بين « المقرض والمقرض » ويحدد العقد لمدة رحلة واحدة وينتهي بعد إعادة المبلغ ، وتقسم الأرباح والخسائر بنسب حسب ما يتفقان عليه . وعقود التوصية في العصور الوسطى شرقا وغربا ، كان الشريك الأول فيها يشترك برأس المال كنه ، والشريك الثاني يشترك بالجهد ، وسادت نسب الربح في فترة ما ٢ - ٣ ، والأكثر للتاجر الشريك المتنقل ويكفي الآخر رأس ماله وربح محقول (٢٠٩) .

(٢٠٨) مثل المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ - وصل الربح في بعض المراتل حوالي ٢٢٠ ومروسة اليهود والمسيحيون وبعض المسلمين .

وبخصوص التاجر الذي يموه بتجارته لسببارة لتحويله نسبة المصايف التي يزل لبحرية يركس وقابله شيخ المصارفة ونصحه بأن يموه بتجارته للسمار ويستأنهم كاتبا وشاهدا وطوالا ويحصل على أرباح تجارته يرمى الخيس والالتى من كل أسبوع يثير عمولة لكل مستخدم منهم ويحصل هو بعد ذلك على رأس ماله وربع بنسبة لظمن من النخبة لكل حملة . - لى بول : سيرة القاهرة ص ٢٦٩ .

— Clerget, Op. Cit. p. 307.

— Maurice, Op. Cit. p. 187.

— Lopez, Op. Cit. p. 174.

— Malliet, Op. Cit. pp. 136-137.

(٢٠٩)

يدكر الجزيرى : تاريخ الخلفه على المصايف الأربعة ج ٢ ص ١٢ « أن الخسارة او الخسار تعنى أن يدفع شخص مالا لاخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا ، والخسارة على صاحب رأس المال « وعند الخفاء من عقد بين اثنين يقتضى أن يدفع =

ويرجع انتشار انظم المالية هذه في التجارة بشرق البحر المتوسط — الى أن السلطات كانت لا تسمح للأجانب بالبقاء في ولاياتها مددا طويلة ، واتبعت الدولة البيزنطية مثل هذا أحيانا بالنسبة للمسيحيين العربى الكاثوليك ، لذا لجأ أصحاب رءوس الأموال وكبار التجار الى وسيلة « المقارصة » في شكل عقود توصية كوسيلة لاستثمار الأموال ، وظلت هذه الوسيلة قائمة طوال العصور الوسطى ، وهى أواخرها لم يعد يسمح للتاجر الا برحلة واحدة كل عام تقريبا . خشية ضياع أمواله . وكذلك للاقلال من الخسائر التى تتعرض لها السفن أو التجارة بالطريق ، امذا لم يكن بوسع التجار انشاء علاقات تجارية دائمة بهذه العقود (٢١) ومن أنواع هذه العقود . عقد التوصية ذى الجانب الواحد « ويعرف « بعقد التوصية الاصلى » والشركاء فيه اثنان : صاحب رأس المال والتاجر المستثمر ونسبة الربح ٣ — ٤ لهما واستخدم البنادقة هذه العقود بكثرة فى تجارتهم مع شرق البحر المتوسط (٢١١) . والنوع التالى يشترك فيه التاجر المتجول بثلاث

« احدهما للأمر مالا يملكه ليجوز فيه بجزء ضالع منظم من الربح كالصيد ، أو الغنم ، أو الرعي ، أو تربية ، بهرائط مخصوصة » .

انظر قبله ملاحظة ٢٤ وعقد الشركة بين الكارمن والفرنجنى عند مقارصة

الجزري : السلك ج ٢ ص ١٠٢ — ١٠٤ .

وهو نوع من أنواع عقود التوصية باسم Commenda Contracts

— Poston, Op. Cit. 11. pp. 324.

(٢١٠)

— Lopez, Op. Cit. pp. 175-176.

— Lopez, Ibid. pp. 175-176.

(٢١١)

وثيقة (٨٥) ص ١٢٩ من عقد توصية ذى جانب واحد) .

وثيقة (٨٩) ص ١٨٢ وفى الشرق العربى اصطلح عند الصائفة امكان استقلال الشريك

الوكيل بالتصرف فى العمل حسب المصلحة وان عقد المقارصة لا يوقت بمدة معينة ينكس الغرب حيث كانت العقود لرحلة واحدة والحكمات لا تخرج بأكثر منها عقدا سافرا الطريق . انظر

الجزري : الفهرست السابق ج ٣ ص ١٢ .

ومعروف فى الغرب الأوربي فى الرحلات البرية باسم Societas Terrena والرحلات

البحرية باسم Societas Maritima وكل منها عقود معينة ولها يبقى صاحب رأس المال فى

بلده ويقوم بالجد برا وبحرا الفريق المنقل « انظر قبله ملاحظة ٢٥ » .

رأس المال المستثمر وصاحب رأس المال بالثلثين ، والأرباح هنا بتسبة رأس المال لكل منهما أو مناصفة ، كما يتحصل كلاهما الضمائر ، ويعرف هذا النوع باسم « عقد التوصية » ذي (الجانبين) واستخدمه بكثرة تجار جوة في تجارتهم مع شرق البحر المتوسط (٢١٣) . ويعد أصحاب رؤوس الأموال إلى استغلال أموالهم بالعقود الفرعية والعقود المزدوجة لأكثر من تاجر في أكثر من مكان (٢١٤) .

وبخصوص تحويل الوحدات النقدية اشغل الجهابذة في الشرق ومراقبو النقود المحترفون في الغرب باستبدال هذه الوحدات بما يعادلها من وحدات نقد أخرى . ويتقاضون في ذلك عمولة درهما لكل دينار ، أي بنسبة ١/١٠٠ . وهم بذلك يقومون بأعمال المصارف في حدود معينة (٢١٥) .

(٢١٢) — Lopez, Op. Cit. pp. 174-175.

وليلة رقم ٨٥ من ١٧٩ — عقد التوصية ذو الجانب الواحد يعرف باسم Colleague Societas . وعقد التوصية المزدوج ذو الجانبين يعرف باسم ليلة رقم ٨٤ من ١٧٩ Societas .

(٢١٣) — Lopez, Op. Cit. p. 176 & p. 182 DOC. 89.

ظهرت بعض أنواع حرية من العقود شاعت في تجارة البحر المتوسط ، وتهدر فراجها في حد ذاتها ، أما لسلتها القانونية القريبة وأما لنواحي النشاط التي استخدمت فيها . ومن هذا النوع من العقود والاتفاقيات انكشاف عن حروب خاصة كأحد أنواع النشاط الاقتصادي ، فكان يجوز للأفراد امتلاك سفن حرية خاصة بحريتهم من الحكومة لفرض شن الحرب بها على العدو وسلب تجارتهم وسفنه التجارية كما يسل القراصنة . والواقع أن القرصنة في المصور الوسطى — كأحدى وسائل التصالب ما يملكه البحر — هي في كثير من الأحيان نوع من أنواع النشاط الاقتصادي . فكان يجوز للأفراد امتلاك سفن حرية لهذا الغرض . إن حياة المضاربة التي كان يعيشها القراصنة كانت في الواقع نوعاً من ألوان المقروعات الاقتصادية . بل إن فرق القراصنة كانوا رجال أعمال ومن المطربين في نفس الوقت ، وكان أغلبهم يتنقل بين القرصنة والتجارة المقروعة ولدينا وثيقة من القرن ١٢ تدل على أنه كيف كان تحول حياة من القراصنة وكيف كان الممولون يتألقون أرباحهم منها .

— Lopez, Op. Cit. p. 221 & DOC 209. pp. 222, 223.

(٢١٤) عملية الاستبدال النقدي لا تحتاج لتعود طالما أنها تستبدل من يد اليد ولي مكان واحد . وقد تحول المصارف في بعض الأحيان إلى مقرضين نقود وضمائم الرذائع ، وهو يقوم بأعمال البنوك في تلاقى ضيق ولذا كان في حيازته دائماً مبالغ ضخمة لمواجهة طلبات =

تنظيم طرق المحاسبة في التجارة :

واستلزم التوسع التجاري في العصور الوسطى وازدياد حجم التجارة بين الشرق والغرب الى ايجاد نظام دقيق للمحاسبة التجارية . وقد عرف هذا النظام بطريقة مبسطة في الشرق ، الا انها كانت أساسا لما عرف فيما بعد باسم « دفاتر الأستاذ » ، فعرف السكارية هذه الدفاتر لتنظيم حسابات تجارهم ، وذلك قبل الحملات الصليبية ، واعتبر القضاء الاسلامي دفاتر المالكين حجبا على أصحابها من تجار وصيارف وسامرة . كما كان للحفباء والسلاطين كتاب يسكون لهم حساباتهم ، وكذلك للأفراد التجار العاديين (٢١٥) . ومنذ أواخر القرن الرابع عشر وتنظيم المحاسبة يشمل حساب الدائن والمدين ، ويقيد حساب كل منهما منفصلا عن الآخر في دفاتر الأستاذ ويخصص لكل عميل من عملاء التجار حساب خاص في الدفتر ، ثم أضيفت فيما بعد بيانات عن الحسابات غير الشخصية ورموس الأموال واعتبر بداية لظهور هذه المحاسبة المزدوجة . وفي الغرب يقال ان بداية ظهور هذا النظام الحسابي كان في جنوة وتسكاليا منذ أوائل القرن الرابع عشر ، وكان بمدن ايطاليا الأخرى دفاتر حساب أستاذ مشابهة ترجع الى ما قبل هذا القرن ، وان كانت الممالك الأخرى أبدا في استعماله . وهذا السجل في حد ذاته وثيقة متعاسكة الأجزاء كوحدة واحدة .

= الصول المرافضة وخاصة في التي التجارية والوكالات وأصبح الصراف يعرف بمكهم موهبه باسم Banquer ou Banker في اللغة اللاتينية . Bancum وكذلك Trapesita من الكلمة Trapesa اليونانية وهي التي كان الصراف يضع عليها طوقه وفي الشرق قام الجهابذة بهذا العمل والاقرض . بالأرباح والودائع والتجارة بالمفرد والشيكات ورجعه لها فترهم لكل دينار يسية ٢١/٦٦ .

وثيقة ٧٣ من ١٦٤ من Lopez وكذلك

— Poston, Op. Cit. II. pp. 286.

(٢١٥) ابن حجر : ألباء الغرب ج ٢ من ١٨٢ .

— Aburico, Op. Cit. p. 287.

وكات الشركات والبوك الكبرى من أوائل القرن الرابع عشر تعمل على استخدامه وتحسين وسائل استعماله (٢١٦) .

الضرائب التجارية :

وتعددت الضرائب المفروضة على عصر الماليك الذين قسموا موارد بيت المال الى موارد شرعية وأخرى غير شرعية ، والضرائب على التجارة الداخلية والخارجية ، وخاصة ضرائب العبور على التجار الواصلين للبلاد ، وضرائب دار سك النقود على العملة النحاس الواردة للسك والمواريث العشرية ، وخاصة لمن يقص من التجار الأجانب في مصر بلا وريث واعتبرت من الموارد الشرعية للدولة ، كما كانت الإيرادات الشرعية تشمل كذلك ما يتحصل من احتكار معادن البلاد وما يتأتى من المتجر السلطاني .

ويتصل بالتجارة في هذا النوع من الضرائب ما يدفعه التجار على ما يدخلونه الى البلد من ذهب وفضة والضرية هنا حوالي ٢٪ أو ٣٪ في بعض الأحيان وقد نص في المأهديات مع طوائف التجار الأجانب على وصول كميات معلومة من الذهب والفضة والنحاس لدار سك النقود ، ونصت الحكومة هذه الكمية من المعلن بضرائب حصرية قليلة « تقل عن الضريبة المفروضة على السلع الأخرى » ، كما فرضت ضرائب نوعية على مبيعات الذهب اذا أعطاها أصحابها

Cifra, Op. Cit., p. 93.

(٢١٦)

Jacob, Legacy, pp. 442-443.

Lopez, Op. Cit., pp. 359-360 and pp. 47-377.

د الف بيدو كورتوبلي مؤلفا يشرح فيه عملية القيد بفقر الأستاذ واليومية وكل
مفهوم القيد بالبنك على نوع من السجلات الرأبلة النظيم والدقيقة وذلك كانت أساسا
للنظم الحديثة في المحاسبة . وقد ألف عام ١٤٥٨ وطبع عام ١٥٧٣ - انظر لوبيز : السابق
٣٧٧/٣٧٦ .

لدار سك العملة لتضرب دنانير عربية لحسابهم بعد ضبط عيارها (٢١٧)

ومن المصادر الثابتة : الأموال التي تدفع للسلطات على هيئة زكاة واجبة ، ودفعها تجار الكارمية دون تدمير أو ملل لتقديرهم السليم لرعاية السلطات المالية لهم ولتجارتهم في البر والبحر ، وصرائب أخرى على أهل برقة الواردين للبلاد بالأعنام والأبل عند وصولهم إلى البحيرة للرعى (٢١٨) . ثم ضرائب على السلع الواردة إلى جمرك الاسكندرية الحاص بالمعارة ، بالإضافة إلى زكاة يدفعونها دون أن يسأل صاحب السلعة هل حال عليه حول أم لا (٢١٩) .

ومن الأبواب الثابتة في إيرادات الدولة صرائب جمارك الاسكندرية ودمياط والقاهرة وعيذاب وجدة ، وكلها تتراوح ما بين ١٠ - ٢٥٪ من قيمة البضائع الواردة ، وبلغ ما جبي من بعض السفن حوالي أربعين ألف دينار (٢٢٠) . وتخصص العربة إلى النصف على تجار المسلمين والمغاربة . وترفع نهائيا إذا وجد أن بلاد المسلمين في حاجة إلى نوع معين من السلع المستوردة (٢٢١) .

(٢١٧) توفيق اسكندر : نظام المكافحة في تجارة مصر الخارجية - مجلة الجسدية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٧ ص ٢٨ .
سعيد عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
المريزي : السلوك ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٢١٨) حصل صلاح الدين الأيوبي من تجار الكارمية على زكاة أربع مئة مائنة .
المريزي : السلوك ج ١ ص ٧٢ ، ٧٤ - أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٥١ - القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٥٩ وما بعدها .
Fischel, Journal, p. 168

(٢١٩) ابن جبير : الرحلة ص ٢٥ - ٢٥١ انظر قبلة في نظام الجمارك وضرائبها .
القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦١ - المريزي : السلوك ج ٢ ص ٥١٠ - ٥١١ .
(٢٢٠) المريزي : ج ١ ص ١٠٩ .
القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦١ .
(٢٢١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٢ .

طرق التجارة الدولية - ٢٥٣

أما مال من يورث وليس له وارث من الوطنيين والأجانب فيحصل
أثره إلى بيت المال . وقد نص في جميع المعاهدات على أن تنفذ وصية
التاجر الأجنبي الذي يموت بالبلاد فتشول تركته إلى قصبه ،
والا فتصدر لحساب الدولة . وقد عرف باسم « الموارث الحشرية » ،
ولها ديوان وناظر يولى من قبل السلطان (٣٣) .

ويتصل بالصرائب على التجارة موارد غير شرعية ، ويقصد بها
المكوس ، وهي ليست لها سند شرعى ، إنما ورثوا فرضها من عصور
سابقة ، وتعرف في المراجع المعاصرة العربية بهذا الاسم . وتحصل
لديوان السلطان ، أو لأصحاب الاقطاعات ، ومنها ما يؤخذ في الثغور
البحرية والبرية على التجارة الواردة من الخارج . ومنها كذلك مكس
القوافل التجارية ومكس البهار ، ومكس الفنادق وخاصة فندق القطن ،
وكانت رمن المقرزى تبلغ حوالي سبعين ألف دينار ، كما كانت
تحصل ضرائب على التجارة العابرة (٣٤) وقيل في وقت ما أن الحكومة
كانت تجبى ما يعادل شحنة سفينة عن كل أربع سفن ، وتفرض رسوما
كذلك على التجارة المارة بالحجاز ، ومنها مقيصات البهار ورسم
النهار الوارد للطور من جدة (٣٥) . وقد ظلت الصرائب هذه حتى نهاية
عصر المماليك (٣٦) .

-
- (٢٢٢) القلقشندي : صبح الأمان ج ٤ ص ٢٢ .
 - ابن شامس : زينة كشف الممالك ص ١٠٩ .
 - (٢٢٣) سفر نامه : لاسر خسرو ص ٧٢ ترجمة يحيى الخشاب .
 - القلقشندي : صبح الأمان ج ٣ ص ٤٦٨ - ٤٧٩ .
 - المقرزى : الواسط ج ١ ص ٨٨ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١٠٦ .
 - سعيد مافور : العصر المماليكى ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
 - وانظر قبلة ملاحظة ١١٨ .
 - (٢٢٤) ابن شامس : زينة كشف الممالك ص ١٠٨ .
 - (٢٢٥) ابن سنان : قوانين الدولة ص ٢٢٧ (لاسر عزيز بسويال طبعة) .
 - القلقشندي : صبح الأمان ج ٣ ص ٤٦٩ و ٤٧٠ .
 - المقرزى : الواسط ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٩ .

وقد تحدت السياسة الضرائبية في مصر على أساس أن التجارة هي المصدر الرئيسي لموارد البلاد المالية بعد فساد النظام الاقطاعي المعتمد على الزراعة ولكن مع ذلك لم تذكر المراجع العربية بوضوح قيمة هذه الضرائب وأصولها الكاملة ، وخاصة المفروض منها على الكارمية في البحر الأحمر باعتبارها المصدر الأكبر ليرادات الدولة . وذكر أن مكس ما أحضره أحد تجار الكارم في سنة واحدة بلغ أربعين ألف دينار (٣٦) .

ويدفع التجار ضرائب على السلع القادمة اليمن ، مثل الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون وزيت العار والزيتون والملح وانتقل وعسل النحل ، هي مما تحتاج اليه اليمن ، تدفع هذه الضرائب في القاهرة (٣٧) .

وعلى أي حال فالملاحظ أن السلاطين لم يسيروا على سياسة ضرائبية ثابتة لكي يطمئن التاجر على أمواله وتجارته ، بل خضعت في أحيان كثيرة لتطورات الأمور العسكرية أو المشاكل المالية (٣٨) .

(٣٦) التقرير : المخط ج ١ ص ٨١ . يذكر التقرير أن هذه الضرائب وصلت إلى المائتين من أهام الأيوبيين .

ابن حجر : المعبر الكاسية ص ٢٨٤ .

Pachet, Journal : pp. 167-168.

(٣٧) التقرير : المخط ج ١ ص ١٠٨ و ١٠٩ .

(٣٨) دحية برسباي عام ١٤٢٧ إلى التتشد في فرض الضرائب على التجار بسببه حمله إلى قبرص. وحصل على مكس في القاهرة وفي الشام بلغت في مكة حوالي ٢٢٪ . مع عدم مرور السلع على القاهرة ، وكتجه مباشرة للشام حيث يدفعون عليها مكسا آخر . ولذا مرت على القاهرة حصل عليها على رسوم أخرى .

ابن تقي بردي : النجوم ج ٤ ص ٦٢٨ (تأليفه) .

نظام الدفع في المعاملات التجارية :

لما اشتد الطلب في أوروبا على السلع التجارية الواردة من الشرق الأقصى ، وكثر ورود التجار الأجانب لموانئ ومدن مصر والشام . وصار لزاما أن يوصى في المعاهدات والاتفاقيات التجارية على تنظيم حسابات الدفع والتعامل المالي ، وقام الأجانب بتنفيذ بصوص الاتفاقيات بدقة لا تقل عما تفعله السلطات المالية الحاكمة . ومع أن الذهب كان قاعدة التعامل المالي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، إلا أنه في القرن الخامس عشر عادت المقايضة تحتل مكانا بارزا في المعاملات التجارية بين الوطنيين والأجانب ، ونص عليها كذلك في المعاهدات باشتراطات معينة .

ولأهمية الذهب في المعاملات التجارية في العصور الوسطى ، كانت تقوم به بقية النقود من فضة ونحاس . وفي العصر الماليكي تعرضت العملة الذهبية للتلاعب في عيارها ، وتغيير وزنها ، وتعديل حجمها ، مما جعلها لا تحوز ثقة المتعاملين من التجار وغير التجار (٢٢٩) . ويمرر الاضطراب الذي ساد العملة الذهبية المالية منذ القرن الخامس عشر الى مسئولية بعض السلاطين ، ومهم السلطان برسباي . فبعد أن احتكر بعض أنواع المتاجر الداخلية والتوابل الشريفة عند إلى انقاص معدل العملة ، سواء من الذهب أو الفضة أو النحاس ، مع الاحتفاظ بقيمتها الاسمية ، كما استبعد العملات الأجنبية المتداولة في السوق ، والتي يعطبها تجار البنادقة وجنوة وفلورنسا ، ثم جمعها

(٢٢٩) اللقيني صبح الامني ج ٢ ص ٤٤٦ يذكر اللقيني تفصيلا لذلك بقوله : « وانهم جعلوا نقودا نظير كلفة ضربها » .
ويشخص هود نظام المقايضة في معاهدات أواخر القرن الخامس عشر انظر صاعدة فلورنسا مع لايدن ١٤٨٨/١٤٨٩ بالمجلد رقم (٢٥) من اماري XLV وكذلك بولنيك اسكندر : المقايضة ص ٣٩ .

«لشمس المحمص ، وأعاد سكها ذهباً بالقص ، مما ألحق الحائر المادية بالتجار الأجاب والوطنيين على السواء ، وإن كان قد أضاف الى الحكومة ايراداً جديداً لمواجهة الظروف الحربية التي ظهرت على عهده (٣١) . وكان بإمكان السلاطين المتعاقبين أن يجمعوا عن عمليات انقاص وزن العملة وتغيير عيارها إلا أنهم اتبعوا أساليب السلطان يرمباى حتى نهاية عصر الدولة المماليكية . وقد ثبتت قيمة العملة اذ ذلك على ٣٣٨ حبة (٣٢) . بما يوازي ٣٤٧ من الجرام ، أى حوائى نصف حيه تقريباً . وعرفت العملة الجديدة « بالديسار الأشرفى » واشتهرت بهذا الاسم حتى عام ١٥١٧ م .

وقد شجعت عمليات التغير ، نشاط مزيفى النقود المعروفين « بالزعلية » ، ففى عهد السلطان الأشراف ايتال عام ١٤٥٣ ثبت سعر الذهب الأشرفى على ٣٣٥ درهما فى الصرف و ٣٤٠ درهما فى المعاملة ، والمنصوري ٢٩٥ درهما و ٣٠٠ درهم فى المعاملة ، وهو الدينار الذى كان قد ضربه السلطان المنصور جتمق (٣٣) . ولكن بعد ذلك يومين قبضت السلطات على عشرة من الزعلية لجنوا الى انقاص وتغيير العملة وتزييفها . وفى محاولة لوقف هذه العملة التي أضرت بالتجار تقرر جمع النقود من الدولة من عهد المؤيد شيخ الى عهد جتمق ، ثم إعادة سكها ، وتم ذلك عام ١٤٥٨ . ومع أن هذه العملية أطاحت بشروات مزيفى النقود وكشفت طاعتهم ، إلا أن الناس شكروا من سوء مك

(٣١) ابن حجر : إنباء العرب ورقة ٤٥٤ ج ٢ .

لميت : مصر الإسلامية ص ١٠٩/١٠٢ (ديرونيج) .

Lane Poole, Egypt in the Middle Ages, pp. 332-342

Clive, Op Cit. pp. 118, 119

(٣٢) ابن اياس : بذائع الزهور ج ٢ ص ٢٢ (بولاند) .

(٣٣) أبو الحسن : حوادث الدهور ص ٢٧٨ .

العملة الجديدة ، وصاد عيارها وأمعوا الى ناظر الخاص فلنا منهم انه المسئول عن ذلك ، وخاصة في الفصـة (٣٣١) .

وعلى عهد السلطان قايتباي مودى بثبتت سعر الذهب والفضة ، وضرب السلطان فضة جديدة وسعر الدينار الذهب بثلاثمائة والفضة الجديدة كل اشرفى بخمسة وعشرين نصفا عديدة جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من الفضة المنقوشة التي كان قد وصل الدينار منها الى ٤٦٥ درهما ، فحصر الناس من هذا ثلث أموالهم . وكان السلطان قاسيا مع الزغلية ، فكان يوسط ويقطع كل من يقع في يد السلطان منهم ، موقع الرعب في قلوبهم ، وكان ذلك من أسباب انصلاح حال العملة حتى عهد الفوري (٣٣٤) . وكان ناظر الخاص على عهد السلطان قايتباي قد ضرب فلوسا جديدة ، وقصد أن يفرجها بأعلى من الفلوس العتيقة فنار العامة واستقر الرأي على أن تكون الفلوس العتيقة والجديدة بالميزان ستة وثلاثين ، الرطل (٣٣٥) .

وكان عهد الفوري وما صاحبه من اضطراب التجارة الخارجية مجالا صالحا للزغلية وصاد العملة ، بل ان دار السك نفسها أخرجت عملة مرفقة لتوفى ما عليها من التزامات . وصاد كل أنواع العملة الزغل والفساد « ولم يعد يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة » (٣٣٦) .

(٣٣٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج٢ ص ٥٦ - ٥٧ - ٦١ .
Polak, Les Révoltes Populaires, p. 252

(٣٣٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج٢ ص ٦١ حوشت عام ٨٦٢ هـ (يولاء) .
(٣٣٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج٢ ص ٢١٠ يذكر الرحالة حارث أنه خلال زيارته الاممكورية دلف (واحد مدري) *Makluc* رسم دخول مقبرة القديسة كاترين والعملة المذكورة لطيفة تصنف قيمة ما بها من فضة باحتلاب الزمان والمكان - ولدى المواطنين عملات من الذهب وهي الأكثرى العملة الرسمية وتزن ٥٣ قسمة وتساوى درلات أو Aspers والدين المذكور يساوى ٣ من الأفرلي ويسك بالكامرة .

Harff, Op. Cit., p. 94 R. 5

(٣٣٦) ابن اياس : بدائع الزهور ج٢ ص ٥٦ .

ومد الوقت الذي اعتري فيه الحبل العملة المالية ، وخاصة
الذهب والفضة ، وتعرضت لتلاعب السلاطين والأمراء ثم الرعية ،
بعبء الربح ، أو موازنة نفقات الدولة ، استحدثت في مصر عملة
الساذقة المعروفة بالدوقات ، وكانت النسخة تستعمل قبلها الافتري ،
ثم سكت لعملة الذهبية خاصة منذ عام ١٢٩٤ ، وتنتار بورها الثابت
الصحيح ، وعيارها غير المتغير ، وسبكها المحدد ، مما جعلها تحوز ثقة
التعاملين (٢٣٧) . وتصمت الأوامر السلطانية والمعاهدات بين الأفرنج
والمالكي في القريب الرابع عشر والخامس عشر اعتبار الدوقات البندقية
عملة رسمية ثم الفلورنسية بعد أن زاد تعاملهم مع مصر والشام وكانوا
يعلنون عن عملتهم المسكوكة بالقاهرة «أنها على زنة الدينار الافتري»
بمعنى أن يكون وزنها ثلثا وبنة مثقال تماما (٢٣٨) . ومع ذلك كانت
العملة المصرية تنقص في أحيان كثيرة عن العملة الأجنبية حسب
مقتضيات الظروف ولم تعد تقوى على منافسة الدوقات البندقية
فانحطت قيمتها في الأسواق المرة عن قيمة البندقية مما حدا ببعض

(٢٣٧) سبيح الأملى : التلخيص ج ٢ ص ٤١٦ يصف التلخيص هذه العملة بأنها
مسلومة الوزن وكل دينار عليها خمسة عشر قيراطا ونصف قيراط ٠٠ وعلى أحد رجليها
صورة الملك وعلى الوجه الآخر صورة بطرس وبولس حواريي السيد المسيح عليه السلام .
ويسمى عندهما كذلك بالفرنسي والعملة الفرنسي ٠٠ ويسمى عندهما كذلك بالدوقات . وعلى
الاسم في الحقيقة لا يطلق عليه إلا إذا خرب في البندقية لأن ملكهم اسمه الدوق ، وكان
الدوق قد استعملوا العملة الفلورنسية الذهبية . وفي الفلورين أو الفرنسي أو الإيطالي ،
حتى سكوا عملتهم الدوقات عام ١٢٩٤ .
ديبل : البندقية ص ٦٦ - غوفين لسكندر : لقائقة ص ٢٨ .

(٢٣٨) المجلد ص الدرهم وكنين ونصف ديساري ٢٤ قيراطا وهو خمس وثلاثون
جدة أما الدرهم الفلاني فهو ستون جدة الفلر - البندقية عبد الرحمن نصر بن محمد
لهاية الرتبة في طلب الحسبة ورقة (٧) مطبوعة ببغداد القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ . والملاحظ
أن الدوقات البندقية كانت العملة التي يقبلها السلاطين . ويقال له حتى الآن في مصر
بندقي ، ونادى بجانب الدوقات استعمال العملة الفلورنسية نظرا لتلاقات الطيبة بين مصر
وإيطاليا ، ثم حسست الدنانير المالية على مقال البندقية ، وحملت اسم الدينار
الإيطالي . وسادت على عهد السلطان قايتباي .

Dopp. Op. Cit. p. 49

السلطين الى جمعها واعادة سكها بالنقص للاتضاع ففرق كمية الذهب فراد التذمر منها (٢٣٩) .

وقد نص في المعاهدات على تحفيض صرائب الجمارك على كميات الذهب الواردة لدار السك ومثل ذلك بالنسبة للسبائك التي تعطى لدار السك ، ويؤرجح القرن الخامس عشر استخدام السبائك والمعادن الخام والمجوهرات عملة متداولة وخاصة في التجارة الخارجية لمواجهة ازدياد الطلب على السلع الخارجية (٢٤٠) .

أما العملة النفضية وهي الدراهم فكان المفروض فيها أن يكون ثلثاها من الفضة والثلث من النحاس ولكن هذا أيضا لم يخل من العث منذ أواخر القرن الرابع عشر وطوال القرن الخامس عشر ، ورادت نسبة النحاس لتصل الى الثلثين والثلث أو أقل من ذلك بالنسبة للفضة ، وفضل الناس استعمال الفلوس النحاسية بدلا منها (٢٤١) . والفلوس النحاسية هي أقل أنواع العملات مع ذلك لم تسلم من العث ، وتناولها السلطين بالنقص والتبديل وأرغموا الأهالي على التعامل بها وفق القيمة التي تحددها السلطات وكان هذا من عوامل الاضطراب في الأسواق (٢٤٢) .

(٢٣٩) الفيلسفي : صبح الأماني ج ٢ ص ٤٤٢ - فيه الرخص لهما الفلوس المزيطة ص ٩٨ .

(٢٤٠) توفيق إسكندر : القايضة ص ٢٨ .

Heyd, Op. Cit. II, p. 453

Fernand, Op. Cit., p. 34.

Maillet, Op. Cit., pp. 139-144.

يلكر حازم أن كمية الفضة المسكوكة التي توصلها أوروبا كل عام لمصر تبلغ حوال

٢٠٠.٠٠٠ موزن سنويا ، وهي تلقى رواجا عجيبا في أسواق مصر والشرق عامة .

Harff, Op. Cit., p. XXIV

(٢٤١) الفيلسفي : صبح الأماني ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٢٤٢) الفيلسفي : صبح الأماني ج ٢ ص ٤٤١ .

المقريزي : مادة الأمان ص ٤٧ (نشر زيادة) .

المقريزي : السلوك ج ٢ ص ١٧ ، ج ٢ ص ٨٢ - ٨٣ .

نظام المقايضة في التجارة :

ومد أواخر القرن الرابع عشر والعملات الذهبية تشح من المدن الإيطالية ، وتأثرت تبعاً لذلك أسواق مصر والشام ، إذ أن المدن الإيطالية كانت تدفع بها مشترواتها من السلع الشرقية ، وذلك وفقاً لما اشترطته السلطات المالية من أن يكون نصف المدفوع دهماً ، واستخدم البنادقة في ذلك الدوكات كما استخدم الفلورسيون الفلورين ، هذا بالإضافة إلى ما كانوا يجلبونه من الذهب والفضة لحام لسكها بدار السكة بالإسكندرية والقاهرة (٢١٣)

وترجع أزمة الذهب التي ظهرت في مصر والشام منذ القرن الخامس عشر إلى قلة ما يصل من هذا المعدل إلى شمال إفريقيا من السودان . ففي القرن الثالث عشر تمكك المغرب إلى مدن تجارية مستقلة ودويلات تشبه الجمهوريات الإيطالية ، وأخذ التجار المسيحيون والمسلمون يعدون إليها . وحتى القرن الخامس عشر كانت المغرب هي الممول الرئيسي لذهب الغرب مما أتمش فيه التجارة ، وأدى هذا إلى أن تدفع هذه الجمهوريات أثماناً سلع الشرق بالدوكات النديقي وبالأفرنتي كما ترد كميات معلومة لدور سك العملة . إلا أنه منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر وثبر السودان يقل ورودها إلى أوروبا من مدن شمال إفريقيا بعد أن وصل البرتغاليون إلى ساحل غانا عام ١٤٨٠ وبدعوا في مقايضة الأهالي سلعهم على ذهب السودان ، وبدأ هذا الذهب يتجه منذ ذلك الوقت إلى المحيط الأطلسي ، وليس إلى البحر المتوسط ، فشحت العملات الذهبية من مدن إيطاليا ، وبلتالي من مصر ، وأدى ذلك إلى حدوث أزمة في عملة مصر الذهبية (٢١٤) .

(٢١٣) توفيق إسكندر : المقايضة (الجزء السابق) ص ٤٢ .

(٢١٤) توفيق إسكندر : بحوث في التاريخ الاقتصادي (شرح) الصفحة ص (١) ثم

ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

ولكى يوازن السلاطين بين قلة ورود الذهب وحاجتهم الى المال عمدوا الى تغيير وزن العملة مع الاحتفاظ بقيمتها الاسمية ، كما عمدوا الى الحصول على كميات معلومة من ذهب البندقية الذى لم يتأثر كثيرا لهذا الحادث وظلت على ما هى عليه « ملكة الذهب فى العالم » ، فحرصوا قدرا معينا من التوابل باسم « توابل الدخيرة الشريفة » ، أو التوابل السلطانية ، ليشرها البادقة بمملتهم الذهبية الثابتة العيار والوزن والحجم مع بقاء معاملاتهم مع الأفراد حرة . كما حرصوا عليهم قدرا معينا من الفضة يوردونه لدار السكة كل سنة ، وفى دمشق كان هذا ٤٠٠ درهم سوريا حتى عام ١٤٧٥ وعرامة ٣ دوكات لكل درهم ينقص عن الكمية (٢١٥) .

وبخصوص الفضة ، فعلى عام ١٤٠٧ سكنت البندقية عملة فضية خاصة بتجارة الشام الا أن السلطات الحاكمة والتجار رفضوا قبولها عملة للمقايضة ، وأصرروا على التعامل بالذهب مما أدى الى تكديس العملة ثم جمعها البندقية وسحبها من الأسواق ، حتى كان الربيع الأخير من القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر حين شعت العملة الذهبية والفضية بصورة واضحة ، واضطر السلطان المملى الى مفاوضة البادقة وحامها بمد كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، لدفع ثمن التوابل نفاسا وقد اضطر السلطان الى ذلك لحاجته الى العملة ، واشتداد الأزمة النقدية ، ووضوح الخطر المسمى (٢١٦)

أما من ناحية البندقية ومدد جمهوريات إيطاليا فقد عالجت نقص الذهب والعملة الذهبية باستخدام طريقة التعامل التحارى بالمقايضة حتى تنفدى ما يترتب على نقص العملة الذهبية من قلة ما يحصلون

(٢١٥) توليقي اسكندر : المقايضة (المصدر السابق) ص ٤٥ .

(٢١٦) توليقي اسكندر : المقايضة ص ٤٥ .

عليه من التوابل والسلع الشرقية ، وهي معاهدات القرن الخامس عشر
ذكرت بنود تنظيم عملية المقايضة ، وكانت قبلا تصدر على شكل أوامر
سلطانية مرفوعة ، حتى إذا اردادت الأزمة في أواخر القرن الخامس عشر ،
نص في المعاهدات على اعتبارها إحدى نظم عمليات الدفع في
التجارة (٢٤٦) .

والواقع أن نظام المقايضة في التجارة كان عموما لا عسما فيه ، وقد
نجأ اليه المصري لقصور العملة الذهبية والفضية عن الوفاء بأثمان السلع
وخاصة البسيطة ، بدلا من تكديسها لدى التاجر العربي والبندقى على
السواء . وقد وجد كلاهما أن المقايضة خير وسيلة للتعامل التجاري ،
وهي هي الحقيقة نتيجة من نتائج ظهور الأزمة المالية في القرن الخامس
عشر . وقد اتبع البنادقة هذه الوسيلة بعد أن سنت الحكومة قانونا
يمنع فيه التجار من الاستدانة أو الاقتراض أو الشراء بالمقود المؤجلة
الدفع ، ولما كانت لهم رغبة في الربح والكسب فقد لجأوا الى
المقايضة (٢٤٨) .

ومن المبادئ القانونية التجارية التي نظمت عملية المقايضة
النص بالتزام وتمهيد السلطات المالية بعدم قبول الرجوع في صفقة
تمت بالمقايضة تبعا لارتفاع أو انخفاض السعر رغم ما يال التاجر
المصري من أضرار ، إذ أنه مما يشجع على الرجوع صفقات التوابل
بالمقايضة أن ثمن التوابل نقدا أقل من ثمنها في حالة المقايضة ، فكان
التاجر الأجنبي يحاول الرجوع في المقايضة الى النقد لأنه المشتري :
كما كان زميله المصري يحاول الرجوع من سعر المقايضة لأعلى منه
بسبب تذبذب الأسعار . لذا نص في المعاهدات مع فلورنسا على عهد
السلطان قايتاى ١٤٤٨ « على تميز سعر الأصناف في المقايضة عن

(٢٤٦) توفيق السكندر : المقايضة ص ٣٩

(٢٤٨) توفيق السكندر : المقايضة ص ٤٠

النقد ، أى الريادة فى أسعار السلع بالمقايضة عن النقد . وكانت التوابل كذلك تقاىض بالصلل وزيت الزيتون والصابون والبندق والوز (٢٤٩) .

وانى جانب نظام المقايضة وجد نظام نصف المقايضة ، وفيه تدفع ثمن السلع بضعها نقدا والنصف الآخر سلعا . ولعل من المفيد - أن نقول انه أثر هلا فى ارتفاع الأسعار ارتفاعا مضطعا ، فسرر سلع المقايضة يزيد على سعرها النقدي ، كما أنه خلال نصف قرن تضاعف سعر التوابل بالمقايضة لضعفين ، وكذلك سعرها النقدي أصبح ثمانين بدلا من أربعين ، وثمن الثلاث سفن عام ١٤٥٠ بقدر حمولتها آخر هذا القرن بثمان ست سفن (٢٥٠) .

ومما هو جدير بالذكر أن البرتغاليين الذين نقلوا ذهب السودان الى بلادهم استخدموه فى تمويل حركة الكشوف الجغرافية وخاصة للهند . فلدى وصولهم للهند كانوا فى السنوات الأولى يترصدون السفن العربية ويصادرون حمولتها من التوابل . ولكن بعد ذلك بدأ الذهب يتدفق بين أيديهم بكميات كبيرة ، فاشترى به التوابل وطلع الهند والصين واليابان ولم يعودوا يترصدون سفن العرب ، بل انه بالرغم من أن سفن البندقية لم تحصل عام ١٥٠٤ أى حصل من القفل فانه قبل سقوط دولة المماليك شوهدت مرة أخرى كميات من القفل والتوابل فى ميناء طرابلس وفى الاسكندرية ، ولعل هذا راجع الى استحالة اغلاق المحيط الهندى أمام السفن العربية ، وان كان يرجع أساسا الى أن الطريق عبر البحر الأحمر أقصر ولا يتعرض فيه القفل المباع فى البندقية الى رحلة طويلة قد تفسده ، كما كان يحدث بالنسبة

(٢٤٩) انظر الملحق بمقدمة لفلورنسا والابجاي عام ١٤٨٨ برقم (٢٥) .

(٢٥٠) توليق اسكندر : المقايضة ص ٤٢ و ٤٣ .

لفعليل الوارد من طريق رأس الرجاء الصالح في رحلة طويلة الى لشبونة،
بالإضافة الى حيرة العرب في فرد الأصناف الجيدة من هذه التوابل
من الرديئة مما لا يتواءم للبرتغاليين ، ثم لحواء البرتغال الى سياسة
رفع الأسعار بعد تحكمهم في تجارة الشرق واحتكارهم لها بلا منافس.
وعلى أي حال فإن هذا التحول في سياسة رفع الأسعار كان انقادا
للموقف السيئ الذي تعرضت له تجارة الشرق منذ وصول البرتغاليين
للهند بحرا عام ١٤٩٨ م (٣٥١) .

(٣٥١) تولى بي إسكندر : بحوث في التاريخ الاقتصادي من ٨٨ . ٨٩ .

الفصل السادس

غائبة

كشف طريق رأس الرجاء الصالح ونهاية دولة سلاطين الماليك

كانت الأحداث التي أدت الى علق الطرق التجارية القديمة ، من شرق آسيا ووسطها الى غربها ، قد ساعدت على اودهار الطريق التجاري البحرى من الصين والهند الى البحر الأحمر ومصر والشام ، ولكن لم يلبث أن انهار هذا الطريق أيضا أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، منذ نجاح البرتغاليين فى الدوران حول افريقية والوصول الى الهند . وكان هذا الانهيار ايذانا بسقوط دولة سلاطين الماليك فى مصر والشام والعجاز فى يد الدولة العثمانية عامى ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ولم يمد الطريق والدولة بعد ذلك سوى ذكرى فى أخيلة المؤرخين .

على أنه لم تكن الحروب ، ولا دخول البرتغاليين الى الهند ، وحدهما هما اللذان أضاعا الطرق التجارية التقليدية وخاصة طرق البحر الأحمر عبر مصر والشام ، ولكن الضعف الذى سرى فى دولة سلاطين الماليك كان المول الذى هدم الدولة وأضاع الطرق ، ويرجع هذا الضعف الى جذور عميقة ، على رأسها :

أولا : فساد النظام الإقطاعى الذى قام على أساسه الحكم المالىكى ، وعجز هذا الحكم عن الوفاء بالمطالب الأساسية لقائه : بالدولة المالىكية دولة اقطاعية بيروقراطية يسند وجودها اقتصاد متين

وجيش قوى ، وأرض مصر التى هى ملك للسلطان توزع اقطاعيات على جنده ، وأى هزة زراعية معناها انهيار النظام ، وبالتالي الدولة .
 بدا حرصت الدولة ، عندما عجزت الأرض التى أهلوها عن الايصال بطلابهم . على البحث عن موارد مالية جديدة تمثل فى رفع الضرائب وتحصيلها مقدما (١) ، ثم تنشيط التجارة عبر بلادهم تمويضا عن هذا النقص الياضى . وقد ساعدتهم على هذا تحول التجارة نحو مصر والشام وتدفع الأموال على خزائهم . وكلما رادت احتياجاتهم زاد تعلقهم بالتجارة واحتكارهم لكل مصادرها ، فأقصوا عنها الكارمية ، وتسلموها على غير مران وأجبروا التجار الأجاب على شراء التوابل الشرقية قسرا وبالسعر الذى يحدونه ، والويل والعقاب للممتنع عن الشراء ، مما أدى الى تدمير الأحاب وعزوفهم عن الحضور لمصر والشام وتكدس المتاجر وبوارها (٢) . فكان هذا ، بالإضافة الى فساد نظام الاحتكار وانهيار النظام الاقطاعى الزراعى ، وجهل المماليك بالنظام التجارى ايدانا بالانهيار القريب للاقتصاد وللدولة ، ولم يبق الا وضع النقطة على الحروف وعلان الانهيار ، وتم هذا فعلا فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر مالمحدثين الحطرين : تحول التجارة . وسقوط دولة سلاطين المماليك (٣)

ثانيا : العوامل الداخلية التى تكمن فى طبيعة تكوين الدولة
 نفسها والصراع بين أمرائها على السلطة والنفوذ ، فقد اختل نظامهم الاجتماعى والحربى ، لاهمالهم الأسس التى قامت عليها تربيتهم ونشأتهم الأولى ، ولم يهودوا يصلون لمصر صفارا يتعلمون الطاعة

(١) صبحى لبيب : التجارة الكثرية ، المصدر السابق ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) سيد حاتون : العصر للمالكي فى مصر والشام ص ٤٤٦ .

(٣) صبحى لبيب : المصدر السابق ص ١٣ - انظر كذلك الفصل الثامن و العلاقات الخارجية ، وكذلك الملحق برقم ١٣ عن التوابل الشرقية .

ويعتفون بالدين والأخلاق ، ويتدربون على الحرب وفنونها ، بل وصلوا شبانا تتنازعهم أهواء واتجاهات وتعليم متضارب، فعدوا روح النظام والطاعة ، وحل محلها العصيان والتمرد ، وعشا بينهم انتشار عن الاقطاعيات والمقايسة بها من الباطن ، وحرمت الأراضي والدم ، وانقسم الممالك شيئا وأحزابا ، يتجسسون بعضهم على بعض ، ويمعدون الى حوادث النهب والسلب ، ويتارعون السلطة والحكم وظهر ذلك بوضوح منذ وفاة السلطان قايتباي ١٤٩٦ حتى تولى المماليك السلطة عام ١٥٠١ ، وتأرجع الحكم بين عدد كبير من السلاطين يحكم كل منهم شهورا وأياما ، مما يعطى انطباعا صادقا بمدى الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت البلاد في الدور الأخير من حياة هذه الدولة ، حتى ان كبار الأفراد كانوا يرفعون عن تولى السلطة خوفا من القتل ، كما فعل قسوة المماليك الذي اشترط لقبوله الحكم ألا يقتلوه اذا أرادوا عزله ، ولكن كانت الأحداث السياسية والاقتصادية أقوى من أميائه، حتى ان ممالكه العبدان كثيرا ما عصوه بسبب النفقة (١).

ثالثا : الموامل الخارجية: التي تضاعفت جميعها لهدفين أساسيين:

أولهما القضاء على مصدر ثراء الدولة المدمم لقوتها العسكرية ، وهو التجارة في المياه الشرقية والتحكم فيها بين الشرق والغرب . وثانيهما القضاء على الدولة ذاتها ، ووقع الهدف الأول على عاتق القاطلة والبرتغاليين ، في حين وقع الثاني على عاتق النمساويين ، مع ما بين الطرفين من تباعد وتناقض وان انحلت الأهداف . ويقترب العمل الأول كذلك بنمو القوميات في أوروبا ، وخاصة في البرتغال وإسبانيا، ونجاح الأخيرة في إنهاء الحكم العربي في الأندلس عام ١٤٩٢ . أما محاولة

(١) المماليك (١) - السلوك ج٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ - ابن ابيس - بدائع الزهور ج٢

ص ٥٩ (٢) بولاق (٣) أو الخامس = النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ - سيد عاشور

المجتمع المصري في عصر صلاح الدين الأيوبي ص ٢٥ - ٢٧ .

تحقّب العرب في عقر دارهم ، فقد وقع عبّؤه على البرتغاليين الذين حاولوا الاتصال بملك الحبشة المسيحي لتطويق الماليك ، وفي سبيل ذلك داروا حول إفريقيا، ووصلوا للهند، وأوقعوا بالأسطول المايكي هي وقعة ديو البحرية ١٥٠٩ ، وأهوا السيطرة المالكية على المياه والتجارة الشرقية مد مطلع القرن السادس عشر (٥) . أما الهدف الثاني فقد وقع على عاتق العثمانيين الذين ما لبثوا - بعد أن أوقفوا التوسع الشيعي الصموي ، في وقعة حاليديرا ١٥١٤ - اتجهوا لهسدهم الأسمى ، وهو السيطرة على الأراضي الإسلامية المقدسة مكة والمدينة والقدس ليصبح السلطان العثماني حامى حدى الدين ومقدم ملوك الاسلام ، وتم هذا على يد السلطان سليم الأول في وقتى مرج دابق ١٥١٦ ، والريدانية ١٥١٧ (٦) .

وأخيرا فانه كان على العثمانيين - وقد دخلوا مصر والشام والمصار - أن يرثوا عن الماليك مدافعة البرتغاليين عن المياه الشرقية لاستعادة السيطرة على البحارة الشرقية ، ولهم من قواتهم العسكرية وأساطيلهم حير معين ، الا أنهم حرصوا على تأكيد سيطرتهم على مابقى خارج سيطرتهم من العالم العربى ، فضموا العراق وشمال افريقية ماعدا مراكش ، تاركين الفرصة للبرتغاليين ومن بعدهم الانجليز للتهجم على البلاد العربية ، ثم احتلالها منذ القرن ١٩ م مما لارثنا سائى آثاره للآن .

(٥) ابن اياس = بدائع الزهور ج٢ ص ٢٢٧/٢٢٦ (برلاق) ، سيد الله عثمان - مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٤٠/١٤٦ - شارل ديبل - الهندية جمهورية ديمقراطية ص ١٤٨/١٤٩ بى بول - العرب فى اسبانيا (ترجمة على الجارم) ص ٢١٣/٢٠٩ .

(٦) ابن اياس = بدائع الزهور ج٤ ص ٣٩٦ الى ٤٠ (كالك) ، ج٥ ص ٧١/٧٠
ابن ديبيل الرمال = آخره الماليك (خطرة) ورقة ٤ ، ورقة ١٤ .
مسن عثمان = تاريخ مصر العام (بالاشتراك) ص ٢٤٧/٢٤٤ .
سيد علشور مصر المالكي ص ١٨٠/١٧٩ .

ملحق رقم (١)

اتفاقية التوابل الشريفة بين البنادقة والسلطان أحمد

ابن السلطان الأشرف اينال عام ١٤٦١ م

DEFFING, HISTOIRE DU COMMERCE

T. II, p. 218 and ff.

أرسل السلطان الملك المؤيد أحمد بن السلطان الأشرف اينال عام ١٤٦١ م . خطابا الى دوق البندقية في أعقاب الاتفاقية بين البندقية والسلطان تتعلق بتحديد تمريفة الجبارك في ميناء الاسكندرية . وموانئ الشام . وقد أكد السلطان في الخطاب مراعاة السلطات المالية لرعايا البندقية في بلادها مراعاة تامة ، سواء المقيموه اقامة دائمة أو الوافدون للتجارة وتأمين المنح المسوحة لهم من قبل ، وراد من احماءات الجبارك ، ثم استقبل سفير البندقية الفخري وهو *Moffeli* *Michiel* وصرح له السلطان بأنه يسره دائما وصول سفراء من قبل الدوج لبلاده ، وقد تفاوض السفير مع السلطان في شأن إعادة بعض الحقوق التي اغتصبت من البنادقة في فترة تداير الأمن الداخلي التي أعقبت سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ . وطالب منهم تعويضات مصرية واعضاءات جبركية لبعض السلع . ورغم طول المفاوضات فانها لم تنجح فيما يتعلق بتزيل أسعار التوابل والبهار ، بقيت أسعار عود اللند ، وخشب البرازيل الأحمر ، واليورسلين ، والسجاد ، والبلسم ، كما هي . وتصر السلطات المالية على ابقاء سعر التوابل الشرقية ١٠٠ دوكات للحمل الواحد دون تنزيل ، تسليم الاسكندرية .

وعند رحيل السفير أرسل السلطان معه رسالة الى دوق البندقية ضمنها تحياته واعتزازه بالتعامل مع تجار البندقية ، وأنه « أهدي وقلد السفير البندقي وشاحا من صنع مصر ومبطن بالقرو ، كما أهدي

وشاحا آخر لسكرتيه من ألوان متعددة ، وأكرمنا وبجلنا سميركم المذكور ... ولا كانت صداقتنا لكم قديمة هانئا فعلن أنه يسرنا تأكيد الاعفاءات السابقة والمعاهدات المعقودة بيننا وبينكم ، وكذلك وجود قبضلكم بيننا مع ما له ولنجانكم من امتيازات أقرها السلاطين السابقون ، كما أنه لهم حق الأبحار الى بلادنا والتمتع فيها بالحرية والأمان .. ومرسل لكم سفراء من قبلنا وتقبل سفراءكم بترحاب ولوصى براحتهم في بلادنا وتجوأهم دون العوائق وبحرية ودون دفع رسوم أو عوائد ، لأننا سنراعى مصالحهم وراحتهم وسيكولون في عدالتنا المقدسة » ..

ملحق رقم (٢)

خطاب من السلطان الأشرف قايتباي الى دول البندقية

بتاريخ ١٠ شعبان ٨٧٧ هـ / ١٤٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الموقر المحتشم الخطير الباسل المعظم الضرعام السيدع الهمام
مجد الملة السيعية جمال الطائفة الصليبية دوق البندقية والمائسين دوق
كراك دين نبي الممودية صديق الملوك والسلاطين، أدام الله تعالى بهجته،
وحدد مسرته ، على أبوابنا الشريفة علي يد المحتشم قاصده ، وأحطنا
علما بها ، وتقدم مثالتنا الشريف الى حضرة الدوج أعظمنا فيه بوصول
القاصد المذكور وما عاملناه به من الاحسان بأعظم من جميع قصاد
ملوك الفرنج الواردين على أبوابنا الشريفة ، لما تحققه من اخلاص
حضرة الدوج في محبتنا ، ودعائه لمقامنا الشريف، وأن مراسيمنا الشريفة
برزت بقضاء جميع أشغاله وضروراته على حكم ما سأل فيه صداقتنا
الشريفة ، ورمينا بكتابة مراسيم شريفة الى الممالك الاسلامية بالوصية

لجميع تجار البنديقية وأحوالهم عندنا مشحدة ورسمنا أيضا بأن قلص
 دحسيرانا الشريفة الذي يعطى لكم يكون سالما من التراب والبلل
 والحلط ، كل ذلك لأجل خاطر (الآتى مكرر بالوثيقة) .
 من التراب والسلك كل ذلك لأجل خاطر حصرة الدوج وغير ذلك
 مما يعرف به حصرة الدوج أن الذهب والفضة التي صارت تصل في
 القطايح وغيرها الى الثغر السكندري وغيره يوجد فيها العش ، بحيث
 ان المائة درهم من الفضة اذا أضيفت لم تقارب ستين درهما ، وعابها
 نحاس ، وأما القماش الذي يصل الى أبوابنا الشريفة من المحمل فغلبه
 ممشوش كالنحاس ، أما الجوخ فجرت المادة أن يكون ذراع كل خرقة
 خمسة وحسين ذراعا ، وقد صار الجوخ الآن كل خرقة منه لا تبلغ
 ثلاثين ذراعا ، وفيه وهو مقطوع من الوسط وتقرر تجار المسلمين
 بواسطة ذلك ، وتعجبا كل العجب من هذه الأمور وكونه يتفق من
 تجار حصرة الدوج اعليناكم بذلك ليصير على خاطركم وما نعرفه أن
 المركبين اللذين حصرتا صحبة المحتشم قاصده تعرض من فيهما من الفرنج
 لجماعة من المسلمين بالمسير الاسلامية وأخذوا منهم وأسروا . (ناقص
 بالأصل) ألا يحضروا ذها وفضة ممشوشة ، ولا يجهزوا جوخا ولا
 قماشا الا كاملا على ما جرت به العادة القديمة ، وأنهم لا يعتمدون قطع
 شيء من الخرق الجوخ ولا غيره ، ويؤكد عليهم في ذلك ويبرهنهم أنهم
 متى حصل منهم شيء من ذلك من الآن يقابلهم على ذلك ويصني حضرة
 الدوج لا يطالعه به من المشافهة الصادرة ها ، ويطلب حضرة الدوج
 البادية الدين كانوا بالمركبين المذكورتين على ما اعتمدوه مع المسلمين
 ويلزمهم بإعادة ما أخذوه تمامه وكماله ، فانه هو الذي تعدى وفعل ذلك
 وأقدم عليه ، ولا يقبل ولا لمن كان معه في ذلك عذر ولا حجة ، وان
 حصل منهم تهاون في ذلك فيجهزهم الى أبوابنا الشريفة لنقابلهم على
 ذلك بالمعدلة الشريفة وقد أعدنا قاصد حضرة الدوج اليه بهذا الجواب
 الشريف بعد أن أنصت صداقتنا الشريفة عليه وعلى جماعة من ضلع

شرفه وثقته وجهزنا على يده لحضرة الدوج وعلى مسبيل الهدية ،
ما تضمنته القائمة المجهزة على هذا المقال الشريف . محضرة الدوج
بتسلم هذا ويطيب خاطرهم وحاطر تجار البنادقة ويعلمهم أنهم مشمولون
بظرفنا الشريف وعنايتنا الشاملة — فنحيط علما بذلك والله الموفق
بمدرك ان شاء الله تعالى .

فى عاشر من شعبان الكريم سنة سبع وسبعين وثمانمائة حسب
المرسوم الشريف .

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (١) .

ملحق رقم (٣)

٢٥ من أكتوبر ١٥٠٢ — البندقية .

تعليمات الى السفير بندقية سانودو — سفير البندقية الى السلطان
الأشرف قانصوه الغورى .

- ١ — نص ليوناردوس ليوناردو — بفصل الله دوق البندقية .
- ٢ — أمرنا باتتدابك أيها الأمير المواطن المحبوب سفيراً من لدنا الى
سيادة سلطان مصر .
- ٣ — وعليك باسم الروح القدس « أن تحتل السفينة المخصصة لك
وأن تتجه وتجاهل وتسرع فى سفرك » .
- ٤ — اتصل أولاً بالقبطان قائد أساطيلنا الذى أمرناه أن يعطيك سفينة
موسمية مجهزة لتواصل عليها سفرك لمقصدك ...
- ٥ — اذا وصلت بحظاب اعتمادنا لك سفيراً فعليك برؤية قائد السلطان

(٢) وثيقة رقم ٢ متوفرة فى نسخة مصورة من أرشيف الوثائق بالبندقية باللغة
البرية ، (من مجموعة الدكتور توليقي اسكندر) .

بالاسكندرية وقدم له حسب المعتاد التحيات ، واتبع التعليمات
المعطاة لك بدقة ، واستخدم في ذلك كل ما لديك من عبارات
مناسبة مستعينا بحكمتك وثاقب فكرك . .

٦ - وعليك أن تحصل من قنصلنا وتجارنا بالاسكندرية على كافة
المعلومات العامة والخاصة اللازمة لك خلال سفرك وأثناء وجودك
بمحاضرة السلطان ..

٧ - وإذا سمح لك بالسفر الى القاهرة لمقابلة السلطان فعليك ابرار
خطاب الاعتماد بسفارتك لكل من له صفة رسمية حتى تصل
للسلطان نفسه وتحييه باسمنا بالعبارات المناسبة الجديرة بمقامه
العالى والجديرة بمقام دولتنا ثم تهنه بارتقاء عرشه وتعيينه
سلطانا على مصر . وتذكر له أنه بمجرد سماع دولتنا بارتقائه
العرش حصل لنا السرور والغبطة ...

٨ - ثم أيها السفير بما لديك من حفاة وشجاعة وعزة وقوة شعبية
ستطلب من سيادة السلطان المطف على مواطني البندقية من
التجار الموجودين في بلاده الذين ترددوا منذ مئات السنين
للتجارة في بلاده ثم تعطيه الهدايا المناسبة المقدمة له من
دولتنا ..

٩ - ثم تذكر سيادة السلطان بالمرض من هذه الزيارة وهي طلب رعاية
تجارنا في دمشق مما يتعرضون له من مظالم من نوابه وأمرائه
الشام ومن ذلك فرض الجمر على تجارنا وشراء ٥٣٠ حملا من
الفلفل بسعر مرتفع علاوة على حمولتنا العادية وهذا احراء
لا يمكن احتماله لأنه سبب لنا خسارة فادحة ولتجارنا .

١٠ - وبما أنك عليم بتفاصيل هذا الموضوع ، لأنك تحضر باستمرار

مجالس العلية والسرية فأنت تعلم مدى الإصرار التي تلحق
بتجارتنا في دمشق من جراء تحول الطريق بواسطة البرتغاليين ،
فعلينا أن توجه نظر السلطان الى الأضرار التي تلحق بنا وبه
من جراء تحول التجارة هكذا ، ثم تذكر سيادة السلطان بحرصنا
على مصالحه ومصالحنا ، وعليك أن تعالج هذا الموضوع بمتى
السرية ، وألا يعلم تعري بردي الترجمان بأي طرف منها لأنك
تعلم عداوة لنا .

١١ - كما أنا واثقون من شجاعتك وفصائلك وأنت ترضى رعايتنا
وأماننا لدى السلطان ، ولا نكرر لك مسألة عداوة الترجمان
تعري بردي لنا وعليك بمجرد نزولك بالاسكندرية أن تتصل
بقصصنا في الثمر وتحدث معه في هذا الشأن للاتفاق على
خطة موحدة ...

١٢ - وقد يحدث أن السلطان أو بعض نوابه أو غيرهم يتكلمون
منا في شأن الحوادث الجارية في قبرس وموقف حاكمنا في
هذه الجزيرة عليك أن تطلع السلطان أو نوابه أن حكومتنا
لا علاقة لها بما حدث أو يحدث في قبرس ، وتخلص بلباقة بأن
تذكر بأنك ستكتب اليها بشكوى السلطان في ذلك ، وأنت
سترد في الوقت المناسب الرد الذي يريح اليه السلطان ...

١٣ - ولا نذكرك أن موضوع مهتك لدى السلطان خاص بدمشق ،
ولك مطلق الحرية في أن تشير أي موضوع يتعلق بتاجرنا
وتجارنا في الاسكندرية ، إنما الموضوع الأساسي هو دمشق.
وعلى أي حال فيحسن عدم إثارة شيء خاص بالاسكندرية قبل
الانتهاء من موضوع دمشق ...

١٤ - من أهم ما يجب أن تلفت اليه نظر المسؤولين أنك علمت أن

السلطات في العام الماضي حجزت سفنتا في الميناء دون مبرر
مما أثار ضيقنا ، ونأمل أن تنجح في عدم تكرارها مرة أخرى ،
وعليك أن تسلك سبيل الملاينة ولا تلجأ الى إثارة النزاع مع
السلطان أو رجاله ، وأن تجنب نفسك مغبة ما قد يحدث لأي
خطأ في ألقائك ..

١٥ - عليك أن تظهر أن هذه الأعمال التي تصانقنا لا شك أنها لا تصدر
من السلطان ولا من نوابه ولا من عماله ، إنما هي مسائل فردية
من بعض العمالين والعمال وأن حكومتنا تشي على همة السلطان
ورجال حكومته ونأمل التشديد على العمال والعمالين لعدم
تكرار هذا التأخير ، في رحلات سفننا التي ترتبط بمواعيد
المدة السنوية ...

١٦ - لباقتك تستطيع أن تذكر للسلطان أن مثل هذا التأخير يصيب
تجارنا بالعسارة مما يجعل التجار يحجمون عن الحضور
للاسكندرية ، ومما لا شك فيه أن هذا يصيب تجارتنا وتجارة
السلطان بأضرار كبيرة ، وهو ما لا ترجوه البلطيقية .

١٧ - وفي رأينا أن تذكر السلطان أن تأخره بأكثر هو السبب في هذه
المشكلة وهنا يجب أن تظهر لباقتك ومقدرتك السياسية بحيث
تجعل السلطان يفكر في الأمر ويعمل على تضييق هذا التأخير بغيره
من تحسين التعامل معنا . وإذا وجدت أن الأمور تسير صعبا ،
في هذا الشأن ، وأن المسألة ستأخذ طريق التحقيق والدفاع ،
فعليك أن تتخذ كل الوسائل لتبرئتنا وتقرير وجهة نظرنا ...

١٨ - وحسب العادة في ميناء الاسكندرية تمنح السفن من الدخول
ليلا حتى ولو كانت تواجه عاصفة مدمرة قد لا قدر الله -
تهلك السفينة ومن عليها وعليك أن تحاول الحصول على تصريح

السلطان بدخول هذه السفن بصفة خاصة للاهتمام من
العاصمة ...

١٩ - ونصح السلطان سفننا أربعة أيام بعد انتهاء الموسم لشحن
وتسويق السفن ، وهذه المدة غير كافية وتضطر أحيانا الى ترك
معظم السلع للمدة التالية فتفسد وتبور ويلحق بتجارتنا خسارة
مادحة ، فحاول أن تحصل من السلطان على تصريح بمد هذه
المهلة لتمكن شحن كل مشترياتنا حتى لا يصبح التجار من ورود
أسواق مصر والاسكندرية ، وأن يكون بقاء السفن فترة أطول
بدون الطاحة للحصول على ترخيص سابق من السلطات المعنية
بالأمر في الميناء .

٢٠ - عليك أن تصر على عدم تغيير عمال ديوان القنّان وأن يبقى بدون
أى اجراء آخر قد يضر بمصالحنا ..

٢١ - كل ما تحصل عليه من امتيازات أو إعفاءات أو تصريحات من
السلطان ورجاله فاكبه في وثيقة مرساة ، لا طويلة .

٢٢ - لا نوصيك بأن تتصل في كل ما يمن لك بتجارنا وقنصلنا
لخبرتهم الطويلة في التعامل مع السلطان ورجاله ، ونحن واثقون
من أنك ستقوم بكل ما يفيد بلادك ..

٢٣ - أما عن فترة نقالتك في بلاد السلطان فنحن لا نحدد لك فترة
معينة ، بل يترك ذلك لتقديرك والاقتهاء من أعمالك ، ومع
ذلك فانتا واثقون من أنك ستقوم بالمهمة خير قيام وفي أسرع
وقت ، وأن تعطى أمرا بأن تنتظر السفينة التي أقلتك
لتعود بك ...

٢٤ - ومثلك أمر ادارى بأن تحصل على جميع نقاتك من هيئة التجار

والقناصل هي دمشق ، لأن المهمة التي ستقوم بها خاصة بهم
 كما هو المعتاد مع غيرك ، وأن يكون الملحق في حدود
 ٤٠ دوكة ، ومطعمك أمر آخر بأن يماونك في مهمتك جسيم
 قناصلنا والهيئات التي تشاركهم عملهم لأنهم مطلعون على مواطن
 الأمور ، بحكم بقائهم مدة طويلة في بلاد السلطان
 الموافق ١٢٤ - المعارضون ٣ - المتنعون . (١)

ملحق رقم (٤)

٢٤ مايو ١٥٠٤ - البندقية

تعليمات مجلس العشرة في البندقية للسفير البندقي « فرانسوا
 تالدي » تكلفه بالتوجه للقاهرة للتفاوض مع السلطان المماليكي
 « المورى » سرا في الوسائل الممكن اتاعها لمنع توسع البرتغاليين
 التجارى في مياه الهند .

١ - بمئة فرسكو تالدي الى سلطان مصر . تقبل هذه التعليمات
 باسم الأمير نحن نضع فيك يا سيد فرنسكو الثقة الكاملة .
 لذلك نرسلك الى سلطان مصر باعتبارك مواطنا صالحا . ولهذا
 نكلفك بأن تسافر بأول سفينة الى جزيرة كريت ومنها الى ميناء
 دمياط . وطيك أن تعفى عن الجميع صفتك الرسمية

٢ - من دمياط تذهب الى القاهرة وتعمل بكل ما أوتيت من مهارة
 وسرية أن تسمع صوتك للسلطان شخصيا ، وتمثل أمامه عن

Instruction a Perodetto Sumis, Ambassadeur di Sultan El-Ghouri. (٣)
 Senato Secreto XIXIX fe 45.

من الدكتور تولى امينكو وترجمته

طريق أمير الاسكندرية ، أو الدواidar أو كاتب السر ، أو من يبدو لك أنه الأصلح . وفي غياب الأمير لك أن تلجأ الى المهندار (المندوب السعري) الذي يجب أن تكلمه سرا ، ولا تنس أن يكون حديثك مع السلطان نفسه سرا .

٣ - لما تسح لك الفرصة للانفراد بالسلطان قدم له خطاب اعتيادك سيرا لنا بعد التحيات الواجبة باسمنا وباسم دولتنا لفخامته تهنته بالصحة والسلامة بالفاظ مناسبة ، وتفاهيم منه سرا فيما كان يحدث به السيل « بنديتو سافودو » في العام الماضي من الملاحة في المحيط الهندي ، والتي أصبحت في يد البرتغاليين ، وأن تفهم فخامته أنه يترتب على ذلك خسائر للجميع له ولنا ولتجاره وتجارنا . ومالبة للعلاقات القديمة التي ييسر بينه ، والتي قامت على المصلحة المشتركة ، فانا وضعنا مشاوراته معك ومع السير سافودو موضع الاهتمام الكامل لا مكان معالجة الأمر في بدايته .

٤ - ولكي تكون على علم تام بكل ما يستجد في هذا الموضوع نبلغك بأنا أثناء بحثنا هذا الموضوع في السناتو مع مستشارينا وصل الى بلادنا المبحوث السلطاني مطران أورشليم الأخ المحترم « ماوروجوارديان » من جبل صهيون ، ومعه رسالة من سلطان مصر ملوثة بعبارات الود والاحترام والركة التي يديها السلطان نحو دولتنا في كل مناسبة . فطريك أن تتولى نيابة عنا شكر السلطان الأفخم بعبارات ود واحترام مبادلتنا شعوره الطيب ، وأتينا متأكدون جدا من أننا أكثر الجاليات رعاية في بلاده وإن تجارنا سيجدون كل عطف وعونه ومودة من السلطان ورجاله مما يجعلهم يلهفون على الذهاب للتجارة في بلاده ولا يفكرون في هجرته الى لقسوة مثلا ، لأنه من المعروف ألا يبقى أي فرد

فى مكان ما الا اذا كان يعامل معاملته طيبة ويحصل على فائدة
كاملة .

٥ - ويجب أن تعلم فصيلا عن ذلك أن الأخ المحترم السيد
ماوروجوارديان مطران أورشليم ومبعوث السلطان إلينا قد تحدث
معنا شخصيا ، علاوة على ما جاء بخطابات السلطان هي أن نكتب
الى العبر الأعظم البابا ، وملك اسبانيا ، وملك البرتغال ليعملوا
على وقف ملاحه البرتغاليين فى الهند وتركها لهم ، كما طالبوا
بأن يصدر مجلس الساتو قرارات يشيرون فيها الى ذلك ، فميك
أن تقول للسلطان : « ائنا بكل حراقة وأمانة قد وجهنا الأخ
المحترم ماوروجوارديان لرحلة الى اسبانيا والبرتغال وروداه
كل المعلومات التى لديها لكى ينهى الموضوع حسب رعة
السلطان التى هي رغبتنا ، ولم نعط خطابات توصية الى البابا
فى هذا الموضوع ، ولا الى ملك اسبانيا ، ولا الى ملك البرتغال
حتى لا تحدث نتيجة عكسية ، ولكى لا نتهم بأننا متواطئون مع
المسلمين ضد المسيحيين ، لأن مثل هذه الخطابات ستحدث سجة
شديدة ضدنا فى العالم المسيحى . لأن الجميع يعرفون أن مجي
السيد/ ماوروجوارديان بناء على رغبة السلطان وبناء على طلبه ،
فلو أننا أرسلناه من طرفنا بخطابات توصية لفقدنا كل سمعة طيبة
فى العالم المسيحى .

٦ - يجب أن تبلغ السلطان أن مع الملاحه فى المحيط الهندى لا يمكن
أن تأتي من جانبنا للأسباب السابق ذكرها ، لأن المسافة من بلدنا
للبرتغال طويلة لا تقل عن ٤٠٠٠ ميل ، فضلا عن المسافة من
البرتغال الى الهند ثم ان اسبانيا وملكها القوى المحالف للبرتغال
يقع فى الطريق بيننا وبين البرتغال ، علاوة على أنه استولى
حديثا على مملكة نابلى من لوريس ١٢ ، وله حدود مع مملكتنا

هي أماكن عدة من البحر والبر . وقد ذكرنا هذا للسيد
ماوروجوارديان ، ورودفاه بنفقات الرحلة الى روما واسبانيا
والبرتغال . وسنحاول أن نبين السلطان أولا بأول بخط سير وأخبار
بعوثه الى اسبانيا والبرتغال البابوية .

٧ - بهذا أن تذكر لسيادة السلطان أنه قد وصل الى البرتغال
١٤ مركبا من الهند محملة بالتوابل من بين ما تحمله ٥٠٠٠٠٠ حمل
من القمل وقد أرسلت بواسطة ملك البرتغال الى إنجلترا
أو الفلاندرز وفرنسا وإيطاليا ، ولكل العالم تقريبا . لفائده
وربحه بحيث أنه أصبح ملكا غنيا جدا . ويرجع ذلك الى أنه
وجد أن سعر التوابل بالاسكندرية مرتفع جدا ، وكذلك في
دمشق أكثر من المعتاد ، وأنه لما كانت التوابل منخفضة الأسعار
في الهند ولشبونة ، لذلك لجأ عملاء قابلي الى أسواق البرتغال ،
وهذا بالطبع أدى الى ثرائه - فضلا عن أن هناك في ميساء
لشبونة أسطولا مكونا من ١٢ سفينة مستعدة للرحيل فورا الى
الهند و ١٦ سفينة أخرى مستعدة للذهاب فعلا بعد عودة السابقة
لاحضار المزيد من التوابل .

٨ - وعليك أن تلفت نظر السلطان الى أنه ابتداء من الآن ستكون
الرحلة سهلة بالنسبة للبرتغاليين ولا تعرف طريقة تستطيع بها
منع ملاحتهم الى الميساء الهندية والتي يرى أنه ينشأ عنها ضرر
لا يمكن احتماله ولا قبل للسلطان به . واثنا فضلا عن مصالح
تجارنا التي بدأت تنهار فاثنا تحصلنا خسائر في جماركنا وضرائبنا
تبعا لذلك .

٩ - واحقا للواقع كان قد اقترح علينا الاشتراك في الرحلات
لفائدتنا ، ودعينا فعلا من قبل ملك البرتغال لارسال تجارنا الى
أسواق لشبونة لطلب التوابل . وكثير من تجارنا ورعايانا يرغب

فى ذلك ، لأن تجارنا لا يدفعون فى لشبونة ضرائب جمركية ، ومع ذلك فهم أحرار . الا أننا لما كنا نقدر عظمة السلطان ، وأما لم نرعم أبدا على ترك التجارة معه واثنى كانت على اتصال معه سد قرون علة والتجارة هى مصدر حياتنا وريصا ، كما أننا لم نلظر أبدا للدعوة التى وجهها إلينا ملك البرتغال والتى لا يزال حتى الآن يحرصها علينا ، ومصدقا لذلك أرسلنا سفنا هذا العام الى الاسكندرية لاعتقادنا أن السلطان المعظم هو الذى يستطيع وحده أن يصحح هذا لتهمجات البرتغاليين فى مياه الهند ووقف تجارتهم حتى تعود تجارة التوابل الى ما كانت عليه من قبل .

١٠ - وعليك يا سيد فرسيسكو أن تصح أمام أعين السلطان النقط الآتية ، يبدو أنها على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للسلطان ليتخذها ضد البرتغاليين فى الهند :

أ - العمل بأى وسيلة على وصول أكبر كمية ممكنة من التوابل الى بلاد السلطان لكى تقاوم بها افراق البرتغاليين لأسواق أوروبا والتوابل ، لأن هذا سيمنع عن البرتغاليين المكاسب الضخمة ، وبالتالي يمنع سفنهم من الوصول للهند لجذب التوابل .

ب - يرسل السلطان من طرفه سفراء الى ملك كوشين بالهند وكانا نور والأماكن الأخرى التى يتعامل معها البرتغاليون ، وأن يطلب منهم باسم الدين والجوار والتعامل القديم الامتناع عن معاملة ومد يد العون الى البرتغاليين وأن يضحوا العقبات باستمرار أمام البرتغاليين ، ويبينوا لهم الأضرار التى سوف تترتب على استمرارهم فى التعامل مع البرتغاليين ويمتطيع فخامة السلطان بحكمته أن يبينها لهم ويضر لهم أن كثرة وصول البرتغاليين لبلادهم ستكون لها آثار سيئة ، وربما استولوا على بلادهم نفسها ويصبحون أسباد هذه الحزر وبلاد كوشين وكانا نور .

ومن قومن بقدرة السلطان المعظم على عمل ذلك وامكانه الوصول الى اتفاق مع هؤلاء القوم .

ج - ومن الممكن أن يسارع فتاة السلطان بإرسال سفراء من لديه الى قاليقوت وكاماي وأمرأ هذه البلاد رفضوا قبول التعامل مع البرتغاليين ، وهؤلاء الأمراء بإمكانهم التأثير على أخوانهم ومواطنيهم بعدم التعامل مع البرتغاليين ووجوب مرور التوابل كالمعتاد بمصر وسوريا ، ويذكروهم بمدى الأصرار التي تحقيق بهم من التعامل مع البرتغاليين ، وما يجره هذا كذلك على السلطان من أصرار .

د - يجب أن يرسل السلطان من لديه قوات عسكرية قوية لمعاونة قوات الهند التي تحتاج لمزيد من الرجال والسفن والسلاح وقد فهمنا أن السلطان أرسل فعلا السفن والسلاح والجنود ، وهذا ما نمدحه عليه - لأنه اذا لم يجد البرتغاليون من يقبل التعامل معهم واعطاءهم التوابل ، وانهم رجسوا أكثر من مرة فارعين من غير هذه التوابل ، فانهم لن يفكروا أبدا في العودة لهذه الرحلة الطويلة بعد أن يفقدوا السعة والوقت . ولذلك فانه يلزم من الآن القيام بإجراءات سريعة قوية لملاقاة هذا الخطر . وبيت القصيدة هنا هو ارسال سفراء للهند وحث أمراء الهند على عدم التعامل مع البرتغاليين ، وارسال الأسلحة والسفن للهند للمعاونة في حرب البرتغاليين - وهي الوسيلة لاستعادة نفوذ السلطان وبالتالي نفوذنا .

١١ - هذه هي كل الأشياء التي نراها ذات أهمية بالغة وضرورية وتلفتون نظر فتاة السلطان اليها ليتخذ بشأنها اجراءات سريعة ، واننا متأكدون - كما سبق أن ذكرنا لسيادة السلطان - أن

مصالحه العديدة في الهند والتجارة الهندية مستجمله يقوم بأكثر مما أشرقا به عليه .

١٢ - ولكن نظرا لأن السيد المحترم ماوروجوارديان قد أبلغنا أن السلطان الأعظم في حالة رفض البرتغاليين الاستجابة لطلباته فإنه ميسمخ الزيارة للأماكن المقدسة المسيحية ببلاده ، ويعلق كنيسة القبر المقدس ودير سانت كاترين في سيناء ، وكنائس المسيحيين في مصر وسوريا .. ونص فوجه نظرك الى أن تنصح فخامة السلطان الى أن هذا الاجراء سيكون ضد مصالح السلطان نفسه ، وعلى حساب سمعته ، وأن فتح هذه الأماكن فيه فائدة مادية له وبلاده ، وغلقها - علاوة على الأضرار المادية التي قد تصيبه - فانها لن تجعل أي مسيحي يمتط عليه أو يوقف حملات البرتغاليين الى الهند بهذا السبب ، لذلك يجب أن تنصحه بأن هذا العمل غير مجد وأن الأماكن المسيحية المقدسة يجب أن تظل مفتوحة ليعلم الغرب مدى سوء تصرف البرتغاليين ، واعتدائهم على حقوق ومصالح السلطان ، وعليك استخدام منتهى الباقة والكياسة والدبلوماسية في هذا المجال ... (٤)

موافقون ١٧ الرافضون ٥ المشكوك فيهم ٢

1504/24 Mai, La Venise.

(٤)

Instructions du Conseil des Dix à Francis Taldi, chargé de se rendre au Caire pour concorder secrètement avec le Sultan, les moyens d'empêcher le développement du commerce des Portugais dans les Indes.

Venise Archives Générales, conseil des Dix, Mistl. Reg. XXX. fol. 49. Publié en 1856 par H. Esmuel Boutsanien.

MD 1112, die XX 1112, In Concilio X, Cum additione.

De Mas Latrie.

Traité du Commerce, pp. 259-263.

من الدكتور توفيق اسكنبر وترجمته

ملحق رقم (٥)

البندقية ٢٦ أكتوبر ١٥٠٦

مناقشات السناتور بشأن سفارة تغرى بردى الى البندقية ١٥٠٦ .
حيث ان المجلس قد استمع للتقرير المعروض عليه الآن والذي اشتمل
على كل المحادثات والأحداث التي تناولها البحث بين مندوبينا والمندوب
السلطاني تغرى بردى الموجود هنا ، فاتنا نلخص هذه المناقشات في
مسألتين فقط :

المادة الأولى :

هي ان يسارع السفير تغرى بردى بالرحيل من هنا الى القاهرة
ومعه ردتنا على ما جاء بصدد ، واذا أراد الانتظار فعليه أن يرسل أحد
وكلائه ليحمل الينا بعودته رد السلطان . فادا أقر السلطان طلباتنا ،
نستأنف ارسال سفنتنا الى ميناء الاسكندرية كما كان سابقا ، والا فالتنا
سنضطر الى ارسال سفن عادية صغيرة مثلنا في ذلك مثل أى طائفة
أخرى من الأجانب التي تتعامل في موانئ السلطان وحيث ان هذا
السفير كما علمنا يود البقاء هنا وارسال أحد وكلائه الى سيده في
القاهرة فالتنا نرحب بهذا الاجراء ولا سيما وأن هذا الوكيل رجل بارع
وعلمى ويمكن أن يحصل على طلباتنا بسهولة من السلطان . كما أن هذا
السفير يعتمد تماما على هذا الوكيل ويستقد أن عودته الى القاهرة دون
أن يحصل على طلبات السلطان سيعرض حياته للخطر ..

المادة الثانية :

وهي المشكلة الخاصة بالملاحة في موانئ السلطان فان السفير يؤكد
أن ارسال السفن الصغيرة Les Navires أمر لا يقبله السلطان
بل سيثير غضبه وهو في الواقع أمر لم نألفه منذ أن تاجرنا مع مصر

وانضمام - وتوضيحا للأمر فإن السفير تغرى بردى بعد أن كتب لمسيده بكل طلباتنا ، لم يرد أن يذكر له أمر السفن ولم يرد كذلك أن يسمع مما أى اعتراض أو تنويه بما قد تلاقىه فى موانئ السلطان فى ابى قير والاسكندرية « بل هو يؤكد أن الأمان والسلام والطمانية لا تزال كما كانت منذ أن تاجرنا مع السلطان . بل أكد السفير أنه لدى عودته الى القاهرة سيعمل على تدعيم هذه المسألة كذلك وهو هنا يؤكد ذلك على لسان سيده السلطان .

رأى السناتور :

بعد الاطلاع على المقدمات السابقة وكلام السفير وما حدث مع مندوبا فانا نوافق على الرد على السفير لكى يرسله بدوره للسلطان بعد تقديم الكلمات الطيبة والتحيات المناسبة لمقام مولاه الرفيع ، كما أننا نترك أمر تدبير هذا وذاك لعصاة السفير ومندوبيه وأن يعمل ما يبدو له لتنفيذ الرغبات المطلوبة . أما فيما يختص بالسفن فإن رعبتنا هى أن تقوم فعلا بالملاحة الى بلاد السلطان على النوعين المعروفين من السفن : *Les Galeres* والمراكب *Les Navires* فقط نود الأمان والحرص من الاخطار سواء على طول الطريق أو فى الموانئ وأن تدخل الطمانية الى قلوب تجارنا حتى لا يمتنعوا عن السفر لموانئ السلطان لذلك يرجى من السلطان أن يساعد التجار على الرحيل فى الوقت المناسب بعد تسويق بضائعهم وحسب رغبته وظروف قباطنة السفن بدون الحاجة الى تصريح سابق . وكل ما عدا ذلك سيكون من السهل تدبيره .

وهنا يختص بانتخاب قنصل حديد فسيجرب هذا العمل فورا ،

هور اجابة مطالبنا ، لأن الصداقة الجديدة تتطلب هذا العمل لكي نستأنف علاقاتنا الطيبة مع السلطان كما كانت وحسب عادتنا في السنوات السابقة ولمصلحة كلينا .

قرار

الآن يتقرر كتابة خطاب بهذا للسلطان ويرسل مع رسول الى القاهرة كما يجب الاطاعة على خطاب السلطان وأن يكون كالآتي :
(انظر بعده رقم ٩) .

ملاحظات : هذه الوثيقة هي محادثات السناتور عبارة عن :

١ - اتفاقيات ومباحثات تفرى بردي سفير السلطان القورى مع مندوبى البندقية .

٢ - اتفق الطرفان على المائلتين المسجلتين بهذه الوثيقة الا أن السفير تفرى بردي أحجم عن تسجيلها وتوقيعها قبل أخذ رأى السلطان نفسه .

٣ - رأى السناتور مسجل بهذه الوثيقة بالموافقة على أن يرسل نسخة منه مع مندوب خاص للقاهرة لعرضه على السلطان ومنها خطاب من السناتور الى السلطان ، برحاء الموافقة . (الخطاب بعده رقم ٥ بنفس التاريخ ٢٦ أكتوبر ١٥٠٦) .

خطاب ملحق لرقم (٥)

٢٦ أكتوبر ١٥٠٦

خطاب السناتور الى السلطان القورى بشأن المباحثات بين سفيره تفرى بردي ومندوبى حكومة الجمهورية على ما اتفق عليه الطرفان هي الوثيقة السابقة برحاء الرد بالموافقة .

(٥)

26 Oct. 1506, : Delibération du Sénat au Sujet de la Mission de Toghiani
Ambassadeur Egyptien à Venise. (Senato Secreta Reg. XLII. 192.)

من الأستاذ الدكتور توفيق اسكندر وترجمته

السيد السلطان الأصم

حضر الى دولتنا الفخيمة « نمرى بردى الفخيم صغير عظمتكم » وفد أكرماء أكراما لكم واستمعنا له ، وجهنا ما عرصه علينا باسم عظمتكم ، طبقا للحطاب المرسل بمد اليها ، لأجل ماقشة المسائل المتعلقة بالتجارة والتجار وأنه طلب ما أن تناقش الموضوعين ، وأن يعين له مدويين عن حكومتنا للتفاوض معه ، حتى يستطيع توصيح موضوع سفارته لنا وتوصيح ما يريده ثقاتلدة وراحة كل من الطرفين .

وقد اجتمع الطرفان أكثر من جلسة ومعهنوا بعناية المصاعب والحلافت ، ثم وجهوا اليها بكامل هيئتهم متفقين على شروط خاصة وضرورية ترجو من سموكم الأعظم الموافقة عليها ، لأنه بدون هذه الشروط سيصبح من العسير على التجار أن يثمروا في الوصول الى بلادكم لأن تجارتهم ستعرض للحمارة

وقد قال السعير نمرى بردى خلال المحادثات انه ليس لديه تعليمات أخرى . ونحن تتعجب كيف ترسلون سموكم شخصا مسئولا مثل هذا السفير دون أن تكون لديه الصلاحيات الكافية لعمل شيء مهم أو الاتفاق على شيء مهم ، ولأنه لا يملك إبرام الاتفاقيات فهو مضطر لإرسال خاصكي من لديه لسموكم لطلب الموافقة على المفاوضات معنا . . ان أزمة عدم الثقة هذه لا تسمح اطلاقا بالاتفاق اذ كيف يقتنع التجار بهذه الشروط ومفاوضهم لا يملك الصلاحية لإبرامها ... ؟

ولكى يكون سفيركم ملما بالموضوع ، فاقنا فحبره بما اتفق عليه أولا ناول لكى يكون على علم بالتفاصيل ليردها لسموكم . ونحن منتظرون رد سموكم ، كما أنكم ستقدرون تماما وبكل حكمة حالة

البندقية التي أظهرناها مرارا وتكرارا لسموكم مع اخلاصنا لكم . هذه الروح لم تتغير ابدا ، وحيث اننا نشاء أن يكون السلطان بنفس هذه الروح وكذلك السفير فانا لا نشك في أن هذا السفير سيوضح لكم تفاصيل الموضوع حيث انه رجل عاقل وحكيم . والله القادر على كل شيء يتعطف علينا بالخير والبركات .. وانا تأمل أن تجزوا الجراء الأولى لمن كان السبب في هذه القلعة التي أدت الى هذه الاضطرابات والتي قضت على المعاملات الطيبة التي ظلت بيننا قرونا طويلة ، وتنتج عن ذلك خسارة فادحة لدولتنا . ان هذا اذا تم سيكون له أبعاد الأثر في اصلاح الحال وسيرصينا .. ويقضى على الأضرار .

ونرجو الله أن يطيل في سبي حياتكم يا عظمة السلطان بأذن الله ، ومن الآن ليكن مقررا أنه اذا لم يتم الاتفاق على ما وضعناه بقرارنا وبعد المفاوضة مع سفيركم فانه لن يبقى لأي مواطن منا أن يرسل الى الاسكندرية أو أي جزء من بلادكم سفرا أو سلعا ولا يتعاقد مع أي فرد بأي سلطة لمدة عشر سنوات على الأقل (٩) .

ملحق رقم (٦)

١٦ ديسمبر ١٥١٠ - البندقية

خطاب من جمهورية البندقية الى السلطان تشكو فيه من أن عمال السلطان يعملون على ترحيل سفن المدة قبل انتهاء المدة أحيانا وبعد انتهاء المدة بوقت .

Smuto Secreta Reg XLF 192 Lettre au Sphén au Sujet de la 20^e mission de Tugri Bardî son Ambassadeur à Venise.

من الأستاذ الدكتور توفيق اسكندر وزوجته

١ - بـرجوع السفن من رحلتها للاسكندرية كالمعتاد ، عرض علينا التجار والقباطنة أن موغنى فخامتكم بالاسكندرية حاولوا تعقيد المعاملات فى بداية الموسم « المدة » وتقصيرها لدرجة كبيرة لا لبضع أيام ولكن لساعات قليلة ، وهذا بالطبع عمل لا يلائم مصالحنا ولذلك يعودون بدون تسويق كل سلهم وفى ذلك منتهى الحسارة لهم ولنا . وقد بدا لنا أن نكتب اليكم هذه الرسالة لتوضيح الأمر لفخامتكم .

٢ - كما أن عمالكم قد عطلوا علينا أعمال ديوان الوران وديوان القبان على غير ما تعودناه سابقا اد يعطون تجارتنا توابل بالقصر غير المتفق عليها وتكون النتيجة خسارة لنا وللتاجر كما أنهم يجبرون على أخذ كمية كبيرة من التراب مع التوابل عوة . ونظرا لأن المغربلين قد صنفوا الغرايل لكي لا يرل التراب من ثقب الغريال ففى هذا خسارة كبيرة لنا وهو عمل غير أمين اطلاقا ، وكذلك أنقصوا المعيار حوالى $\frac{1}{7}$ أكثر من المعتاد وكل شيء لفائدتهم ولكن لخسارتنا مما لم تعودده من قبل .

٣ - سمعنا بكل أسف عن الضرر الذى ارتكبه الفرنسيون ضد مصالح فخامتكم فى الأيام السابقة ، وإن هذا يعتبر غدرا كما فعلوا لمدم انضمامنا اليهم لكي نحافظ على ايماننا وعهدنا كما جرت عادة دولتنا .

٤ - ونظرا لأن تجارنا راعبون فى زيادة وتوسيع تجارتنا على عهد حكومتكم الرشيدة ونظرا لأن تصرفات عمالكم تقلل من هذه المعاملات ضد رغبتكم فافتنا طمنا تجارتنا وشخصناهم حسب مانعرفه من رغبة فخامتكم فى توسيع نطاق التجارة وقد وعدنا

تجارنا بأنا نسمع السلطان كل ما يتعلق بهذا الأمر لأمكان
الاستمرار في التجارة معه وإن صداقتنا لكم متعاوننا تماما هي
معالجة الأمور بالعدل كما نرجو معالجة أمر عمال السلطان في
موانئ مصر وسوريا وسمرنا أن نسمع هذا من فخامتكم وإن
الاحطار السابقة لن تتكرر وإن تجارنا لن يفقدوا العدالة بين
موظفيكم حتى يستطيعوا التجارة بأمان لذلك نرجو من فخامتكم
عدم نسيان الاجراءات اللازمة لذلك ، ولعل هذا سيعود
بالفائدة لفخامتكم ودولتكم ودولتنا .

٥ - وقد أرسلنا سفنتنا الى الاسكندرية وبيروت ، في المدة من
١٥ من أبريل القادم حيث ان تجارنا يمكنهم عرض سلعهم وكذلك
شراء سلعكم لذا نرجو فخامتكم أن تأمروا عاملكم بالاسكندرية
وبيروت بإرسال وتشميل السفن المذكورة مباشرة بعد تحميلها بعد
فترة المدة بحيث انهم في الوقت المناسب يستطيعون أن يشعروا
رحلتهم .

٦ - ولكي لا ننسى الصداقة التي بيننا فانا نبلغ فخامتكم أنه بفضل
الله تعالى القادر على كل شيء ، اما قد استرددنا بواسطة قواتنا
العسكرية جزءا كبيرا من الأرض والقلاع التي كانت قد احتلت
بواسطة أعدائنا الذين جاءوا مرتين لحصار مدينتنا « بادوا
Padua » بحوالي ١٠٠٠٠٠ شخص وهزمناهم وهم يتراجعون
الى مدينة « Verona » فيرونا - ونأمل أن تعاوننا العدالة
الساوية في استرداد باقي ولاياتنا بواسطة جيشنا القوي الموحود
بالريف الآن ونحن حاصلون الآن على رضاء البابا المعظم وانضمت
جيشنا لجيوشه بقصد طرد الفرنسيين أعدائنا الذين هم أيضا
أعداء فخامتكم كما ثبت من تجارب عديدة تعرضوها فخامتكم .
وقد تماقت الشعوب معنا للدفاع عنا بسبب العدالة التي كنا

ولا تزال تدافع عنها ، وخاصة أنهم عرفوا الآن الغدر والحياة التي يمارسها الفرنسيون ونقى جزء كبير من أسطولنا في بحر حوة لمعاونة البابا ضد الفرنسيين . وفعلوا لأن هذه الشواطئ خطيرة فأتنا وضعنا الأسطول في جزيرة كورمو لكي يقصى بها الشتاء ومخامتكم مسترون لسماع هذه الأنباء الطيبة التي أردنا أن نبلغكم إياها كما هو مطلوب منا رعاية للود والثقة بيننا . حاشية : بعد كتابة هذا كله تأسف اد نبلعكم أن عمالكم حجروا سمنا وتجارتا بعد فترة المدة بوقت طويل في موايكم ، وهو شيء لا ينتظر منكم ولا سيما للصداقة التي بيننا والتي جربتموها مرارا وتكرارا (٦) .

ملحق رقم (٧)

البندقية ٢٠ يناير ١٥١١

خطاب من جمهورية البندقية الى السلطان تشكو فيه من الاجراءات الانتقامية التي اتخذت ضد مواطنيها بسبب مراسلتهم واستقبالهم مبعوث الشاه الصفوي .

السيد السلطان الأعظم الأضخم .

١ - في الأيام السابقة سمعنا أن سيادتكم قد استدعيتكم الى القاهرة . القنصل في دمشق والاسكندرية وتجارتا وأخذتنا الدهشة . وفي نفس الوقت تضايقتنا مما حدث للقناصل وخاصة قنصل دمشق .

Venise, Senato Secreto, Reg. XL.111B 172 V.

(٦)

Lettre au Sultan où Venise se plaint des ses agents qui font partir les galères avant ou après la [Méditerranée] :

من الأسطول الدكتور توفيق اسكندر وخرجته

ونوابه وتجارنا .. وقد رأينا أنه من حيث صداقتنا الطيبة التي اتخذناها دعامة صلتنا بكم ، واحتفظنا بها معكم ومع أسلافكم العظام ، قد تكون شفيعة في أن يكون تجارنا معززين في دولتكم .

٢ - وقد رأينا أن تجارنا ومواطنينا في دولتكم قد وضعوا موضع الأعداء الذين هم أعداء لنا ولكم سرا وعلنا ، وبدون أي رعاية أو احترام .. وهذا سبب لنا العسكرة ولا شك أنه سبب لكم أيضا العسكرة .

٣ - إن هذه المعاملة قد أزعجتنا ولا سيما أننا نعرف أن التعريض آت من أولئك الذين يريدون أن يضرروا بمصالحنا ومصالحكم .. ونحن موقنون تماما أنكم لما تسلمون خطائنا هذا وتعرفون وتتأكدون من الحقيقة سيعود تجارنا إلى مراكزهم وسابق عملهم مع تلامي العسكرة والصرر لكليتنا .. ولا شك أنكم ستعاقبون الأعداء ويتبع هذا طعنا عودة الرحلتين السابقتين بدون أي تردد .

٤ - وقد علمنا الآن أن سموكم مستمرون في حبس القناصل والتجار وإن غضبكم منصب عليهم لتسهيلهم وصول رسل الصوفي إليها بدون أن تعطيك خبرا عنه ونحن نعتزف بأننا لم نعطك خبرا ، وإن كنا بطرق أخرى قد بينا لكم مصير وعرض هذه الزيارة .

٥ - وبسرنا أن نذكر لسموكم أن السفن المذكورة أي سفن المدة المحملة بالبضائع ستصل في مواعييدها وأن ما حدث ما يمنع إطلاقا من وصولها وذلك تقيا لأي فكرة عدائية تكون قد تسرت إلى نفوسكم منا .

٦ - ونحب أن نذكر أن كل بلاد العالم قد شاركت في تجارة التوابل

من البرتغال ما عدا تجارتنا وكنا قد أصدرنا أوامرا صريحة
تجارتنا وشددنا في ضرورة تنفيذها .

٧ - وإذا كان رسل الصوفي قد وصلوا الى بلدنا طاه لم يكن
بإستطاعتنا منهم من الوصول لأننا اعتدنا صداقة الجميع
والترحيب بالجميع وإن كنا قد أغفلنا إعلامكم بهذه البعثة في
حينها فذلك لأن المحادثات بيننا وبينهم لم تكن لها قيمة أو أى
وزن دولي كما أننا لم نسمع منهم أى عرض له وزنه . ونفيدكم
أنه بعد التحيات المعتادة أخيرا رسل الصوفي أن سيدهم ينشد
صداقتنا وأنه مستعد للمحافظة وتجديد الصداقة التي كانت بيننا
وبين أسلافه . وقد أجبنا عن هذا الكلام اجابات عامة - وكنا
لا نريد أن نضايق أسماع سموكم بأمور لا وزن لها ولا قيمة
عن هؤلاء الرسل لذا بدا لنا أن نعمل هذا الأمر البسيط ولا سيما
أننا قد علمنا أن هؤلاء الرسل كانوا بفرنسا قبل وصولهم اليها
ولم يكن وصولهم اليها الا مرورا فقط ببلادنا في طريق عودتهم
الى بلادهم أى أن مقصدهم الأساسي كان فرنسا وليس البندقية
التي مروا بها مر الكرام والتحية . فاذا كان الأمر قد سبب ازعاجا
لكم أو أنه سيسبب قطع العلاقات بيننا وبينكم التي ظلت مئات
السنين فإن هذا تركه لحكمتكم ونرجو سموكم الا تستمعوا
لترهات الأشرار وأتباعهم ولا سيما الأعداء المفروض علينا أنهم
أعداء لكم ولنا ويجب أن نضع نصب أعيننا فقط التجارب
السابقة والنتائج التي ترمت على ذلك .

٨ - ونستطيع أن نؤكد لسموكم أن أى حادث يحدث في الخارج
لا بد أن يوافيكم به فورا ولا يمكن أن يقال أننا قد خنا العهد
فإننا لا نذيع سرا اذا قلنا ان صداقتنا مع سموكم قد سيئت لنا
أضرارا كثيرة ومتاعب في السنوات الأخيرة ولا سيما في التجارة

التي أصبحت أسعارها وخيصة بعد وصول التوابل الى لشبونه
ثم موقف البابوية وملوك أوربا بسبب العداء القديم بين الشرق
والغرب .

٩ - ان حكومة الجمهورية واثقة من ان أعداء الطرفين لا بد سيلاقون
حراءهم ونأمل ان تكون قد وصلنا الى حد ازالة ما يكون قد
علق بأذهانكم من تحونا ... وعود تؤكد لسموكم ولعظمتكم
ان أي خبر يحدث لابد من ان يصلكم بآء عن طريق رجالنا .
١٠ - ونفيد سيادتكم ومخاتكم أننا سوف لا تقدم أي اعتذار
آخر الا اذا أطلق سراح تجارنا ومثلينا وهم واقفون تحت
العقاب الشديد .

١١ - ونفيد فخامتكم كذلك ان جمهوريتنا لا تساعد القراصنة
وخصوصا أننا تنكب تفقات ضخمة في اعداد السفن المسلحة
للقضاء على القراصنة كطائفة وعلى الحرفة نفسها كعملية
مردولة ومكروهة من الجميع فاذا وصل الى سمعنا ان أي تاجر
من تجارنا قد حالف هذه الأوامر ولم يحترم أمرنا في عدم
مساعدة القراصنة ، فنوقع عليه عقوبات شديدة ليكون عبرة
لكل واحد ويمكن لسموكم ان تقو في كلامنا هذا ...

١٢ - ولا نريد ان تؤكد لفخامتكم مراعاة قناصلنا وتجارنا ومعاملتهم
معاملة طيبة كما تؤكد لسيادتكم ان السفن سترسل في
مواعيدها ولا تعبر ، ونفيدكم أنه بمجرد علمنا بإبصارها من
طرفكم في طريق عودتها اليها سترسل السفن الأخرى ، « لا سفن
المدة التالية » التي ستحصل أموالا وسلعا كثيرة لأن التحصار
يرغبون في المتاجرة بنون انتظار .

١٣ - كما نفيد سيادتكم أننا بسبب ضيق الوقت لم نستطع ارسال
سفيرنا الكبير اليكم السيد « تريفيزاني » وهو سيصلكم في

ميعاد قريب دليل على حسن نيتنا بكم وتوكيدا للصداقة
الطيبة بيننا وبينكم التي كانت منذ مئات السنين وبدعو
لسموكم بسنتين طويلة سعيدة (٧) .

ملحق رقم (٨)

٣١ ديسمبر ١٥١١

تعليمات للسفير دوسكوتريفراني - سفير جمهورية البندقية الى
السلطان .

١ - نحن ليوراندس لاوريدانس بون الله دوق البندقية . فأمرنا
ونعنيك مندوبا عنا أيها الشريف دومانجو تريفراني فارس سان
مارك العظيم من الساقو الى السلطان المعظم ..
أنك باسم الروح القدس يجب أن تتركب على السفينة المعطاة لك
بقيادة كونتاري وأن تتأخر على السير حتى تصل الى جزيرة
كرت ، ربما تجد حواز المرور الى بلاد السلطان في انتظارك
لتأخذه معك ليسمح لك بدخول الاسكندرية والقاهرة ، وإذا
كان حواز المرور لم يصل بعد الى كرت فلا تنتظر وصوله بل
استمر لأنه قد يقاملك بالطريق ، والافواصل الرحلة حتى تصل
الى ميناء أبي قير ، ثم ارسل أحد أتباعك الى الاسكندرية لتحصل
على هذا الجواز ، وإذا حصلت عليه فادخل الى المدينة واعرض
خطابات الاعتماد على أمير الاسكندرية واستخدم معه ألفاظا لينة
ومقبولة وتعطيه الهدية المرسلة له منا لكي يعرف سيادته أننا نقدر
شخصه . ثم تزور السادة الآخرين والعلماء الذين ترى أن من

Venise, 30 Jan. 1511.

(٧)
Lettre au Sultan où Venise se plaint des représailles contre sa réception
des envoyés du Shah Safouï.
Senato Secreta, Reg. XLIV P. 31.

من الاستلام المذكور توفيق امينكم وترجمته

الواجب زيارتهم ثم تسافر للقاهرة وتصل الى بلاط سمو السلطان
الأفخم بالطريق المعتاد مع الحاشية والحرس حسب التقاليد المرمية
والتعليمات المتبعة والتي تؤمر بها ، ولما يتقرر لك يوم التشریف
تذهب رسميا في موكب فخيم يليق بك وبنا ، وتقدم خطاباتنا
وتحييه تحية طيبة وتمدحه بألفاظ عذبة باسم دولتنا وتهنئه بصحته
ورحاء بلاده وعزتها وترسل له الهدايا الخاصة به مورا باحتفال
عظيم وبحضور مواطنينا في بلاد السلطان ، واتنا متأكدون أنك
ستعمل هذه العملية بهمة ونشاط . وسوف لا يتم بحث أى
موضوع بطريق جدى في أول جلسة ، ولذلك عليك قبل أن
تبارح المكان أن تتحد مع رجال السلطان لمقابلة أخرى مع سموه
لعرض ما سذكركه لك الآن .. وخلال المقابلة الأولى عليك أن
تحتهد وتحاول بالمهارة المطلوبة منك أن تجعل نفسية السلطان
في حالة طيبة بالنسبة لنا وخاصة مع حاشيته ، والذي لا يستطيع
التحدث فيه بتوسع عليك تأجيله فيما بعد للوقت المناسب ...
ثم تطلب التصريح لك بزيارة عظمة السلطنة لكي تهديها هدايانا
كذلك ، ثم تزور كبار الأمراء وتعطى لكل هدية ...

٢ - وفي مقابلتك الثانية مع السلطان عليك بتحيته أحسن التحيات
وبكلمات مناسبة ثم تضع أمام عينيه للمبادئ ورؤوس الموضوعات
التي ستحدث عنها قريبا أولا : بإيضاح وجهة نظركا وتلتمس
الأعذار لدولتنا بشكل واضح عن تأخير ارسال السفارة الى
بلاط جلالتك وتنسب التأخير الى الأحداث العظيمة التي صادفتنا
منذ ثلاث سنوات بسبب خيانة ملك فرنسا الذي ظل في حلف
معنا قرابة عشر سنوات وأفاد منا افادة عظيمة ثم امتلأ بالاثم
والشهوة وحب الميادة والسيطرة فلم يتورع عن الحث بالمهد
المعطى لنا منه كما حث بكل التزاماته وتحالف مع أعدائنا ضدنا

وكان يلطم في أن يتلمب علينا ويوسع دولته على حسابنا ،
وبالرغم من أننا قد تحملنا خسائر كثيرة فأننا بالمساعدة الآلهية
دافعنا كثيرا حتى عادت الأحوال الى ما كانت عليه وقام أن
تتحسن أحوالنا كذلك ، وأن أى فرد يحاول إيذاءنا سينال عقابا
صارما من العاية الآلهية . وقد عقدنا حلفا في أكتوبر الماضي
في روما مع جماعة البابا المعظم وأصحاب الجلالة ملك اسبانيا
والجيترا ، وقد أخبرنا سيادتكم به في حينه ، ويوجد في الميدان
الآن جيوش تابعة للبابا ولنا ولاسبانيا وسيممل ملك انجلترا
مثلنا . وعليك أن تخبر عظمة السلطان أن سكان Sguisari
المتوحشين والقاطنين بحوار ميلانو ، قد خرجوا واتفقوا مع ملك
فرنسا حتى أصبح اسمه مكروها من الجميع لسبب رعتهم
وطمعهم في السيطرة على العالم . ونستطيع أن نؤكد أن أمره
سينتهي بالمصير الذي يستحقه هو وأمثاله نتيجة لاطماع غير
محدودة .. وهذا هو السبب الرئيسي في تأخير ارسال السفير ،
وهذا التأخير أردنا الآن أن نعوضه بأن نرسل الى عظمة السلطان
سفيرا عظيما هو أنت (تريغزاني) وانك من أعظم رجال السانور
في بلدنا .. لكي تؤكد لسيادة السلطان ماكنه له من حيو تقدير
ورغبة دائمة في الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة معه . كما أننا نحب
أن يكون مواطنونا في بلاد السلطان مستمرين في علاقتهم الطيبة
مع سيادته ، وأن تحسن على مر الأيام وتزايد كما هو معتاد
من مئات السنين وعلى هدى ما ورثناه عن أجدادنا وما سنتركه
لذريتنا ليستمر كما استمر من قبل . ولا شك أن طيبة السلطان
والمودة التي يصرنا بها من آن لآخر ستحور كل اكر تركه أعداؤنا
في نفسه ، على أن استمرار غضب السلطان علينا سيجعل التحار
يصحرون أسواقه الى بلاد أخرى ، كما أن السفن التي اعتادت
أن ترد له كل عام وتحمل الذهب والفضة والنحاس والقصدير

والحرير والكتان والرمث والفواكه مستحول عن بلاده ولن
تحصل من بلاد السلطان على التوابل وكل المتاجر التي يحصل
من ورائها على فائدة عظيمة وفي كل مرة يحدث هذا لا يمكن
تعويض الوقت الضائع ..

٣ - ويجب أن تبه عظمة السلطان الى أعدائنا وأعدائه فهم يعادونه
منذ ٥٥ سنة كما أن أعمالهم ضده ، ولا يحصرون بانتظام لبلاده،
ويصلون مرة كل ٣ سنوات ، بعكس تجارتنا الدين يأتون لبلاد
السلطان بانتظام (البندية هنا توصي سفيرها بإثارة أحقاد
السلطان وتحريكها عهم الى الفرنسيين) وكثيرا ما يقومون بأعمال
القرصة أمام الاسكندرية بعكسا تماما . وقوات قراصنتهم تحتوى
برودس مقابل ٣٠ أو ٤٠ ألف دوكات من الحكومة الفرنسية .
وسيادة السلطان يعرف جيدا هجومهم الأخير على سفنه وأنهم
حاولوا بالدس والوقية والحيل أن يتسببوا في الاضرار بنا
وبه . ونحن لا نريد أن تتب فخامة السلطان في العمليات الأخرى
الواسعة المؤسسة التي يقومون بها لأننا واثقون من أنكم تعرفون
هذا فعلا وأنكم حازمون وتدركون الأمور على حقيقتها وأنكم
تسيرون في نفس الطريقة التي سار فيها أسلافكم العظام .
وما نقول هذا الا لمصلحتكم ومصلحتنا ..

٤ - وإذا كان فخامة السلطان قد غضب لأن بعض رجال الصوفي قد
وقدوا الى بلادنا منذ ٣ سنوات بالرغم من أننا قد برأنا أنفسنا
من ذلك في خطابات وسفارات سابقة ، فمليك أبها السفير أن نعيد
تبرئتنا مرة أخرى ونؤكد أن وجودهم لم يكن لأسباب ضارة
بالسلطان وليس في الموضوع أكثر من أن الشاء ناد لنا العواطف
والمودة قنادلنا بها وهو ما فعله مع الجميع واثنا على استعداد

لأثبات حسن نيتنا نحو فخامة السلطان ، هذه البية الطيبة التي كانت ولا تزال قائمه لم تتغير كما أننا نبادله عواطف صادقة محطه و نرجو أن تستمر . ولكي تثبت له حسن نيتنا فأننا ترك في بلاده تجارنا وسفراءنا وكميات كبيرة من الذهب والفضة كما يشاء السلطان . وعليك أيها السفير أن تلمت نظر السلطان الى أن تجارنا لم يحصلوا على فضل من بلاده لأن أثمانه القديمة سببت لنا الحسارة بسبب انخفاض الأسعار في أسواق البرتغال كما أن تجار أوروبا أصبحوا الآن يتجهون الى أسواق لشبونة لطلب التوابل . وقد دعينا لمشاركة البرتغال في الأرباح العظيمة وأن نقوم بنفس العمل وبأرباحه ولم نستمتع لهذا الكلام بل منعنا تجارنا من الذهاب الى لشبونة وداومنا الوصول الى أسواق السلطان كالعتاد حتى لا يشك سيادته في اخلاصنا أو في أننا لنميل الى النشأ ضده أو الى البرتغال أو الى ملك فرنسا ، ان مودتنا لا تنفصل عن مودة السلطان وتستمر الى مالا نهاية ..

٥ - عند وصولك الى الاسكندرية تكون السفن الموسمية قد حلت وانتهى الموسم فعليك بالتبني بسرعة الرحيل بدون تأخير ولا سيما من بيروت التي أرسلت منذ أيام الى ساحل سوريا ..

٦ - اذا كان تجارنا وقناصلنا محبوسين في القاهرة فعليك أيها السفير أن تعمل على اطلاق سراحهم ومباشرتهم أعمالهم ، وهو أمر سهل بالنسبة لك ، وبما أن السلطان يعرف اخلاصنا وسابق تجارنا معه فإنه سيسهل لك الأمر .

٧ - وأرفقا بهذا الخطاب نص المفاوضات والاتفاقيات التي عقدت عام ١٥٠٧ مع مندوب السلطان تفرى بردي ، وبما أن نيتنا قد استراحت لهذه الاتفاقية فإن شروطها لا بد من مراعاتها ، وقد أقسم الترحمان تفرى بردي باسم مولاه على احترام نصوصها ،

حاجا عرض لك أو سمعت من أحد تجارنا أنها لم تحترم ، ولم
تراجع ، فعليك بكل قوة وشدة أن تطلب احترامها وتنفيذ
بنودها ..

٨ - وإذا اضطرت الى المناقشة والجدال فيما يختص بالهدايا المرسلة
للسلطان المعظم بواسطة نائبنا في قبرس وانها لم تنتخب كما يجب
وحسب مشيئته فعليك باعتذار عن ذلك وبأنك لا علم لك به
وانك ستكتب الى قبرس لمراعاة ذلك ارضاء لمخامة السلطان ..

٩ - طلبنا عدة مرات أنه في حالة معالجة الزواجر لنا لئلا يجب أن
يؤذن للسفن بأن تلجأ للميناء وبدون استئذان وهو مطلب عادل
ويمكن الحصول عليه وأن السفن يسكن أن تغلق بعد أربعة أيام
من انتهاء «المدة» دون الحصول على أمر أو إذن بذلك آخر .

١٠ - ديوان القبان - كما ستعلم من قناصلنا - هو بصفة خاصة من
الأهمية بالنسبة لنا بحيث اننا لا نود عمل تغييرات في هيئته
لخدمة مصالحنا ونأمرك بعد أن تحصل على معلومات في هذا
الشأن أن تحصل على تأكيد بعدم تغيير هذه الهيئة على وجه
الاطلاق وان يراعى ما هو واجب وعادل .

١١ - ويجب أن تجتهد في الحصول على ذلك في أمر مربع وليس
أمر طويل الذي يكلف كثيرا ، ولأن الأمر المربع واجب الاحترام
والتنفيذ بعكس الطويل .

١٢ - كل ما سيذكره لك قناصلنا وتجارنا وهيئة التجار بالاسكندرية
وبירות ودمشق هو لقائنة تجارنا وتجارنا ، فيجب أن تنصت
لهم وتطيعهم وتجتهد في الحصول على طلباتهم وان تهتم تماما
بالتمتع والفائدة لطاقتنا وتجارنا حسب مصلحتنا .

١٣ - لا تحدد لك وقتا لبقائك لهذه السفارة بل ان لديك من الوقت ما تحتاج له ، فقط عليك استخدام لباقتك في الحصول على ما طلبناه بأسرع ما يمكن حسب قصصنا . وفي الوقت الذي ستبث فيه في القاهرة تجعل السفينة المذكورة تنتظرك في المكان المناسب حتى تكون مستعدة للرحيل في أي وقت

١٤ - من حيث انك قد تحتاج الى الأموال في بعتك هذه ، قرر مجلس السناتو أن يعطيك قنصل الاسكندرية وقنصل دمشق حسب طلبك كل ما تريد اتفاهه بالكامل .

١٥ - لما تصل الى كورمو وكريت شرقا عليك أن تحصل على مركب آخر ضمانا للأمانة، مركب آخر من مراكبنا من أسطولنا المنتشرة في البحر المتوسط أفهم من هذه وتصل بها للاسكندرية . وبعد وصولك تشرح هذه السفينة لترجع لوحدها بالأسطول .

١٦ - بالنظر لأنه في مثل هذه السفارة لا يمكن اعطاء كل البيانات والتفصيلات المطلوبة والتي يمكن أن تحدث فائنا لنا في موقف نتنظر فيه خطابات منك بشأن كل صعوبة ستقابلها ولا يمكن الاحابة عليها بسرعة لأن المسافة والوقت والرحلة لا تسمح بذلك . نقول لك اننا واتقون من براعتك وانك ستدلل كل عفة وكل صعوبة تتعلق بالتجارة أو أي شيء يحدث هناك بجانب الصعوبات التي عيناها في أمرنا هذا لك ، فان لك مطلق الحرية

31 Dicembre, 1511.

Instrucciones à Domenico Trevisan ambasciadore au Sultan
Senato Secreto, Reg. XLIV F. 92 V.

(A)

1511 — Die Ultimo Decembris

١٥١١ نهاية شهر ديسمبر

(Commissio Viri Nobilis Domini Trevisani et Equitis Procuratoris S. M.
Marchi, designati Oratoris ad Serenissimum Dam Sultanum etc.)

من الأسطول الدكتور توليق لاسكندر وترجمته

في التصرف بأي شكل وبأي كيفية تبدو لك أنها أفضل وأسرع
من غيرها .

١٧ - يمكن أن تحصل معك تقودا بقيمة ٥٠٠ دوكات على حساب
تجاريا بالاسكندرية ودمشق حسب ما هو معتاد حسابيه في
جمهوريتنا ...

نص اتفاقية السعيد البندقي « ترينزالي » والسلطان
« الغوري » ١٥١١/١٥١٢

الاتفاقية التالية بين البندقية والسلطان الغوري من أهم
الاتفاقيات التي عقدت بين جمهورية البندقية وسلاطين المماليك وتعرف
« بالاتفاقية الشاملة » - وقد حوت العديد من التفاصيل والنظم
التجارية التي كانت متبعة في تلك الفترة المتأخرة من العصور الوسطى
كما تعطينا فكرة عن حالة التجارة أواخر العصور الوسطى وبعد كشف
طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد أثر ذلك على تجارة مصر وسوريا
مما مهد فعلا لسقوطهما في يد العثمانيين ١٥١٦/١٥١٧ .

وقد لوحظ في هذه الاتفاقية أن السلطان كثير القلق والصيق
بسبب النقص الحاد في إيرادات جمارك الاسكندرية من تحدة البهار
والتوابل والسلع الشرقية عامة . وكان يحاول محاولات جديّة استعادة
مركزه الممتاز في هذه التجارة ، المركز الذي كان له من قبل تحول
الطريق الى الهند بحرا حول افريقيا ، ومحاولاته هذه في الواقع
كانت فردية وإن علونه بعض أمراء الهند ...

والسلطان بصفته رأس الحكومة هو المسئول الأول والأخير عن
رفع أو تخفيض ضرائب الجمارك على السلع الشرقية ، كما أنه بنفسه
كان يحتكر التجارة في التوابل .

أما البادقة فقد ساءهم ما وصلت اليه الحال بعد تحول طريق
التجارة الى رأس الرجاء الصالح وأثارهم تباطؤ السلطان واضطروا

أن يتحولوا الى أسواق لشبونة يصبون منها التوابل ، ولم يرسلوا كل عام للاسكندرية الا القليل الأقل من السنن .

وقد صحب تريفزاي الى القاهرة المترجمون والمختصون في امشور الشرقية بمجلس السانور البندي ، كما كان يصحبه في امثال هذه البعثات بمص رجال الدين ، وقد يكون ذلك للصلاة أو للطقوس الدينية في حالات الوفاة المفاجئة .

والاتفاقيات الآتية ليست معاهدات بالمعنى المعروف بل هي مجموعة أسئلة يقدمها السلطان وتلقى عليها الاجابات من تريفزاي وبشنته ثم تجمع كلها ليحل بها الطرفان وكانت تكتب باللغة العربية والايطالية القديمة ، والاتفاقية الواردة هنا مترجمة من الايطالية القديمة الى الفرنسية وهي مترجمة من كتاب

Reinaud, M.

Journal Asiatique, t. IV.

القاهرة في ٥ يونيو ١٥١٢

السؤال الأول (من السلطان) :

لنا اعتدنا بجرد وصول السفن الموسمية البندي الى الاسكندرية ، فاما كانت تمارس عملياتها في البيع والشراء بطرق المقايضة (التبادل) لجره كبير من السلع ويختار القصل أربعة من التحار البنادقة مواطنيه لشحن وتحديد سمر التوابل الخاصة بالسلطان (توابل الدجيرة الشريفة) ، ثم تحديد سمر التوابل المشتراة من السوق بالأسعار الحرة ، ويصحب الأربعة المذكورين والقصل مندوب السلطان الخاص لحضور تقدير أثمان التوابل والبهار . هذه الهيئة هي الموكل اليها تقدير أثمان التوابل السلطانية والتوابل الحرة ، وهذه الهيئة المذكورة لا تنتهي مهمتها في مصر قبل أن تصل الى اتفاق مرض

للطرفين .. السلطان والتجار البنادقة .. وهى فى الغالب تصل الى ما يريح الأطراف المعنية ... هذا ما كان يتم قبلا ، أما منذ عودة سفيرنا « تفرى بردى » من طرفكم فان هذا النظام تغير ولم يعد معمولاً به بنفس الدقة والنظام القديم ..

الاجابة من (ترفزائى) :

ردا على هذا السؤال نقول اننا اعتدنا أن نحدد ثمن ال ٢١٠ أحمال من البهار الذى نشتريه كل عام بواسطة الهيئة المذكورة، أما الآن لما أصبح ثمن الحمل الواحد لا يتعدى ٨٠ دوكات فان وجود الهيئة على النحر السابق أصبح غير ذى موضوع ويقال مثل ذلك عن الأنواع الأخرى الحرة من التوابل والبهار .. ومن الآن يكون لنا ولكم مطلق الحرية فى وضع السعر المناسب وتحديد وثمان التوابل .

السؤال الثانى (من السلطان) :

فى السنوات الماضية كان يصل لميناء الاسكندرية ثلاث سفن موسمية وفى فترة اعداد حمولتها تذهب الى بلاد المغرب وتعود محملة بالبضائع للاسكندرية ، فلما لم تواصل هذه السفن هذا النوع من النشاط التجارى منذ عودة بعثة « تفرى بردى » الى القاهرة من أوروبا ... ؟

الاجابة :

ان جمهورية البندقية لم تحاول أن تقلل من عدد السفن بل هى تحاول أن تجعلها مثلما كانت من قبل .. ولذا كان عدد السفن قد قل لسبب خارج عن ارادتنا ، لأن السلام فى البحر المتوسط أصبح متقلبا، وهدوء الملاحة فى هذا البحر هام جدا لتجارتنا فنحن لا نستطيع العمل الا فى بحر مفتوح غير مفلق بالحروب لا سيما وأن ملك أسبانيا فى حالة حرب رسمية مع الولايات البربرية (يقصد البربر) فى شمال

امريقيا هي المغرب وهي الأندلس من قبل، والملاحة مهددة في كل وقت
ولكننا نعدكم أنه بمجرد إيقاف الحروب وبمجرد أن تستطيع سفننا
المرور بدون خسائر فانتنا سنواصل عملنا المعتاد كما سبق عهدنا بكم ...

السؤال الثالث :

ان سفن البندقية كانت تأتي إلينا كل عام محملة بالبندق والبلور
والجور والزبيب والتمب ويمطي جزء منه هدايا لدار الذخيرة الشريفة
وللتناظر والمفتش والقبان ولكل من له صلة بالنقل ، كل هذا لم نعد
نراه هنا منذ عودة سفيرنا تفرى بردي من أوروبا .

الاجابة :

هنا يتعلق بتوزيع الفاكة المذكورة نعلن أننا في غاية الأسف
لصونا عن هذه العادة القديمة ، وتفسيرا لذلك فانتنا قد وجدنا أن
توزيع هذه الفاكة بكميات كبيرة يؤدي الى خفض سعرها في الأسواق
المصرية مما قد يؤدي الى الاصرار بتجارة السلطان فتوقفا عن توريده
هبات لان جرها كبيرا من هذه الفاكة يباع فعلا بأسعار منخفضة
جدا .. ولا يحصى عليكم أن مكسب هذه السلع قليل ولا يفرى تجارنا
على حمله اليكم ، وهم لا يربحون منه الا الضئيل القليل في الوقت
الذي نود فيه أن تزيد من عدد تجارنا الوافدين اليكم .

السؤال الرابع :

ان تجاركم كانوا كل عام ملزمون بشراء ٢٦٠ أحمال من التوابل
لحساب دار الذخيرة الشريفة ويدفعون لها الثمن نقدا بدون مساومة ...
أما الآن ومنذ وصول سفيرنا تفرى بردي من أوروبا لم نلاحظ اهتمامكم
لتنفيذ هذا القانون بدقة .

الاجابة :

إذا لم يصر السلطان على دفع ثمن الحمل من التوابل الشرففة عن ٨٠ دوكات يصبح بإمكاننا اعراء تجارنا بشراء الكميات المذكورة. آتفا . وإذا رأى سموكم ألا يتنازل عن أسعاره بحجة أن التوابل ليست كسابق العهد وغير مريحة فإن الطرفين حينئذ ليعا ملزمين بتنفيذ الاتفاقية .. وعلى أى حال فإن سعر الحمل الآن حوالى ٤٠ دوكات ، ولكننا حسب الاتفاقية السابقة نعد السلطان بأن نشتريها بحوالى ٨٠ دوكات على ألا تزيد على ذلك إطلاقا ، وحتى على فرض إذا زاد الثمن فلن ندفع أكثر من ٨٠ دوكات وهو السعر المتفق عليه أما المشتري من السوق الحر فالسلطان أن يتصرف فيه كيفما شاء .. اتفا لعدل فى معاملتنا مع الجميع وبحب كذلك أن نعامل بالعدل

السؤال الخامس :

ان تحار البندقية فى أوتهم للاسكندرية كل عام كانوا يعملون معهم من السلع : الزيوت والنحاس والرصاص والأنسجة الصوفية والجلود ووبر الجمال والقطيفة ، وحوالى نهاية العام تعمل السفن حاملة هذه السلع ومن يوم وصولها حتى انتهاء « السنة » أو « السوق السنوى » لا يتوانى البنادقة من البيع والشراء والتعامل مع المصريين سواء بالمقايضة أو بالمقطوعة المتفق عليها بالنقد الذهبى ؟ .. أما الآن فلا يصل الا عدد قليل من السفن بل ان كل سنة لا تصل الا سفينة أو سفينتان موسميّتان ، ولا تبسح ولا تشتري كسابق عهدها . وفى النهاية لا تصل أربابا حتى نهاية المدة المذكورة لأكثر من مبيعات يوم واحد من السنوات الماضية .

حقيقة أن سعنا كانت تأتي في بحر السنة وهي محملة بالسلع المختلفة وكان هذا للحرية الكاملة التي كنا تتمتع بها في التجارة في البيع والشراء . شكرا لكم للتسهيلات التي كنا نحصل عليها وأن هذا يطيح الفرصة مقدما لاحتصار كميات من هذه السلع . أما الآن فإن الحكومة قد رسمت بأن السلع التي تصل لا تناع إلا بسعر مقرر مثل أسعار المدة السابقة عليها ، أو بالسعر الذي يقرر « للمدة » التالية وعلى هذا فإن التجار الذين لا تمكنهم ظروفهم من الوصول خلال «المدة» إلى السوق السنوية فإنهم لا يستطيعون البقاء للمدة الثانية وهذا بالطبع يؤدي إلى الاضطراب والاضطراب في الحركات التجارية . ويستطيع السلطان أن يصدر أمره بأن تسرى أسعار المدة على أسعار العام كله حتى « المدة » التالية ليستطيع تطارنا ممارسة البيع والشراء على أي فترة من السنة دون تحديد ضار ..

السؤال السادس :

تصل إلى الاسكندرية كل عام خمس سفن موسمية ، هذا عدد السفينتين اللتين تتجهان إلى ساحل المغرب وبلاد ، والسفينة التي صجرتها لخدمتنا الخاصة وبمجرد الانتهاء من البيع والشراء بانتهاء « المدة » تبقى بالاسكندرية كميات كبيرة من المتاجر من الزبوت والنحاس والرصاص والصوف وكلها لا تقل في قيمتها عن ٣٠٠٠٠٠٠ دوكات ، ويصير البيع والشراء والمتاجرة فيها على مدار السنة هي في الواقع تحدث ما يسمى باسم « السوق الدائم في بلادنا » أما الآن فبعد انتهاء المدة لاحظنا أنه لا يبقى من البضائع إلا في حدود ٢٠٠٠٠٠ دوكات كما أننا نلاحظ أنه لا يصل أكثر من ثلاث سفن موسمية بمفردها ومنها قليل من المراكب وقليل من السلع .

الاجابة :

فيما يتعلق بعدد السفن القليلة التي تصل وقلة ما تحصله من التوابل ومن السلع الأخرى وهو مالا يملأ أكثر من سفينتين أو ثلاث فردا على ذلك نفيد أنه اذا كانت هذه السفن قليلة فإن حمولة الثلاث منها بالتوابل ليس بالقليل في هذا الوقت ، خلال القرن الماضي كانت التوابل غير مرتفعة الأسعار : فمثلا أحود أنواع الزنجبيل الذي يساوى ما بين ٨ - ١٠ دوكات للقطار الواحد في القرن الماضي أصبح يساوى الآن ٤٥ دوكات ، وأسعار باقي التوابل ارتفعت بهذه النسبة بمعنى أن قيمة حمولة الثلاث سفن الآن تساوى ما قيمته ستة أمثال حمولة سمن العصر الفائت ، وهذا تفسير لقلة وصول السفن وقلة حمولتها في القرن الماضي .

السؤال السابع :

بعد رحيل السفن الموسمية تبقى السلع طول العام بالاسكندرية وكان يتواجد باستمرار ما لا يقل عن ١٥ تاجرا للتجارة بيبا وشراء أما الآن فلا نرى أكثر من ثلاثة أو أربعة تجار على الأكثر وهم ليسوا سوى ممثلى الشركات طرفكم . ونريد تفسيراً لعدم وصول أعداد كبيرة وبقاء أعداد كبيرة منكم هنا للبيع والشراء .

الاجابة :

كان هذا يحدث كلما أحب التجار السكن والبقاء بالاسكندرية وكلما سحت لهم الفرصة للعمل التجارى بحرية كاملة ، أما الآن فلأسباب التي ذكرناها في الاحاطات السابقة لا يبقى الا الرؤساء . في الوقت الذى سيجد فيه التجار فائدة من بقاءهم سيقون بل وأكثر مما كانت أعدادهم في الزمن السابق .

السؤال الثامن :

تجاركم كانوا يبيعون ويشترون طول العام ويملاون مخازنهم بالتوابل في انتظار عودة سفهم من رحلتها القرمية الى بلاد المغرب . وكانوا يشترون في المعتاد حوالي ٦٠٠ طرد من التوابل أو على الأقل ٥٠٠ لا يدخل ضمنها حساب ما يشترونه من المغرب ، ولدى عودة السفن يقومون بتحميل التوابل بهذه السعن ودفع القيمة المطلوبة لعامل السلطان ثم يشحنونها ويبقون باقى المدة يتاجرون بيها وشراء حتى نهايتها ، أما الآن فلا نجد بين أيديهم أكثر من ٢٠٠ طرد من التوابل بسبب قلة ما يحملونه الى بلادكم والركود الذى شمل معظم الأعمال .

الاجابة :

نعيد القول بأن حرية التجارة هي التى بإمكانها وضع الأعمال في حالة طيبة واذا كان بقاء التجار فيه فائدة للسلطان فهو حسارة لتجارنا والسلطان لا يستطيع أن يمن عليهم بشيء من المنفعة لقاء بقائهم بدون عمل حتى « المدة » القادمة .

السؤال التاسع :

يصلنا كل عام ٤٠٠ قنطار من صفائح النحاس وأحيانا ٣٠٠٠ قنطار دون حساب باقى الأنواع الأخرى من النحاس أما في العام الماضى فلم يصلنا أكثر من ٨٠٠ قنطار من الصفائح النحاسية وليس أكثر من ذلك .

الاجابة :

اجابتنا على هذا أن ما يمنع تصدير قسمن الكمية من النحاس كالمهد السابق هو أن الكمية التى كنا نحصل عليها ونصدرها لكم كانت تؤخذ بدون رضانا أو رضاه أصحابها ودون موافقتهم في معظم الأحيان ،

وهي مقابل ذلك كما فمطيعهم مواد ثمينة كالتوابل — أما الآن فان التجار لا يطمئنون في معاملة طيبة أو في الحصول على ما يطلبون مقابل نفاسهم ولا يطمئنون الى أنهم سيبيعون بالأسعار التي يطلبونها لذا لا يتاجرون في النحاس بعد . وعلينا كذلك أن نضع في اعتبارنا مسألة السلام والعلاقات الطيبة مع الألمان وحرية التجارة معهم .

السؤال العاشر :

كان يصلنا كل عام من ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ طن من الزيوت وأكثر ، وهذا العام لم يصلنا أكثر من ٥٠٠ طن .

الإجابة :

ان ما يمنع تصدير الكمية المذكورة هو تذبذب الاتساج ، فالزيوت مثلها مثل منتجات الأرض الأخرى ويسرى عليها ما يسرى على غيرها فقد يتجمع في سنة ما كميات كبيرة وقد يقل في سنوات أخرى . ان قاعدة نجاح وبراء التجارة هو البيع بحرية سواء كانت الحرية في الأسعار أو في نوع البضائع واذا لم يتبع الفرد هذه القاعدة ولم تتح له فرصة البيع بحرية فلا كانت تجارة ولا كان ربح ..

السؤال الحادي عشر :

كان يصل كل عام على السفن الموسمية والمراكب الاحتيالية أكثر من ٣٠٠٠٠٠ من النقد متعددة الأنواع .. أما الآن فلا يصل بالأكثر الا ٢٤٠٠٠٠ دوكلات من النقد في عامين ...

الإجابة :

ان ما كان يجذب رموس الأموال هنا هو حرية التجارة وبيع
والشراء في التوابل على مدار السنة في مصر بأسعار ملائمة لكل من
المشتري والبائع ولكن الآن بعدما أصبح التاجر مرتبطا بالأسعار في
« المدة التالية » بالسعر الذي يحدده السلطان قبل انتهاء « المدة »
القائمة فإن أى تاجر أصبح لا يجازف بإرسال أمواله وتجارته الى مصر
اد ليس بإمكانه بذلك أن ينظم أعماله التالية وفق ارادته . وعلى أى
حال فإن البهار الذي يكون المورد الرئيسية في تجارتنا معكم والذي
يجذب الكثير من التجار ورءوس الأموال لم يعد بإمكاننا شراء كميات
كبيرة منه بسبب المبالغة الشديدة في الأسعار في مصر .

السؤال الثاني عشر :

اعتاد البحارة لدى وصولهم طرفا بسفنتهم الموسمية عرض مختلف
أنواع السلع التي يملكوها كالأصواف والشمع وكلها لا يقل ثمنها
من ٥٠٠٠ ر.ه. دوكات ومبيعاتهم لنا بالنقد وهذه الفلوس يشترون حتى
نهاية « المدة » توابل دار الفخيرة الشريفة ومتاجر المغرب .. ونحن
كنا نمنحهم مطلق الحرية في هذا الخصوص ، أما الآن فلا يمكن
الشراء طالما أن « المدة » انتهت وهذا مما يزيد في استيائنا وتذمرنا .

الإجابة :

انه لنفس الأسباب السابق ذكرها لا يمكن الخضاع أو اجبار
البحارة لأن يعملوا الا بنفس الأساليب التي يعامل بها التجار ، وهي
الواقع ان كثيرين منهم يشترون ليس فقط لحسابهم الخاص بل كذلك
لحساب آخرين من التجار الذين لا يتمكنون من المتاجرة بأنفسهم
حسب القوانين الموضوعة وليس هناك من الأسباب ما يجعلنا نترك

بغير العدل بين الجميع في التجارة . ان القانون والقاعدة العادلة
يجب أن تسود بين كل المواطنين .

السؤال الثالث عشر :

كنا نرى من قبل في المعتاد أربع سمن موسمية لليندية تتخذ
مركزها باستمرار على ساحل جزيرة قبرص وسوريا بقصد تعقب وطرد
سمن القراصنة ولكن فلاحظ أن القراصنة الآن يتمنون بالماء من هذه
الجزيرة ، بل انها تعتبر وكرا للقراصنة البحرين ونقطة ارتكاز لهم في
اعارتهم علينا .. بل ان الأهالي بالجزيرة يموتونهم بالماء والميرة وكثيرا
ما هاجموا مواثيا عند دمياط ورشيد ويصلون ما يمشون عليه
وما ينهوله كما يأسرون الأهالي .

الاجابة :

فيما يختص بجزيرة قبرص فانا لم نعمل أى مادة تمهدا بها في
أى وقت في أى اتفاق معكم . ومنذ عامين لو لم نستخدم الحزم
والشدة في سياستنا في الجزيرة لأصيب الجميع بأضرار جسيمة . فيما
يتعلق بباقي الشكوى فان حكومة الجمهورية سترسل لناثبا في
الجزيرة ولأمل ألا يعمل السلطان هما لذلك بعد الآن .

السؤال الرابع عشر :

كل الذهب والفضة الذى يصل للاسكندرية سيألك أو هيلة
لا تباع الا لدار الذخيرة الشريفة وبسر السوق الجارى . وادا أراد
بائع هذه المعادن رفع أثمانها فهو في ذلك السيد المطلق على الأقل
ادا لم يرد استبدالها بتوابل من تجار الاسكندرية وفي هذه الحالة
يؤذن للتجار بترك ما لهم في دار الذخيرة بدون أى خوف من أن
يختلس منه شيء حتى يتم لهم الشراء ضامنا لأموالهم وضمانا لتجارة
وأموال التجار بالاسكندرية ، وليكن معلوما أنه اذا حدث أن أى

بندقي حاول بيع الفضة لغير دار الذخيرة الشرفية الخاصة بها - فان هذه الكمية تصدر لصالح دار الذخيرة الشرفية .

الاجابة :

اذا كان هناك أى شيء يجب أن تترك حرية تجارته وان تسهل عمليات تداوله والتعامل معه وبه فهو لا شك الذهب والفضة . وادا أجبر أولئك الذين يقومون ببيعه على خطة معينة ولغرد دون فرد يسعى هذا أن الحرية متقدمة تماما ، وهذا يجعل التجار يحجبون عن الحصول ... ولذا فانه من الأفضل أن يتركوا أحرارا في عرض سلعهم حسب رغبتهم وبيع فضتهم حسب السوق الجارية . ويهنا هنا في ذلك الاهتمام بالموازن كما هو متبع في البندقية والمدن الايطالية الأخرى .. أما السبب في نقص الفضة عما كانت عليه من قبل فهو لأن الحرب قد وصعت أوزارها بعد أن وضعت عراقيل ازاء اخراجها من الماسج ، وأما لأن الكمية كبيرة منها قد مرت الى لشونة لاستخدامها في شراء توابل الهند وبهارها بأسعار رخيصة ، ونأمل ألا يفهم أى فرد من العامة أن السلطان له اعتراض على هذا الأمر .

ملحق رقم (٨)

الاتفاقيات بين السلطان « قانصوه الغوري » والبندقية عن طريق السفير البندقي « تريفزاني » فيما يتعلق ببيع ال ٢١٠٠ أحمال من التوابل احتكار خاص السلطان .

ان تجار البندقية المتفاوضين مع رجال السلطان ، بناء على حث السلطان لهم لانعام المهمة قد انتهوا فيما بينهم على اعطاء السلطان

مبلغ ٦٠٠٠ أشرفى ثمناً لبهار « ثلاث سنوات » مقدماً بمعنى أن قيمة توابل السلطان لكل سنة هي ٢٠٠٠ أشرفى . ولما كان السلطان يبدو غير موافق فإن هيئة المفاوضات بعد أن حاولت واستخدمت عدة طرق وافقت بعد جهد جهيد على الشروط أدناه ، وذلك بحضور القنصل والتجار الذين يتاجرون بالاسكندرية .

الاتفاقية

١ - فيما يختص بالمائتين والعشرة أحمال من البهار : إذا جعل السلطان ثمن الحمل الواحد ٨٠ دوكات طبقاً لاتفاقيتنا وطبقاً لأوامر الجمهور فإما نجد أنفسنا مضطرين لأن نقوم بالتنفيذ .

٢ - إذا كان سمو السلطان لا يريد التعامل معنا على أساس هذا السعر أما لأن تجارة البهار لم تعد مربحة وأما لأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء : فإن البهار لا يساوى فعلاً إلا ٤٠ دوكات للحمل الواحد ونحن لا ندفع الزيادة إلا لحظائر السلطان .

٣ - أما باقى الشروط فإما نترك الحرية الكاملة للسلطان لوضع ما يلائمه من شروط مع عدم الاضرار بنا وعلينا الموافقة والتنفيذ على أنه إذا وافق السلطان على طلبنا ولم يعمل على رفع السعر عن ٨٠ دوكات للحمل الواحد ، فإن الجمهورية توافق على المتاجرة بما قيمته ٥٠٠٠ أشرفى لكل مدة سنوية ، من السفن الموسمية التى تصل من البندقية الى الاسكندرية وتدفع مقدماً قيمة ثلاث سنوات وهو ١٥٠٠٠ دوكات أشرفى .

٤ - وقبل أوتنا لوطننا فإما نأمل فى سمو السلطان الأفخم بأن يسمح وهو العادل بأن يأمر رعاياه وموظفيه بعدم اجبار تجار

البندقية على شراء البهار وعما عنهم لا بطريق المقايضة ولا بالقدر
والا يجبر على أن يشتري بسعر حدد من قبل سوى سعر البهار
الحاصل بالسلطان عن طريق الذخيرة عامل دار الذخيرة الشريفة
أى ال ٢١٠٠ أحمال السابق تحديد سعرها . وبعد الانقضاء للثلاث
سنوات المذكورة أو الثلاث مدد المذكورة سنقوم بعمل ترتيب
جديد إن شاء الله ، وكما نود أن يكون التحسين كاملا فى الأمور
كها ، فان كل شيء سيسير حسب راحة وسرور السلطان .

٥ - اذا حدث بطريق المصادقة أنه بعد هذه الثلاث مدد أن السلطان
لم يوافق على الاستمرار بالعمل على أساس سعر الحبل ٨٠
أشرفيا سلطانيا فان حكومة الجمهورية فى هذه الحالة لا تكون
ملزمة بأن تعمل المبلغ الذى تدفعه فى كل مدة ٥٠٠٠ أشهرى
كسابق العهد لكل مدة ويتنفس الشروط المعمول بها الآن .

ملحق (٨ ب)

ان التجارة فى هذا الوقت المبكر من القرن ١٦ وأواخر الحكم
الممالكى بدأت تندهور حتى ان الدخل السلطاني قل بدرجة كبيرة ،
وساء السلطان برغم الاتفاقية السابقة أن تصل تجارته لهذه الدرجة
وأخذ يسترجع العظمة والدخل العظيم للذين كانا لتجارته من قبل ،
وجار بالشكوى واتحد تدابير جديدة مقدم طلبات للسفير البندقي
تريفزاني على شكل أسئلة ويرد السفير بإجابات .

السؤال الأول أو الطلب الأول :

اعتاد البنادقة بعد وصول سفهم الموسمية البيع والشراء بطريق
المقايضة لأهم أجزاء حمولتهم بعد أن يوافق القنصل على ثمن توابل
الذخيرة الشريفة ولكن هذا لم يتم فى السنوات الأخيرة .

الاجابة :

اجابتنا على ذلك أننا سنعمل جهدنا على انتهاء كل المسائل الخاصة بالسلطان مع مدير أعماله على أن تكون هي في المقدمة على كل الشئون .

السؤال الثاني :

هي كل عام يظهر للبندقية ثلاث سفن موسمية وهي بعد أن تبحر حينه ودهابا عدة مرات على طول الساحل الاخرى ، تحمل التوابل من الاسكندرية الى بلاد المغرب لحساب تجار الاسكندرية وكذلك للجرر القرية فان هذا كان يؤدي لمعنة كبيرة لدار الدخيرة الشريفة والجمرك وتجار الاقليم .

الاجابة :

سنعمل على ارسال السفن التي ذكرتموها طالما أن ليس هناك أى خطورة في الطريق .

السؤال الثالث :

ان النادقة لدى وصولهم الى الاسكندرية بالقواكه كان من عادتهم ترك جزء منها لمن هم في خدمتهم بموجب عملهم ..

الاجابة :

سنعمل على ابقاء هذا طبقا للعادات القديمة .

السؤال الرابع :

كانت العادة أنهم يحصلون كل عام ما حولته ٢١٠ أحمال من النهار بمعنى أنهم يحصلون على ٢٠٠ حمل من توابل السلطان وعشرة أحمال من عامل الخزينة هذا هو التقرير الذي رفعه الينا القاضي علاء الدين وكيل دار الدخيرة الشريفة . هذا لا يتم الآن .

الاجابة :

ان مبلغ ال ٥٠٠٠٠ اشرفى تدفع فى كل مدة لصالح ال ٢١٠ احمال
من البهار دون تجزئة .

السؤال الخامس :

اد السفن الخاصة بالبداقة تحمل كل أنواع المتاجر من نحاس
ومصه وهى عمل والرئبق والرنفز والجوخ والقصدير والقطيعة
والريوب والعراء .. وتصل السفن الخاصة بكم حوالى نهاية العام لكل
أنواع السلع فيسير البيع والشراء بطريق التبادل فيما يختص بالتجار
الذين يشترون نقدا ويتم الموافقة على دفع الثمن قبل انقضاء فترة
المدة . والآن لا يصلنا الا عدد محدود من السفن

الاجابة :

أشرنا الى هذا سابقا ، وفيما يختص بهذا الموضوع فقد
وافقنا عليه .

السؤال السادس :

تصل كل عام فى المعتاد خمس سفن موسمية للبندقية مع اثنتين
أخرين وبعض السفن الصغيرة ، وبعد انتهاء المدة ورحيل السفن
الموسمية تبقى بالاسكندرية سفن الزيوت والسلع الأخرى ، ومعها
الفضة وتبلغ قيمة السلع على وجه العموم ٣٠٠٠٠٠٠ اشرفى ويواصلون
معدئد البيع والشراء حتى عودة السفن الموسمية ، والآن لا تبقى على
أكثر تقدير من السلع ما قيمته ٢٠٠٠٠٠ اشرفى ولا يصل أكثر من
٣ سفن موسمية ومعها بعض السفن الصغيرة

الاجابة :

لعل العجز البادى هنا يرجع الى الحروب .. وهذا خارج عن
ارادتنا .

ملحق رقم (٨ ج)

تعليمات

- ١ - لا يستطيع أى فرد من الفرنجة أن يبقى بالقاهرة أكثر من ثلاثة شهور وألا يشتري من التوابل ما يشاء باسم غيره « يهودى أو مغربى » إنما له أن يشتري ما يشاء باسمه الخاص .
- ٢ - فى حالة مخالفة هذا القانون ، فإن السلع المشتراة تصدر لحساب « دار الذخيرة الشريفة » ، وعلى الفرنجى المخالف أن يتحمل القصاص الذى يعرضه عليه السلطان ، وليس من المصرح لأى فرنجى أن يتزوج من القاهرة أو يبقى بها كجاسوس ، وعلى الجميع أن يعرفوا التعليمات لدى وصولهم بلادنا .
- ٣ - ان الأقمشة التى تحمل الى مصر كانت فيما سبق متساوية الأطوال جميلة المنظر أما الآن فهذا النظام يسرى على الثلاث أذرع الأولى فقط من الثوب أما الباقي فيدعو للرثاء حقا .
- ٤ - يبدو أنكم تلعون الثوب دون تنديته حتى يبدو أطول ومرنا ، ولكن بعد أن يوصله المصرى ويوصله ينكمش وينقص ، وثقسه هنا نقص مزر - نرجو مراعاة ذلك فى المستقبل .
- ٥ - للعرى الحق فى رد الثوب الذى يباع له دون أن يتل واذا قبل شراءه على حاله دون بله فلا دخل لنا فى ذلك .

ملحق رقم (٨ د)

بعض النظم التجارية الخاصة بتجارة البندقية فى الاسكندرية بناء على طلب القصل وتطارد بالمدينة .

يجب مراعاة الآتى :

- ١ - بعد وصول سفن البنادقة الموسمية الى ميناء الاسكندرية تتم

أعمال البيع والشراء حسب الاتفاقيات السابقة ، ثم يبقى تجار
البندقية مدة ثمانية أيام لدفع أموال دار الذخيرة الشريفة ووسق
السلع التي اشتروها ، وبعد ذلك يتصل حاكم الاسكندرية مع
مدير أعمال السلطان ، ويكتبون لبلاط السلطان بانتهاء الأعمال
المطلوبة ويطلبون تحديد موعد الرحيل فإذا جاء التصريح يطلق
للبنادقة حرية السفر ، هذا اذا لم يكن هناك ما يعترض عليه
أو اذا رغبوا هم في البقاء .

٢ - كل المعادن الثمينة (البندقية) سواء كانت عملة أو خام التي
يحضرها البنادقة لابد من دفع الرسوم الجمركية المفروضة عليها
للسلطان لا مكان ادخالها الى البلاد ثم بعدها يمكن البيع والشراء
لمن يريد من البنادقة بمتى الحرية ويحظر على البنادقة بيع هذه
السلع المالية على ظهر السفن الموسمية أو على أى سفينة
أخرى عادية .

٣ - كل الأعمال التجارية التي تتم نقدا تكون قيمة السمرة المستحقة
عليها هي ١٠٪ وإذا حدث أى تغير نصير ١١٪ فيما يخص
بالتوابل التي لم تعدد أثمانها (الحرة غير ال ٢١٠ أحوال توابل
شريفة) يمرى عليها سعر السمرة الجارى تداوله .

٤ - لا يجبر أى بندقى على بيع تجارته بالدفع المؤجل سواء كانت
سلعة أو عملة أو معدنا ، كما أن العامل المختص لا يبالغ في
عمليات السمرة الصغيرة بأكثر من ٤ مدين لكل ١٠٠ دوكات
أما حق الترجمان فلا يدفع الا بعد شراء التوابل وانتهاء فترة
المسدة وحقه لا يزيد على ٤ مدين لكل ١٠٠ دوكات (Medina)

٥ - للتاجر البندقى حق البيع والشراء بحرية - أما من يصير منهم
تسجله لدى القيان (ديوان القيان : Gaban) فلا يمكن ابداله

أو شطيه أو معه من المتاجره ، أما من لم يسجل فمن حقه أن
يطلب بتسجيل اسمه .

٦ - لفصل البندقى الحق فى البيع لحسابه الخاص نقداً فى حدود
ألف دوكلات مسوياً بالنقد .

٧ - ما يدفع لفنصل يصنع للقانون والنسبة التى يحصلها الفنصل
لحسابه تعرف باسم Honoraris (وتعرف بالعريضة باسم
« العلوة - الدخيرة » وأيام المالك كانت تقابل « جامكية »
وكانت بدايتها فى معاهدة بين جمهورية بيزا وأمير تونس وفيها
يدفع التجار جملاً معيناً لصالح الفنصل (فى مرسيليا كانت
العرف التجارية تحصل رسماً كهذا لصالح الفنصل وينص عليه
فى المعاهدات التجارية) .

٨ - يحق للفنصل ائزال النبذ الخاص باستعماله واستعمال مواطنيه
الخاص .

٩ - لا يعمر على تأجير مراكب أو شحنها أو تعريفها بالقوة وبدون
إرادتنا وإذا واحمت سفناً متاعب وتأخير من جانب طهار المغاربة
خلال الرحلات الاحتياطية التى يجبر على القيام بها خلال المدة
« ان جمهوريتنا ليست مسئولة عن هذا .

١٠ - لذا أساء أحد القريجة لأحد المالك أو لمغربى أو لأمى عربى أو لأمى
كائن ما كان فلا تمأل أفراد جاليتنا على هذا اطلاقاً

١١ - للتجار البادقة مطلق الحرية فى احراء ما يرونه لازماً لهم من
اصلاحات خاصة فى فندقهم بدون واسطة أحد لأن التكاليف
حينئذ تكون قليلة وكذلك يحق لهم اصلاح محارن الجمارك
الخاصة بسلمهم .

١٢ - النبيذ الذى يصل الى الاسكندرية هو لصالح مواطنيها ، و اذا صدر للقاهرة تدفع رسوم قدرها سبع ذوكات لكل طن لصالح الوالى والوزير على أساس أننا سيكون بإمكاننا أو مستمكن من بيعه بالقاهرة وأحوارها بدون مضايقات .

١٣ - النبيذ الذى يدخل الاسكندرية تدفع عنه الرسوم المطلوبة (للبيع العام) و اذا أوصلناه الى القاهرة بواسطة النيل قمى هذه الحالة لا يدفع عنه أى رسم لا فى القوارب ولا فى السفن ولا جمر ك القاهرة حتى وصوله للقاهرة .

١٤ - كل الممليات التجارية التى تم بين بندقى وعربى وتسجل فى جمر ك القان لا يحق لأى فرد إبطالها أو اعاقه سير اجراءاتها بأى حجة من المصج .

ملحق (١٩)

اتفاقية خاصة بتجارة البندقية فى مياء طرابلس بالشام .

١ - لا نجبر على شراء السلع بالقوة حتى ولا القتل ما عدا بالطبع ما يخص السلطان والحاجب أو من يحل محلها .

٢ - نعطى مطلق الحرية لشراء الموحود من المواد حسب حاجتنا .

٣ - ليس بإمكاننا اعطاء الحاجب أكثر من بالة من الجوح كل سنة هدية ، ومثلها لكل بيت تحارى . سمرامى أننا اذا تمكنا من احضار كمية أكبر من النسيج للاستهلاك الخاص والبيع فسزيد من نصيب الحاجب ولو أن فيه امتها لنا .

ملحق رقم (٩ ب)

مريضة مقعنة للسلطان من فنصل وتجار دمشق

ووافق عليها الأمير نائب السلطان في دمشق

١ - لا يسمح لليهود بالعصور الى سواحل الليفت الشرفى بقصد شراء التوابل أو أى سلعة أخرى بالمقايضة أو بالنقد . وإذا رغبوا فليكن ذلك في دمشق حتى لا تضيق على السلطان رسوم الجمارك وغيرها .

٢ - لتجار البندقية الحق في التجول في البلاد بحرية للبيع والشراء بدون أن يعترضهم أحد أو يتدخل أى فرد في أعمالهم كما أنهم لا يدفعون من الرسوم الا المفروض ولا يجبرون على دفع مالا عن غيرهم من التجار .

٣ - لنائب السلطان أو لناظر الخاص فقط الحق في المساءلة والتدخل في شئون القرنعة واعطائهم الأوامر .

٤ - لا يحق لأى حاكم أن يعاقب البادقة أى عقاب كان ، على الأقل بعد أخذ إذن من السلطان نفسه .

(تحدث البنادقة كذلك عن القصة التي جعلها تعارضهم لدار السك ، مما يوحى بوجود هذه الدار في دمشق) .

ملحق رقم (٩ ج)

اتفاقية خاصة بالتجار البنادقة المقيمين في حلب

١ - القاضي كاتب السر في حلب ألزمت في الرسوم الأولى المطلوبة منا بما قيمته ٣٥٠٠ دوكات وأجرتنا على دفعها بالقوة .. ولكن لا نقبل بعد الآن أن ندفع أموالا من هذا النوع وبهذه الطريقة .

٢ - يجب أن يقيم دائنونا أمام القاضي أو الحاكم بلا استثناء لأي فرد مهما كان مركزه .

٣ - يحق لنا توزيع سكر قبرص في سوريا دون اعتراض مع مراعاة القوانين المحلية .

٤ - ترد لسيد زينو القنصل (Zanon) والذي كان قد اتهم في حادث التجسس لصالح الشاه اسماعيل الصفوي ، ٣٠ بالة قطن التي أخذت منه لضمائه أحد الفرقة الذي مات ، ولا يدفع على هذا القطن أي رسوم لأنه من الملل ألا يداين فرد بسبب خطأ غيره . وفي بلادنا لا يسأل الأب عن خطأ ابنه ولا يؤخذ الابن بجريمة الأب .

٥ - تبقى لنا حسب المعتاد حرية وأمان كاملين داخل فندقنا طالما أننا لا نقلق ولا نثير غيرنا .

٦ - قد يحدث أحيانا أن يفلس بعض المدينين لنا ويعلم الاملاس أمام القاضي الوطني فيلزم من الآن أن يتم ذلك بحضور صاحب المال البنديقي والا فان هذا الاعلان يصير لا قيمة له بالنسبة لنا ، ويصبح مالنا لا يزال في عنق المدين .

٧ - منذ عامين فقد أخذ تجارنا مبلغ ٢٠٠٠ دوكات وبما أن الحكام ملزمون بحماية وسلامة الأقطار التي يحكمونها ومسؤولون عن الأمن فيها فانتا نطالب برد هذا المبلغ من الحاكم المتصرف في مقاطعتنا والا فجميع السكان في المنطقة مسؤولون عن سداد هذا الدين .

٨ - الدارصيني - القرقة - لا تشتريه الا مغريلا ، أما غير المغريل فلا ندفع عنه الا ٥٠ أشرفيا لكل عبوة في كميات احتكار

السلطان ، أما الباقي من السوق الحر فالبائع مسئول عن غرخته
أولا .

٩ - نصف عوائد الدلالة أو السمسرة للسهمار والنصف الآخر
لترجمان السلطان .

١٠ - لا يسمح للأحباب من العرب أو المغاربة أو الفريج المسموح لهم
بإقامة دائمة في البلاد أن يحوزوا محلات لبيع الجرح

١١ - لا يمكننا أن نزيد من عوائد البحر أكثر من ٤ دراهم للفرد
الواحد .

١٢ - لا يحق لأي فرد وطني أو يهودي أن يقوم ببيع التوابل إلا إذا
كان مصرحا له بذلك من قبل .

١٣ - إذا أدين أحد الفرنجة لأمر من الأمور علا القنصل ولا يلقى
البنادقة مسئول عن أخطائه أو عقابه .

١٤ - إذا أدين أحد الفرنجة لأمر فالتقضاء المعلى هو المسئول عن
محاكمته .

١٥ - يصرح للبنادقة بإقامة الصلاة في منزل القنصل على أساس أنها
عادتهم من قبل .

١٦ - لا تجبر سفننا على حمل السلع لتجار آخرين أو أقطار أخرى
كما يسمح لنا بالسفر وقتما نشاء .

١٧ - إذا حدث أن غرقت إحدى السفن للبنادقة أو السفن التابعة
لأحدى الدول التي تعتمد في تجارتها على السندقية فيصير
انتقاذها وانتقاذ حمولتها وردّها لأصحابها (منذ وقت طويل
وغنائم الفرق ملك للأمير التي تحدث الحادثة في حدوده) .

١٨ - لا يؤخذ الوالد بجريمة الابن ولا الابن بجريمة الوالد الا اذا كانت هناك صلة بين جرمتهما .

١٩ - يحق لتجارنا أن يسوا السكر كسابق عهدهم .

ملحق رقم (١٠)

المعاهدة بين السلطان سليم الأول العثماني وطائفة البادية في
نهر الاسكندرية بعد فتح العثمانيين لمصر بتاريخ ٢٢ من المحرم
٩٢٣ هـ / ٤١ من فبراير ١٥١٧ م .

ملاحظة : التعليمات في المعاهدة موجهة الى حاكم المدينة - مدينة
الاسكندرية وموظفيها العموميين ومفتشي وصباط الشرطة كي يعاملوا
علما بما تم الاتفاق عليه بين المتعاقدين على الامتيازات السابق معها
لهم من أيام المماليك بعد موافقة السلطان سليم عليها

المادة الأولى : جميع البراءات الممنوحة للبادية من قبل حار
الموافقة والتصديق عليها . رعايا النندية يعاملون بالمعدل ويتقبلون
بشراب من الجميع لا يحق لأي فرد كان أن يهينهم أو يتكبر عليهم
في المواني المصرية عامة . من حقهم البيع والشراء والأخذ والعطاء
ولا يدانوا لخطأ ارتكبه غيرهم من أبناء الأمم الأخرى بالمدن المصرية
ولا يدانوا لخطأ ارتكبه غيرهم من أبناء الأمم الأخرى بالمدن المصرية
يعلن هذا لجميع القضاة والهيئات المسئولة وليس من حق أي فرد
الخروج على هذه القوانين كما يجب معاملتهم حسب الأصول والعادات
المرعية بدون أي تضييق أو تعديل .

المادة الثانية عدم تكدير النادقة أو الاستيلاء على ممتلكاتهم
أو متاعهم بالقوة أو على مراكبهم أو ما في داخل مخازنهم ، كما

لا يحق لأى فرد أن يجبرهم على البيع اذا لم يوافقهم على ذلك ،
كما لا يجبرون على دفع عوائد غير عادية أو لا لزوم لها .

المادة الثالثة : بإمكان القنصل أن يبيع ويشتري بالنقد بدون
حدود .

المادة الرابعة : يحصل القنصل على مرتبة مجدا كل أربعة
شهور .

المادة الخامسة : القنصل دون سواء هو الذى يباشر الشؤون القانونية
واقصائية لمواطنيه ويبت فى الأمور لصالحهم . أما من يرفض الانصياع
لحكم القنصل ويلجأ الى القضاء الوطنى الاسلامى ليقض قانونا
أو حكما أصدره القنصل ، فلا يستمع له ولا يحق للقاضى استقباله
أو نظر شكواه وعليه أن يعيده الى قنصله ، واذا رغب القنصل فى طرد
أحد البنادقة فعلى القاضى أن يعينه فى ذلك . كما منح القنصل حق
ابداء الرأى فى سفر الأفراد على سفن بلاده ، ولا يحق لأى فرد كان
أن يغادر الاسكندرية على ظهر إحدى سفن البندقية ليعود لوطنه
أو يبارحها لأى قطر شاء الا بعد الحصول على تأشيرة خروج من
القنصل نفسه .

المادة السادسة : اذا وصلت أى سفينة من البندقية للاسكندرية
أو باسم البنادقة فلا يحق لأى موظف أن يرتقيها ويحصل منها على
ما يريد من معلومات أو بيانات ولا أن يحتك بأى فرد من أفرادها
ويسمح لهم بصعود السفينة فى حالة الشراء فقط ، ويدخل ضمن السلع
المشتراة « السلع التى تحملها السفن » العسل ، والفاكهة .

المادة السابعة : ممنوع على أى فرد سواء كان حاكم المدينة أو عين
من أعيانها أو تجارها أو أى فرد من أفراد الشعب أو لقطانها على سفن

الميناء أن يستولوا على أى سفينة للبداقة تصل للميناء ، أو على حمولتها أو قلوها أو مجاديفها لأى سبب سواء كان قرضاً أو شراء

المادة الثامنة . يصير تنديد كل التجديدات أو المباني اللازمة أو الأعمال الضرورية فى فندق البداة واذا رغب القنصل فى بناء مبنى حميل خاص به فله ما يشاء ومنوع مما باقا التعرض له أو رفع أجور العمال أو أسعار المواد اللازمة للبناء ، ومنوع على أى فرد مصايتهم أو التعرض لهم اذا رغبوا فى استخدام صناع من السديقية أو من الأجانب دون الوطنيين .

المادة التاسعة . اذا رغب القنصل فى مقابلة أى فرد من الحكومة فى دواوينهم وامتنع صهوة جواده أو رغب فى الخروج للحدائق العامة أو أى مكان من أطراف المدينة فله أن يفعل ما يشاء وليس لأى فرد أن يعترضه .

المادة العاشرة : السلع التى تتعرض للفرق يصير انقلاها وترد لأصحابها البداة أما السلع التى تقدمها الأمواج الى الشاطئ، نتيجة الفرق لأحدى السفن ففى ترد لأصحابها ان عرفوا أو أثبتوا شخصياتهم وملكياتهم لهذه السلع أو ترد للقنصل . والسفن التى تصل الشاطئ سليمة بعد انقلاها يجب صيانتها .

المادة الحادية عشرة . السفن التى تلجأ للميناء لسوء الأحوال الجوية ولا ترغب فى تفرغ حمولتها لها أن تتم رحلتها اذا لم يكن عليها سلع للاسكندرية .. واذا كان عليها سلع خاصة بالاسكندرية فلا يحق لها أن تفرغها فى أى ميناء الا فى الاسكندرية نفسها . واذا كانت تحمل سلعاً لم ينص عليها فى المعاهدات ولا يتاجر فيها فى الاسكندرية فتمنع من التعامل أو الملاحاة على طول السواحل المصرية .

المادة الثانية عشرة : العلاقات السياسية .

إذا حدث أى حادث لأحد رعايا السلطان فى البندقية أو الجزر التى تقع تحت سيطرتها فلا يسأل القنصل عن هذا .. كما أنه لا يتحمل النتائج المترتبة على الحادث أما من يكون مديونا لأحد رعايا السلطان فانه يحجز حتى يوفى الدين ويسرى ذلك على الضامن ، ويجب أن يكون جميع رعايا السلطان فى أمان تام فى موانئ البندقية والبلاد الناضجة لها .

المادة الثالثة عشرة : يعنى القنصل البندقى من دفع ضريبة الايراد أو مرائب أخرى ما عدا فى حالات صدور أوامر خاصة بذلك من السلطان أو من القضاء .

المادة الرابعة عشرة : إذا أسر القراصنة على أسر سفن للبنادقة ثم جاءوا لبيعها فى موانئ السلطان فمحظور على أى فرد شراؤها أو التعامل مع القراصنة ويجب تحرير السفينة وما عليها من متاجر وردها للتجار ..

المادة الخامسة عشرة : إذا حدث خلاف بين عربى وأجنبى سواء كان من البنادقة أو من غيرهم أو القنصل أو تاجر أو أى مواطن عادى أو عضو فى وكالتهم فلا يحق لأى فرد اهاتة أو الحاق الضرر به .

المادة السادسة عشرة : كل هذه المنح والشروط والامتيازات الممنوحة للبنادقة تسجل فى سجل خاص ويتعرف عليها كل مسئول بالولاية وكل من له علاقة بالأحباب أو بالحكم فى مصر

المادة السابعة عشرة : للقنصل السلطه التامة إذا رغب فى أن يقيم نائبا عنه «قنصل مالبانه» أو نائب قنصل Vice-Consul فى البيرلس وله أن يفعل ذلك كلما شاء دون استئذان السلطان .

المادة الثامنة عشرة : عرض قنصل البادقة ، أنه حسب المعتاد

كانت تصل بعض السفن من كريت أو أقطار تابعة للبندقية تجلب كميات من زيت البترول اللازم للسفن وكان المعتاد بيعها على السفن ولكن السلطات المصرية ترفض هذا البيع لكي تباع ما لديها في مستودعاتها هذا الأمر يجب أن يتدارك ، فسفن البندقية تستطيع من الآن فصاعدا بيع هذا الزيت دون انزاله للساحل ولا يعترضها أى فرد ، وفي حالة وصول هذه السفن الى بولاق تتبع القواعد المرسومة من هذا الميناء .

المادة التاسعة عشرة : أشار القنصل الى العبد والقرء الأجانب

الذين يعيشون في الاسكندرية واعتادوا الورود الى فندق البنادقة لكي يأكلوا .. وكان اذا مات أحد العبد بالصدق، والقنصل مطالب بدفع ثمنه ، وكان الثمن الذى يعرض مرتفعا . هذا يصير ممنوعا من الآن فصاعدا .

المادة العشرون : محظور على موظفى الحمرى والجمالين

والكشافين مضايقة النادقة في حالة إعادة تسليمهم الفواكه أو سلع أخرى تحملها سفنهم .

المادة الحادية والعشرون فيما يتعلق برسوم وأحور الجمالين

والكشافين فيدفع دينار واحد من كل ملة توابل مملوءة ويحملها الكشاف البحرى ويحصل الجمال على دينار عن كل سلة يحملها

المادة الثانية والعشرون : انقاص وتخفيض الضرائب التى تدفع

عن يموت من الأجانب في بلاد السلطان .

المادة الثالثة والعشرون : الافرنجى الذى يرد للقاهرة من

الاسكندرية أو رشيد أو دمياط لا تحصل منه ضرائب لا هي حمله ولا ترعاه .

المادة الرابعة والعشرون : السماسرة الذين يعملون لدى الوسطاء

التجارين لهم حق استخدام تراجمة ولا يمنع عنهم معاونة التراجمة الرسميين لقاء رسوم معينة .

المادة الخامسة والعشرون : فى حالة نقل البضائع المستوردة أو المصدرة من الجمرى للسفن وبالعكس لا يطلب القنصل ولا التاجر بشئ ما كما لا يحق منع التجار من توزيع وبيع الفواكه المخضوقة والمسكرة والطازجة للمسافرين .

المادة السادسة والعشرون : لا يجوز إطلاقا مضايقة القنصل أو التجار أثناء تجوالهم وتنزههم فى حدائق الاسكندرية وعلى ضفاف القناة أو فى أى مكان آخر

المادة السابعة والعشرون : من حق التجار البنادقة ممارسة التجارة البحرية وتمتعهم بالتعليمات والمعاملات التجارية مع جميع الفئات من مسلمين ويهود ومسيحيين بلا أدنى شرط أو قيد ، ولا يجوز منع أى ترحيل من مباشرة أعماله أو تسجيل أى عقد أمام القاضى والقنصل وتجاره ووكاله التجارية وكل من يأوى الى فندقه تحرى عليه واجبات الحماية من السلطان .

المادة الثامنة والعشرون : للبنادقة حق شحن وتوزيع وتفرغ سلعهم فى قواربهم وسفنهم الخاصة .

المادة التاسعة والعشرون : قيام الكشامين بعملهم فى حالات الشحن والتفريغ يكون موافقة ومرافقة البنادقة . وما يفسده أو يستهلكه العمالون يجب أن يموض عنه البنادقة .

المادة الثلاثون : لا يتصدى أى فرد للقنصل أو لتجار البنادقة إلا عن طريق القضاء وأمام المحاكم ويراعى ألا يؤخذ الابن بحرية الأب ولا الأب بحرية الابن الا اذا كان أحدهما صامنا للآخر شخصيا وماليا . أما الديون فاستعادتها تكون حسب الشريعة .

المادة الحادية والثلاثون : جميع التجار ومرافقهم الذين يصلون للموانئ المصرية يعاملون بكل احترام واعتبار من الجميع .

المادة الثانية والثلاثون : قدم قنصل البنادقة في الاسكندرية تقريرا ذكر فيه أن تجاره كانوا ينفون سابقا من ضريبة البهار ، ولكن حكومة القورى وضعت رسوما جديدة بلغت حوالى ٥٠٠٠ دينار سنويا تحصل من التجار ، والقنصل يطالب بإعادة هذه النحة مسحة الاعفاء .
(شملت ملاحق عن ارجاع واعادة ما كان لهم من أيام الممالك من باقى الامتيازات والاعفاء والاحترام والمعاملة الطيبة والحماية والرعاية في كل مكان يحصلون فيه) (١٠) .

ملحق رقم (١١)

اتفاقية بين جنوة والسلطان محمد الثانى العثمانى بعد فتح القسطنطينية ١٤٥٣ والاتفاقية بتاريخ ١١ مارس ١٤٥٤ م

شملت على اتفاقيات سياسية وتجارية واجتماعية وفى المقدمة قامت جنوة :

- ١ - بتهمة السلطان محمد الثانى العثمانى بفتح القسطنطينية والأمل فى ازدهارها فى العهد الجديد .
- ٢ - تذكّر السلطان بالعلاقات الطيبة التى كانت بين الجوين وأسرة السلطان منذ القرن الرابع عشر الميلادى والرغبة فى استمرارها .
- ٣ - بحث حالة مدينة ييرا وما تعرض له تجارتها من أخطار واقتراح وضعها ضمن مجال جنوة التجارى .
- ٤ - لفت نظر السلطان الى أنه بإمكان تجار جنوة أن يمدوه بما يطلبه

Ombé, B., *Proch de l'Histoire d'Egypte*. T. 117. p. 6 ff. (Wies. G.) (١٠)
La Trinité. Veneto-Turc. De 1517.

من السلع التجارية والشرقية كالأحجار الكريمة والأسجة وحلله
سرعة وبأسعار معتدلة .

٥ - يدفع الجنويون الجزية بشرط أن يضمنوا يدهم على خاصية
Pera - صيانة لمصالح الطرفين وإن يبقى أحد المبعوثين
في المدينة ليقوم مقام الحاكم المعطى بالمدينة ورئيسا للجالية .

٦ - حرية التجارة لرعايا جنوة برا وبحرا في بلاد السلطان بنفس
الشروط التي كانت لهم على عهد البيزنطيين وسلاطين آل عثمان
الأول كما ترك لهم موانئ ومضائق البحر الأسود مفتوحة طول
العام .

٧ - السماح لجنوة بالحصول على كمية معقولة من القمح من بلاد
السلطان .

٨ - مطالبة السلطان بأن يسمح الجنويين ببعض الممتلكات في يزا
لاستخدامها ، مراكز رسمية لهم مع تعويض مناسب لتدمير
أموالهم وتجارتهم خلال الفرو الشمالي .

٩ - هدم أسوار خاصة غلاطية .

١٠ - تأكيد امتلاك الجنويين لمنازلهم ومحلاتهم وكرومهم ومطابخهم .

١١ - للجنويين الحق في التحوال وبيع سلعتهم في بلاد السلطان
مشرط دفع الضرائب الجبركية المعلومة

١٢ - منحهم حق ممارسة قوانينهم فيما بينهم .

١٣ - لهم أن يختاروا من بينهم من يشرف عليهم وينفض المنازعات
وينظر القضايا .

١٤ - وعد من السلطان بعدم أسر أبنائهم والحقهم بالانكشارية .

- ١٥ - لهم كنائسهم الخاصة بهم ولكن يشترط عدم قرع الأهراس .
١٦ - وعد من السلطان بعدم إجبارهم على دخول الإسلام قسرا (١١)

ملحق رقم (١٢)

أولى المعاهدات التجارية بين البنادقة والعثمانيين

بعد فتح القسطنطينية ١٤٥٣ بتاريخ ١٨ إبريل ١٩٥٤

نجحت بعثة البندقية يرأسها Bartelomeo Marallo
في عقد اتفاقية تجارية مع السلطات العثمانية في القسطنطينية بتاريخ
١٨ من إبريل ١٩٥٤ .

١ - فك أسر البنادقة المحبوزين لدى السلطات العثمانية منذ سقوط
القسطنطينية وإطلاق سراح سائرهم اللواتي ألحقن بالحريم
السلطاني .

٢ - تعيين قنصل بندقية ورئيس لحاليتهم Bayle ويسمى كمستشار
وقائم بالأعمال في كل ما يتعلق بمواطنيه في الشؤون العامة
والتجارية وآخر خاص بالشؤون القضائية ويكون مركزهم
القسطنطينية .

٣ - يعطى السلطان تعليمات لمحافظة القسطنطينية لكي يدلل للنادقة
ومعتد بهم كل الصعوبات التي تعترضهم

٤ - منح البنادقة حرية التنقل في بلاد السلطان العثماني حرية

Depping, Histoire de Commerce, T. II. pp. 214, 215.
227-228. N. 8 p. 342.

الدخول الى الموانئ ولا سيما ميناء القسطنطينية دون أى
صعوبة .

٥ - تقرير دفع الجزية المعية للسلطان لقاء دخول سفن البندقية
البحر الأسود وقدرت هذه الجزية بصفة مبدئية بحوالي
١٠٠٠٠٠ دوكا سنويا .

٦ - فى حالة حدوث حالات العرق تتولى السلطات المحلية مهمة
الانقاذ نظير رسوم معينة .

٧ - يدفع البادقة رسوما جمركية على مشترياتهم ومثلها على
مبيعاتهم وقدرت بحوالى ٢٪ .

٨ - لم نعتزض السلطات العثمانية على تجار البندقية فى الرقيق
الأبيض من منطقة البحر الأسود وتصديره للخارج وخاصة
لمصر ولكن نص فى الاتفاقية على أنه اذا تم البيع داخل لطاق
بلاد السلطان يصير تحصيل جزية لا تقل عن ٢٪ من المباع
وقد راعى البنادقة الناحية العاطفية والدينية فلم يتمسكوا بشراء
الرقيق من المسلمين وبالتالي فانهم كانوا يطلقون سراح من يقع
فى أيديهم من الأسرى المسلمين دون ابطاء .

٩ - يمنح البادقة نفس الامتيازات لرعايا السلطان العثماني فى
البندقية وأملاكها الأخرى والبلاد التى تشرف عليها كما سمحوا
للاتراك بالتعامل مع أسواق البندقية نفسها أملا فى أن يعامل
البنادقة وتجارهم بالمثل .

١٠ - حصل البادقة على حرية تصدير القمح من بلاد السلطان العثماني
لقاء جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا (١٢) .

Hanmer, Histoire de l'Empire Ottoman, T. III, pp. 30-36-46 (١٢)

* p. 340.

Depping, Histoire du Commerce, T. II, pp. 227-228.

Hoyd, Histoire Du Commerce, T. II, pp. 316-319, 320

ملحق رقم (١٣)

نسخة من الشروط بين فلورنسا والسلطان قايتباي

بشأن التجارة الفلورنسية في مصر ودمشق وبيروت ١٤٨٨ م
السلطان الأعظم سلطان مصر :

مرسوم بشأن الامتيازات التجارية الممنوحة لطائفة الفرنسيس في
مصر وسوريا بناء على طلب جمهورية فلورنسا ورئيسها الأصم
لورنروديميدش والمقدمة بواسطة التجار لمنحهم امتيازات مشـل
ما للبنادقة في بلادنا ..

بوصول التجار الفلورنسيين (الفرنسيس) الى بابنا بحملات
من دولتهم الفخيمة ومن رئيسهم لورنزو الفخم علمنا من هذه الحملات
رغبة طائفة الفرنسيس العودة للتجارة في بلادنا ، ومنها وخاصة
بالاسكندرية ودمشق وكافة موانئنا وبلادنا كما كانوا من قبل يسمى
اعادة قنصلهم وتجارهم للبيع والشراء ويرغبون في أن يكونوا تحت
رعايتنا ، وأعطينا أوامرنا لارضائهم كما أننا نكتب لهم هذه الشروط
بنفس الأسلوب والشكل الذي كتب للبنادقة وان يكتب الى الدولة
الفخيمة ولورنزو الفخم بارسال قنصلهم وتجارهم الذين سيغالون
وسعاملون معاملة حسنة ويكرموا كأي طائفة أخرى .

مصل (١) لا يتعرض أحد لاي تاجر فلورنسي ولا لتجارته
ولا لحاجاته ولا لممتلكاته ولا لسفنهم ولا لأشخاصهم ولا لقنصلهم بأي
شيء ضد العدل كما لا يطالبون بدفع ضرائب أريد من المطلوب على
متاجرهم الا حسب العرف القديم كما يظهر للديوان وكما يدفع
البنادقة حالياً دون اتخاذ أي اجراء مضاد مخالف للعدل والنظام
ولذلك فأمرنا أيها الأمير الحاكم حاكم الاسكندرية أنه يجب أن تعمل
وتلاحظ تنفيذ هذه الأوامر مع عدم القيام بأي اجراء مضاد .

فصل (٢) إذا حدث بيع أو شراء بين تجارنا والتجار الفرنجة فإن
هذا البيع والشراء يجب أن يحدث أمام شهود وإذا حدث أن تحلل
أحد الطرفين من الاتفاق على البيع أو الشراء دون موافقة أو رغبة
الطرف الآخر فإنه في هذه الحالة يجب عليك أيها السيد أمير
الاسكندرية أن تراعى القانون في حل هذه المشكلة وأن يكون الشراء
والبيع مد ذلك الوقت بإشراف القانون أمام شهود لا مكان تحديد
المسئولية .

فصل (٣) يقول التجار الفرنسيون أن بعض تجارنا يشترون من
هؤلاء التجار الفرنسيين أثوابا وأقمشة وكاليات وحريراً وأنواعاً أخرى
كثيرة من المتاجر ، ويتاجرون بها في أماكن كثيرة ، ولكنهم أحياناً
لا يعدون من يشتريها منهم ، وحسبهم يعودون بها إلى التجار الفرنسيين
مرة أخرى لاسترداد أموالهم ورد السلع ، ولما كان هذا ضد العدل
والحق وليس فيه أى حرية لذلك فأمرنا أيها السيد أمير أن تراعى
عدم حدوث مثل هذه الأمور وأن تستمر في المعاملة كما كان سابقاً
وبنالك كل فرد حقه بالعدل .

فصل (٤) يقول التجار الفرنسيون أن بعض تجارنا يعاملوهم بطريق
المقايضة وقد جرى العرف أنه في حالة المقايضة يكون سعر السلعة
المقايض عليها لأى الطرفين أكثر قليلاً من السعر في حالة الدفع نقداً
لهذه السلعة، ولكن يحدث أحياناً أن يرفض التاجر المسلم استلام السلعة
المقايض عليها ويطلب الثمن على أساس السعر المرتفع (عن سعر
المقايضة) للارتفاع بفرق السعر . ولما يرفض التاجر المسيحي تصدير
خفاقة ضخمة يحاول فيها التاجر المسلم استغلال وجوده في بلده والمطالبة
بالسعر المرتفع لسلعته دون السلعة الأخرى موضوع المقايضة ولما كان في
هذا ظلم صارخ للتاجر الفرنسي لذلك فأمرنا أيها السيد أمير

الاسكندرية بالا يحدث مثل ذلك ، و اذا حدث أى اتفاق فيكون أمام
الشهود ويلزم الطرفين بالعدل .

فصل (٥) اذا حدث خلاف بين تاجر من الفرقتين وتاجر مسلم
وأراد كلاهما الاستئناف أمام السلطان فيجب أن يسر لهما الأمر ، وفي
حالة غيابا ينوب عنا الحاكم أو نائبه أو الكاتب (كاتب الديوان) لذلك
نأمرك أيها السيد أمير الاسكندرية بأن يراعى ما جاء بهذا الأمر ويتخذ
كل دقة والا يمنع أى شخص من المثول أمام السلطان للمقاضاة
وبخاصة من التجار الفرقتين ...

فصل (٦) يقول التجار المذكورون ان العمالي والمكاريين الذين
كانوا يعملون التوابل من مكان لآخر ، يعمدون الى سرقة التوابل
ثم عسها بوضع مواد غريبة أخرى بدل الماحود وهذه الطريقة تصر
التجار المذكورين لذلك نأمرك أيها السيد أمير الاسكندرية أن تراقب
هذه الأشياء وتجلد العمالي والمكاريين المذكورين وتحل محلهم غيرهم
ويعطى التجار تعويضا لذلك من الجزء المزيب - ونأمرك أيها السيد
أن تراسى ما جاء بأمرنا هذا وتنفذه ..

فصل (٧) يقول التجار الفرقتيون اهم بعد وصولهم الى الاسكندرية
وموانى سوريا والمدن الأخرى هي بلادنا بتاجرهم ، ويدفعون الضرائب
المطلوبة ويحاولون بعد ذلك اخراج متاجرهم للسوق فيمنع ذلك عمال
الجمرك وعمال الميناء وموظفو السلطان ويريدون أن يتم البيع بالجمرك
قبل اخراج المتاجر الى الأسواق - وأن الموظفين لا يعطون للتجار انتم
لذى تساويه السلع ، وأنه عند دفع ضرائب الجمرك ، يصبرون على
دفع رسوم أكثر مما يعود على هؤلاء التجار بصدد كبير ، لذلك نأمرك
أيها الأمير أنه بمجرد دفع التاجر الترتى الضرائب الجمركية يمكنه أن
يخرج الى أى مكان يريد أو يخزنها أو يبيعها كما يشاء ، ولا يجبر
أحد على أن يشتري أو يبيع غير ما يريد كما يجب أن يكون تقدير

ثمن السلعة المذكورة ودفع الضريبة المطلوبة عنها بما تساويه فعلا عند وصولها لبلادنا ونأمرك أيها السيد الأمير بمراعاة ذلك عند وصول هؤلاء التجار ...

فصل (٨) كما كان يجرى العرف سابقا أنه يجب ألا يدفع التاجر العرثى رسوم المتاجر والسلع إلا حين تكون في ديوان الجمرک ، وإذا كان للتاجر العرثى نقود من مدة سابقة فإنه بعد بيعه سلعة ويريد خصم الرسوم المطلوبة من الحساب الذي له لدى الجمرک فيجب أن يسر له هذا الأمر ، لأن التجار يشتكون من أن الجمرک لا يريد خصم الرسوم مما يستحقه التجار لديه من أموال كما لا يريدون إعطاءهم الباقي . لذلك نأمرك أيها الأمير أن تلاحظ العرف القديم وأن التجار العرثيين لا يجب أن يدفعوا الرسوم إلا إذا كانت السلع في الجمرک (أى لا يدفع مقدما ويدفع الرسوم حين وصول السلع إلى الجمرک) ويجب أن تعمل له تسوية حساب للمطلوب والخصم مثلما تفعل تماما مع التجار النادقة لذلك نأمرك أيها الأمير أن تراعى ذلك وألا تفعل غير ما نأمرك به كما تفعل نحن مع البنادقة .

فصل (٩) جرى العرف القديم أنه إذا مات تاجر مسيحي ، فإن قصل دولته وحده هو المختص بالإشراف على سلع هذا التاجر المتوفى ، أو من ينييه القصل سواء كان وكيله أو أحد تجار طائفته ، لذلك نأمرك يا حضرة الأمير أنه بالنسبة للتجار العرثيين يسرى العرف السابق .

فصل (١٠) يحدث أحيانا بعد وصول مراكب الجالير (القطائع) للعرثيين وعليها تجارهم أن تحجز السفن والتجار بواسطة الجمرک أو كبار تجارنا الوطنيين فلا يستطيع العرثيون البيع والشراء إلا إذا قررت أسعار التوابل لهذه المدة ، وهذا يسبب تعطيل التجار ويسبب لهم خسائر كثيرة — لذلك نأمرك أيها الأمير أن تكون الموافقة وتعديد

السعر جاهزة قبل وصول هؤلاء التجار بسفهم والا توضع أية عقبة
فى سبيل الببع والشراء كما هو الحال بالنسبة لتجار البندقية .

فصل (١١) يقول تجار الفرقتين ان بعض التجار المسلمين كثيرا

ما يشكوهم للسلطان فى دعاوى لا أصل لها مما يسبب لهم خسائر
جسيمة ، لذلك فأمر ك أيها الأمير أنه اذا حدث مثل هذا فان التاجر
المسلم لا يحق له أن يستعلى التاجر المسيحي الا اذا أعنت انشهادة
الواجبة بما حدث ، وحينئذ اذا لم يدفع التاجر المسيحي المطلوب منه ،
فيجب أن يمثل أمام القاضى أو السلطان فى حالة الاستئناف ، والقضاء
هو وحده المختص بذلك .

فصل (١٢) توجد مراكب لبعض القراصنة المسلمين ، وهم ينتظرون

فى الموانى أو بالقرب منها ويتمرضون لسن التجار المسيحيين ، لذلك
فأمر ك أيها الأمير ، أنه فى حالة وجود هؤلاء الأشخاص أن تصدر
سفهم وترسلهم لحضرتنا لينالوا جزاءهم .

فصل (١٣) جرى العرف أن قنصل البنادقة فى دمشق يشرف على

جبرك مواطنيه وسلمهم به كما أن قنصلهم بالاسكندرية يراقب حركة
تجارة مواطنيه ، ولذلك فأمر ك أيها الأمير أن تعطى قنصل الفرقتين فى
الاسكندرية ودمشق نفس الوظيفة التى لقناصل البندقية فى بلادنا .

فصل (١٤) اذا دفع التاجر الفرقتى رسوم الحمارك على سلعة

فى بيروت فلا يلزم بدفع رسوم أخرى على سلع دمشق الا اذا أوصلت
هذه السلع الى دمشق فعلا فتحصل عليها الرسوم ، لذلك فأمر ك أيها
الأمير فأبينا على دمشق وبيروت أن تراعى ذلك مع التجار الفرقتين
حسب ما هو متبع مع تجار البندقية .

فصل (١٥) كما جرى العرف السابق ألا يؤخذ تاجر بحريّة أو

دب تاجر آخر الا اذا كان التاجر الأول صامنا شخصا ملزما للثانى،

لذلك فأمر أيا الأمير بالنسبة لتجار الفرتين أن تراعى ما هو متعارف عليه وما هو متبع بالنسبة لتجار البندقية .

فصل (١٦) جرى العرف أنه اذا نهب قراصنة المسيحيين سفن المسلمين في البحر ثم جاءت سفن الفرتين الى موانئنا فان تجارنا وعمالك يجبروهم على دفع تعويض عما لحق بالمسلمين من أضرار بواسطة قراصنة المسيحيين - فأمر أيا الأمير أن تبطل هذا ، وألا يجبر هؤلاء التجار على دفع تعويض أيا كان ، ولا يؤخذوا بضرورة انقراضة المسيحيين ويوضع هذا الأمر موضع التنفيذ مثل ما هو متبع مع البنادقة تماما .

فصل (١٧) حيث انه من الضروري لهؤلاء التجار أن يتقلوا من ميناء لآخر ومن بلد لآخر لجميع المتاجر المطلوبة منهم يحتاجون للميرة لمعيشتهم ، لذلك فأمر أيا الأمير فأبنا أنه بالنسبة للتجار الفرتيين لا يسمع عنهم ما يحتاجون اليه من الميرة - في رحلاتهم ويلبسون الملابس الماليةكية ويتحولون آمنين اذا أرادوا في أى مكان يشاءون، فعليهم أيا الأمير فأبنا مراعاة ألا يتعرض لهم أى أحد في الطريق كما يراعى ألا يعلق باب فندقهم الا ليلا ويظل مفتوحا طول اليوم .

فصل (١٨) اذا جاءت سفن فلورنسية بتجارها فلا تجبر على دفع الجمارك الا بعد التفريم ، وادا لم يوجد من يشتري هذه السلع ويريد أصحائها اعادتها مرة أخرى الى السينة فلهم الحرية في ذلك على ألا يدفعوا رسوما لا قبل ولا بعد الانزال مادام البيع لم يتم ، وأمر أيا الأمير أن تراعى ذلك بالنسبة لطائفة الفرتين على ما هو حار بالنسبة لتجار البندقية .

فصل (١٩) اذا وجدت سفن قطائع (جالير) أو مراكب أخرى في الميناء أو أى موانئ خاصة بنا واحتاجت الى اصلاح فعليكم

مساعدتها ومسح الامتيازات الخاصة بذلك لها ولاصحابها ولتجارتها وتقديم الخدمات لهم بنقودهم . وأمرك أيها السيد الأمير باتباع ذلك مع طائفة المرتبطين المذكورة مثل ما يتبع مع البنادقة .

فصل (٢٠) اذا وجدت سمن لطائفة المرتبطين في أي مكان تابع للسلطان وهاجتها سمن القراصة عليكم مديد المعونة لها ومساعدتها في كل ما تطلبه بنقودهم لذلك فأمرك أيها السيد الأمير اتباع ذلك مع طائفة المرتبطين مثل ما هو متبع مع طائفة البنادقة

فصل (٢١) المتبع مع طائفة البنادقة أنهم عندما يحضرون معهم حراما بيضاء وسوداء لطعامهم الخاص في سديتهم ، فإن موظفيا يحصلون على بعض منها ، يكون مقابل فحذرهم أيها الأمير الا تفعلوا مثل ذلك مع طائفة المرتبطين ، كما لا تمنعهم من البيع بالأسعار المناسبة ولا تجبروهم على بيع حرامهم بأسعار منخفضة بل بحرية كاملة ولعائدتهم ولا ينهبون كما هو متبع مع البنادقة

فصل (٢٢) حري العرف أن طائفة البنادقة تصل للميناء ومعها بعض المئونة الخاصة بهم مثل الحبة وغيرها ، ولا يدفعون عنها رسوما الا على المتاجر فقط ، في حين أن جماركنا تحصل من المرتبطين ما قيمته ٣٠٠٠ ، لذلك فأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى عدم الزام الرعايا المرتبطين بدفع مثل هذه الضريبة ، كما هو متبع فعلا مع البنادقة . البنادقة .

فصل (٢٣) حري العرف في ميناء بيروت أنه اذا حملت سفينة للبندقية ٥٠ طردا من التوابل فاعا تلزم بدفع خمسة دوكات رسما اصافيا لنائب بيروت واذا نقصت الحمولة عن ٥٠ طردا ، فلا تعبر على دفع شيء ، لذلك فأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى ذلك بالنسبة لطائفة المرتبطين ، كما هو متبع مع البنادقة .

فصل (٢٤) جرى العرف أنه إذا حلت سفينة رفاتا أو رمادا
لموتى فإن صاحب السفينة يدفع لنائب بيروت ٥ دوكات ، كما أن سفن
القطائع (الجالير) تدفع ٣ دوكات عن كل واحدة لنائب بيروت ولا تدفع
أكثر من ذلك . وقد اعتاد البنادقة أن يفعلوا ذلك ، فيراعى أيها السيد
الأمير أن يتبع مثل ذلك مع طائفة الفرقتين . ويراعى كذلك ألا يؤخذ
تاجر باهانة وجهها بحار لأي عربي مسلم ، إنما يؤخذ بالعقاب من قام
بالإهانة فعلا لا غيره . لذلك نأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى تنفيذ
ذلك مثل ما هو متبع مع طائفة البنادقة .

فصل (٢٥) حرت العادة أنهم يدفعون عن كل جوال قطن خام
رسا قدره ٨ دراهم فضة وعن كل جوال قطن حيوط ١٥ درهم فضة،
ويوجد من يريد سرا أن يدفع أكثر من هذا لأكثر من سبب ، لذلك
نأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى ذلك بالنسبة لتجار جميع الطوائف
ولطائفة الفرقتين خاصة وألا يجبروا على دفع أكثر من المعتاد من
الرسوم كما يفعل البنادقة . وإذا حدث أي ظلم لأي تاجر وأراد المثول
أمامنا ومعه القصل فلا يمنع من ذلك .

فصل (٢٦) جرى العرف أنه لدى وصول السفن الى بيروت اعتاد
العرب لهب الخطابات المرسلة للتجار الأجانب ولا ترد لهم الا بعد دفع
اتاوات بعد بضعة أيام، وكذلك بالنسبة للخطابات المرسلة لجهات أخرى
طريق موانينا ، وقد رجا البنادقة مراعاة عدم فقدانهم شيء من خطاباتهم
فى السفن أو على البر الا اذا وجدت خطابات تخص دولتنا فهي تستجيز
لنا ، لذلك نأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى هذا بالنسبة لتجار
الفرقتين وألا يصايقهم أى فرد من الميناء أو البر كما هو متبع الآن مع
البنادقة .

فصل (٢٧) اذا أذان تاجر مسيحي آخر مسلما ولم يستطع الحصول
على باقى أمواله وأراد الحصول لحضرتنا فلا يمنع من ذلك ، ونأمرك
أيها السيد الأمير أن تراعى ذلك مثل ما هو متبع مع البنادقة .

فصل (٢٨) إذا اشترى تاجر مسيحي توابل أو سلعا من تاجر عربي ودفع الثمن وأودعها عند التاجر العربي على الدمة ، ثم حاول صاحبها العربي استردادها بعد بيعها للمسيحي فلا يحق له ذلك ، إلا إذا كان المسيحي قد دفع عربونا فقط عنده . وعليك أيها الأمير أن تراعى هذا الأمر كما أن السلع لمن اشتراها مهما كانت الظروف ويحق للتاجر المسيحي صاحب السلع أن يقاضى التاجر المسلم الذي يعيد بيع السلع وهي في دمه ولا يلتزم التاجر المسيحي بشيء سواء أكون رد البضاعة أم رد الثمن .

فصل (٢٩) إذا أراد القنصل أن يصل اليها للشكوى بسبب ظلم وقع عليه أو بسبب خطابات وصلت من دولته لنا ، أو لأي سبب آخر فيكون له مطلق الحرية في الحضور بدون أي عقبة ، وكذلك عند وصول السفن التجارية ومتاجر التجار فهم يحضرون معهم ، دوكاتات منقوشة بندقية لنقاها وجودة ذهبها وصبط وزنها وأمر ك أيها السيد الأمير أنه بالنسبة للتجار الفرنسيين أن يراعى ما جاء بهذا النص ولا يعمل عمل مخالف لذلك وأن توجه اليهم عناية ورعاية كاملة (١٣) .

ملحق رقم (١٤)

ملحق لماهدة الامتيازات الممنوحة لطائفة الفرنتئين ببلاد
السلطان المماليكى عام ١٤٨٨ - بامتيازات جديدة غير ما
منح للبنادقة

فصل (١) إذا باع مسلم توابل لمسيحي مقابل سلع أخرى نقدا
أو بالمقايضة ثم رفض التاجر المسلم تسلمها بعد الاتفاق على البيع

Azari, I Diplomi Arabi, XLV. p. 369-369.

(١٣)

Il Sultano (d'Egitto)

Edizzo intorno I privilegi commerciali accordati ai Fiorentini in Egitto
e in Siria a dimanda della Signora di Firenze e del magnifico
Lorenzo (de medice presentata per mezzo di alcuni mercatanti. 1488. 7).

بسبب الخوف من ضياعها قبل نقلها الى محازنه أو لأي سبب آخر
وانما تبقى تحت مسئولية التاجر المسيحي لفترة أخرى، فاننا نأمرك أيها
السيد الأمير أنه بمجرد حدوث اتفاق البيع يتم الاتفاق على التسليم
في مدة محدودة وعند حدوث التسليم يتخذ التاجر المسلم شاهدين
ويتسلم السلع وكذلك التاجر المسيحي يسلم السلع أمام شاهدين هي
جمرك القيان . ثم بعد الاتفاق تعرج السلع خارج الجمرك وخارج
المخازن وتبقى تحت مسئولية التاجر المسلم ولا يلزم التاجر المسيحي
بشيء بعد ذلك . وبلاحظ هذا خاصة بالنسبة للتجار الفرقتين .

فصل (٢) اذا دفع التاجر المسيحي رسوم الجمارك ثم تغير بعدها
ناظر الخواص والموظفين الذين تسلموا الرسوم ، ولا تزال السلع
بالجمرك ، فانه لا يحق للناظر الجديد أو الموظفين الجدد أن يحصلوا
رسومًا جديدة — لذلك نأمرك أيها السيد الأمير بمراعاة عدم الدفع
الامرة واحدة سواء تغير الناظر أو الموظفون أو بقوا . وبلاحظ هذا
خاصة بالنسبة للتجار الفرقتين .

فصل (٣) اذا دفع التاجر المسيحي السمسرة الخاصة بالتوابل ،
ثم تغير الناظر والموظفون وحاول الجدد الحصول على سمسرة جديدة
قبل أن يحصل التاجر المسيحي سلحه فيجب ألا يحدث ذلك ، ويجب
أن تراعى أيها الأمير أن السمسرة لا تدفع الا مرة واحدة فقط ، وبلاحظ
كذلك أن يسرى هذا خاصة على التجار الفرقتين .

فصل (٤) فضلا عن هذا ، كما هو متبع مع تجار البنادقة أنهم
يبيعون سلهم على السفن وعلى البر ، نأمرك أيها الأمير بمراعاة منع
هذا الامتياز للتجار الفرقتين ، وأن يارسوا هذا في البر والبحر
كالمعتاد .

فصل (٥) جرت العادة أن التحار عندما يرحلون بالراكب لا يدفعون

وسوما جديدة ، لذلك فأمر كأيما الأمير أن تراعى هذا بالنسبة للتجار
الفرتيين كما هو متبع مع الطوائف الأخرى .

فصل (٦) جرت العادة أن التجار ينقلون توابلهم الى الخارج من
الاسكندرية لنقلها الى السفن حسب ما يترأى لهم ، لذلك فأمر كأيما
الأمير ألا يعوق أحد لهم هذه الرعة ولا تحصل منهم رسوم
جديدة .

فصل (٧) طلب التجار الفرتيين أن يراعى موظفو الجمرك تقدير
أثمان السلع حسب تسعيرة اليوم نفسه في السوق (يوازي الآن سعر
البورصة) يوم وصول السلع - وأن يكون لكل سلعة رسم الجمرك
المحدد لها - لذلك فأمر كأيما السيد الأمير مراعاة عدم رفع الأسعار
بالنسبة لهؤلاء التجار وحساب السعر حسب سعر السوق .

· فصل (٨) طلب التجار المذكورون مراعاة أنه اذا باع تاجر منهم
سلعا لتاجر مسلم أو اشترى تاجر مسيحي سلعة من تاجر مسلم ، ثم
رجع أحدهما في كلامه ثم بعد ذلك تصرف التاجر المسيحي أو المسلم
في السلعة بالبيع لثالث - وحاول استردادها بحجة أنها كانت على
الدمه - لذلك يراعى عدم حدوث شيء من هذا ولا يلزم التاجر المشتري
الجديد (الطرف الثالث) برد البضاعة مادام البيع تم بحسب القوانين
أمام الشهود وأن يراعى ذلك بالنسبة للتجار الفرتيين خاصة .

فصل (٩) يطلب التجار المذكورون أنه بعد وصول سفنهم والانتهاه
من البيع والشراء لا يسوق رحيلهم بأي حال من الأحوال كما يسمح
لهم بالتعامل بالفرتي الخاص بهم مثل الدوكات الذهبى البندقى .
ولا سيما أن عملتهم نقيه وسليمة الوزن (الثلورين = الفرتى) ،

لذلك نأمرك أيها السيد الأمير أن تراعى هذا بالنسبة لطائفة
الفرقيين .

فصل (١٠) يطلب التجار المذكورون أنه بمجرد مجيئهم ومعههم
قنصلهم أن يمنحوا فندقا للإقامة وتخزين سلعهم وأن يكونوا في
رعايتنا الخاصة ولا يضار أحدهم لأي سبب ونأمرك أيها الأمير أن
تسلم صورة من هذه الشروط والمنح لهؤلاء التجار وقنصلهم والسلطات
المسئولة للتنفيذ وحدوث الأمان لهم .

ملحق رقم (١٥)

تعليمات للسفير لويجي دلاستوفا سفير فلورنسا لسلطان مصر
بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٤٨٨ .

تعليمات فلورنسا لسفيرها لويجي ديلا ستوفا الى سلطان مصر
١٠ نوفمبر ١٤٨٨ .

١ - ستذهب الى سيادة السلطان بأسرع ما يمكن - وبعد الوصول
تقابل فخامته وتشكره على انسانيته فحونا ونحو مدينتنا وكذلك
للهدايا المرسلة لنا منه ذاكرة أن شعبنا لم ير مودة مثل هذه
ولا روحا طيبة مثل ذلك ، وان كرم سفيره كان له أثر طيب علينا .
بعيث أننا نبقى فقط مدينين لعظمته بهذا الفضل ولكن كذلك
لما أعطيناها إياه بصفة خاصة من شروط الماهدة التي حملتها إلينا
والتي يمنح فيها تجارنا الحرية في استخدام موانئ بلاده وما يتبع
ذلك من امتيازات .

٢ - وانت أيضا السعير الأمهم سيكون لديك وثيقة رسمية موافق عليها
 ما ، كما جرت العادة ويمكن أن تترك هذه الوثيقة في أيدي
 قنصلنا ليتهدى بها التجار في التعامل مع السلطات المحلية
 وسيكون لديك أيضا مع هذه الوثيقة مذكرة موضحة بها المدوالات
 التي تحدث هنا بشأن هذه المعاهدة وغيرها ، لتكون على علم
 بواطن الأمور أولا بأول فعليك أن تحاول الحصول على شروط
 وامتيازات عديدة من فضامة المعظم ، أكثر مما هو عندنا . وستجد
 هنا نسخة من هذه الشروط مع الشروط الجديدة التي أصيغت
 لكي تطالب بها ومصليا عليها منا . وستجد نسخة أخرى لدى
 انقصل بطلبات جديدة . وفي الوقت والمكان المناسب لك . قدم
 لسيادة السلطان هدايانا وبين لسيادته أننا نعظم جيدا عظمة
 السلطان وأنا نطمح في قبول سيادته لهذه الهدايا . تمطفا منه
 ونكرما واطهارا لشعورنا الطيب نحوه .

٣ - وبعد أن تنتهي من المهمة الخاصة بالمعاهدة وكذلك تقديم الهدايا
 لسيادته فلا داعي لبقائك أكثر من ذلك وحاول أن تعود تاركا
 أثرا طيبا في نفس السلطان من ناحيتنا ومن ناحية طائفتنا في
 بلاده .

٤ - وبمرورك على روما في العودة تزور قداسة البابا المعظم ومعه
 خطاب الاعتماد الذي تحصل عليه كسفير لنا عند البابا وتعلن
 قدامته برحلتك الى بلاد السلطان وتعرض عليه خدماتك ، وفي
 نابلي تزور فضامة الملك بخطاب اعتماد آخر منا وتعييه بنفس
 الكلمات الطيبة ثم تسرع إلينا بلا إبطاء .

La Signoria di Firenze

(١٠٥)

Istruzioni a Luigi di Moser Angolo della Stufa Ambasciatore al Sultano
 d'Egitto (Ital.).

Amari, I diplomi Arabi XLV, 1488-10-Novembre. No. 73, p. 372-373.

Nell'Archivio Fiorentino N.º 10000, classe X, distinz. 1 No. 75 fog. 78
 Verso.

ملحق رقم (١٦)

اتفاقية بين السلطان الأشرف قايتباي ، سلطان مصر والمعلم
الأفخم لوزو ديميدتشي حاكم فلورنسا بواسطة سفيره المعلم لويجي
ديلاستوفا .

باللغة الإيطالية عام ١٤٨٨ م

ملاحظة :

استطاع الفلورنسيون أن يحوزوا ثقة السلطان محمد الثاني
العثماني وأصبحت لهم تجارة واسعة في بلاد العثمانيين بعد فتح
القسطنطينية ١٤٥٣ وأضرموا الشر للبنادقة فنكل السلطان بهؤلاء
وأصبح للفلورنسيين الخطوة لدى السلطان كما استطاع تجارها أن
يدسوا مندوبا عنهم في خدمة السلطان وهو الفلورنسي .

Laurant de Medicis

وفي نفس الوقت لم يهملوا صلاتهم الطيبة مع سلطان مصر
وأرسلوا سفارة يرأسها السفير Louis de la Stuffer
ومعه هدايا للسلطان المصري وطلب عقد معاهدة بامتيازات لها وتجارها
وفي ديباجة الاتفاقية ذكر الآتي: «الطلب مقدم الى عظمة سلطان مصر
من السفير لويجي ده مسيو ديلاستوفا سفير عظمة السيد حاكم
فلورنسا وباسم صحابته ، بالموافقة على مواد معاهدة مكتوبة لصالح
كل رعايانا وتجارنا الفرثيين الواهدين لنلاد سيادة السلطان سواء كانوا
باقين أو متجولين أو مؤقتين للحصول على الرعاية والحماية في جميع
أماكنهم في حلهم وترحالهم وهذه الطلبات قدمت الى عظمة السلطان
بواسطة حاكمنا المعلم سنيور فلورنسا لوزو ديميدتشي » ..

والملاحظ أنها في مضمونها لا تخرج عن المعاهدة السابقة لذا
سنذكر هنا ما يجد من طلبات دون ذكر التفاصيل :

- ١ - فى أى ميناء أو مكان تابع للسلطان ، تأتي سفينة فلورنسية أو سفينة عليها فلورنسيون أو أموال فلورنسية ، تستطيع هذه السفينة أن تبقى أو تذهب بحرية دون أن يطلب منها دفع أى شئ سواء بالنقد أو عينا - باسم ضرائب واجبة للجسارك أو ضرائب ملح أو ضرائب إدارية أو أى ضريبة أخرى .
- ٢ - حرية البيع والشراء دون قيد وحرية وتسهيل الشحن والتفريغ فى جميع الموانئ (برقم ٢٥ بالأصل) .
- ٣ - السفن المحملة بالزاد والطعام لا تدفع الا ثلثا فى المائة من الرسوم المفروضة .
- ٤ - لا يفصل فى منازعاتنا الخاصة سوى القصل الا اذا طلب أحد الطرفين اللجوء للقضاء الوطنى .
- ٥ - يحق للفلورنسيين أن يرتدوا الزى العربى حتى لا يقابلوا بجفاء من الوطنيين .
- ٦ - اذا أحصر تاجر فلورنسى الى الاسكندرية عملا أسود فلا يدفع من ذلك الا دوكة عن كل كركر (برميل) .
- ٧ - قنصل الفلورنسيين يعطى كل الامتيازات التى يحصل عليها قنصل البنادقة فى جميع مدن وموانئ السلطان مع مرتب وأسبقية وخلافه .
- ٨ - لا يدفع الفلورنسيون فى بيروت ضرائب الا مثل البنادقة وإذا أخذوا من بيروت أو دمشق رمادا لأحد التوفين فلا يدفعون الا مثل البنادقة .
- ٩ - يسمح للفلورنسي أن يشحن سلعة على أى سفينة دون تعويق ويلبون دفع ضرائب غير المفروضة ومثل ذلك بالنسبة للمسافرين (برقم ٢٦ بالأصل) .

١٠ - (برقم ٢٨ فى الماهدة) اذا حدث أن اعتدت سفن مهما كانت جسيبتها أو نوعها فى البحر على سفن فلورنسية أو على سفن أخرى تنقل بضاعة فلورنسية بالتولون (بالأجرة) فإن التجار الفلورنسيين يطلبون اجراء المدالة من السلطان و يطلبون منه أن يوضحهم عن بضائعهم وسفنهم التى أصابها الخدر من جراء الاعتداء ، وأن يوضحهم عن ذلك من التجار ومن بضائع التجار الدين من نفس جنسية السفن المعتدية ، والذين يوجدون فى بلاد السلطان . واذا اعتدى بالمثل فلورنسى على أى شخص فى البحر فإن للسلطان الحق فى تعويض المعتدى عليه من المعتدى الفلورنسى أو من الفلورنسيين الموجودين فى بلاد السلطان .

١١ - طالما أن الفرتى جيد الوزن والذهب ، يجب أن يكون حاربا مثل البندقى .

١٢ - اذا احتاج الفلورنسيون الى فندق أو منزل بالاسكندرية ينزل فيه القنصل والتجار الفلورنسيون فينبغى على السلطان أن يجهز لهم فندقا ويعطيه للقنصل حسب الأصول المرعية مع باقى طوائف التجار الأتراك فى بلاد السلطان (برقم ٣٢ بالأصل) وقد راعى المندوب الفلورنسى أن يذكر للسلطان ما يلاقه مواطنوه من اهانات فى الشام وموانئ بيروت وطرابلس وغيرها . لبعدها عن مقر السلطنة بالقاهرة وأبلغ ذلك للسلطان الذى وعد بمراعاة مصالحهم ونص فى الملاحق على :

١ - أمر من السلطان لعمال الموانئ فى الشام وجماركه بمدد مضايقة أو تعطيل سفن وتجار فلورنسا أو مضايقتهم فى تخزين سلعهم وتوصيلها من وإلى دمشق .

٢ - رسم جوال القطى الخام ٨ دراهم والقطن المندوف ١٥ درهما .

٣ - يحق للقنصل مقابلة السلطان في أى وقت بدون تعويق مثل ما يسمح للقنصل البندقى أو مقابلة من ينوب عن السلطان لمرص مشاكلهم ومشاكل مواطنيه وإبلاغ رسائل للسلطان .

٤ - ملحق آخر بالمعاهدة خاص بمطالب جماعة تجار التوسكانيين التابعين لفلورنسا ومطاداه شكوى هؤلاء التجار من أن الحاصلين الذين يعملون التوابل من مكان لآخر لتوصيله يعدون الى فتح الجوالات وغش ما بها من توابل أو وصع توابل بدل التوابل وقد وعد السلطان بمعاقبتهم عقابا شديدا وتغيير السلع المزينة بغيرها .

ملحق رقم (١٧)

خطاب السلطان قايتباى لأمر فلورنسا بشأن تأكيد امتيازات طائفة التجار الفلورنسيين ببلاد السلطان . بتاريخ ٢٤ من ذى الحجة ٨٩٤ هـ / ١٨ من نوفمبر ١٤٨٩ م

السلطان الأعظم المالك الملك ، الأشرف السيد الأجل العالم العادل ، محب العدل فى العالمين ، مصنف المظلومين ، قاص الخوارج والمتمردين ، اسكندر الزمان مولى الاحسان ، جامع كلمة الايمان ، مملك أصحاب المناجر واليخوت والتيحان قانع الأقطار ، مانع الممالك والأقاليم والأمصار ، بيد الطاعة والبهاء ، وارث الملك ، حامى القبلتين ظل الله فى أرضه ، القائم بسنته وغرضه ، سلطان البسيطة مؤمن الأرض المحيطة ، سيده الملوك والسلاطين قسيم أمير المؤمنين أبو النصر

Luigi di Messer Angiolo della Stufa.

(١٦)

Domanda fatta al Sultano d'Egitto a nome della Signoria de Firenze e del Magnifico Lorenzo de' Medici (italiano)
Amari, I Diplomi Arabi. 74. XLVIII. pp. 374-382.

فايتبى خلد الله تعالى سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه وأعلى على هام
الجوراء مكانه .

بسم الله الرحمن الرحيم

صدرت هذه المكاتبه الى حضرة الملك المجلد الموقر السيدع
الهام الضرعام البطل الباسل ، مجد أهل ملته العادل فى رعيته ،
عظيم أهل مملكته ، صديق الملوك والسلاطين ، وفقه الله تعالى وحدد
مشرقه . موضحة تعلم أن قاصده حضر الى أبوابنا الشريفة وتشل
بموافقتنا المعظمة وأحطنا علما بما على يده ، وشمله نظيرة الرب ،
وعاملناه بمزيد الرعاية وأجبتاه بما سأل عنه من كتابة الفصول المتعلقة
بجماعة الفرقتين وتحارهم ليكون العمل بما رسمنا به والنبأ تشريفا
شريفاً لحضرتنا الشريفة، وعاد من أبوابنا الشريفة بحجور الحاضر على أحسن
الوجوه وسيطا ليعلمكم بذلك ، فالحضرة يطالعنا بأخباره ويتابع تجهيز
قصاده وتجار أهل مملكته الى ثغر الاسكندرية المحروس وغيره من
الموالي الاسلامية الداخلة فى حوزتنا الشريفة بما صسحتهم من
البصائع والمتاجر للبيع والشراء والقياض وترسم بمعاملتهم بالمصلحة
الشريفة فيعلم بذلك ويعتمده والله تعالى الموفق الأكرم .

ان شاء الله تعالى .. فى رابع عشرين ذى الحجة سنة أربع
وتسعين وثمان مائة حسب المرسوم الشريف ، الحمد لله وحده وصلى
الله على من لا نبي بعده حسبنا الله ركن - تم .

حضرة الملك المجلد الموقر السيدع الهام الضرعام البطل الباسل
مجد أهل ملته ، العادل فى رعيته ، عظيم أهل مملكته ، صديق الملوك
والسلاطين وفقه الله تعالى حاكم الافرتين (١٧) .

ملحق رقم (١٨)

الماهدة الشاملة : وهي امتيازات منحها السلطان قايتباي لطائفة
الفرتين ببلاده وهي باللغة العربية بتاريخ ٢٢ من فبراير ١٤٩٦/١٨
ذو القعدة الحرام عام ٩٠٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ضايف الله تعالى نعمه

الجناب العالي الملك قايتباي

الأميرى الكبيرى ، العالمى العادل ، المؤيدى العونى ، الذهيرى
العيائى المهدى الميرى ، الزعيمى المقدمى ، الظهيرى السيفى عن الاسلام
والمسلمين سند الايمان فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، رعيم
الحيوش ، مقدم المساكين مهد الدول ، مشير الممالك عون الأمة كهف
الملة ، ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين وما زال مشكور
الاهتمام موصوف المحاسن بين الأنام .

صدرت هذه المكاتبة الى جناب العالي يهدى اليه السلام وانشاء
العام وتوضح بعلمه المتباز أنه جماعة مشايخ الفرتين ودوجهم جهروا
قاصدا الى أبوابنا الشريفة ، وعلى يده قصة لمواقفنا المعظمة ، وأهوا
فيها أنه كان من أيام الملوك السابقين كانت قناصلهم وتجارهم يترددون
الى الثغور الاسلامية لأجل البيع والشراء كمثل طائفة البنادقة وأنهم
اختاروا العودة الى الثغور الاسلامية كما كانوا عليه ، وسألوا صداقتنا
الشريفة فى الإذن لهم فى ذلك وكتابة شروط لهم على جارى العادة
ليكونوا تحت النظر الشرف والذمام المنيف ، فأجابتهم صداقتنا الشريفة
الى ما سألوه من ذلك وبرزت مراسنا الشريفة بالأذن لهم فى تجهيز

قناصلهم وتجارهم ومراكبهم الى الثغور الاسلامية المحروسة، ورسمنا بكتابة شروط لهم على حكم شروط طائفة البنادقة الآتى ذكرها فيه .

فصل (١) ان تجرى طائفة الفرستين المذكورة على حكم شروط البنادقة القديمة وأن يمنح من يتعرض اليهم فى بضائعهم ومتاجرهم وأموالهم ومراكبهم وبحريتهم باليد العادية ، وألا يلزموا بموجب عن بضائعهم الا على حكم ما تشهد به الصرائب الديوانية المحلدة بالدواوين المعمورة السلطانية من أيام الملوك السابقين سقى الله تعالى عهدهم من أحداث حادث ولا تجديد مظلمة فالجناب العالى يتقدم بمنع من يتعرض لطائفة الفرستين المذكورين فى بضائعهم وأموالهم ومتاجرهم ومراكبهم وبحريتهم باليد العادية ولا يلزموا بموجب عن بضائعهم مكرر ...

فصل (٢) ذكر من شروط البنادقة أنه لدا وقعت مبايعة من تجار المسلمين فى أصناف البهار لطائفة البنادقة يكون المعاقدة بينهم بالعدل فان بعض المذكورين يمتنع عن التسليم للبهار بعد المعاقدة وقبض العربون فالجناب العالى يتقدم باجراء طائفة الفرستين المذكورين على حكم الشروط المذكورة ومنع من يقصد ذلك ، وأن يكتب بين المتابعين من المسلمين والفرستين معاهدة شرعية بالعدل عند صدور البيع وقبض العربون عملا بما تقتضيه الشريعة المطهرة .

فصل (٣) ذكر فى شروط البنادقة ان تجار المسلمين يتعاونون من تجار البنادقة أصنافا من متاجرهم من جوخ وأصواف وغير ذلك ويتسلم المشتري الأصناف ويحزنها تحت يده ومنهم من يسافر بها شرقا وغربا لا يحد من يشترها منه ويرجع ويردها على الذى اشترها منه بغير مستند شرعى ويلزمه بالثمن ، فبردت المراسيم الشريفة من الملوك السالفين بأنه اذا أوقعت مبايعة بين المسلمين والبنادقة فليشهد فيها بالعدل ومنع من يقصد الرد الشرعى فالجناب العالى يتقدم

باجراء طائفة الفرقتين المذكورين في ذلك على حكم الشروط المذكورة
ومنع من يقصد الرد بغير طريق شرعى .

فصل (٤) ان من تجار المسلمين من يقع بينه وبين تجار البنادقة
مقايضة في صنف البهار وان العادة تميز سعر الأصناف في المقايضة
عن النقد ، فعندما تقع المقايضة بما يقع عليه الاتفاق ولا يبقى الا التسليم
يتمتع المسلم عن التسليم ويقصد فقد ثمن البهار بالنقد على حكم
ما يميز السعر في القياض فبرزت المراسيم الشريفة من الملوك انسالة
بمنع من ينكث منهما على الآخر وان يشهد بينهما بالعدول عنسند
حدود المقايضة وعقد البيع على الوجه الشرعى وان كلا منهما قاعد
على ذلك ورضى به فالجناب العالي يتقدم باجسراء طائفة الفرقتين
المذكورين على ذلك كله .

فصل (٥) ان من شروط البادقة أنه اذا وقعت محاكمة أو محاسبة
أو دعوى بمال أو غيره من مسلم على نندقى أو على مسلم من نندقى
تكون المحاكمة مرفوعة الى الأبواب الشريفة ان كنا بالأبواب الشريفة
أو الى النائب والحاجب أو المباشرين بالشرع والا يحكم بينهما غير
المشار اليهم فرسم لهم باجرائهم في ذلك على العادة والشروط القديمة
ومنع من يقصد الحكم بينهم غير المشار اليهم الا بمقتضى الشرع
اشريف .

فصل (٦) ان من شروط البادقة انهم لما يحضرون الى الشر
المحروس وغيره من الممالك الاسلامية ويقومون بما يتعين عليهم من
الموجب والمشر السلطاني فيقصدون خروج بضائهم وقماشهم فلم
يسكتوا من ذلك ويحصل لهم بذلك الضرر وتؤخذ بضائهم وقماشهم
باليد العادية ولا يصرف لهم الثمن عنها وتقوم البضائع بالشر والحمس
أزيد من القيمة وتؤخذ منهم الموجب على حكم الزيادة ويحصل لهم
بذلك الضرر فرسم لهم بذلك بالا يؤخذ شيء الا برضاهم وان

يعتمد الحق في التقويم وغيره وإذا ما خافوا على بضائعهم من الموجب والشر فلا يعوق عليهم ولا يلزموا بالبيع قبل خروج البضاعة ومنع من يتعرض اليهم بغير مستند عملا على ما جرت به العوائد وما تضمنته الشروط المشار اليها فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرقتين في ذلك على جاري عادة شروط البنادقة المذكورة .

فصل (٧) ان العادة في الشروط القديمة من الملوك السابقين
ألا يؤخذ من البنادقة الموجب على البضائع الا عند وصولها الى الثغر المحروس ، وأنهم لم يعاملوا بذلك ويؤخذ منهم الموجب قبل وصول البضائع وإذا كان للتاجر منهم قرض على الديوان لا يعاسبونه بقرضه من الموجب فرسم لهم بأجرائهم في ذلك على العادة وما تضمنته الشروط القديمة ولا يؤخذ منهم موجب قبل وصول البضائع حملا على العادة وما تضمنته الشروط المشار اليها ، وإذا كان لأحد منهم قرض على الديوان الشريف فليحاسب بما له من القرض من عرض وما يتوجب عليه فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرقتين المذكورين في ذلك كله عملا بالشروط المذكورة .

فصل (٨) ذكر أن من العادة في الشروط القديمة من الملوك السابقين أنه إذا هلك أحد من طائفة البنادقة لا يتعرض أحد من المسلمين الى موجوده ، بل يكون جميع ما يخلفه تحت يد القنصل أو رفقة من التجار ، وأنه ثم من يتعرض لموجود من يهلك منهم فرسم له يمنع من يتعرض لموجود من يهلك منهم ، وأن يتولى أمر الهالك القنصل أو رفقة حملا على جاري العادة وما تضمنته الشروط المشار اليها فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرقتين في ذلك على جاري العادة عملا على ما تضمنته شروط البنادقة المذكورين ، ومن هلك من طائفة الفرقتين المذكورين يتولى أمره القنصل أو رفقة ومنع التعرض لموجود الهالك على جاري العادة في ذلك .

فصل (٩) ذكر أن من شروط البنادقة أن ثم من يلزمهم عند
حصورهم الى الممالك الاسلامية بالشر المحروس والمملكة الشامية
المحرومة وغيرها بالقطاع ألا يبيعوا ولا يشتروا الى أن يقطعوا السعر
في البهار ويرمى عليه بالقضب فيحصل لهم في الصرر والعمامة عن
مصلحتهم وسعرهم . فرسم لهم بالآ يلزموا بما فيه ضرر عليهم من
ذلك ولا غيره وأن يحصل الأمر في ذلك على ما جرت به العوائد
وما تضمنته الشروط القديمة ، فالجناب العالي يتقدم بإجراء طائفة
الفرقتين المذكورين فيما هو ضرر عليهم حملا في ذلك على جاري
العادة والشروط المذكورة .

فصل (١٠) ذكر في شروط البنادقة ان لهم معاملات ويحصل
بينهم وبين تجار المسلمين اختلاف، ثم من يشكواهم من الأبواب الشريعة
ومن ولاية فيلزموا بالحصور فيحصل لهم الغرامة والمشقة ولا يحصروا
غرماءهم ، فرسم لهم بأنه اذا وقعت شكوى على أحد منهم لا يحصل
الا بعد ثبوت الحق وامتنع عن القيام به، أما الجناب العالي فيتقدم بإجراء
طائفة الفرقتين المذكورين في ذلك على جاري العادة المذكورة وأنه
اذا وقعت شكوى على أحد من الفرقتين لا يحصل الا بعد ثبوت الحق
وامتنع عن القيام به على حكم الشروط المذكورة .

فصل (١١) ذكر في شروط البنادقة ان ثمة أغربة تراكمين وغير
تراكمين يتقصدون لقطع الطريق ويخرجون من الثغور ويقطعون عليهم
الطريق في البحر وينهبون ما مع البنادقة من المال والقماش وغير ذلك
فرسم لهم بمنع المذكورين للتعرض لتجار البنادقة وطائفتهم ومن وجد
من التركمان المذكورين وغيرهم ممن يعتمد ذلك فليمسك وليحضر الى
الأبواب الشريفة ليقابل بما يستحقه من بين يدي المواقف الشريفة
فالجناب العالي يتقدم بإجراء طائفة الفرقتين المذكورين على جاري
العادة في ذلك ومنع من يتعرض لهم من التركمان وغيرهم من التعرض

للتجار الفرقتين المذكورين ومن وجد من التركمان المذكورين ممن
يعتمد على ذلك فليمسك وليحضر الى الأبواب الشريفة ليقابل
بما يستحقه لدى المواقف الشريفة .

فصل (١٢) ذكر أن من الجارى فى شروط البنادقة من أيام الملوك
السالفين ألا يؤخذ تاجر عن تاجر ولا يلزم بشيء ما لم يكن ضامنا
أو كفلا وأنه من يتعرض للتجار المذكورين يلزم بعضهم ببعض
عن غير ضمان ولا كفالة ، فرسم لهم ألا يؤخذ تاجر بتاجر ولا يلزم
عنه بشيء الا اذا كان ضامنا له أو كافلا عملا بما تضمنته الشروط
المشار اليها ، فالجناب العالى يتقدم بإجراء طائفة الفرقتين المذكورين فى
ذلك على جارى عادة البنادقة المذكورين بالا يلزم تاجر عن تاجر
ما لم يكن ضامنا أو كفلا عملا بشروط البنادقة المذكورين .

فصل (١٣) ذكر أن ثم من طوائف الفرج من يكون معه فى
الغراب ممن يتحرم أو يقطع الطريق أو البحر ويأسر المسلمين ويحضرهم
الى الثغور والسواحل ويقصدون بيعهم فيتعرض المسلمون لتجار
البنادقة بابتياح الأسرى وان لم يكن الحرامية من جنسهم فرسم
لهم بأنهم اذا كان المعتدى من طوائف البنادقة فيلزمهم به حملا على
ما تضمنته الشروط القديمة المذكورة ويحرم التعرض لتجار الفرقتين
فى أمر مشتري الأسرى ما لم يكن الحرامية من جنسهم حملا على
ما تضمنته شروط البنادقة المشار اليها .

فصل (١٤) سأل قاصد الفرقتين المذكورين أنه اذا كان لهم
حقوق شرعية فى جهة أقوام تعلقت فى خلاصها ممن يتعين فى حجة ،
فالجناب العالى يتقدم انه اذا كان لأحد من تحار الفرقتين حقوق
شرعية يخلص ذلك ممن يتعين به فى حجة على ما تقتضيه الشريعة
المطهرة والعدل الشريف .

فصل (١٥) ذكر أن تجار البنادقة لا يرحلون مسافرين من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان ومن مملكة إلى مملكة ولا بد لهم من زاد ومطعم ومشروب وأهم ثم أول من يتعرض لهم ويقطع مصانعهم ويمسحهم من ذلك فرسم لهم بتمكينهم من ذلك ومن زادهم وماكولهم ومشروبهم بحسب ما يكون معهم ومصح من يتعرض إليهم في ذلك أو يقطع مصانعهم حملاً على ما جرت به العادة وما تضمنته الشروط القديمة من الملوك السابقين الظاهر ببرس والمنصور قلاوون والناصر محمد والناصر حسن وأخوته والأشراف شمعان سقى الله تعالى عهدهم صوب الرحمة والرضوان ، فالتجارب العالي يتقدم بأجراء طائفة الترتيبين في الزاد والمشروب والماكول على جرى العادة المذكورة ومنع من يتعرض لهم في ذلك وتمكينهم من ذلك على حكم الشروط المشار إليها .

فصل (١٦) ذكر أن في شروط البنادقة أن جماعة السامرة شفر الاسكندرية المحروس أدال منهم جماعة من المعلمين كبار ضمان جهة السامرة وفيهم جماعة فرادية وأن المعلمين الكبار أدال يتعرضون إلى السامرة الفرادية وينموهم من البيع والشراء وحصل لهم ذلك للصرر فرسم لهم بأنه من كان سمساراً لا يمنع من البيع والشراء وأن المعلمين يأخذون في معلومهم على ما جرت به العادة فالتجارب العالي يتقدم بأجراء في ذلك على جرى العادة المذكورة .

فصل (١٧) ذكر أن من شروط البنادقة أنه إذا صدرت معاهدة بيع بين المسلمين والبنادقة في ديوان القبان ويشهد فيها شهود عدول ولا تفسخ الية إلا برضا البتاعين وإذا اشترى التاجر المسلم شيئاً من البنادقة فليؤمر بالتقليب والمعاينة الشرعية قبل خروج البضاعة من مخازنهم وفندقهم وكذلك الفرنج إذا اشترى شيئاً من البضاعة من المسلمين فليقبلوا ويأينوا المعاينة الشرعية قبل إخراجها من مخزن التاجر المسلم أو فندقه بحيث لا يقع في ذلك خلف ولا فكس ، فرسم لهم

أن يعتمد ذلك ويعمل به ، فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرستين
في ذلك على جرى العادة المذكورة مع طائفة البادقة .

فصل (١٨) ذكر أن من شروط البنادقة ان العادة أن العربلين اذا

غربلوا لأحد بهارا يأخذون أجرهم بالكامل، وادام لم يغربلوا ووقع العبار
هباتفاق من غير أن يعتمد ذلك يعمل به فالجناب العالي يتقدم بأجراء
طائفة الفرستين على جرى العادة المذكورة ويعمل به .

فصل (١٩) ذكر أن من شروط البنادقة انه اذا دخلوا بأصنافهم

الى الثمر المحروس وخرجوا بالأصناف التي يتاعوها تحضر اليهم ضمان
الجمال ويأخذون منهم الأجرة بالكامل ثم يحضرون حسارة (مكارين)
وغيرهم يعملون ما معهم من الأصناف في الدخول والخروج ، ويقول
لهم أصحاب الجمال أعطوا العمارة أجرهم وهاتوا أجرة الجمال فستصير
الأجرة مثلين ويحصل لهم بذلك الضرر فرسم لهم أن الجمالة لا يأخذون
من الفرنج شيئا الا ان شالوا لهم فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة
الفرستين المذكورين في ذلك على العادة المذكورة أو لا يؤخذوا الجمالة
من الفرنج الفرستين المذكورين الا ان شالوا لهم .

فصل (٢٠) ذكر في شرط البنادقة أن مرشدى البحر عند حضور

القطائع يشوشون على الفرنج البادقة وعلى جميع من بمراكبهم
ويعوقهم من غير سبب ولا دين شرعى ولا أمر النائب ، وأنه يحصل
لهم بذلك الضرر فرسم بأن أحدا لا يشوش عليهم ولا يعوقهم
ولا يقف في طريقهم الا اذا كان عليهم دين شرعى أو بلر النائب في
ذلك فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرستين المذكورين على عادة
الشروط المذكورة بأن أحدا لا يشوش عليهم ولا يعوقهم ولا على من
بمراكبهم ولا يقف في طريقهم الا ان كان عليهم دين شرعى أو بأمر
الجناب العالي عملا بشروط البنادقة في ذلك .

فصل (٢١) ان مما جرت به عادة البنادقة انه اذا وصل شختور

أو مركب فيه مشروب للبنادقة الجارى به عادتهم يكون الناظر رسم على كل خمسين بنية وما فوقها بنية واحدة وانه جدد الناظر عليهم عادة وهو انه اذا حضر اليهم شخونر فيها عشر بنائى أو خمس عشرة بنية يؤخذ من ذلك بنيه نظير ما كان يؤخذ على الخمسين فرسم لهم أن الناظر لا يأخذ منهم بنية الا من خمسين فما فوقها على جارى العادة وان كان دون الخمسين فلا يأخذ شيئا ، فالحجاب العالى يتقدم بأجراء مدائة الثرتين على جارى العادة المذكورة ولا يأخذ منهم الناظر الا على كل خمسين بنية واحدة وان كان دون الخمسين فلا يأخذ شيئا على جارى عادة البادقة .

فصل (٢٢) ذكر أن من شروط البنادقة أن ثم من الخاصة والممالك السلطانية والبريدية الذين يحضرون الى ثغر الاسكندرية ومن يشوش على طائفة البنادقة ويسجنهم ويهينهم ويضربهم قصدا لقطع مصالحهم بغير مستند ولا طريق فرسم لهم بمنع المذكورين من التعرض اليهم الا بطريق أو مرسوم شريف وكذلك لا يسجنهم السائب ولا يضربهم ولا يمكن أحدا من التشويش عليهم ولا من معارصتهم الا بمستند شرعى أو بمرسوم شريف وادا طلب أحد من البنادقة الحضور الى الأبواب الشرفية لا يمنع ولا يعوق عليهم الأبواب بل يمكن من ذلك بدون تعويق فالحجاب العالى يتقدم بأجراء جماعة الثرتين المذكورين الا بمستند شرعى أو بمرسوم شريف ومن طلب منهم الحضور الى الأبواب الشرفية يمكن ولا يعوق على حكم شروط البنادقة المذكورين .

فصل (٢٣) ذكر فى شروط البنادقة أنهم سألوا أن يمكنوا من ركوب الحمير بالثغر المحروس فرسم لهم بذلك بحكم أن يكون لهم عادة بذلك فالحجاب العالى يتقدم فيمكن طائفة الثرتين المذكورين من ركوب الحمير بالثغر المحروس على جارى عادة البنادقة ان كان لهم عادة بذلك .

فصل (٢٤) ذكر أن من شروط البنادقة انه اذا تسلم التاجر

الفرنجي بهارا لبيعه ويتسلم التاجر المسلم بضاعته بعد الاتفاق بينهما على أيام معلومة يكتب به ديوان العيان وهي من رבות طيب وعسل سحل وصابون وبندق وقلب لوز وغير ذلك من سائر البضائع والأصناف فاذا امتنع التاجر المسلم عن تسليم بضاعته بعد وزن البهار العوض ومضت أيام الاتفاق بينهما فتورن بضاعة التاجر المسلم بحضرة شاهدي عدل وتخرج من الديوان أو من المحازنة وتصدر على دمة التاجر المسلم فرسم لهم بذلك ، فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرنجيين المذكورين على حكم الشروط التي للبنادقة المذكورة .

فصل (٢٥) ذكر أن من شروط البنادقة أن البضائع التي يقومون

بعشورها هي بالعمس ، واذا انفصل ناظر الحواص الشرفنة وهوض نظر الحاص بميرة فلا يقومون الا بعشورها ولا يطالبون بذلك ثانيا - فرسم لهم بذلك فالجناب العالي يتقدم بأجراء طائفة الفرنجيين المذكورين على حكم الشروط المذكورة في ذلك .

فصل (٢٦) ذكر أن من شروط البنادقة أنهم اذا أقاموا بالترجمة

لمن هو مستقر في الترجمة فلا يطالبون بترجمة ثانية ولو كانت البضاعة المبيعة مقيمة بالشر ولو أخرج التاجر الفرنجي بهار العوض فلا يطالب بترجمة ثانية فرسم لهم بذلك حيث أن التاجر الفرنجي أقام بالترجمة أولا للترجمان المنفصل من الترجمة ، فالجناب العالي يتقدم بأجراء تجار الفرنجيين المذكورين على حكم شروط البنادقة المذكورين في ذلك .

فصل (٢٧) ان عادة تجار البنادقة أن يبيعوا بضائعهم بظاهر الشر

المحروس وداخل الشر المحروس وسألوا تجار البنادقة أن يبيعوا في ذلك على جاری عادتهم فرسم لهم بذلك فالجناب العالي يتقدم بأجراء تجار الفرنجيين في ذلك على عادة البنادقة المذكورين وأحابتهم لذلك .

فصل (٢٨) ذكر من شروط البنادقة ان التاجر الغرضي اذا خرج
من باب البحر بالشر المحروس الامكندي بقصد السفر وصحبته مرسه
وهديته مثل ازر ويص وسكر وشراب وغير ذلك مما هو للاكل
ولا يوزنه على ذلك الدرهم الفود ، فرسم لهم بذلك فالحجاب العالي
يتقدم باجراء طائفة جماعة المرتين المذكورين على حكم شروط
البنادقة في ذلك .

فصل (٢٩) ذكر أن من شروط البنادقة أن الناظر بالشر المحروس
لا يأخذ على المكررات الداخلة اليهم الى الشر المحروس الا على
كل خمسين مكررا - مكررة واحدة من غير زيادة على ذلك على
حكم ما بأيديهم من الأمثلة الشريعة ، فرسم لهم باجرائهم على جاري
عادتهم المستمرة الحكم في آخر وقت من غير أحداث حادث ، فالحجاب
العالي يتقدم باجراء جماعة تجار المرتين المذكورين على جاري عادة
لبنادقة في ذلك المستمرة الحكم الى آخر وقت من غير أحداث حادث .

فصل (٣٠) ذكر أن من شروط البنادقة ان جرت عادتهم أن
يخرجوا بهارهم من داخل الشر المحروس الى ظاهر الشر من جهة
البحر المالح في وسط السنة ولا يسوق عليهم بهارهم المذكور ، وسألوا
ابنادقة ان يسكنوا من اخراج بهارهم الى ظاهر الشر المحروس في
وسط السنة لا يسوق عليهم اجراء على جاري عادتهم فرسم لهم بذلك
اجراء على عادتهم المستمرة الحكم الى آخر وقت فالحجاب العالي يتقدم
باجراء طائفة المرتين المذكورين على جاري عادة البنادقة المذكورة
من اخراج بهارهم من جهة البحر المالح في وسط السنة على جاري
العادة .

فصل (٣١) سأل القاصد المذكور انه اذا أورد أحد طائفتهم من
التجار الى الشر السكندري وغيره بالمملكة الشريفة ببصائح وأقام بما
على البضاعة من الموجب واختار تحويلها الى حاصله يمكن من ذلك

ولا يعارض أحد في ذلك ويبيع لمن يختار وانه اذا تموا البضاعة لا تمن الا بسعر ذلك الوقت في البندر ، واذا قصدوا أخذ موجب زائده لا يمكنوا من ذلك وأن يؤخذ الموجب من كل صنف بقدره فرسم لهم بذلك ، فالجناب العالي يتقدم باعتماد ما رسمنا من ذلك

فصل (٣٢) سأل قاصد الثرتين المذكور للصدقات الشريفة انه

اذا باع تاجر فرنجي الى تاجر مسلم وكان التاجر المسلم قد أخذ البضاعة بالدين الى القاهرة وقصد الفرنجي ومعه البضاعة محضر صاحب البضاعة الأول وادعى أنها بضاعته لا تسمع دعواه عليه بذلك، لأن الملك لمن هو بيده وان أحدا لا يعارض تاجرا افرنجيا من المذكورين ولا يشوش عليه ولا يبلعه لا من حاصكى ولا من بربرى ولا من شوكة من غير حق الا برسوم شريف واذا حصل لهم مظلمة بغير حق وبغير مرسوم شريف وقصد الحضور الى الأبواب الشريفة يمكن من ذلك ولا يعوق لحلاص حقه فرسم لهم بذلك فالجناب العالي يتقدم باعتماد ما رسمناه من ذلك .

فصل (٣٣) سأل القاصد المذكور للصدقات الشريفة انه اذا قصد

قنصهم الحضور الى الأبواب الشريفة لظلم حصل عليه في البندر أو لأحد من تحاره أو وردت عليه كتب من بلاده لعمل مصالحهم يمكن من الحضور الى الأبواب الشريفة فرسم لهم بذلك فالجناب العالي يتقدم باعتماد ما رسمناه به من ذلك .

فصل (٣٤) سأل القاصد المذكور انه اذا أحضرت مراكبهم

وقطائهم وأحضر معهم ذهبا نقدا لأجل الشراء والمصروف وقصدوا اخراجه في معاملة مقاضا الشريف يخرج كمثل ذهب البنادقة على أوزانه وعياره الطيب فلن التاجر ما يقدر يحصل ضرب ذهب البنادقة ولا لهم حيلة غير ضرب بلدهم وان الذهب المذكور يسكون طيب العيار والوزن فرسم لهم بذلك فالجناب العالي يتقدم باعتماد ما يكون الذهب طيبا وازنا كامل العيار .

فصل (٣٥) سأل القاصد المذكور للصدقات الشريفة أنه إذا حضر قنصلهم وتجارهم الى الثغر المحروس يمين لهم فندق ينزلون فيه على العادة في ذلك مرسوم لهم بذلك الجنب العالي يتقدم بأنه إذا حضر القنصل المذكور وتجارهم يمين لهم الجنب العالي فندقا ينزلون فيه على العادة في ذلك مع الوصية بهم وكف أسباب الأذى والضرر عنهم ومسط الممدلة الشريفة فيهم والاحسان اليهم ويستمر هذا المرسوم الشريف بيدهم بعد العمل به قولاً واحداً وأمرأ حارماً والمراسيم الشريفة تؤكد عليه في ذلك غاية التأكيد تحيط علمه بذلك والله الموفق الأكرم .

ان شاء الله تعالى

في سابع عشر من جمادى الآخرة احدى وتسعمائة

حسب المرسوم الأصلي

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد النبي (١٨) .

(22 Feb. 1496)

ملحق رقم (١٩)

خطاب السلطان قايتباي الى حاكم فلورنسا بمنح رعاياه وتجاره في بلاده امتيازات خاصة بالتجارة ، وصورة الخطاب لنائب الاسكندرية والشام لرعاية هذه الطائفة

السلطان الأعظم المالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المحاهد المناظر المرباط المطهر ، سيف الدولة والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قانع الخوارج والمتسردين ، اسكندر الرمان ، مولى الاحسان جامع

كلمة الايمان ، ملك اصحاب المناير والتخوت والتيجان ، فاتح الأقطار
مانح الممالك والأقاليم والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة الكفار ، وارث
الملك سلطان العرب والمجمل والترك ، خادم الحرمين الشريفين مسلك
سبل القبلتين ظل الله في أرضه القاييم بمنته وفرضه ، سلطان البسيطة
مؤمن الأرض المحيطة ، سيد الملوك والسلطين قسيم أمير المؤمنين
أبو النصر قايتباي حلد الله تعالى سلطانه ونصر جيوشه وأحزابه
وخدمته وأعوانه .

بسم الله الرحمن الرحيم

لعلم حضرة المشايخ المجلين

الموقرين العارفين الأبطال، مجد أهل ملتهم كبراء طائفتهم اختيار
الملوك والسلطين وفقهم الله تعالى، أن قصادهم حضروا الى أبوابنا
الشريفة وأحطنا لهم علما وأجبناهم الى ما سألوا فيه كتابة مراسم
شريفة تتضمن شروط انه تجهزوا قنصلنا من طائفتهم يقيم بالثغر
الاسكندري المعروس وان تحصر تجارهم الى الثغر الاسكندري
المعروس بتجارهم وبضائعهم للبيع والشراء على عادة النادقة ورسنا
بالكتابة الى الثغر الاسكندري والى الشام المعروس أعلمنا بذلك
ورسنا باعادة قصادهم فعادوا على أحسن الوجوه ورسنا بتجهيز
المجلس السامي الخواصكى الشمسى بن محفوظ أحد أعيان التجار
وصحتهم بما جهز معهم على سبيل الهدية من خدمة مقامنا الشريف
وكتبنا الى حضرة المحتشم دوق الفرنتين بأعلاء مينة فيقدموا بالاقبال
على الخواجا بن محفوظ ومما ملكه بالاكرام والاحترام وتجهزوا قنصلا
من الفرنتين الى الثغر الاسكندري المعروس يقيم به على عادة قنصل
البندقية ويطيئوا خواطر تجارهم ويأمروهم بالخصور الى الثغر
الاسكندري ببضائعهم ومتاجرهم للبيع والشراء والقياض على عادة

البندقة ويكونوا آمنين مطمئنين فتعلموا بذلك تعلموا به والله تعالى
الموفق الأكرم .

ان شاء الله تعالى .

في عاشر من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعمائة
حسب المرسوم الشريف والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي
بعده حسبنا الله وكن - تم .
حضرة المشايخ الموقرين والمجلى العارفين الأبطال المحترمين مجد
أهل ملتهم كبراء طائفتهم اختيار الملوك والسلطين وفقهم الله تعالى .
مشايخ طائفة الفرنج المرتين (١٩) .

ملحق رقم (٢٠)

مرسوم سلطاني صادر من السلطان قنصوة القورى لجميع عماله
ونوابه وموظفى الدولة فى الاسكندرية وجميع بلاد السلطان بتنفيذ
ما تضمنه هذا المرسوم لطائفة المرتين الوافدين لبلاد السلطان وتأييد
ما منح لهم من امتيازات سابقة وهو بتاريخ ١٨ من ذو القعدة ١٢٩١/١٢
من ابريل ١٥٠٩ م .

مرسوم شريف .

الى كل واقف عليه وناظر اليه من الجنابات الصالية والمجالس
المسامية النواب والحجاب والمباشرين والنظار والمتكلمين وأرباب
الادراك وأصحاب الوظائف بالشر الاسكندري المحروس وغيره من

(26 Feb. 1496)

Annuaire, I Diplômes Arabes, XLII, pp. 210, 213 & p. 443.

(١٩)

مكتوبة باللغة العربية

الثغور الإسلامية والسواحل بممالكنا الشريفة ضاعف الله تعالى نعمة الجنبات العالية وأعز المجالس السامية يتضمن اعلامهم .

١ - قد برزت مراسمنا الشريفة لطائفة الفرقتين من الاقربج بالامان والاطمئنان والأخذ والعطاء والبيع والشراء وأن يحضروا الى الثغر الاسكندري المحروس والى غيره من الثغور الإسلامية والى السواحل بممالكنا الشريفة يفضائع متجر ولهم الأمان والاطمئنان والبيع والشراء والأخذ والعطاء وعليهم أمان الله تعالى وأماننا الشريف فيتقدم كل واقف عليه من الجبابات والمجالس بالوصية السامة لهم اكرامهم واحترامهم ومعاملتهم بالعدل ومنع من يتعرض لهم بمسوء أو ضرر ولهم عادة التجار من الاقربج وأن يحضروا الى ثغر الاسكندرية ولهم الأمان والاطمئنان فى البيع والشراء والأخذ والعطاء وأنهم يحضرون طيبى القلب منشرحى الصدر آمنين على أنفسهم وأموالهم ومراكبهم وإذا حضروا من غير المراكب لطائفتهم يكون لهم الأمان فى البر والبحر وان يعاملوا بالعدل الشريف ولا يحدث حادث ولا مظلم وألا يوزنوا الا أسوة بالتجار البنادقة وغيرهم من تجار الاقربج الذين يحضرون الى الثغر الاسكندري فى البحر وذلك على حكم ما يدهم من المراسيم الشريفة فى أيام الملك الأشرف العبد الشهيد فاينبأى متى الله هذه صوب الرحمة والرضوان على يد قاصدهم الوزير « دالستوقا » مع الوصية لهم ومنع من يتعرض لهم بمسوء أو ضرر .

٢ - من هلك منهم عن وصية فليعمل بها من غير أن يتعرض أحد لوصيته .

٣ - إذا انكسر مركب من مراكب الفرقتين بممالكنا الشريفة فلا أحد يتعرض الى البضاعة ولا الى أى شىء منهم سوى السلاح على ما جرت به العادة من تقادم المنين .

٤ - إذا حضر بلادهم قنصل فلا أحد يحكم بين طائفة الفرقتين
الا القنصل يتعامل قولاً واحداً وأمرًا حازماً ومراسمنا الشريفة تؤكد
عليهم في ذلك غاية التأكيد فيحيط علمهم بذلك والله تعالى الموفق
بمنه وكرمه .

ان شاء الله تعالى .

في ثامن عشر في القعدة الحرام سنة احدى عشر وتسعمائة .

حسب المرسوم الشريف والحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم (٢٠) .

ملحق رقم (٢١)

هذا الخطاب موجه من حاكم فلورنسا الى السلطان الأفخم
قائمه الغوري بشأن الهدايا المرسلة مع سفيره تفرى بردي عام
١٥٠٧ وهو في طريقه الى أوروبا وتقديه مقترحات جديدة من سيده
السلطان بامتيازات أخرى لتجار الفرقتين في بلاد السلطان .

السيد السلطان الأفخم .

حيث ان الأفخم سفيركم تفرى بردي ترجمانكم الموجود بالبندقية
الآن قد أظهر عواطفه الطيبة نحونا وعرض من جانبه الأمان والمعاملة
الحسنة لكل تجارنا الذين يذهبون للمتاجرة ببلاد عظمتكم فانا نقدم
الشكر لهذا الكرم العظيم وان كل ما يسكن أن يخطر على البال من
عبارات الشكر تنفي بالواقع ووطن أن فخامتكم تقدررون أننا نشمر به
وبأمانته وقد قلنا الهدية التي أرسلت لنا على يد سفيركم تفرى

بردى وحملناه الشكر العظيم لكم وامتناننا لكم واعمالكم الدين
سيمنحون الأمان والتسهيل والثقة ولا شك أننا حصلنا على امتيازات
مثل هذه في أى وقت مضى لمواطنينا في بلدكم (٢١) .

ملحق رقم (٢٢)

مرسوم موجه لجماعة الفرثيين ولتجارهم في بلاد السلطان
باعفاهات وامتيازات جديدة وصورة المرسوم لعمال وقواب السلطان
لمراعاة تجار هذه الطائفة في بلاده بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة ٩١٣ هـ
٢٩ أكتوبر ١٥٠٧ م .

مرسوم شريف أن يتقدم كل واقف عليه من جماعة الفرثيين
وفقههم الله تعالى باعتماد ما تصمته هذا المرسوم الشريف والعمل به
على ما شرح فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم بالأمر الشريف العالي المولوى قانصوه الغورى السلطان
الملكى الأشرفى السيفى أعلاه الله تعالى وشره وأنفذه وصرفه ان
يسطر هذا المرسوم الشريف الى كل واقف عليه من جماعه الفرثيين
وفقههم الله تعالى بعلمهم أن المجلس السامى الأميرى الترجمان الكبير
المقصدى الذخيرى الأوحدى الأكمل السيفى تفرى بردى الترجمان
القاصد أدام الله سعده حضر الى خدمة أبوابنا الشريفة وذكر لنا أنه
جهر اليكم اماتا شريفا لا يحصل معه تشويش على أحد فقد أحاطت

Amarî, I Diplomi Arabi, XLIX (1507).

(٢١)

Bo La Signoria di Firenze, al Sultano d'Egitto ringraziamento pel fa-
vori commerciali promessi dall'ambasciatore Tangaberdi (Italiano 1507 —
15 April).
(Nell'archivio Fiorentino, Signori Corteggio, vassine, registro I. Cancell-
leria(No. 54 fog 181 recto.)

مكتوبة باللغة العربية

علومنا الشريفة بذلك وهو قاضي عن مقامنا الشريف ورسنا لكم أن
تحضروا الى موانينا الشريفة بالبحر الاسكندري وقرر دمياط وبرلس
ورشيد وسائر الموانى الداخلة فى حوزتنا الشريفة وتيسموا وتشتروا
أسوة ببقية التجار وعليكم الأمان من الله تعالى وأمان رسوله صلى الله
عليه وسلم وأماننا الشريف ورسنا بمنع من يتعرض لكم بأذية أو ضرر
أو تشويش ولا يطالب الأب عن ابنه ولا الأخ عن أخيه الا بمستند من
البحر الاسكندري أو فى ثغر من ثغور الاسلام بمستند شرعى - فيقدموا
باعتماد ما رسنا به من ذلك على الحكم الشروح أعلاه ويحضروا
الى ثغور مملكتنا الشريفة طيبى القلب منشرحي الصدر آمنين على
أنفسكم وأموالكم لا يمسهم ضرر ولا سوء فيتعلموا ذلك ويعتمدوه
والله الموفق به وكرمه ان شاء الله تعالى - فى ثمانى عشرين
من شهر جمادى الآخرة المبارك سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٢٢ جمادى
الآخرة ٩١٣ هـ) .

حسب المرسوم للشريف الحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نعم الوكيل حسبنا الله تعالى . تم
(٢٢ أكتوبر ١٥٠٧) (٢٢) .

ملحق رقم (٢٣)

أمر من السلطان قانصوه الغورى لتسهيل الأمر على تجار
الفراتيين فى موانئ مصر . الملك الأشرف قانصوه الغورى سلطان
مصر .

أمر بمرسوم بخصوص نفس موضوع موانئ الاسكندرية

ودمياط والبرلس ورشيد نوفمبر ١٥٠٨ هـ - ٩١٤ هـ . أمر من فخامة
السلطان يوجب عمل كل ما هو مذكور بعد لطائفة القلورنسيين .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به السلطان الملك الأشرف السيمى الذى رفعه الله ..
والحمد لله أنه يجب أن تكون أوامر السلطان مطاعة من كل بلاده
- أن الأمير الترجمان « نمرى بردى » عرض علينا كما طلبتم أيها
القلورنسيون باسمنا الأمان والطمانية ولما سمعنا كلماته وما قاله لنا
- أمر بالأمان وأطمان لهم في مواثنا بالاسكندرية ودمياط ورشيد
والبرلس وكل الموانى التابعة لنا ، للبيع والشراء حسب العادة المتبعة من
التجار - وقد ارتضينا أن تكونوا أيها القلورنسيون تحت حماية الله
وحمايتنا الشخصية بهذا المرسوم ونأمل ألا أحد يمترض عليكم
أو يزعمكم أو يضايقكم ولا يثرد الابن بجريرة الأب ولا القريب
بالقريب ولا يطالوكم بأى شيء لأى سبب فى الحال والاستقبال .
ريد منكم أن تشعروا بالعدل فى أراضينا وفى أى بلد توجدوا فيه
- وإذا رغبتم أن تضرروا فى بلادنا فائنا نرضى أن تضرروا تحت
مرسومنا وأماننا السابق وبكل أمان وثقة وأن تكونوا آمنين على
أموالكم وأشخاصكم ولا تخشوا من أى ازعاج أو مصايقة والله هو
الذى يعطى الخير لكل انسان ..

سنة النبى ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م .

(منشور السلطان الى القلورنسيين والى عماله بمراعاة
مصالحهم فى بلاده وهو الذى أصدره السلطان بعد عودة تغرى بردى
الى القاهرة بناء على طلب حاكم فلورنسا) (٢٣) .

(٢٢) مكتوب باللغة العربية

Amari, I Diplomi Arabi, L. p. 388.

82 Nell Archivio, fiorentino atti pubblici Tom X., Tunisia, Nu. 10.
Novembre 1508. DCOCCKIII 91411.

ملحق رقم (٢٤)

مرسوم من السلطان قانسوة الغورى بشأن منح وامتيازات
جديدة لصائفة الفرستين لدى وصولهم لبلاد . وذلك بناء على طلب
سيرهم الى السلطان وهو السيد برنالدو يروشوا Bernardo
Baruzzi ومنحهم موصفا لتجارتهن ومركزا لقنصلهم على مثل
ما لغيرهم من الفرنجة فى بلاد وموانئ السلطان . (١٠ ربيع أول
١٩١٥ هـ - ٥ يوليو ١٩٠٩ م) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه السلطان الأعظم المالك الملك الأشرف السيد
الاجل العالم العادل والمجاهد المؤيد الرابط والمناغر المظفر والمنصور
سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين
مصفى المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك
ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه قانع الأقطار فاتح الممالك
والأمصار اسكندر الزمان مولى الاحسان مملك أصحاب المابر والأسرة
والتحوت ملك البحرين ملك سبيل القبلتين خادم الحرمين الشريفين
سلطان البسيطة مؤمن الأرض المحيطة جامع كلمة الايمان فاشر نواه
العدل والاحسان سيد ملوك الزمان امام المتقين قسيم أمير المؤمنين
أبى النصر قانسوة الغورى خلد الله سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه
وأعلى على همام الحوزاء مكانه ...

صدرت هذه المكاتبة الى حضرة الملك الحليل البطل الباسل
الهام السعيد الغضنفر فخر الله المسيحية وذخر الأمة الصراية عماد
بنى المعمودية صديق الملوك والسلطين وفقه الله تعالى وبقه مصارع
السوء ويحرى له بالسلام فى النفس والمال احكامها يتضمن الأعلام
أن علومنا الشريفة أحاطت بضمون قصته الواردة الى خدمة أيواننا

الشريفه على يد قاصده برالدين يروشوا في معنى ما قصده حصرة
 الملك من عمل موسم بئر الاسكندرية المحروس كمادة غيره من تجار
 الفرنج وانه تجهر تجارا وقصلا يقيم بالشر بالاسكندرية من الجماكية
 وما سأل فيه من بروز أمرنا الشريف يكتب مرسوم شريف بتأمين
 القنصل والتجار عند حضورهم ومصاغة الوصية لهم ومعاملتهم بالعدل
 الشريف والنداء لهم بالأمان الطمان والبيع والشراء والأخذ والعطاء
 على عادة أمثالهم بحيث يكونوا آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم
 وألا يطلب أحد ما لم يكن صامسا أو كفيلا وادا باعوا واشتروا
 وقاموا بما يجب عليهم للدواوين الشريفة وقصدوا وسعروا مايتاعونه
 في مراكبهم أو في مراكب يختارونها وقصدوا العود من حيث أتوا
 فيمكنوا من ذلك ولا يموق عليهم ولا يؤخذ منهم بضاعة غصبا
 الا برضاهم واذا انصاح (انصلح - أو انصاخ) لهم مركب من ربح
 عرست فيمكنوا من رجالهم وبضائعهم أسوة أمثالهم ويساعدتهم
 المتكلمون عن مقامنا الشريف في ذلك اذا هلك واحد منهم عن وصية
 فيعمل بمضمون وصيته وان هلك عن غير وصية وترك موجودا فيسلم
 الموجود للقنصل على الصون الشريفة وعلينا ذلك مفصلا وصار ذلك
 على خواطرننا . وأجينا حضرة الملك الى ما سأل فيه من ذلك وبرز
 أمرنا الشريف بكتاب أمان شريف للقنصل والتجار وما سأل فيه حصرة
 الملك وجهز ذلك اليه ورسمنا للمجلس العالي الأميرى الكبيرى
 المجاهدى المؤيدى النخبرى النصرى الأوحدى الأكملى الأعزى السيفى
 عمدة الملوك والسلاطين تفرى بردى أحد أعيان أمراء العشرات بالديار
 المصرية والترحمان بأبوابا الشريفة ادام الله تعالى سعده بأن يكتب
 الى حضرة الملك بما فيه اطابة خواطر التجار بما سيعلم حضرة الملك
 بأمر تجاره وجماعته بالحضور الى بئر الاسكندرية المحروس للبيع
 والشراء والأخذ والعطاء ولهم الأمان والاطمان على جارى العادة من
 ذلك ومستقر القاعدة من غير ضرر ولا تشویش ، وقد اعدنا اليه

فاصدده بهذا الجواب الشريف فنعلمه باعتصاده والله تعالى الموفق
سبحانه .

ان شاء الله تعالى

في رابع عشر ربيع الأول المبارك سنة خمس عشرة وتسعمائة
حسب المرسوم الشريف .

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم
حبسنا الله ونعم الوكيل . تم . (خطاب السلطان لحاكم فلورنسا) .
حضرة الملك الجليل البطل الباسل الهمام السيد الغضنفر فخر
الأملة المسيحية دخر الأمة النصرانية عماد بني المعمودية صديق الملوك
والسلاطين وفقه الله تعالى صاحب القرنتين (٢٤) .

ملحق رقم (٢٥)

مرسوم صادر من السلطان قانصوه الغوري الى جميع نوابه
وموظفيه وعسائه لمراعاة مصالح القرنتين في بلاده .

الاسم الشريف

مرسوم شريف أن يتقدم كل واقف عليه من النواب والنظار
والحكام والماشرين والمتكلمين وتجار الدخيرة الشريفة وولاية الأمور
شهر الاسكندرية الحروس أميرهم الله تعالى اعتماد ما تضمنه هذا
المرسوم الشريف والعمل على ما شرح فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم بالأمر الشريف العالي المولوي قانصوه

السلطاني الملكي الأشرف السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه
وألقاه وصرفه أن يسطر هذا المرسوم الشريف الى كل واقف عليه

Amari, I Diplomi Arabi. LI - XLIV.
(Ital.) pp. 389 - 390.

من التواب والظهار والحكام والباشرين والمتكلمين وتجار الذخيرة الشريفة وولاية الأمور بشرف الاسكندرية المحروس أيدهم الله تعالى بخدمهم أنه حضر الى خدمة أبوابنا الشريفة قاصدا حضرة الملك الجليل الهمام الضرعام صاحب مرتبتين هو المحتشم المبجل برنالددين يروشوا بما على يده من كتاب مرسله المذكور ذكر فيه أنه يقصد أن يعمل موسما بشرف الاسكندرية المحروس على ما يترتب له من الجامكية أسوة بغيره من القناصلة وسأل صداقتنا الشريفة في أن يبرز مراسمتنا الشريفة يكتب هذا المرسوم الشريف بتأمين القنصل والتجار عند وصولهم الى الشر المحروس للبيع والشراء والأخذ والعطاء ومعاملتهم بمعدلتنا الشريفة ومضاعفة الوصية بهم والنداء اليهم بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء والأخذ والعطاء على عادة أمثالهم بحيث يكونوا آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وألا يطالب أحد منهم عن أحد ما لم يكن ضامنا أو كفيلا وإذا باعوا واشتروا وقاموا بما يجب عليهم للدواوين الشريفة وقصدوا وسق ما يتاعونه من مراكبهم أو بمراكب اختاروا وقصدوا المود من حيث أمروا فيمكنوا من ذلك وألا يؤخذ منهم بضاعة غصبا الا برضاهم ، وإذا التصاح لهم مركب من ربح عرضت لهم فيمكنوا من رجالهم وبضائعهم أسوة أمثالهم . وإذا هلك واحد منهم عن وصية فيعمل بضمون وصيته وإذا هلك من غير وصية وترك موجودا فيسلم موجوده الى قنصلهم ما لم يكن وارثه حاضرا على جارى العادة في ذلك فأحتاه الى ما سأل فيه من ذلك ورسما نكتب هذا المرسوم الشريف للبيع والشراء والأخذ والعطاء على جارى العادة في ذلك ومستقر القاعدة واجهار النداء اليهم بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء والأخذ والعطاء على جارى العادة في ذلك ومستقر القاعدة قولا واحدا وأمرنا حازما ومراسمتنا الشريفة تؤكد في ذلك غاية التأكيد فيحيط ان شاء الله تعالى .

في رابع عشر من ربيع الأول المبارك سنة خمس عشرة وتسعمائة
حسب المرسوم الشريف فالحمد لله وحده وصلى الله على نبيه محمد
وسلم .. تم (٩ يوليو ١٥٠٩) (٢٥) .

(٢٥) مكتوبة باللغة العربية

Ameri, I Diplomi Arabi, XLV-LII.

84 Lo Strasse: Editus Communicato al longotemeni ed altri officiali d'Ale-
xandria sul Commercio de Fiorentini (Arabice p. 226. Ital. p. 391, 392)
pp. 226-229. 9 luglio 1509.

أولا : المراجع العربية

١ - المخطوطات

- ١ - الأسدي محمد بن محمد ٩ هـ / ١٥ م -
كتاب التيسير والاعتبار والتحرير والاختصار فيما يجب من
حسن التدبير والنصيحة والتصرف .
مخطوطة بدار الكتب برقم ٥٤٨٢ تاريخ ج ١ مصورة .
- ٢ - ابن الأثير الجرجي : أبو المحاسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد
٨٧٢ هـ .
تحفة المعانيب وطرفة الفرائد -
مخطوطة بدار الكتب برقم ط ١٣٤٤ .
- ٣ - ابن أبياس : محمد بن أحمد ١٥٢٤ م / ٩٣٣ هـ . -
نشق الأزهار في مجيب الأقطار وهو كتاب خريدة العجائب
وفريدة الطالب - .
مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٣٩ حفرافيا و ٣٣٢٠ أدب .
- ٤ - أبو المحاسن : ابن تقي بردي - حوادث الدهور في مدى الأيام
والشهور . نسخة مصورة بدار الكتب عن الأصل المخطوط
بمستانبول المجلد الأول من الجزء الأول ٢٠٠ ورقة -
مخطوطة برقم ٢٣٩٧ تاريخ .
- ٥ - ابن زنبيل الرمال : أحمد بن زنبيل الرمال المحل - قرن ١٠ هـ . -
آخرة الماليك أو وقعة السلطان سليم خان في فتوح مصر مع
السلطان النوري وطوماتباي .
مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٤ م - ١٢٤ م - ١٢٩ م .
- ٦ - الخالقي :
كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء .
مخطوطة بجامعة القاهرة برقم ٢٤٠٤٥ .

- ٧ - السخاوي ، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد ١٤٢٧/١٤٦٧ م .
 ٩٠٢/٨٣١ هـ . -
 كتاب التبرك المنيوك في مسير السلوك .
 منقولة عن نسخة مخطوطة برقم ٤٠ تاريخ بدار الكتب .
- ٨ - العسقلاني : ابن حجر ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م .
 انباء العمر بانباء العمر .
 مخطوطة بدار الكتب في جزئين برقم ٢٤٧٦ تاريخ .
- ٩ - النبراوي : عبد الرحمن نصر بن محمد -
 نهاية الرتبة في طلب الحسبة .
 مخطوطة بجامعة القاهرة برقم ٢٤٥٠٣ .
- ١٠ - محمد بن سياحي : ٩٩٦ هـ -
 اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك .
 مخطوطة بدار الكتب برقم ١ جغرافيا .

٢ - كتب مطبوعة

- ١ - ابن البيطار : الشيخ ضياء الدين أبي محمد المالقي الأندلسي
٦٤٦ هـ . الجامع لمعردات الأدوية والأغذية - أربعة أجزاء .
القاهرة ١٢٩١ هـ
- ٢ - ابن العقي : أبو بكر أحمد بن محمد الهناتني .
كتاب البلدان .
ليبس ١٣٠٢ هـ
- ٣ - ابن الوردى : سراج الدين أبي حفص عمر .
خريطة الصنائب وقريفة القرائب (جزئين) .
القاهرة ١١٣٦ هـ
- ٤ - ابن أيوب : السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل
كتاب تقويم البلدان ، نشر ريبود ومالك كوكين .
باريس ١٨٤٠ م
- ٥ - ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله .
تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (جزئين) .
القاهرة ١٩٢٨ م
- ٦ - ابن تيمية :
الحسبة في الإسلام .
القاهرة ١٣١٨ م
- ٧ - ابن جبير : محمد بن أحمد -
رحلة ابن جبير أو تذكرة بالأخبار عن انغلات الأسفار .
القاهرة ١٩٥٥ م

- ٨ - ابن حنبل :
الدور الكاسية في أعيان المائة الثامنة (٤ أجزاء) .
القاهرة ١٢٨٧ هـ
- ٩ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد .
(١) مقدمة ابن خلدون .
القاهرة ١٩٠٩ هـ
(ب) العبر وديوان للبعث والخبر (٧ أجزاء) .
القاهرة ١٢٤٨ هـ
- ١٠ - ابن حوقل : أبو القاسم :
كتاب المسالك والممالك .
لين ١٨٧٢ م
- ١١ - ابن خردادبة : أبو القاسم عبيد الله
كتاب المسالك والممالك - شرح وطبع جوجيه .
لين ١٣٠٩ هـ
لين ١٨٨٩ م
- ١٢ - ابن دقماق المصري : صادم الدين ابراهيم بن محمد .
كتاب الانتصار بواسطة عقد الامصار ج ٤ و ج ٥ .
بولاق ١٨٩٣ م
- ١٣ - ابن شامس الظاهري ١٤٩٧ م
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .
باريس ١٨٩٤ م
- ١٤ - ابن فضل الله العمري :
رسالة لابن فضل الله العمري .
روما ١٨٨٣ م
- ١٥ - ابن فضل الله العمري :
التعريف بالمصطلح الشريف .
القاهرة ١٣١٢ هـ
- ١٦ - ابن مائق : الاسعد ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م
قوانين النواوين (مشر عزيز منوربال عطية)
القاهرة ١٩٤٢ م

- ١٧ - أبو شامة ! هيد الرحمن بن اسماعيل ،
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين - جزمان .
القاهرة ١٢٨٧ هـ
- ١٨ - أبو محمد عبد الله بامخرمة ؛
تاريخ قمر حسن - جزمان .
لندن ١٩٣٦ م
- ١٩ - أبو الحاسن ؛
النجوم الراهرة في تاريخ ملوك مصر
والقاهرة - ١٢ جزءا بدار الكتب وطبعة أخرى بكايبورنيا .
القاهرة ١٩٥٦ م
- ٢٠ - ابن أبياس ؛
بدائع الزهور في وقائع الدهور - ٣ أجزاء طبع يولال ١٣١٢ هـ
وحد ٤ ج ٥ طبعة محمد مصطفى .
استنبول ١٩٢٢ م
- ٢١ - أحمد دراج ؛
الماليك والفرنج .
القاهرة ١٩٦١ م
- ٢٢ - آدم متز ؛
الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ - ج ٢
ترجمة محمد عبد الهادي أبو رييدة .
القاهرة ١٩٤١ م
- ٢٣ - البغدادي ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ؛
كتاب الامانة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعايمة
بارض مصر .
(نشره وعلق عليه ده ساسي)
- ٢٤ - الملاحظ ؛ أبو عثمان عمر بن بحر ٨٦٩ هـ
كتاب التبصر بالتجارة .
القاهرة ١٩٣٥ م
- ٢٥ - الجزيري ؛
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة - ٤ أجزاء .
القاهرة ١٩٣٥ م

- ٢٦ - السيوطي جلال الدين بن أحمد . حسن المحاضرة
في أخبار مصر والقاهرة ج ٢
القاهرة ١٩٤٩ م
- ٢٧ - العفيف الشيخ زين الدين ١٥٧٩/٩٨٥ :
تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين *
لندن ١٨٢٨ م
- ٢٨ - القرطبي : أبو العباس بن أحمد المشقي
أخبار الدول وآثار الأول *
بولاقي ١٢٩٠ هـ
- ٢٩ - القلقشندي : أحمد بن علي ١٤١٨/٨٢١
صبح الأعشى في صناعة الإنشا - ١٤ جزءا .
القاهرة ١٩١٩ م
- ٣٠ - المسموعي :
مروج الذهب ومعادن الجواهر - جرمان .
باريس ١٨٦١ م
باريس ١٨٧٧ م
- ٣١ - المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله الشامي
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم *
لينن ١٩٠٩ م
- ٣٢ - المقرئ : تقي الدين بن أحمد ١٤٤١ م :
المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - جرمان طبعة بولاقي .
١٢٧٠ هـ ٤ أجزاء طبعة النيل .
١٩٠٧ م
- ٣٣ - المقرئ : تقي الدين بن أحمد ١
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ قسم أول وثان صحفه
ونشره وعلق عليه دكتور زيادة *
١٩٣٤ م
- ٣٤ - النجدي : أحمد بن ماجه -
أرجوزة العرب في خليج فارس أو حاوية الأخبار في أصول علم
البحار ، نشره وعلق عليه فرائد *
١٢٩١ م

٣٥ - برونك بن شهر يار الناحنده الرامهرمزي :
عجايب الهند بزم وبحره *

ليدن : ١٨٨٣/١٨٨٦ م

٣٦ - توفيق اسكندر :
(١) نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العهد الوسيط .
بحث مستخرج من المجلد السادس من مجلة الجمعية المصرية
للدراستات التاريخية *

١٩٥٧ م

(ب) بحث في التاريخ الاقتصادي (مترجم) الجمعية المصرية
للدراستات التاريخية *

١٩٦١ م

٣٧ - جاستون فييت :
مصر الاسلامية *

القاهرة ١٩٤٠ م

٣٨ - جورج فاضلو حوراني :
المرب والملاحه في المحيط الهندي (مترجم)
القاهرة ١٩٥٨ م

٣٩ - جورج يعقوب
اثر الشرق في العرب وخاصة في العصور الوسطى ، ترجمة
فؤاد حسنين علي *

القاهرة ١٩٤٦ م

٤٠ - حسن عثمان :
تاريخ مصر العام (بالاشتراك) مصر العشانية بشره قسم التاريخ
بآداب القاهرة *

القاهرة ١٩٤٢ م

٤١ - زكي محمد حسن :
(أ) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى .
القاهرة ١٩٤٥ م

(ب) فنون الاسلام
القاهرة ١٩٤٨ م

٤٢ - ستانلي لين بول

- (أ) سيرة القاهرة (مترجم) حسن إبراهيم وزميله .
القاهرة ١٩٥٠ م
- (ب) العرب في اسبانيا (مترجم) علي الجارم .
القاهرة ١٩٤٤ م

٤٣ - سعيد عاشور

- (أ) قبرس والحروب الصليبية .
القاهرة ١٩٥٧ م
- (ب) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك .
القاهرة ١٩٦٢ م
- (ج) مصر في عصر دولة المماليك البحرية .
القاهرة ١٩٥٩ م
- (د) العصر المماليكي في مصر والشام .
القاهرة ١٩٦٥ م
- (هـ) أوروبا في العصور الوسطى ج ١ و ج ٢ .
القاهرة ١٩٦٤ م

٤٤ - السخاوي : كتاب التبر المسبوك في دليل السلوك - طبع دار الكتب
(عن نسخة مخطوطة برقم ٤٠ بدار الكتب) .
القاهرة ١٨٩٦ م

٤٥ - سليمان الفارسي - وأبو زيد حسن السيرافي .
سلسلة التواريخ - رحلة إلى الصين والهند .
باريس ١٨٨١ م

٤٦ - سليمان خليل بن جاورش :
كتاب التحفة السنية في تاريخ الصنططينية .
بيروت ١٨٧٢ م

٤٧ - شارل دريل :
البتدقية جمهورية الارستقراطية تعريب أحمد عزت عبد الكريم
وتوفيق إسكندر .
القاهرة ١٩٤٨ م

٤٨ - صبحي لبيب :
التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى - المجلة
التاريخية المصرية مجلد ٤ عدد ٢ .

القاهرة ١٩٥٢ م

٤٩ - طاهر عكي :

(أ) المجلة - عدد سبتمبر ١٩٦٠ .

القاهرة ١٩٦٠ م

(ب) المجلة - عدد يناير ١٩٦١ .

القاهرة ١٩٦١ م

٥٠ - عبد الرحمن فهمي :

النقود العربية : ماضيها وحاضرها .

القاهرة ١٩٦٤ م

٥١ - فيشر :

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ج ٢

نقله الى العربية زيادة والعريني والمندوي .

القاهرة ١٩٥٧ م

٥٢ - محمد جمال الدين سرور :

دولة بني قلاوون في مصر .

القاهرة ١٩٤٧ م

٥٣ - محمد جمال الدين الشيبان :

الأطلس التاريخي لمدينة الاسكندرية من أقدم العصور الى الوقت

الحاضر المجلة التاريخية المصرية - المجلد الثاني - القاهرة .

أكتوبر ١٩٤٩ م

٥٤ - محمد عبد الله عثمان :

(أ) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية .

القاهرة ١٩٣١

(ب) تراجم اسلامية شرقية وأندلسية .

القاهرة ١٩٣٦ م

٥٥ - محمد مصطفى زيادة :

(١) نهاية سلاطين المالكيك .

مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

القاهرة ١٩٥١ م

(ب) المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس .

مجلة الجيش .

القاهرة ١٩٤٦ م

(ج) الاطلس الاسلامي : هـ ج . هازارد ترجمة زيادة .

القاهرة ١٩٥٧ م

٥٦ - محمد كرد علي :

حط الشمام ج ٤ .

بيروت ١٩٢٦ م

٥٧ - مصطفى الحفناوي :

قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ج ١ و ج ٢ .

القاهرة ١٩٥٢ م

٥٨ - ناصر خسرو :

سفرنامه : ما كتبه بالعربية ناصر خسرو على ونقله للصربية

يحيى الخشاب .

القاهرة ١٩٤٥ م

٥٩ - وطيس (اليزابث ج . بوج) وح اليزابث كراثر .

قصص الرحالة والكشافين - ترجمة أحمد حاكى وادوارد رياض .

لندن ١٩٤٩ م

ثانيا : المراجع الاوربية

1. Allen, J., The Cambridge Shorter History of India.
London, Camb. Univ. Press, 1924
2. Allan, E.A., History of Civilization. Vol. VI. The Medieval World.
U.S.A. 1909.
3. Amari, N., I Diplomi Arabi, Del Archivio Fierentino.
In Firenze MDCCLXIII.
4. Anchieri, Ettore, Suez, Il Rodo D'oggi. Rome 1950.
5. Archer, T.A. & Charles Lethbridge Kingsford, The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem.
London 1919.
6. Atia, Aziz Suryal, The Crusade in the Latter Middle Ages,
London 1936.
7. Baker, Ernest, The Crusades. London 1925.
8. Peasley, C. Raymond, Prince Henry The Navigator.
London 1923.
9. Peasley, C. Raymond, The Dawn of Modern Geography.
2 Vols. London 1895.
10. Bernard, Alexander, Cypria. Chronique de l'Ile au Moyen Age.
Paris 1902.
11. Breydenbach, E. DE., Les Sainte Peregrinations.
Le Caire 1904.
12. The Camb. Med. History. (8 Vols.) Camb. 1936,

13. The Camb. Mod. History. Vol. 1. The Renaissance.
Camb. 1907
14. Cattaul Joseph, Coup d'oeil sur la Chronologie de la Na-
tion Egyptienne. Paris 1931.
15. Charles, Roux, J., L'Isthme et le Canal de Suez. T. 1-2.
Paris 1901.
16. Cioli, Lionello, Histoire Economique, Depuis l'Antiquité
Jusqu'à Nos Jours. Paris 1939.
17. Clerget, Marcel, Le Caire, Etude de Geographie Urbaine,
et d'Histoire Economique. T. II. La Caire 1934.
18. Colbeck, C. Historical Atlas. London 1923.
19. Combe, M. Et. Alexandrie Musulmane. Le Caire 1933.
20. Combe, M. Et. Precis de l'Histoire d'Egypte. T. III. « L'E-
gypte Ottomane de la Conquête par Selim I, 1517 à l'Ar-
rivée de Bonaparte 1798 ».
21. Darnes, M. Longworth, The Book of Duarte Barbosa 1518
A.D., 2 Vols. London 1921.
22. Day Clive, A History of Commerce. London 1850.
23. De Mas Latrie, M.L., Traité de Paix et de Commerce.
Paris 1865.
24. Depping, G.B. Histoire du Commerce Entre le Levant et
l'Europe, Depuis les Croisades Jusqu'à la Fondation des
Colonies d'Amérique. T. I & II. Paris 1830.
25. De Sacy, M. Silvestre, Relations de l'Egypte par Abd
Al-Latif, Medecin Arabe de Baghdad. 1281 A.D.
26. Devonshire, R.L. L'Egypte Musulmane et les Fondateurs
de ses Monuments. Paris 1926.
27. Doppe, P.H., L'Egypte au Commencement du 15ème Siè-
cle. (D'après le Traité d'Emmanuel Pileyi de Grete. Ins-
cript. 1420), Le Caire 1950.

28. Dunbar, George. *A History of India from the Earliest Times to Nineteen Thirthy-Nine*. 2 Vols. (Vol. 1 ancient and mod.). London 1929.
29. *Encyclopaedia Britannica*. London 1929.
30. Felix Fabri, *The Wanderings of..* 2 Vols. (1480-1483) London 1897.
31. Ferrand, O. *Relations de Voyages*. (2 Vols.) Paris 1913-1914
32. Ferrand, G. *Instructions Nautiques et coutiers Arabes et Portugais des XV et XVI Siècles*. T. 1-5. Texte Arabe, par Ibn Magid.
33. Fischel, W.J., *Jews in the Economic and Political Life of the Medieval Islam*. London 1958.
34. Fischel, W.J., *The Spice Trade in Mamluk Egypt, a Contribution to the Economic History of Medieval Islam*. Vols. 1, 2, 3. Liden 1958.
35. *Encyclopedie d'Islam*.
36. Gayst, *Le Cours. Histoire de Commerce*. T. II. Paris 1923.
37. Goiten, E.P., *New Lights on the Beginning of the Orient*. *Journal of the Economic and Social History of the Orient*. Vol. I. 1958.
38. Hakluyt Society, *India in the 15th Century IV*.
39. Hammer, *Histoire de l'Empire Ottomane*, 18 Vol. Paris 1835-1943.
40. Henry Higga, *A Dictionary of Political Economy*. Vol. II. London 1935.
41. Heyd, W., *Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age*, T. I & II. Leipzig 1925.
42. Horn, Paul, *International Trade, Principles & Practices*. New York 1953.
43. Howe, Sonia, E., *In Quest of Spices*. London 1946.

44. Hyzayyin, S.A., *Arabia and the Far East*. Cairo 1942.
45. Jacob, E.F., & Crump, P.P. C.C. *The Legacy of the Middle Ages*. London 1927.
46. Johnson, A.H., *Europe in the 16th Century. (1434-1598)*. London 1924.
47. *Journal Asiatique, Traités de Commerce entre la République de Venise et les derniers Sultans Mameluks d'Égypte, par M. Reinand. T. IV, Paris 1829. (Nouveau Journal Asiatique, 28ème Série).*
48. Kammerer, *La Mer Rouge, L'Abyssinie et l'Arabie Depuis l'Antiquité Jusqu'à XVe Siècle. 4 Vols., T. II, Part I*. Le Caire 1929-1935.
49. Kimble, George, H.T., *Geography in the Middle Ages*. London 1936.
50. Lane-Poole, Stanley., *Medieval India under Mohammedan Rule A.D. 712. 1764*. London 1925.
51. Lane-Poole, Stanley, *A History of Egypt in the Middle Ages*. London 1936.
52. Lane-Poole, Stanley, *Turkey*. London 1922.
53. Lane-Poole, Stanley, *The Story of Cairo*. London 1924.
54. Leo L'Africanus, *The History and description of Africa. (3 Vols.)*. London MDCCCXCVI
55. Lodge, H., *The Close of the Middle Ages*. London 1922.
56. Lopes, and Raymond, *Medieval Trade in the Mediterranean World*. London 1955.
57. Maillet, J., *Histoire des Faits Economique des Origines au XXe Siècle*. Paris 1952.
58. *Marco Poles Travels (2 Vols.)*. London 1903.
59. Miller, William, *The Latins in the Levant. A History of the Frankian Greece (1204-1566)*. London 1908.

60. Mookerji, Radhakumud, N.A., Indian Shipping, A History of Sea. Borne Trade and Maritime Activity of the Indians from the Earliest Times to the End of the Moghai Period. London 1912.
61. Moreland, W.H., The Ships of the Arabian Sea about A.D. 1500. The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland. p. 1-11. London 1939.
62. Muir W., The Mamemluk or Slave Dynasty of Egypt. Lodon 1896.
63. Newton, Arthur Percival, Travel and Travellers of the Revival Trade. Prinotien 1925.
64. Pirenne Henri, Medieval Cities. Their Origins and the Revival Trade. Princeton 1925.
64. Pirenne, H., History of Europe from the Invasions to the 16th Century. Lodon 1939.
66. Pirenne, H., Economic and Social History of Med. Europe. London 1937
67. Poliak, Les Révoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamelouks et leur Cause Economiques. 1934.
68. Poston, M.M. & Habbakuk. The Cambridge Economic Hist. of Europe. Part II. Camb. 1952.
69. Power, Eleen, Medieval People. London. 1954.
70. Quatremier, Mémoire sur l'Egypte. Histoire de Sultans Mamaluka de l'Egypte (2 Vols.) Paris 1837-1846.
71. Regine Parnaud, Les Villes Marchandes aux XIVème et XVème. Impérialisme et Capitalisme au Moyen-Age. Paris 1948.
72. Richard, Hakluyt., The Principals Navigation Voyages, London
73. Roberta Leves, The Merchant's Moppe of Commerce, Wherein the Unirateral Manner and Matter of Trade, in compendiously handled. London MLCXXXVIII. 1638.

74. Schameil, Maurice. *Le Caire, Sa Vie, Son Histoire, Son Peuple.* Le Caire 1949.
75. Syngé, M.P., *A Book of Discovery, The History of the World's Exploration from the World Earliest Times to the Finding of the South Pole.* London 1925.
77. Thénaud, J., *Le Voyage d'Outre Mer de Jean Thénaud.* Paris 1888.
78. Varthema, Ludvico, di. *Les Voyage de Ludvico Varthema,* Paris 1888.
79. Von Harff, Arnold, *The Pilgrimage of von Harff. (1498-1499).* London 1946.
80. Waugh, W.T., *A History of Europe (1378-1494),*
81. Webster, Hutton, *A History of Civilization, Ancient and Medieval.* Boston, U.S.A., 1947.
82. Wiet, G., *L'Egypte Arabe, Histoire de la Nation Egyptienne.* Paris 1928-1937.
83. Wilson, Arnold T., *The Persian Gulf.* London 1954.
84. Ziada, *Foreign Relations of Egypt in the 15th Century. (Thesis.)*
85. Gibb, H.A.R., *Historical Atlas of Muslim Peoples.* Amsterdam 1957.

ملاحق الكتاب

الملاحق	الموضوع
٣٧٣ - ٤٨١	١ - الوثائق والمعاهدات
٤٨٣ - ٤٩٢	٢ - المراجع العربية
٤٩٣ - ٤٩٨	٣ - المراجع الأوروبية
٥٠٠ - ٥٠٢	٤ - قائمة الوثائق والمعاهدات
٥٠٣ - ٥٠٥	٥ - فهرس الموضوعات
٥٠٦ - ٥١١	٦ - الخرائط

قائمة الوثائق والمعاهدات

الصفحة	الموضوع	الرقم
٣٧٣	اتفاقية التواكل الشريعة بين البداة والسلاطان اأمد بن السلاطان الاشراف ايسال عام ١٤٦١ م	١
٣٧٤	أطاب من السلاطان الاشراف قايتعاى الى ذوق البدقية شاربع ١٠ شعبان ٨٧٧ هـ / ١٤٨٢ م	٢
٣٧٦	أعليمات الى السامير بديتو سامورو - سامير البدقية الى السلاطان الاشراف قاصووه القورى	٣
٣٨١	أعليمات مجلس العشرة فى البدقية للسفير البدقى فرنسوا تالدى - تكلفه بالتوجه للقاهرة للتفاوض مع السلاطان القورى سرا فى الوسائل الممكن اتاعها لمح توسع البرتغاليين القجارى فى المياه الهندية.	٤
٣٨٨	مناقشات الساتو بشأن سمارة تغرى بردى الى البدقية	٥
٣٩٠	أطاب الساتو الى السلاطان القورى بشأن المباحثات بين سامير تغرى بردى ومندوبى حكومة الجمهورية على ما اتفق عليه الطرفان فى الوثيقة رقم ٥	ملحق رقم ٥
٣٩١	أطاب من جمهورية البدقية الى السلاطان تشكو فيه من ان عمال السلاطان يعملون على ترحيل سفن المدة قبل انتهاء المدة أحيانا وبعد انتهاء المدة بوقت	٦
٣٩٥	أطاب من جمهورية البدقية الى السلاطان تشكو فيه من الاجراءات الانتقامية التى اتأخذت ضد مواطئها بسبب ترأسهم واستقلالهم بمحوث البناء الصغرى	٧
٣٩٩	أعليمات للسفير دومتكو ترميرانى - سامير جمهورية البدقية الى السلاطان	٨
٤٠٦	ثم نص اتفاقية السفير البدقى ترميرانى والسلاطان القورى ١٥١١ / ١٥١٢	
٤١٧	الاتفاقيات بين السلاطان القورى والسامير البدقى ترميرانى فيما يتعلق ببيع الى ٢١٠ أجمال من التواكل الشريعة	٨ (١)

الصفحة	الموضوع	الترقيم
٤١٩	أمثلة من البندقية ورد السلطان عليها	٨ (ب)
٤٢٢	تعليقات لعمال السلطان وللعرب وتجارهم	٨ (ج)
٤٢٢	مصر العظمى التجارية الخاصة بتجارة البندقية في الاسكندرية بناء على طلب القنصل وتجاره بالمدينة	٨ (د)
٤٢٥	اتفاقية خاصة بتجارة البندقية في ميناء طرابلس بالشام	٩ (أ)
٤٢٦	عريضة مقدمة للسلطان من قنصل وتجار دمشق ووافق عليها نائب السلطان بدمشق	٩ (ب)
٤٢٦	اتفاقية خاصة بالتجارة السادة الخبيبي في حلب	٩ (ج)
٤٢٩	المعاهدة بين السلطان سليم الأول العثماني وطائفة البنادقة في نهر الاسكندرية بعد فتح العثمانيين لمصر ١٤ من فبراير ١٥١٧م	١٠
٤٣٥	اتفاقية بين جنوة والسلطان محمد الثاني العثماني بعد فتح القسطنطينية ١٤٥٣ - وهي بتاريخ ١١ من مارس ١٤٥٤	١١
٤٣٧	أول المعاهدات التجارية بين البنادقة والعثمانيين بعد فتح القسطنطينية ١٤٥٣ - وهي بتاريخ ٢٨ من إبريل ١٤٥٤	١٢
٤٣٩	نسخة من الشروط بين فلورنسا والسلطان قايتباي بشأن التجارة الفلورنسية في مصر ودمشق وبيروت ١٤٨٨ م	١٣
٤٤٧	ملحق لمعاهدة الامتيازات الموجهة لطائفة الفرنجيين ببلاد السلطان المماليكي عام ١٤٨٨م بامتيازات جديدة غير ما منح للبنادقة	١٤
٤٥٠	تعليقات للسفير لويجي ولاستوتا سفير فلورنسا لسلطان مصر بتاريخ ١٠ من نوفمبر ١٤٨٨	١٥
٤٥٢	اتفاقية بين السلطان الأشرف قايتباي - سلطان مصر والمعلم الأفخم لودرو ديميديتشي حاكم فلورنسا بواسطة سفيره لويجي دلاستوتا عام ١٤٨٨	١٦
٤٥٥	خطاب السلطان قايتباي لأمير فلورنسا بشأن تأكيد امتيازات طائفة التجار الفلورنسيين ببلاد السلطان بتاريخ ٢٤ من ذي الحجة ٨٩٤ هـ / ١٨ من نوفمبر ١٤٨٩ م	١٧
٤٥٧	المعاهدة الشاملة - وهي امتيازات منحها السلطان قايتباي لطائفة الفرنجيين ببلاده وهي بتاريخ ٢٢ من فبراير ١٤٩٦	١٨

الصفحة	الموضوع	الترقيم
٤٦٩	خطاب السلطان قايتباي الى حاكم فلورنسا يسمح رعاياه وتجاره في بلاده امتيازات خاصة بالتجارة - وصورة الخطاب لثالب الامكنبرية والشام لمراعاة هذه الطائفة .	١٩
٤٧١	مرسوم سلطاني من السلطان الغوري لجميع عماله بتحديد ما تضمنته المرسوم السابق لطائفة الفرثيين الواحدین لبلاد السلطان وتأييده ما منح لهم من امتيازات مسابقة بتاريخ ١٢ من ابريل ١٥٠٦	٢٠
٤٧٣	خطاب موجه من حاكم فلورنسا الى السلطان الغوري بشأن الهدايا المرسلة مع سفيره تفرى بردي عام ١٥٠٧ ومعه مقترحات جديدة بامتيازات لتجار الفرثيين في بلاد السلطان	٢١
٤٧٤	مرسوم موجه لطائفة الفرثيين ولتجارهم في بلاد السلطان باعماءات وامتيازات جديدة وصورته لعمال ونواب السلطان لمراعاة تجار هذه الطائفة وهو بتاريخ ١٩ من اكتوبر ١٥٠٧	٢٢
٤٧٥	امر من السلطان قانصوه الغوري لتسهيل الامر على تجار الفرثيين في موانئ مصر والى عماله لمراعاة مصالحهم في بلاده	٢٣
٤٧٧	مرسوم من السلطان قانصوه الغوري بشأن منح امتيازات جديدة لطائفة الفرثيين لدى وصولهم لبلاده وذلك بناء على طلب سفيرهم الى السلطان بتاريخ ٥ من يوليو ١٥٠٩ .	٢٤
٤٧٩	مرسوم صادر من السلطان قنصوه الغوري الى جميع موانئ وموظفيه وعماله لمراعاة مصالح الفرثيين في بلاده .	٢٥

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

نظرة سياسية عامة في أحوال دول البحر المتوسط من سقوط
القسطنطينية ١٤٥٣ إلى دخول العثمانيين مصر ١٥١٧ م

من ص ١١ إلى ص ٣٤

سقوط القسطنطينية - حدود دولة سلاطين المماليك في النصف
الثاني من القرن ١٥ م - الدول المعاصرة : مملكة الحشنة المسيحية -
دول شمال أفريقيا - الهند الإسلامية - قبرس - مملكة قشتالة ومملكة
فرنسا - الجمهوريات الإيطالية - الأسبان ومسلمو الأندلس - السلطان
إيصال - السلطان خشقدم وسياسته الإسلامية ، وعلاقاته مع العثمانيين
- السلطان قايتباي - السلطان قاصوة الفوري - كشف رأس الرجاء
الصالح - الصفويون والعثمانيون - للماليك والعماليون *

الفصل الثاني

العلاقات التجارية الخارجية بين دول شرق البحر المتوسط
وغربه في النصف الثاني - القرن ١٥ م

(من ص ٣٥ - ص ١١٤)

أثر سقوط القسطنطينية في تحول التجارة لمصر والشمام -
العلاقات التجارية بين دولة المماليك والمسلمين الإيطالية والعربية
والقطالونية على عهد السلطان إينال - العلاقات التجارية على عهد
السلطان قايتباي - العلاقات التجارية على عهد السلطان المموري -
تحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح وأثره على تجارة مصر
ومعالاتها - السفارات البندقية لمصر - السفارات المصرية للبندقية -
وقعة شول ١٥٠٨ - وقعة ديو ١٥٠٩ - نهج بفتح السلاح المرسلة لمصر
من الدولة العثمانية - بعثة تريفزاني وما حققته - الموقف في مصر

والهند بعد ديو - الفتح العثماني لمصر واتفاقية التجارة بين العثمانيين
والبنساقدة .

الفصل الثالث

الطرق والمراكز التجارية

(من ص ١١٥ - ص ١٨٨)

الطريق الأول البحري من الهند والصين الى الخليج العربي ومروحه
ومراكزه - الطريق الثاني من الشرق الأقصى للبحر الاحمر ومروحه
ومراكزه في مصر والشام - الطريق الثالث من وسط آسيا والهند برا
الى بلاد السقان شمالا والبحر الاسود وآسيا الصغرى والشام - الطريق
الرابع بحرا من الصين الى الهند والخليج العربي والبحر الاحمر ومراكزه
طريق السدقية التجاري لشرق البحر المتوسط - طريق حوة التجاري
لشرق البحر المتوسط - طريق فلورنسا التجاري لشرق البحر المتوسط
- طريق مرسيا التجاري لشرق البحر المتوسط - طريق برشلونة
التجاري لشرق البحر المتوسط - طريق القسطنطينية البري .

الفصل الرابع

السلع التجارية

(من ص ١٨٩ - ص ٣٧٢)

انواع السلع المتبادله - موقف البابوية من التعامل مع المماليك -
التوبل - الفلفل - القرية - القسطنطين - الحنطان - الرجبيل -
العقاقير الطبية : البلسم - الكافور - الهندشجرة - حيدر شجر -
الراوند - العصى والين - العود الهندي - جورة الطيب - التوتيا -
الزعفران او الكركم - الرقيق الابيض والاسود ومصادره - مودف
البابوية من تجارة الرقيق - السحور والقطور : عود السند - المسك -
خشب الصندل - الصبر - الخور - اللادن - المصطكى - النيسان
الجاوي - الصمغ - صمغ الك - مواد الصباغة : القرية - البيلة -

دودة القرمز - الذهب - التوتيا - القطران الطبيعي - خشب البرازيل
- العاج - السكر - الحرف - والبورسلين - المنسوجات القطبية
والحريرية والكتانية والمطربة بخيوط الذهب والفضة - المنسوجات
الصوفية . موقع الكنيسة من استيراد المنسوجات من الشرق -
الخشب . الأحجار الكريمة . الزمرد - الفيروز - اللارورد - العقيق -
الذهب - الماس - الزجاج والبلور .

الفصل الخامس

النظم التجارية

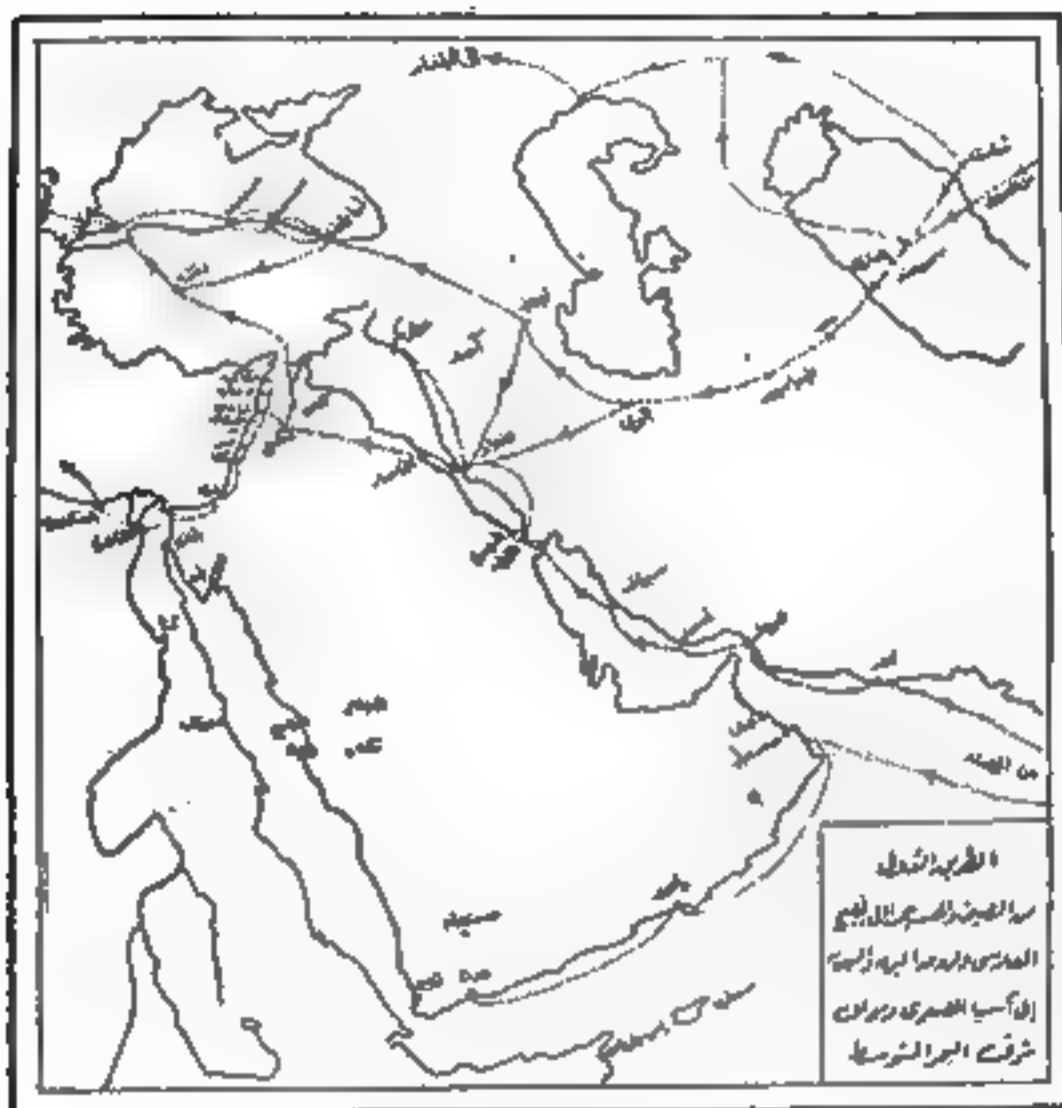
سبق الشرق في نظم التجارة ونقل الغرب عنه - بعض المشاكل
انتهى وأجهت تجار العصور الوسطى - نظام النقل البحري في التجارة -
نظام سفن المدة البحري - نظام النقل البري - نظام تجارة العبور -
المشآت والمراعى التجارية : الأسواق - الوكالات - القياس - المحابك
- الفنادق - طوائف التجار الشرقيين والمربيين والوطنيين - الهيئات
المشرفة على التجارة - الإحراوات الجمركية في ميناء الإسكندرية -
القناصل التجاريين - نقابات التجار - الاحتكار التجاري - الرأسمالية
في النظام التجاري - المعاملات المالية . النظام المصرفي - طرق المحاسبة
التجارية - الضرائب التجارية - نظام الدفع في المعاملات التجارية -
نظام المقايضة .

الفصل السادس

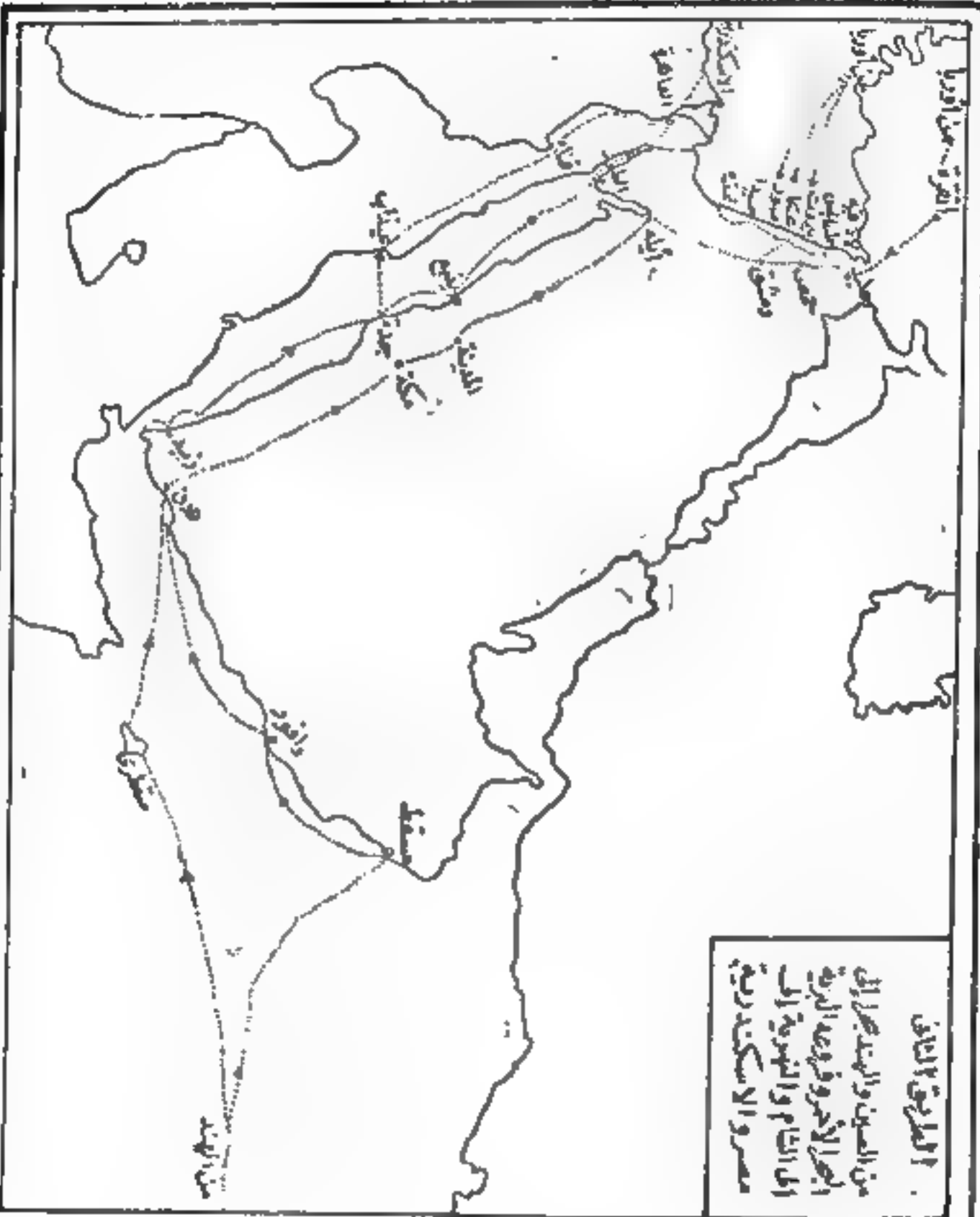
خاتمة

كشف طريق راس الرجاء الصالح ونهاية دولة سلاطين الماليك

عوامل الانهيار في دولة الماليك وفي طريق التجارة بالبحر
الأحمر - فساد النظام الإقطاعي - احتكار التجارة - طبيعة تكوين دولة
الماليك - هدام الرتمال والأسان للماليك - تحول بحر السودان إلى
لشبية - وصول الرتماليين إلى الهند - فاسكوده حتما - كابرا -
البوتيكوك . وجهودهم ضد الماليك وتحاربهم - العلاقات العثمانية
المالكية وانهيار دولة سلاطين الماليك - مصر والشام ولايتان
عثمانيتان .



الطريق الثاني
من الصين والهند بحر إلى
البحر الأحمر وقرعة البرية
إلى الشام والنهرية إلى
مصر والاسكندرية



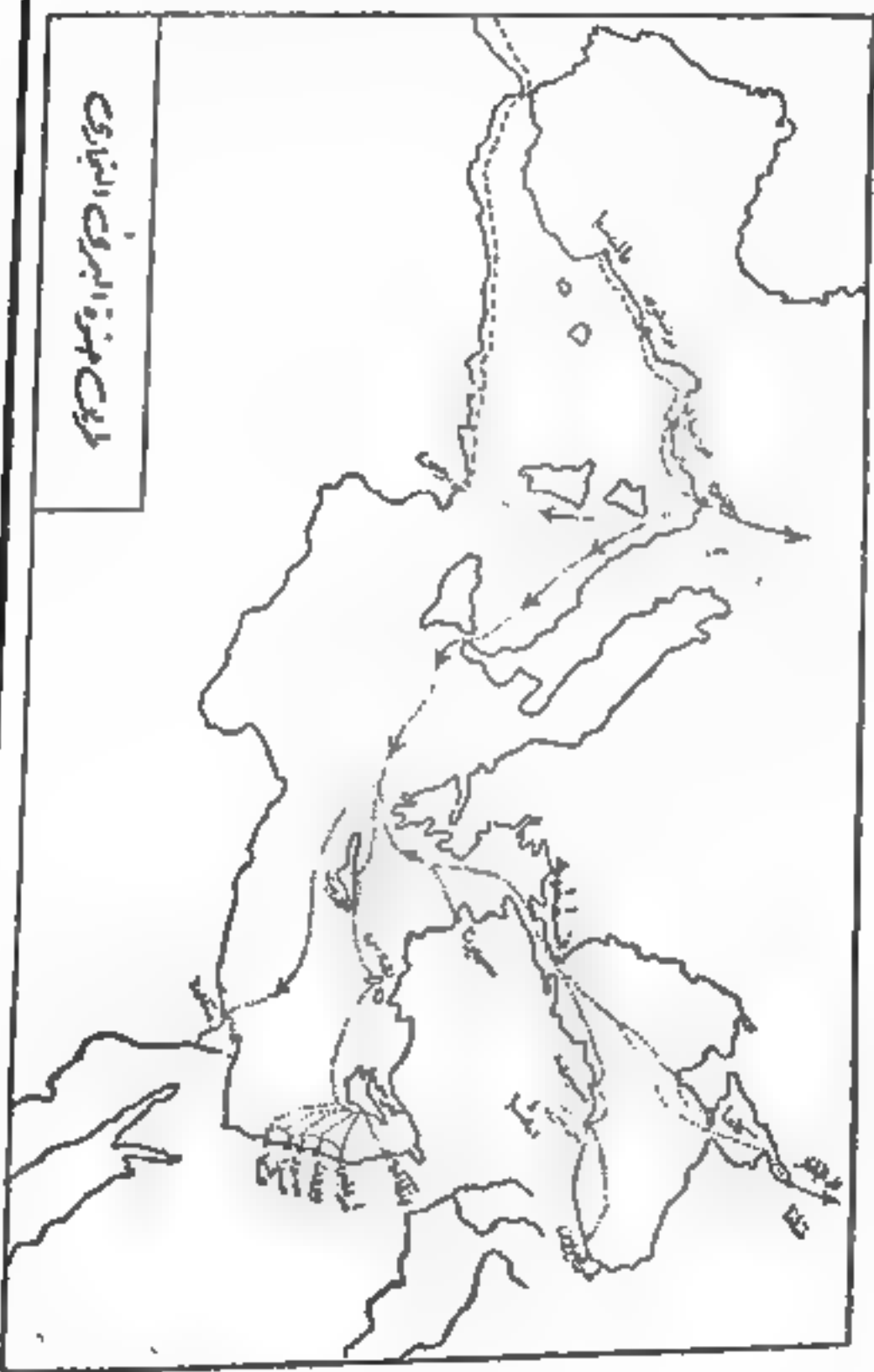


الطريق البحرية الى الشرق
من الهندية وباكستان الى افريقيا
وآسيا الوسطى



لرشت السهيلية البحرية بنها رية
والهشيرة والهريرة البحر المتوسط وشمالا أكسيدا وشمالا
آسيا الصغرى البحر مدور والحدائق البحر مدور
سبينا والحدائق البحر مدور

لوحة خريطة البحرين والقطر



رفع
مكتبة تاريخ واثار دولة المماليك

التمن ١٢٠ قرشاً



0527403